
التفسير المنير
ومعالجة قضايا المجتمع من خلال القرآن الكريم



التفسير المنير

ومعالجة قضايا المجتمع من خلال القرآن الكريم

قدم لهذا العمل

فضيلة العالم الجليل

الأستاذ الدكتور / جعفر عبد السلام

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

تاليف

د. عمر مختار القاضى

الخبير بالإيسيسكو (سابقًا)

وعضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر

مراجعة

أ. محمد سعيد هيكل

مدير التربية بالمنظمة الإسلامية

للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو (سابقًا)

أ.د. محمد الروكى

أستاذ أصول الفقه

جامعة محمد الخامس - الرباط

دار محيسن

للطباعة والنشر والتوزيع

ت: ٦٠٣٠٥٠١

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م





للطباعة والنشر والتوزيع

٤٣ طريق النصر (الأوتوستراد)
وحدة رقم ١ عمارات امتداد رمسيس ٢
مدينة نصر - القاهرة - ت: ٢٦٣١٤١٢ (٢٠٢)
ص.ب. ٨١٧٧ - مدينة نصر - الرقم البريدى: ١١٣٧١
المطابع: مدينة العبور - المجمع الصناعى - وحدة ٢٠٥
E-mail: dar_meheisen@hotmail.Com

رقم الإيداع: ٣٤٢٦ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى: 3 - 65 - 6076 - 977

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يطيب لى أن استهل تقديمى لهذا التفسير بدعاء الله سبحانه وتعالى أن يبارك فى كل من ساهم فى إعداده بالتأليف والمراجعة والإخراج والنشر وأن يثيبهم خير الجزاء، ذلك أن هذا العمل «**التفسير المنير ومعالجة قضايا المجتمع من خلال القرآن الكريم**» قد اعتنى بعرض القضايا والاستفسارات التى تشغل جمهور المثقفين المطلعين على القرآن الكريم من مختلف الانتماءات والمستويات الثقافية.

لقد ناقش هذا التفسير مسائل عقدية واجتماعية وفلسفية وتشريعية، وعالجها، ليس فى حدود ما تستسيغه ثقافة المسلم المعاصر فحسب، ولكن فى إطار أفق واسع يسمح لعقلية غير المسلمين فى الشرق والغرب باستيعاب حلول تلك القضايا وما يتعلق بها من تفسيرات وشروح. وبذلك يحقق هذا التفسير إلى حد بعيد ما يطمح إليه مؤلفه من تقديم معرفة جلية عن الإسلام بعيدة عن كل خلط والتباس، من خلال خاتم الكتب السماوية «**القرآن الكريم**» كتاب الله المبارك الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلاً من عزيز حكيم.

وجدير بالذكر أن ما يسترعى الانتباه فى هذا التفسير أنه اشتمل على مائة وخمس وثمانين قضية، اهتم المؤلف بعرضها ومعالجتها فى حيز مستقل كي لا تختلط بتفسير النصوص، ذلك لأن القضايا وحلولها إنما تعبر عن فكر إنسانى بينما تفسير النصوص هو أقرب إلى بيان إرادة المشرع ومقاصده.

ولقد لمسنا فى هذا العمل ميزة هامة تمثلت فى وقوف مؤلفه على خمسة عشر موضعاً لأحكام لا خلاف على نسخها، عرضها فى حيز بارز تحت عنوان بيان الآية ...، أى بيان الحكم المنسوخ الذى تحمله الآية مع إشارة إلى الآية الناسخة وموضعها، حتى لا يلتبس على ذهن القارئ من غير المسلمين أن القرآن الكريم يحمل أحكاماً متناقضة. ولقد اعتنى المؤلف فى الموضع المناسب بشرح مفهوم نسخ الأحكام وما يهدف إليه من التدرج بالناس نحو الالتزام أو نحو الإباحة حتى يكون الدين متسما باليسر بعيداً عن الحرج والمشقة.

أما الأحكام التى اختلف العلماء حول نسخها، فقد تعمد المؤلف أن يعرضها فى تفسيره دون إشارة إلى هذا الخلاف اعتباراً منه أن تلك الآيات التى لا تثير أشكالا فى تطبيقها ولا تؤدى أحكامها إلى المشقة والحرج، لا يصح بأى حال من الأحوال أن نثير حولها مناقشات تتعلق بالنسخ من عدمه.

وتبدو قيمة هذا العمل أيضاً فى إيجازه مع عمق ما يحمله من أفكار وإيضاحات وشروح، فقلم المؤلف لم يتعرض بالشرح إلا لما كان بحاجة إلى تفسير من كلمات وآيات، وبذلك لم يتكدس الكتاب بكثرة القضايا والمسائل التى تشغل بال أهل التخصص فى التفسير وعلم الكلام والفقه وأصوله دون عامة المثقفين المعاصرين. وهكذا خرج هذا العمل فى حدود ستمائة صفحة، وهو حجم نموذجى يتناسب مع متطلبات

القارئ المعاصر من مختلف المستويات الثقافية، ويكون مؤهلا فى المستقبل للترجمة إلى اللغات غير العربية باليسر المناسب للدعوة إلى فهم الخطاب القرآنى، لينقل مايحمله من شروح وأفكار وإيضاحات إلى المجتمعات المسلمة غير الناطقة بالعربية، وإلى المسلمين وغير المسلمين فى المجتمعات الغربية التى يجب أن نوليها رعاية خاصة فى مجال عرض العلوم الشرعية والمعرفة الإسلامية.

وفى ختام كلمتى يسرنى أن أخص بالشكر والدعاء **الدكتور / عمر مختار القاضى** عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر على الجهد الذى قام به فى تأليف هذا العمل الجليل، وكذلك الأستاذين الجليلين : **فضيلة الدكتور/ محمد الروكى** أستاذ أصول الفقه بجامعة محمد الخامس بالرباط، **وفضيلة الأستاذ/ سعيد عبد المقصود هيكل** مدير التربية السابق بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، اللذين اختارتهما منظمة الإسيسكو لمراجعة هذا العمل شكلا وموضوعاً.

وأختم بتوجيه الشكر العميق إلى قلعة الثقافة الإسلامية فى المجتمع الدولى **«المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – الإيسيسكو»** على تشجيعها للمؤلف ومساعدته بالخبرات الفنية والإمكانات المادية فى الفترة التى التحق بها (**١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م – ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م**) ليستطيع إنجاز هذا العمل القيم.

كما يسعدنى أن أخص بالشكر والدعاء **دار محيسن للطباعة والنشر** لعنايتها بنشر هذا العمل بما يليق بطباعة تفسير كتاب الله العزيز ..

والله ولى التوفيق،،

أ. د/ **جعفر عبد السلام**

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين،
وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ومن تبع هداه إلى يوم الدين

مقدمة

إنّ هذا القرآن الكريم هو رسالة الله الخاتمة الموجهة إلى الناس كافة، نزل به الوحى جبريل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، بلسان عربى من عند الله العزيز الحكيم.

نزل الوحى بالقرآن مُنَجَّمًا فيما يقرب من ثلاثة وعشرين عامًا، على رسول الله ﷺ ليبلغ آياته وسوره كما أنزلت ، فكان الصحابة يحفظون عنه، ومنهم كتبة كانوا يواظبون على تدوين ما ينزل من القرآن أولاً بأول إلى أن اكتمل الكتاب قبيل وفاة نبى الإسلام وسيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام.

وقد رُتِّبت سور القرآن وآياته بتوقيف من الوحى، فكان جبريل يراجع محمدًا، عليهما الصلاة والسلام، بما ينزل من القرآن مرة كل عام. ثم راجعه معه فى السنة الأخيرة من حياته مرتين، ومن ثم كان القرآن كاملاً مرتبًا، تناقلته الأجيال، حفظًا فى الصدور وكتابة فى السطور، عبر القرون دون تبديل أو تغيير.

وما فارق رسول الله ﷺ الحياة الدنيا إلا وقد خلَّف وراءه ذلك «القرآن» مكتوبًا كاملاً على الرقاع والعسب، ومحفوظًا مع من كانوا يكتبون عنه الوحى فى حياته. ولقد اتفق الصحابة فى عهد أبى بكر، رضى الله عنه، على كتابة القرآن فى صحف متناسقة تكون ملكًا للأمة، ثم اتخذ ذلك المصحف أساسًا لإخراج عمدة المصاحف فى عهد الخليفة عثمان بن عفان، حيث كثرت أعراق الأمة الإسلامية، فكان الناس يكتبون ما يحفظون من قرآن وفقًا للهجاتهم ، لذلك دعت الحاجة إلى توثيق هذا المصحف المرجعى لتتوحد على رسمه الأقلام وتلتف حوله القراءات فصار المصحف العثمانى إمامًا، واستنسخت عليه المصاحف الأولى لتتوزع على الأقاليم وليلتزم الناس بالنقل عنها ، وليحرقوا ـ بأمر من الخليفة وبرضا نفس منهم ـ ما كان معهم من مصاحف لم تستنسخ على المصحف الإمام.

ولم يدخر المسلمون جهدًا بعد ذلك فى الاهتمام بإعجام (تنقيط وتشكيل) حروف الكتابة لضبط نطق الكلام المبارك، وكذلك تفننوا فى تجميل كتابة المصاحف وتحسين خطوطها وتطويرها، منذ القرن الهجرى الأول وإلى عصرنا هذا.

اعلم أيها القارئ أنّ هذا القرآن كتاب هداية يجسد الرسالة السماوية الوحيدة التى بقيت حيَّةً بلغتها وأصولها إلى عصرنا الحاضر، فالعربية ما زالت لغة الملايين من الناس لم يطرأ عليها تغيير جوهرى، والخطاب القرآنى وإلى جانبه السنة النبوية الشريفة يمثلان ضمانة لحفظ اللغة العربية من التبدل والاندثار، فالمسلمون، على اختلاف مواقعهم وبلادهم، يتعبدون بالقرآن ليلاً ونهارًا، ويقتطعون من حياتهم أوقاتًا للتفقه فى أحكام الشريعة، وهم أحرص الناس على الحفاظ على المخطوطات الأولى للمصاحف والاعتناء بمراجعة المطبوعات القرآنية الحديثة بدقة بالغة.

إن هذا القرآن معجزة خالدة أراد اللـه لها البقاء لكي تكون أبد الدهر بشرى مطمئنة للصالحين، وحجة منذرة للجاحدين. فمن ناحية هو كتاب سماوي محفوظ منذ نزوله لم ينله التحريف. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(١)، ومن ناحية أخرى، يرتقى القرآن ليفوق أعلى مراتب البلاغة والحكمة التى عرفتها الإنسانية، فلا يستطيع أحد مهما بلغ من حنكة وطلاقة، أن يأتى بخطاب يضاهى المرتبة الأدبية العليا التى تفردت بها سور القرآن دون منازع. يقول الله جلّ شأنه: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(٢).

فمَنْ عَقَلَ تلك الرسالة وآمن بها كان له الصلاح فى الدنيا والفوز فى الآخرة، ومن خالف ضميره فكذّبها وأعرض عنها، فقد ضَلَّ عن سواء السبيل واختار لنفسه الخسران المبين.

وفى إطار الجهود التى تُعْنى بالتعريف بالإسلام وشرح مفاهيمه ورفع الالتباسات من حوله، يطيب لنا تقديم هذا العمل بعنوان:

« التفسير المنير ومعالجة قضايا المجتمع من خلال القرآن الكريم »

وهو يحتوى على نص «القرآن الكريم» مصحوبًا بتفسير لغوى مبسّط، ومتضمنا عرضًا لأهم القضايا الإيمانية والفكرية والاجتماعية التى قد يستغلق فهمُها على القارئ غير المتخَصص فى علوم الإسلام، وبه بيانٌ للبراهين التى ساَقَها التقدم العلميّ فى حياتنا المعاصرة لتكون شاهدةً على صدق آيات كتاب الله العزيز.

ويتلخص المنهج المتبع فى هذا الكتاب، فيما يلى :

١ ـ عرض النص القرآنى برواية حفص.

٢ ـ تفسير لغوى مبسّط ـ بحيز مستقل ـ يقع بين الآيات بخط مميز، يأخذ فى الاعتبار بيان أسباب النزول عند الضرورة، أى عندما يتوقف عليها فهم حكم الآية وتطبيقه .

٣ ـ بيانُ تدرّج الرحمة الإلهية فى تشريع بعض الأحكام ونسخها، وتوضيح ذلك بالهامش بعبارة «بيان الآية رقم ...» فى المواضع المناسبة.

٤ ـ إبراز القضايا التى تثار بمناسبة بعض الآيات ـ بحيز مستقل فى الموضع المناسب ـ لرفع ما قد يلتبس على الفهم، أو لتبديد ما قد يشوب الفكر من شكوك، أو لبيان التطبيقات العملية للأحكام على ضوء ظروف الحياة المعاصرة.

٥ ـ تعزيز الشروح والقضايا عند اللزوم بآيات قرآنية وأحاديث نبوية مع تخريجها(٣).

ونهدف من وراء هذا المنهج إلى تبسيط الشروح والمفاهيم القرآنية حتى تكون ميسورة للمسلمين الجدد ولغير المسلمين ولعامة القراء على حد سواء.

ولقد آثرنا فى منهج هذا التفسير تجنب التعبير بـ «الإعجاز العلمى» عند الوقوف على معانى الآيات التى

---

(١) سورة الحجر، الآية ٩. (٢) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٣) تم تخريج الأحاديث الواردة بذلك التفسير من أسطوانة صخر، "موسوعة الحديث الشريف، الكتب التسعة"، إصدار ١٩٩٨م. وأسطوانة مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي "الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف وعلومه"، إصدار ١٩٩٧م. وبرنامج المحدث على موقع الإنترنيت www.muhaddith.com.

تتعلق بحقائق توصلت العلوم والاكتشافات المعاصرة إلى ثبوتها، مكتفين بعبارة «بيان علمى» لعمومية تلك العبارة، إذ أن الإعجاز عام فى كتاب الله وفى جميع مخلوقاته، ولا يحتاج أن نخص بذكره مواضع محددة من القرآن دون غيرها.

فهذا الكتاب نزل من عند الله خالق الكون يحمل آيات على قدر عال من البلاغة التى يعجز الناس عن الإتيان بمثلها ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ ﴾[2].

لقد نزل القرآن يحمل للإنسانية الهداية ويرشدها إلى طريق الفلاح، والقارئ اللبيب يؤمن به عندما يتثبت من انطباق معانى آياته ـ التى أوحيت منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا قمريًا ـ على حقائق كونية لم يكتشفها المشتغلون بالعلم إلا حديثًا، فذلك يكفيه ليصدق بأن محمداً ﷺ كان رسولا نبيًا يُبَلِّغ ما يوحى إليه من كتاب الله الذى ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[3].

أما الإعجاز فى الكون وفى كل ما خلق الله سبحانه وتعالى فغنى عن الكلام، فالإنسان بالرغم من تقدمه فى العلوم والاكتشافات والاختراعات يقف عاجزًا عن خلق ما ينعم بالروح من الكائنات، وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾[4]. وكل ما يخترعه الإنسان إنما هو إعادة تشكيل مواد وعناصر أوجدها الله سبحانه وتعالى دون أن يخلق الإنسان منها شيئًا، وفى النهاية لا تعدو مخترعات الإنسانية أن تكون حيلاً للوصول إلى أمور يصعب أو يستحيل على الفرد أن يصل إليها بدون الآلة، وليست الآلات إلا دمىً صماء تتحرك وتتوقف بأمر صاحبها دون أن تكون لها أية ذاتية مستقلة[5]. والإنسان قد يعرف قدر نفسه إذا ما سأل: هل من أحد يستطيع أن يحدد اللحظة التى بدأ فيها عقله عملية التفكير، وهل لأحد سيطرة تامة على عقله تمكنه من التحكم فى تفكيره وتفاعله فيفتحه ويغلقه كيفما يشاء؟ لا شك أن الإنسان عاجز عن ذلك منذ أن خلقه الله تعالى. هذا هو العقل، مثال معجز من بين ملايين الأمثلة التى تنشط وتتفاعل منذ لحظة مُقدَّرة تبدأ فيها الحياة وتظل كذلك حتى الموت.

لذلك كان لزامًا على الناس تدبر القرآن وتأمل معانيه واتّباع أحكامه، ولهم عند الله أجر عظيم هو الهداية فى الدنيا والفوز فى الآخرة.

وندعو الله أن يوفقنا إلى ما فيه خيرُ الإنسانية، ويتقبّل منا ما نبذله من جهدٍ فى خدمة ديننا الخاتم الحنيف.

وبالله تعالى التوفيق ..

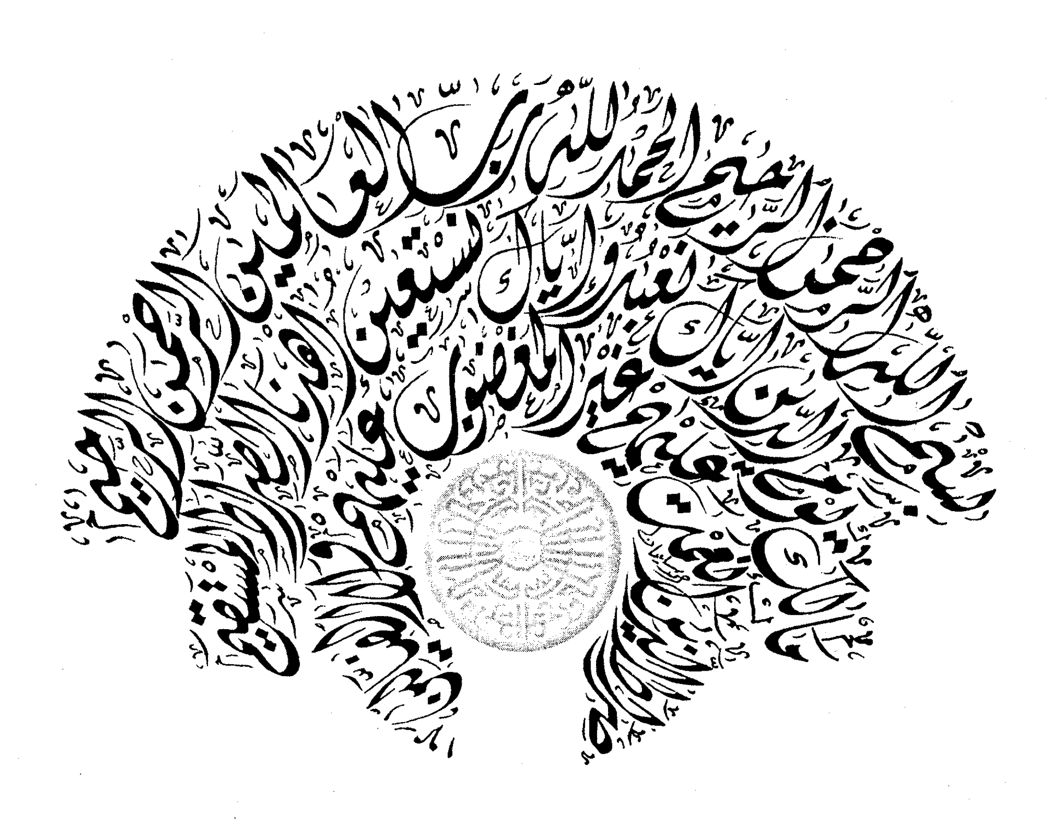
المؤلف

التاريخ: ٨ ذو القعدة ١٤٢٤هـ/ ١ يناير ٢٠٠٤م. **دكتور / عمر مختار القاضى**

---

(١) سورة يونس، الآية ٣٨. (٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٩. (٣) سورة فصلت، الآية ٤٢.

(٤) سورة الحج، الآية ٧٣. (٥) راجع قضية الخلق والاختراع رقم ٦٤، ص ١٧٢.

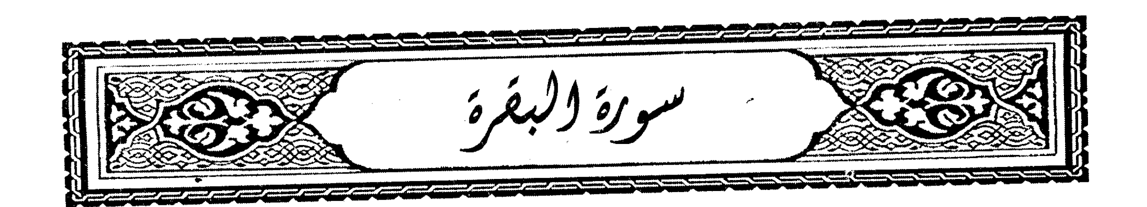


سورة الفاتحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم * الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ، خالق كل شيء. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالكِ يَوْمِ الدِّينِ، يوم الحساب، ومالك الدنيا والآخرة ومنظم الكون بما فيه من مخلوقات. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، على أمور الدنيا والآخرة. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، الطريق المعتدل الذى ترضاه. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، بالإيمان بجميع رسالاتك ورسلك وأنبيائك وملائكتك. غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، المغضوب عليه هو من يعصى اللَّه وهو عالم بعصيانه ومصر عليه. وَلا الضَّالِّينَ، الذين لم يهتدوا إلى التوحيد وكفروا بعد وصول رسالة اللَّه إلى علمهم. (وتوبة العاصى تقبل إذا صدقت، وتكون بإقلاعه عن العصيان، وتوبة الكافر تكون بالإيمان باللَّه وحده وبرسله جميعًا وخاتمهم محمد ﷺ، وبابها مفتوح أمام كل فرد قبل أن تحضره سكرة الموت).



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝ ﴾

الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ـ يجد المؤمنون الهداية فى اتباع أحكامه. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ـ يتصدقون ويقدمون المساعدة للغير بما هو معروف من قيم فاضلة. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ـ يؤمنون بجميع الرسالات والرسل والأنبياء، والبعث بعد الموت، والحساب فى الآخرة. أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ـ حين يصل الإنسان إلى الإيمان، فقد أفلح ونجا فى الدنيا والآخرة. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ـ بما دَعَوْتَهم إليه يا محمد من الإيمان بالله وحده لا شريك له. سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ ـ بوجوب طاعة الله باتباع سائر أحكام الشرع. أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ـ ما داموا على كفرهم. وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ـ إن لم يؤمنوا وماتوا على كفرهم.

(١) تنبيه: الٓمٓ، وما شابهها من آيات [الآية: ١]:

هذه الآية وشبيهاتها من فواتح السور، ليس لنا علم قاطع بتأويلها، ولكنها مع ذلك لها فائدة كبيرة للناس، حتى من كان منهم من ذوى الفهم المحدود، إذ لم يعهد الناس فى أى زمان ومكان أن يجيئهم من يخاطبهم فيبدأ الخطاب بكلمة أو عبارة غير مفهومة للمُخَاطَب، ثم يأتى من بعدها بكلام غاية فى الحكمة والهداية والرشد، فإذا سأله الناس عن تلك البداية غير المفهومة، فقال إنه لا يعلم ـ وربما يكون مأموراً بعدم الإفصاح ـ فإن ذلك دليل على صدقه، وأن هذا القرآن ليس من تأليفه، إنما هو بلاغ من الله، ولم نعهد فى البشر قبل محمد ولا بعده من يجرؤ على بدء الكلام (البلاغ) بعبارة غير مفهومة للمستمعين، ففى ذلك مجازفة كبيرة تُعَرِّضُ شخصه للازدراء والسخرية من الناس، أما رسول الله ﷺ فهو على ثقة بأنه كلام الله، وأن الله يحفظ له مكانته.

وتسمى هذه الآيات وأمثالها بالمتشابهات، وقد بين لنا الله أن ﴿ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ أى نصدقه كما هو، دون شرط علم بمعناه، لثبوت وروده من عند الله، وكفانا بقية آيات القرآن مليئة بالمعانى والحكم: ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧].

(٢) قضية: الدعوة والإنذار بالآخرة:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الآية: ٦].

هذه الآية إخبارية، تفيد أن الله هو العالم بالمؤمنين والكافرين، وهو الذى يتوفى الأنفس ويحاسبها وفقًا لعلمه بها، ولا تعنى الآية التوقف عن دعوة الناس إلى الهداية، لأن الداعية لا يعلم بحقيقة الناس وأنفسهم لا فى الحال ولا فى المآل، والذى يعلم ذلك هو الله، وليس لنا إلا الظاهر.

←

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ـ وهؤلاء هم المنافقون الذين يتظاهرون بالإسلام ابتغاء مركز أو مال أو للتستر بغرض الإضرار بالمؤمنين، والنفاق خداع. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فاللَّه لا يُخدَعْ، والمؤمنون باللَّه لا يُخْدَعُونَ لأنهم رابحون فى نهاية المطاف ولو خسروا بعض مكاسب الدنيا. فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ـ فالمنافق كاذب، وفى قلبه مرض بمعنى الخبث. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ـ قد يدَّعى المنافق أنه يرضى جميع الأطراف ليظهر أن موقفه إصلاحى. أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ـ المنافق عادة ما يجنى مالاً أو مركزاً وينظر للبسطاء من المؤمنين على أنهم سفهاء أو جهلة، ولكن المؤمن غنى بإيمانه، قريب من ربه، والسفيه الجاهل هو المنافق الذى يتعالى على الناس. وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ـ ذلك لأن جزءًا من حياتهم يقضونه مع المؤمنين متقمصين مظهر الإيمان حتى إذا لاقوا إخوانهم انقلبوا إلى الوجه الآخر فيخرجون من حياة كان فيها النور من حولهم.

- والمقصود بالذين كفروا فى هذه الآية هم الذين علموا برسالة الإسلام ومضمونها ثم أنكروها ورفضوا اتباع ما جاء بها.

الإنذار: أوله: إنذار بوجود اللَّه ووحدانيته، وثانيه : إنذار بوجوب طاعة اللَّه فيما أمر به من أحكام، ومن لم يُؤثِّر فى نفسه الإنذار الأول لن ينفعه الإنذار الثانى، فسواء عليه ءأنذرته بالتزام أحكام الدين أم لم تنذره لن يفيده ذلك شيئًا، ما دام على كفره.

والآية تحمل أيضًا خطابًا إلى الرسول ـ والدعاة من بعده ـ بأن يتجنب الإلحاح فى الدعوة، فبعد أداء التبليغ الذى فرضه الله تعالى عليه، وعلى أمة الإسلام من بعده فرض كفاية بقوله: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥] يجب عليه أن يتوجه بالدعوة إلى قوم آخرين... ويجب أن لا يفهم من الآية إعفاء المسلمين من واجب الدعوة، فهى واجبة عليهم فى إطار فروض الكفاية(*).

ويجب على كل من يدعو إلى دين الله أن يعلم أنه لا يستطيع التيقن ممن تنطبق عليهم هذه الآية ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ... ﴾ فمن الناس من لا تؤثر فيهم الدعوة بتاتًا، وهؤلاء لا يعرفون إلا بعد موتهم على الكفر. ومن الناس من تؤثر فيهم الدعوة فيؤمنوا بعد فترة من العمر، طالت أم قصرت، وتتبدل أحوالهم من معاداة الإسلام إلى نصرته، فيجب على الداعية أخذ هذه الأمور فى اعتباره.

(*) راجع القضية رقم ١٤.

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

وكأنهم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ـ عن إصرارهم وتماديهم فى النفاق. أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فيه ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فيه وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ـ من ذلك يفهم أن الوصول إلى طمأنينة القلب بعد التصديق لا يكون إلا بعبادة الله. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ به مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للَّه أَندَادًا ـ شركاء ـ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ـ أى بعدما جاءتكم الرسالات والبينات على وحدانية اللّه المطلقة. وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِه وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ـ ومن بينات صدق رسالة الإسلام الإعجاز القرآنى، التحدى بأن يأتى المُنْكِرُ بسورة من مثله، ولن يأتى بذلك ولو جمع أبلغ خطباء العرب وحكماء الناس. فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ـ فإن عجزتم عن دحض الحجة البينة، فارحموا أنفسكم بالإيمان وتقوى اللّه لتتجنبوا نار الآخرة. وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ـ أى تعارفوا عليه باسمه. وَأُتُوا به مُتَشَابِهًا ـ مع ما كان مثله فى الدنيا، ولكنه فى الآخرة أعلى فى القدر والجمال. وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

---

(٣) قضية: القرآن معجزة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِه﴾ [الآية: ٢٣].

هذا التحدى من الله يبين إعجاز القرآن وقد نزل بالعربية لفظًا ومعنى على الرسول بواسطة المَلَك "جبريل"، عليهما الصلاة والسلام، وكل علماء اللغة العربية منذ نزول القرآن وحتى اليوم لا يستطيعون أن يأتوا بسورة مثل سُور القرآن من حيث بلاغة الأسلوب وحكمة المعنى.

وترجمات نصوص القرآن لا تسمى قرآنًا وإنما هى ترجمات لمعانى القرآن، فالإعجاز البيانى مخاطب به كل من له دراية باللغة العربية، أما المطلع على ترجمات معانى القرآن الكريم فهو مخاطب بالحكمة والموعظة التى تحملها إليه هذه الترجمات، وليعلم أن البشرية بأسرها فى عصرنا الحاضر لا تحوز رسالة نزلت من السماء تصلح أن تكون مرجعًا للعلم بالدين سوى القرآن، إذ إن ما نزل على موسى وعيسى، عليهما الصلاة والسلام، وغيرهما، هى رسالات صحيحة فى حقيقتها، ولكنها فقدت مدوناتها الأصلية التى كتبت فى عهود هؤلاء الرسل، وإنما جاءت مضامينها عبر القرون اعتماداً على النقل الشفاهى والكتابات الإنسانية، ولابد وأن يصيب تلك المضامين انحراف عن الأصل. ولو فرض أن عثر على مدونات لرسالات قديمة دونت فى عهد موسى أو عيسى، عليهما السلام، فهى لا تصلح لأن تكون مرجعًا لأن لغتها الأصلية قد انقرضت أو أصابها تبدل جذرى.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

* إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ـ يضرب اللَّه الأمثال من مخلوقاته الصغيرة والكبيرة، والمؤمن يعلم بحق أن الإنسان لن يخلق بعوضة. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ـ لأن الكافرين وقت نزول القرآن كانوا يرون أنه لا يليق بجلال اللَّه أن يضرب الأمثال بالنحل والنمل والعنكبوت وهم يَسْتَتْفِهُونَهَا. ولكن المؤمن المتأمل فى هذه الأمثال يقدر إعجازها وجلالها.

الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ـ أى أنشأكم أجساداً وأرواحاً من العدم. ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ـ فى الدنيا، ولا ينجو مخلوق من الموت. ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ـ أى خلق ما فى الأرض لخدمة الإنسان. ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ـ أى إن العلم الكامل عندى أما ما أعلمتكم إياه فهو جزء يسير من الحق. وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ـ لقن اللَّه آدم العلم بالأشياء ومسمياتها وأحضرها للملائكة: أتعرفون لها أسماء؟ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ـ أنبئهم فى الحال، بما ألقيت فى نفسك من علم بأسمائهم. فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ ـ الله ـ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ (*) ـ سجود تحية. فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

﴿٤﴾ قضية: المعصية [الآيات ٣٤-٣٦].

لقد قبل الإنسان حمل الأمانة التى عرضها اللّه عليه، وهى تقتضى اتباع الشريعة الإلهية وتنفيذ أوامرها بالرضا والطواعية، دون أن يرى الله جهرة. وكما أن الوكيل المؤتمن يقدم إلى موكله حسابًا، بعد انتهاء ما كلف به من أعمال، فإن الإنسان سوف يقف ذلك الموقف أمام الله بعد انتهاء حياته. وهذه الأمانة تستتبع التزامات الطاعة، وهى تكون بأداء الواجبات و الامتناع عن المعاصى. ⬅

(*) لا يسجد لغير الله سبحانه وتعالى سجود الخضوع والعبادة. أما السجود لآدم فى هذه الآية فهو الانحناء للتحية والتكريم، مثل سجود أهل يوسف له: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا . . . ﴾ [يوسف: ١٠٠].

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

* وَقُلْنَا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا منْهَا رَغَداً حَيْثُ شئْتُمَا ولا تَقْرَبَا هَذه الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا منَ الظَّالمينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا ممَّا كَانَا فيه - من نعيم الجنة. وَقُلْنَا اهْبِطُوا - منها جميعًا ،أى آدم وحواء والشيطان وأعوانه. بَعْضُكُمْ لبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ في الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * فَتَلَقَّىٰ آدَمُ - بعد أن ندم على ما اقترفه من معصية. منْ رَّبِّه كَلمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْه إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

➡ وأول محنة فى هذا المقام كانت أمر اللّه لآدم وحواء، عليهما الصلاة والسلام، بالامتناع عن شجرة واحدة من أشجار الجنة الثرية العريضة. فسولت لهما نفساهما أن المحظور راق، وبقية ما هو مباح لا يرقى إليه، والشيطان هو الذى يلقى هذا الشعور الكاذب فى نفس كل عاص. ومن هنا يتهافت الناس على الشهوات والزخارف وتطغى الأنانية على المبادئ الإنسانية السامية.

(٥) قضايا إيمانية [الآيات: ٢٨-٣٦]:

- الإيمان يقتضى التصديق بالوحدانية المطلقة للّه، وبالخلق والبعث والحساب فى الآخرة، ذلك هو العهد العقدى بين الله والمؤمن.

- إن اللّه يخلق كما يشاء، فيقول للشىء كن فيكون، وكذلك يُشَكِّل، وكذلك يخلق ما يتكاثر، والروح تدب فى الأجساد بأمره، والتناسل هو من خلقه، وكذلك نمو المخلوقات وانقراضها. والله سبحانه وتعالى يبعث الناس من بعد الموت.

- خلق اللّه ما فى الأرض لخدمة الإنسان لأنه هو الذى رضى مختاراً بحمل الأمانة التى عرضها اللّه على مخلوقاته الأخرى فخشين منها، وحملها الإنسان بما فيها من مخاطر.

- العلم : لا يصل أى علم من أى نوع إلى الإنسان إلا بإرادة اللّه، وما يعلمه الإنسان والملائكة والجان قليل إلى جانب علم اللّه الكامل. والعلم - فى نظرنا - توقيفى، حتى الاختراع الإنسانى يعتمد - إلى جانب ما يتحصل عليه المخترع من علوم ومعارف - على لحظة حاسمة من الإلهام، لا تأتيه إلا بتوفيق من اللّه. وتحصيل العلم مشروع ومطلوب، أما تحويل العلم النظرى إلى اختراع يستعمل فى الخير أو فى الشر فهو باختيار الإنسان ويحاسب عليه(*).

هذا، والإنسان عادة ما يضعف أمام المغريات ، وكثير من المحظورات مرغوب فيها، لأن وسوسة الشيطان تعطيها زينة زائفة. وعقل الإنسان متاح لاستقبال جميع أنواع المعرفة، خيرها وشرها، وهو لا يحاسب إلا على آثار ما توفر عليه عقله من العلم والمعرفة، هل أثرت على عقيدته، وبأى قدر ؟ هل دفعته إلى اتباع الخير، وبأى قدر؟ وهل اتجه إلى اجتناب الشر ومقاومته.

(٦) قضية : التوبة بعد المعصية [الآية: ٣٧]:

الندم على اقتراف المعصية، والعزم النفسى على عدم العودة إليها يوجب المغفرة. يقول اللّه سبحانه وتعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسه الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤] أما إبليس فهو مصر على المضى فيما عصى اللّه فيه، إذ قال لربه وهو يخاطبه خطابًا لا يليق بجلاله، كما ورد فى قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الأعراف: ١٤]، لكى أريك ما هو قدر آدم وبنيه، فقال اللّه تعالى : ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥]. هذا عن إبليس الذى عصى ربه. أما بقية الجان، فمنهم الصالح والفاسق ومنهم الكافر، وتصلهم الرسالات.

الإيمان علم وعمل، فمن صدّق بكتاب اللّه فعليه أن يعمل بما فيه من أوامر ونصح وإرشادات، والعالم بالدين لابد أن يضرب مثلاً بسلوكه، فيحرص على ألا تتناقض أفعاله مع أقواله. أما المصدّق بالكتاب ولا يعمل بما فيه، إهمالاً دون أن ينكر وجوب الالتزام به، فهو لا تنتفى عنه صفة المسلم، ولكنه عاص. فإن كان من علماء الدين فموقفه أقبح وذنبه أكبر من ذنب العامى. وإهمال العمل بأحكام الدين يؤدى إلى مضار تلحق بالشخص وبأسرته ، ويهوى بالمجتمع إلى الوهن والخراب.

(*) راجع قضية الخلق والاختراع، رقم ٦٤.

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

* قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ـ نور يتمثل فى شريعة مفصلة بالأحكام والمسؤوليات. فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ـ شريعتى. فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ـ أى كذبوا بالحجج البينة القاطعة التى تدعم شريعة اللّه ونسبتها إليه. أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ـ يا قوم عبد اللّه إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا ـ بالقرآن الذى. أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ـ من كتب تحمل الشريعة والهدى. وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ـ لا تغركم زخارف الدنيا فتلهيكم عن تقوى اللّه واتباع شريعته، فهو سبحانه يملك الأمر كله.

وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ـ فالعبادات خطوة أساس فى شرع اللّه. أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ـ أتأمرون غيركم بفعل الخير ولا تفعلونه أنتم، مع أنكم تتلون الكتاب وتعرفون أحكامه... وما أصدق الشاعر حين قال :

لا تنه عن خُلُق وتأتى مثله ∴ عار عليك إذا فعلت عظيم

وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ ـ يعلمون. أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ـ وقت أن اتبعتم شريعتى بإيمان صادق وإخلاص فى العمل. وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ـ عوض. وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ـ وتذكروا وقت إِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ـ ومن معجزات اللّه أن شق البحر لموسى، عليه الصلاة والسلام، وقومه، فمشوا فى طريق يابس على جانبيه فرقان من الماء، كل فرق منهما كالطود العظيم. فأتبعهم فرعون وجنوده حتى إذا ما خرج المؤمنون، التأم الفرقان فأطبق الماء على فرعون وجيشه.

﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً - من رحمة اللّه بعباده أن ينزل شريعته على الرسول تدريجياً حتى تكتمل. ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ - وهذا يبين ميول الإنسان الشديد والسريع نحو المعصية، لأن المحظور يزينه الشيطان بوسوسته المستمرة للإنسان. ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ - أى من بعد أن رجع إليكم الرسول فاستغفرتم على ما فعلتم. لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ - بأن يقوم غير المذنب بقتل من أشرك باللّه وعبد العجل، وقيل : أمروا بأن يقتل بعضهم بعضاً كفارة، حتى قتل منهم سبعون ألفاً. ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ - نزلت عليهم من السماء. وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ - ماتوا جميعاً ثم بعثهم اللّه.

(٧) قضية : سرعة جنوح الإنسان نحو الخطايا [الآيات: ٥١-٥٩]:

ميل الإنسان إلى المعصية مصدره الشيطان، فهو يلازمه بوسوسته ليوقع بينه وبين ربّه، فإذا نجح الشيطان فى الزج بالإنسان إلى أعلى درجات العصيان والتمرد فأوصله إلى الكفر بالله وبوحدانيته، صار الإنسان نفسه شيطانًا من شياطين الإنس، أى من أعوان إبليس يفسد قلوب وعقول أناس آخرين.

ومن ناحية أخرى فإن اللّه سريع المغفرة إذا ما تاب الإنسان عن كفره ورجع إلى الإيمان والعمل الصالح. وتوبة المرتدين قد تكون لها كفّارة شديدة إذا كان فى القوم رسول يرشدهم إلى الهدى ويجيبهم على ما يسألون فيه من أمور الدين. أما الذين يرثون العلم بالدين محرّفًا وليس بين ظهرانيهم رسول، فإنهم بمجرد علمهم بالحق وبوحدانية اللّه وتصديقهم بكتابه السليم - وهو فى زماننا القرآن الكريم - وبرسله جميعًا منذ آدم حتى محمد، عليهم الصلاة والسلام، فإن إيمانهم هذا يَجُبُّ ما قبله من الكفر، فمن يمت وهو مؤمن يعتبر فى حساب الآخرة كأنه عاش مؤمنًا طيلة حياته، هذا من ناحية العقيدة.

أما من ناحية المظالم وما ارتكبه الفرد من ذنوب فى حق غيره من بنى الإنسان فيحاسب عليه، إلا إذا استغفر عنه خاصة، وكَفَّرَ بتعويض المظلوم إن أمكنه، وإلا فبالإكثار من عمل الخير.

من ذلك يتبيّن أن جميع الذنوب التى ترتكب فى حق اللّه سبحانه وتعالى قابلة للمغفرة بالتوبة والندم والعزم على عدم العودة، وذلك فى حياة الإنسان، حتى ولو تكرر الوقوع فى الخطايا والرذائل، فالتوبة الصادقة - أى العزم النفسى على عدم العودة، المصحوب باستغفار اللّه - تصلح العلاقة بين العبد وربّه. والتوبة لا تكون صادقة إذا جاءت نتيجة إكراه الموت - أى فى النزع الأخير - لأنها فى الواقع ليست توبة، وإنما هى إقرار بالحق بعد مشاهدته رأى العين.

والذنوب منها الكبائر ومنها الصغائر، وكلها قابلة للتوبة والمغفرة. والكبائر من قتل وزنى وسرقة.. توجب الاستغفار، والعزم النفسى الصادق على عدم العودة إليها حتى تغتفر عند اللّه، وعلى التائب تعويض الذين تضرروا من أفعاله، إذا أمكنه ذلك. وليتحرز من أن يقذف أحدا قد ستره الله تعالى .

أما صغائر الذنوب التى تقع عفويًا، فإنها تغتفر للمؤمن بالمداومة على طاعة اللّه والحرص على عبادته، ما دامت بغير إصرار، لأن الإصرار والتمادى فى الصغائر يجعلها فى مصاف كبائر الذنوب، ولذلك قال الحكماء : «لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار».

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ـ قيل المن حلوى تتبلور على الشجر والسلوى طائر السمان أو طائر كالسمان. كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا ـ وما ظلموا الله بعصيانهم وتعنتهم لأن الله لا يضره شىء. وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ ـ بيت المقدس. فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ـ أى منحنين خاضعين. ذلك من قبيل التكفير عن ذنوبهم. وَقُولُوا حِطَّةٌ ـ وقولوا قولاً يدل على خضوعكم لله.

نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ـ أى تحايل بعضهم على أمر الله بأن خرجوا على التزام ما أمروا به. فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ـ منهم. رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ـ فالعقاب لا يلحق إلا بمرتكب الفعل. وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ـ من المعجزات أن القوم لما عطشوا فى الصحراء أمر الله رسوله بضرب حجر بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً من الماء ـ قيل : بقدر عدد الأسباط من بنى يعقوب، كل قوم يختصون بعين منها.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ ـ ولو كان من أطيب الأطعمة. فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ـ فتنوع الأطعمة ولو كانت رديئة أفضل فى نظرهم من المداومة على أصناف قليلة من الطعام الفاخر.

قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا ـ سواء كان المقصود مصر البلد التى بها فرعون، أو أى بلد كان فإن فيها من جميع ما سألتم، وزيادة من خيرات الله. فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا ـ كل في حدود الرسالة التي وصلت إليه، وما علم به من أحكامها، دون تقصير منه أو إهمال أو إعراض. فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا . . . ـ عليكم عهداً بأن تحرصوا على كتاب اللّه ولا تضيعوه ـ قيل : إنهم طلبوا من موسى، عليه الصلاة والسلام، أن يطلب من اللّه أن يكلمهم كما يكلمه، وإزاء هذا الطلب أراهم اللّه معجزة بأن جعل الملائكة يرفعون الجبل ويحملونه فوق رؤوسهم كمظلة، فخافوا أن يسقط عليهم فاستغفروا.

وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ـ التزموا شرع اللّه بحزم وجد. وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ـ خالفتم، ثم تبتم. فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ـ بقبول توبتكم. لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ . . . ـ قوم من بني إسرائيل من الصيادين خالفوا نهي الله عن العمل يوم السبت، فاصطادوا بالحيلة والمكر.

فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا ـ فمسخناهم. قِرَدَةً خَاسِئِينَ ـ فجعلنا هذه القرية (إيلة) ترهيباً. لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ

---

(٨) قضية : مضمون الرسالات السماوية كلها واحد ، وهل يعذر الإنسان بجهله التوحيد وميله إلى الشرك ؟ [الآية:٦٢]:

إن الإيمان مرتبط بوصول الرسالات السماوية والعلم بها، والرسالات كلها ذات مضمون واحد من حيث الأسس العقدية والإيمانية، وقد تتابعت فى نزولها من حيث الزمان، بسبب تحريف مضمون النصوص والأحكام، وعلى الإنسان اتباع الشريعة الأحدث فى النزول مع الإيمان بالشرائع السابقة. ولقد تعددت الرسالات من حيث المكان لصعوبات الاتصال فى العهود القديمة، فقد كان إبراهيم ولوط، عليهما الصلاة والسلام، متزامنين فى حقبة واحدة من الزمان، وكل منهما مرسل لقوم مختلفين من حيث الموطن.

وعلى ذلك فإن من مات من قوم فيهم رسول وهو مؤمن به وبالرسالة، فهو عند اللّه مؤمن أيا ما كانت تسميته العرفية نصرانيًا كان أو يهوديًا. ومن ورث إيمانًا برسالة محرفة دون أن يدركه العلم بحقيقة رسالة التوحيد ومات على ذلك، فمثله مثل أهل الفترة، وهؤلاء قال فيهم الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

أما الكافر من قوم الرسول وفى عهده، فهو غير معذور بجهل التوحيد. (أما فى العهود التى خلت من الرسل، فالعامة من الناس يتلقون العلم من رجال مسؤولين عن الدين، فإذا ما حرف هؤلاء مضمونه، فعليهم الوزر، والناس يُسألون فى حدود ما وصلهم من العلم بهذه الحقائق).

وللإلحاد وضع مختلف، ذلك لأن نفس الإنسان فطرت على الإيمان بوجود الخالق، ولا يصل الإنسان إلى الإلحاد إلا بعد جهاد تلك الفطرة، وفطرة الإيمان تلح على الملحد من حين إلى حين فهى لا تموت، وإن كان وقعها فى النفس يضعف عنده وبفعله. لذلك تجد الملحدين قلة فى كل مجتمع، وهم أكثر الناس شراً. ولا يوجد ملحد إلا وهو يعلم ماذا تعنى كلمة الإله والخالق. ولوجود المخلوقات دلالة قطعية وإعجازية على وجود الله ، سواء ما كان من هذه المخلوقات صغيراً كالجراثيم والحيوانات، أو كبيراً كالسماوات والأرض.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

* وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِه ـ بعد أن احتكموا إليه ليعرفوا قاتل قتيل منهم. إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا: أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا، قَالَ أَعُوذُ بِاللَّه أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ـ أوصافها. قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ ـ ليست مسنة ولا صغيرة بل وسط. بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا، قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ـ من بين البقر الأصفر اللون. إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ ـ تحرث. الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ ـ وليست مسخرة للري. مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا ـ سليمة الخلقة وصفراء بكاملها لا علامة فيها بلون آخر. قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ـ كأنهم أعلم من رسول الله بالحق. فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ

(٩) قضية: تعنت الإنسان تجاه ربه [الآيات: ٦١، ٦٧ ـ ٧٤]:

ينتج عن هذا التعنت أن يصير الإنسان ذليلاً ويقل رخاء المجتمع، ومن ضروبه أن يطيع الناس ربهم فى بعض الأحكام ويعصوه عمدًا فى بعضها.

ويجب التمييز فى هذا الصدد بين التردد فى الطاعة مع إقرار العاصى بعصيانه وذلك هو التعنت، وبين تجزئة الإيمان، الذى هو من ضروب الكفر، ومنه أن يؤمن الشخص ببعض أحكام الدين وينكر بعضها، أى ينكر وجوب اتباع أحكام قد أوجبها اللَّه تعالى ولم ينسخها. فمثال المتعنت الشخص الذى يهمل الصلاة وهو يعلم ويُصَدِّقْ فى وجوبها. أما مثال من يجزِّئ الإيمان كمن يؤمن بوحدانية اللَّه وينكر أن اللَّه قد أوجب الصلاة دون جهل منه بذلك، فهو منكر لأمر معلوم من الدين بالضرورة ويعتبر كافرًا.

وقد يسول الشيطان للناس أن يقفوا من اللَّه موقف الغرور، فيجادلون بغير دليل أو برهان، وذلك هو موقف إبليس من اللَّه خالقه، حين رفض السجود لآدم مبينًا أنه يعصى أمر الله لأنه لا ينبغى له أن يسجد لعنصر يظنه أدنى منه فى المرتبة.

(١٠) قضية: تتيسر أمور الإنسان أو تتعقد بأفعاله هو نفسه [الآيات: ٦٧ ـ ٧٤]:

إن اللَّه سبحانه وتعالى يبادر الناس بالنعم وهو لا يغير نعمة أنعمها على قوم فيمحقها أو يذهب ببركتها، إلا إذا غير الناس ما بأنفسهم من فطرة اتباع الحق وحمد الله وعبادته. وإن كثيرًا من المواقف يقفها الإنسان من ربه وكأنه ـ أى الإنسان ـ يعلم بالمسائل دقة وتفصيلاً. ونرى ذلك فى الآيات ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِه إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ فإذا علّق الله أمره على شرط فإنه سوف ينفذه بمجرد حدوث الشرط. وقد كان الشرط أن يذبحوا بقرة حتى يريهم الله معجزته بكشف الغمة التى حيرتهم، وقد كانوا يبحثون عن قاتل مجهول. واللَّه سوف يريهم معجزته وقدرته فور ذبحهم أى بقرة يجدونها، صغيرة كانت أم كبيرة، صفراء أم سوداء أم بيضاء. قالوا لرسولهم موسى، عليه الصلاة والسلام: بقرة دون أوصاف؟ لا يكفى هذا، اسأل ربّك أن يبيّن لنا أوصافها، وتكرر ذلك منهم، حتى كادوا يرفضون تنفيذ أمر اللَّه فى النهاية. لذلك قال تعالى: ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾.

←

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

* وَإِذْ قَتَلْتُمْ ـ وكان ذلك لأن أحدكم قتل. نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ـ فتنازعتم فى القاتل. وَاللَّهُ مُخْرِجٌ ـ مُظْهِرٌ. مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ـ أى ما تخفون من أمر هذه الجريمة.

فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ـ بأحد أعضائها. كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ـ كيف يشاء. وَيُرِيكُمْ آياته لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْد ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحجَارَة أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ منَ الْحجَارَة لَمَا يَتَفَجَّرُ منْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ منْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ منهُ الْمَاءُ وَإِنَّ منْهَا لَمَا يَهْبِطُ منْ خَشْيَة اللَّه ـ مثلما جاء فى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وَمَا اللَّهُ بغَافلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ـ غير أمناء على شريعة اللَّه. يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّه ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ من بَعْد مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يعْلَمُونَ * وإِذَا لَقُوا الَّذينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ـ وجهوا اللوم إلى الذين يتحدثون منهم بآيات الكتاب الذى كان بين أيديهم والتى تشير إلى مجىء رسول اللَّه محمد ﷺ، وقالوا له: أَتُحَدِّثُونَهُم بمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ليُحَاجُّوكُم به عند رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقلُونَ * أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسرُّونَ وَمَا يُعْلنُونَ * وَمنْهُمْ أُميُّونَ ـ لا يقرأون ولا يكتبون. لا يَعْلَمُونَ الْكتَابَ إلا أَمَانيَّ ـ تلاوة بالحفظ الشفاهى. وَإِنْ هُمْ إلاَّ يَظُنُّونَ ـ فى صحة ما تلقوه عن أحبارهم من أحكام وآيات، ولا يكترثون بمراجعة ما يحفظونه على الأصول المكتوبة. فَوَيْلٌ لِّلَّذينَ يَكْتُبُونَ الْكتَابَ بأَيْديهِمْ ـ يزوّرون ما بين أيديهم من نصوص بالإضافة والحذف، حتى إذا ما أراد الناس مطابقة ما يتلقون من معلومات على أصل الرسالة، أظهروا لهم كتبا محرَّفة. ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا منْ عند اللَّه ليَشْتَرُوا به ثَمَنًا قَليلاً ـ من مال أو جاه أو مركز اجتماعى وقيادى ... إلخ. فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْديهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسبُونَ.

وَقَالُوا ـ قال بنو إسرائيل. لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً... ـ قدروها بأربعين يوماً بقدر ما عبد أسلافهم العجل، فاسألهم إن كان اللَّه عاهد الذين عبدوا العجل على ذلك، ولكنكم تدعون العلم بما مضى وتنسبون إلى اللَّه ما لا تعلمون، وتدعون أنه سوف يعذبكم بفعل أسلافكم، وهو لا يعاقب إلا مرتكب الذنب، لا يتعداه. قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عندَ اللَّه عَهْدًا فَلَن يُخْلفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّه مَا لا تَعْلَمُونَ.

➡ إن اللَّه يستطيع إنفاذ أمره دون إحضار البقرة ودون ذبحها، ولكنها مناسبة قصدها اللَّه بحكمته ليبيّن للناس بعضًا من خصائصهم التى من أبرزها التعنت وتعقيد الأمور، وليسجلها عليهم فى الكتب لتكون تذكرة للأجيال. قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١] أى إن اللَّه أراد أن يسهل عليكم فسكت عن مسائل لم يلزمكم بها، فلا تسعوا إلى تعقيد الأمور بالسؤال عنها ، وأنتم تعلمون أن الله سبحانه وتعالى لا ينسى شيئا.

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

* بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً . . . فعليه وزرها مقدراً بقدر الذنب، ومن كثرت خطاياه فأنزلته إلى الدرك الأسفل بأن صار كافراً أو منافقاً أو مشركاً. وَأَحَاطَتْ به خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ ـ أعرضتم إلا بعض منكم من الصالحين. وَإِذْ أَخَذْنَا ـ عليكم العهد بأن تتبعوا شرع اللَّه فلا يفتن بعضكم بعضاً و ـ مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ـ ولا تظالموا فيخرج أقوياؤكم ضعفاءكم. ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلاءِ ـ خالفتم شرع اللَّه فـ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا . . . ـ من الضعفاء. مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ـ فإن أسرهم أعداؤكم بعد ذلك تفادوهم بالمال لفك أسرهم، وأنتم الذين دفعتم بهم إلى الوقوع فى ذلك الأسر. تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ـ منذ البداية ظلماً. أتطبقون بعض أحكام الكتاب، أى تلك التى توجب فداء الأسير منكم، وتنكرون وجوب تطبيق بعضها الآخر، أى تلك التى تأمركم بإقامة العدل وتجنب الظلم. أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ ـ من أحكام شريعة اللَّه. اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ.

(١١) القضية: لا سمو لعنصر على آخر، بل الدرجات عند الله بقدر الإيمان والتقوى [الآيات ٨٣ وما بعدها].

ليس لذكر بنى إسرائيل فى القرآن أية دلالة على سمو عنصر هم فى حد ذاته، إن كثيراً من الناس لا يعرفون من شرع اللَّه إلا القدر الذى يثبت لديهم المعتقدات التى ورثوها، ومن زعمائهم من يسعى إلى هذا عمداً مع علمه بأن الحق على نقيض مسعاه، فيحرف النصوص السماوية، إما بتأويل معانيها أو بتزوير نصوصها. ولم تخل الكتب القديمة من التحريف، وكان أمراً سهلاً قبل الإسلام، إذ كانت المدونات تكتب ما يتداوله الناس شفاهة نقلاً عن أحبارهم. أما المدونات الأصلية التى كتبت مباشرة عن الرسول فلم يكن لها حظ من التداول بين الجماهير. أما المسلمون فقد اهتم رسولهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بتعليم الناس الكتابة، وواصلوا المسيرة فى هذا الطريق من بعده، واهتموا بضبط كتابة القرآن حتى صار لأصل الرسالة المدونة مباشرة عن محمد ﷺ شرف الحفظ والسلامة من التحريف وانتشرت فى أنحاء المعمورة.

إن مسألة الذاتية الإسرائيلية (أو أية ذاتية أخرى) وادعاء علو بنى إسرائيل على الأجناس الأخرى نظرًا للانتماء العرقى، هو أمر لا يقره اللَّه فى أية رسالة من الرسالات، ولقد ضرب اللَّه الأمثلة ببنى إسرائيل، ليس لانحدارهم من نسل يعقوب، عليه الصلاة والسلام، وإنما باعتبارهم قومًا التفوا حول الرسالات السماوية التى تتابع نزولها عليهم، فيرفع اللَّه قدرهم كلما التزموا أحكام الدين، ويخفض قدرهم إذا ما خرجوا على شرعه، ويتوعدهم بالعذاب الشديد فى الآخرة، ولا ينفع الناس أبدًا يوم القيامة انحدارهم من أصل معين، فلن ينفع ابن نوح نسبه لأبيه . وكذلك لا يضر الإنسان أصله إذا ما اتبع بصدق شريعة اللَّه، فلن يضر إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، كفر أبيه.

ومن ذلك نخلص إلى أن اللَّه يقص من أخبار بنى إسرائيل ليضرب الأمثال من الأمم السابقة على صفات الناس وضعف أنفس الكثيرين منهم أمام التزام الحق، وتحايلهم لاتباع أهوائهم ونزعاتهم الموروثة. لقد طالت قصص بنى إسرائيل وتعددت فى القرآن نظرًا لطول عهدهم بأنبياء توالوا منحدرين بعضهم من بعض. وعلى ذلك نجد أمثلة من مواقف بنى إسرائيل فى كل عهد وكل قوم وكل ملة، لأن الناس تضعف نفوسهم بعد فراق الرسل، فينكب فريق منهم على ترف الحياة وزينتها. وحتى تنفرج أمامهم سبل اللهو والهوى باتساع، يسول لهم الشيطان تحريف أحكام الدين حتى تضعف مناهضة أهل الخير لما يوافق أهواءهم . والحمد للَّه الذى أنزل القرآن رسالة خاتمة، وتعهد بحفظه من التحريف حتى يكون مرجعًا مُمَيِّزًا بين الصالح والطالح، يحتكم إليه لتصحيح ما يروجه الناس من مفاهيم وأفكار محرفة حول الدين والعقيدة. فلا يغرنك ما قد تسمعه أو تراه من ثراء مجتمعات لا تدين بالولاء لشرع الله، أو ما تراه بين المسلمين أنفسهم من فتن وما يظهر من تطرف بعض الفرق، لأن المجتمع الإنسانى فى كل زمان ومكان فيه الصادق والكاذب والمؤمن والكافر، والمنافق الذى يدعى الإسلام ظاهرًا ويحرف المفاهيم ليبث فى فكر الناس ما ليس من الإسلام فى شىء. دعك من كل هذا واغتنم فرصتك وحقك فى التأمل فى القرآن وحكمته لأنه كتاب معجز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وانشر حكمته بصدق فيمن حولك من الناس.

وعلى ذلك لن يكون يوم الحساب "شعب مختار" ولكن الله سبحانه وتعالى يفضل الأمم بقدر الإخلاص والأمانة فى حمل رسالته واتباعها ، وكل أمة تحضر الحساب، وفيها الرسول المبعوث فى زمانها، والقوم الذين حملوا الرسالة من بعده حتى مجىء رسول آخر، فيسأل الله : هل اتبعتم الرسول ؟ فيُخْرِج الكافرين به، ثم يسأل الذين توارثوا العلم من بعده، قبل مجىء الرسول الذى يليه : هل كنتم أمناء فى نصح أمتكم ؟ فيُخْرِج الذين يحرفون الكتب، ثم يحاسب الناس على حسب ما علموا من أحكام. ثم يأتى بالناس فى عهد الرسول الثانى : هل علمتم بالرسالة والرسول وأن ما ورثتموه من قبل من معرفة حول الشريعة والكتب كان محرفًا ؟ فيُخْرِج من لم تصلهم الرسالة ليحاسبوا حسب علمهم المتوارث ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]. ويسأل الله علماء كل أمة : هل كان جميعهم أمناء على تبليغ الرسالة وإيضاح الشريعة ؟ وهكذا تصفى الأمم بالحساب.

كان رسول اللَّه ﷺ، يأمر بالزواج وينهى عن التبتل : «تزوجوا الودود الولود إنى مكاثر بكم الأنبياء»(*)، أى إنه سيكون سعيدًا بعدد المؤمنين الكبير الذين صدقوا برسالته، بالمقارنة بأعداد المؤمنين من الأمم السابقة حول رسلهم، كل فى حقبة زمانه. وعلى ذلك فإن من بنى إسرائيل من كانوا أحياء وقت رسالة الإسلام وصدَّقوا بها وأسلموا، فهم من أمة محمد، رغم انتمائهم العرقى لإسرائيل "يعقوب" عليه الصلاة والسلام. إن اللَّه حين يقول لبنى إسرائيل ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٤٧]، يعنى اذكروا نعمتى وهى الرسالة ـ أو الرسالات المتتابعة ـ التى أنزلتها عليكم فصارت لكم القدوة والشرف فى حملها وتبليغها للناس . فالعبرة فى التفضيل عند اللَّه هى حمل المؤمنين الشريعة واتباعها، والعمل الجاد على نشرها بصدق وإعلام الناس بها .

(*) أحمد، باقى مسند المكثرين، ١٢١٥٢ - ١٣٠٨٠. أبو داود، النكاح، ١٧٥٤.

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

وَقَالُوا قُلُوبُنَا - مغلقة على ما توارثناه عن أسلافنا بغض النظر عما إذا كان سليمًا أو محرفًا، فلا ذنب لنا فيما ورثناه. بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ - بالرسل الذين جاؤوهم ليبينوا لهم الخطأ من الصواب مما ورثوه من أحكام وتراث وأعراف. فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ - به من أحكام صحيحة، وقليل منهم من يسارع إلى إجابة الرسل بالإيمان الكامل الحق. وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ - من التوراة والإنجيل اللذين يبشران بمجيء رسول خاتم هو محمد ﷺ.وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا - بكتبهم التى تبشر بمجيء الرسول الخاتم فى التوراة والإنجيل. فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا - فلما تحققت الأخبار ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ. كَفَرُوا بِهِ - لأنه من نسب لا ينتمى إلى قبائلهم.فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ - فقد فضلوا الكفر، مع تأكيد ذاتيتهم القبلية والعرقية، على الإيمان الذى سوف يذيب هذه الذاتية بالانصهار مع بقية المسلمين أمة واحدة دون تمييز أو تمايز بين أفرادها، لا من حيث الأصل ولا من حيث اللسان ولا من حيث المال أو الجاه أو الحرية... إلخ، وإنما الأفضلية عند اللّه بالتقوى والعمل الصالح كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]. أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا - حقدًا وغضبًا وحسدًا أن جاء النبى المبشر به فى كتبهم من عرق عربى فى غير قبائلهم، فغضبوا وكفروا اعتراضًا على إرادة الخالق سبحانه وتعالى الذى يعلم أين يضع رسالته. فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ - من أحكام فى شريعته الخاتمة. قَالُوا - وماذا يفيدنا أن نؤمن بأحكام قريبة من تلك التى جاءتنا من قبل ومدونة فى كتبنا. وكذلك يكفرون بالأحكام الواردة فى شريعة اللّه الخاتمة التى تصحح ما حرّفوه وزوروه فيما كتبوه من كتب عن دينهم، وكذلك الأحكام المكملة والأحكام المخففة لما جاء فى الكتب التى بين أيديهم.

➡ أما القول بتفضيل اللّه لبعض البشر على بعض لتمايز عرقى، فهو قول مدحوض، ويدل على ذلك انتشار اليهودية والمسيحية فى الغرب، وهم أمم لا ينتمون إلى إسرائيل - يعقوب - عليه السلام، فلو كان التمييز العرقى حقا لوجب رفع شأن اليهودى أو المسيحى الأصيل الذى ينحدر من سلالة يعقوب على اليهودى أو المسيحى الطارئ على بنى إسرائيل دون أن يكون منحدرًا منهم. ومن المعلوم اليوم أن اليهود الغربيين يتمايزون فى موقع القيادات فى إسرائيل (فلسطين المحتلة) على اليهود الشرقيين، فإن قيل إن ذلك لخبراتهم التى جاؤوا بها ولما يقدمونه من خدمات لدولة إسرائيل، وهى دولتهم جميعًا، فإن ذلك يكون تأكيدًا لقولنا بأن الإنسان يعلم تمامًا بأن الأفضلية العرقية أمر غير مرغوب فيه، إذ أين تفضيل اللّه لبنى إسرائيل - بناء على العرق والنسب - ولماذا وضعهم فى درجة سفلى بالنسبة للطارئين على هذه الديانة من أهل الغرب، وكان يستطيع أن يرفع شأن الدولة على أيدى من هم حقيقة من نسل يعقوب ؟ وعلى هذا نفهم قوله تعالى ﴿ ...وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ أى على الناس الآخرين فى عصركم وذلك لأنكم تميزتم بحمل الرسالة وتقواكم إياى، واتباعكم الرسل، مع قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]. ومن هذه الآيات نفهم أن الشعوب والأمم من بنى إسرائيل وغيرهم عليهم واجب تقوى اللّه الذى يكلفهم بالإيمان بجميع رسالاته ورسله، وبرسالته الأخيرة ورسوله الخاتم محمد ﷺ منذ علمهم بالإسلام علمًا واضحًا، وإلا صاروا عند اللّه من الكافرين.

﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ـ مما بقى معهـم من علم بأحكام غير محرفة من شرائع اللّه السابقـة، ومع ذلك تعترضون على شخـص محمـد، وتدعون كـفاية الإيمـان بما معكـم من كتب . فلو أن الأمـر كذلك فلماذا قـتلتم أنبيـاء من بنى جنسكم وعرقكـم ـ مثل يحيى، عليـه الصلاة والسلام ـ إن حـقيقـة الأمر أنكم تعتـرضون على أحكام اللّه حـرصًا على أهوائكم ومصالحكم الدنيوية، وتخفون ذلك وراء ستار الاعتراض على شخص النبى.

وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ ـ بعد أن ذهب موسى لميقات ربّه، فعبدتم العجل فكفرتم. وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ـ أن تتبعوا شرع اللّه. وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ـ معجزة أريناكموها برفع الجبل فوق رؤوسكم. خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ـ بجدية. وَاسْمَعُوا ـ كلام اللّه. قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ ـ الكاذب ، إذ أنتم تشركون مع الله صنما عجلاً.

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً ـ كمـا تدعون وأنتم على شـركـكم باللّه. فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ـ لشدة حبه للدنيا. وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ ـ فى الآخرة. أَن يُعَمَّرَ ـ فى الدنيا، لأن مآله إلى الموت حتمًا. وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ ـ أى القرآن. بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ـ لما سبقه مـن أحكام ثابتة بالكتب السماوية. وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ.

وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ـ حججًا واضحة. وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ـ لقوة وضوحها وعـدم التباسها. أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا ـ باتباع النبى المذكور فى التـوراة ـ محمد. نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَمَّا جَاءَهُمْ ـ ذلك الرسول. مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ـ من علم بأحكام التـوراة والإنجيل. نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ـ من الأحـبار والرهبـان ما يعلمون من أحكام. كِتَابَ اللَّهِ ـ أصل التوراة والإنجيل. وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ـ ولجأوا إلى مـا يعلمونه من علم السحر، مما كانت الشياطين تتلوه على ملك سليمان لتضليله، وذلك للتضليل على بعثة محمد ﷺ.

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾

وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ - لأنه لا يتبع سحرًا وإنما معجزاته بأمر من اللّه. وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ - اللذين كانا ملكين نزلا من السماء بإذن اللّه ليعلما الناس علوم السحر كى يستطيعوا إبطال أعمال السحرة والمشعوذين، ويحذرا الناس بأن علمهم بالسحر يكون فتنة إذا سولت لهم أنفسهم استعماله فيما هو غير مشروع، كأن يسعوا به إلى التفريق بين المرء وزوجه على سبيل المثال، فإن فعلوا ذلك فما هم بضارين به من أحد إلا بإذن اللّه، والذين يسلكون ذلك المسلك يتبعون ما يضرهم. وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ - اتبع السحر وترك الحق. مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ - بأن فضلوا المحافظة على ذاتيتهم العرقية وكفروا بدين محمد الذى يسوى بين الناس. لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا - عند ندائكم للنبى. رَاعِنَا - لأن هذا اللفظ كان عند الأنصار فى النداء، ولكن عند اليهود كانوا يستعملونه فى السب. فأمرهم اللّه أن يقولوا: انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ - من جملة ما نسبه أهل الكتاب إلى رسالة الإسلام وما توهموه من التناقض: كيف يأتى القرآن مصدقًا للتوراة والإنجيل مع أنه يخالف بعض الأحكام العملية فيهما، وكيف يأتى القرآن ببعض الأحكام ثم يرفع التكليف الإلزامى بها؟! والإجابة على ذلك هى أن اللّه فى الشريعة الخاتمة يسهل على الناس جميعًا، فيلغى أحكامًا كانت ملزمة فى الشرائع السابقة. ثم يتدرج بهم فى التحريم والإباحة لتحقيق أكبر قدر من مصالح الناس العملية رحمة منه بهم، (أما عقيدة التوحيد ووجوب الإيمان بجميع رسل الله، فهو مبدأ أساس فى جميع الرسالات).

مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا - أى نأت من وراء ذلك بخير لمصلحة العباد، والخير يكمن فى يسر الانتقال التدريجى من الالتزام نحو التزام آخر أو نحو الإباحة. أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ * أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ - وفقًا لأهوائكم. كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ - عندما قالوا له: ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا - صنمًا. كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ.

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾

١ - بيان الآية ١٠٩ :

كان المسلمون مأمورين بالصبر على الأذى الذى يلقونه من المشركين وأهل الكتاب، حتى أذن الله لهم بالجهاد ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [التوبة: ٣٦] معاملة بالمثل.

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ - تجدون ثوابه. عِندَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ - فكفروا بعيسى وبالإنجيل. وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ - فكفروا بموسى وبالتوراة، بالرغم من أن كل فريق منهم كان آنذاك يتلو كتابًا مما دونوه من أحكام نزلت من السماء مصدقًا لما هو مدون بين يدى الفريق الآخر.

كَذَٰلِكَ قَالَ - الذين يكفرون بجميع الملل مثل هذه الأقوال، بأن قالوا: كل من يؤمن بكتاب من السماء فهو ليس على شيء من الحق والهداية. فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ - جميعًا. يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن - يدخلوا هذه المساجد للتعبد، وإنما يدخلونها خائفين من عذاب الله، مثل كفار مكة الذين منعوا المسلمين من الصلاة فى المسجد الحرام. لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ - عندما يظهر دين الله. وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا - بالدعاء. فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (*) وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ - كل المخلوقات عبيد له. كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ

(*) ومن المفسرين من حمل معنى الآية على الصلاة، فقال بأنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤] أى نحو المسجد الحرام. هذا قول ابن حزم، وحكى ذلك أيضًا الواحدى فى أسباب النزول.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

* بَديعُ السَّمَوات وَالأرْضِ وإذا قَضَىٰ أَمرًا فإنَّما يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَقَالَ الَّذين لا يَعْلَمُونَ ـ لا يؤمنون: لَوْلا يُكلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتينَا آيَةٌ ـ أقوى مما علمناه من قرآن محمد. كَذَلكَ قَالَ الَّذينَ من قَبْلهم مِّثْلَ قَوْلهمْ تشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بيَّنَّا الآيات لقَوْمٍ يُوقنُون * إنَّا أَرْسَلْنَاكَ بالْحَقّ بَشيراً ـ لمن اهتدى. ونَذيرا ـ لمن يكفر. ولا تُسْأَلُ عن أَصْحَاب الْجَحيم ـ ما دمت قد بلغت الرسالة. ولن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبعَ ملَّتَهُمْ قُلْ إنَّ هُدَى اللَّه هُوَ الْهُدَىٰ ولَئن اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذي جَاءَكَ منَ الْعلْم ـ بالقرآن وبيقين صدقه وبطبعه فى صدرك. مَا لَكَ منَ اللَّه من وَلِيٍّ وَلا نَصيرٍ * الَّذينَ ـ هديناهم بالقرآن. آتَيْنَاهُمُ الْكتَاب يَتْلُونَهُ حَقَّ تلاوَته أُولَئكَ يُؤْمنُونَ به وَمَن يَكْفُرْ به فَأُوْلَئكَ هُمُ الْخَاسرُونَ * يا بَني إسْرائيل اذْكُرُوا نعْمَتيَ الَّتي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ـ بإرسالى إليكم الرسل والرسالات. وَأَنّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمينَ ـ حين اتبعتم شريعتى بصدق. وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ـ بسبب النسب أو القرابة. وَلا يُقْبَلُ منْهَا عَدْلٌ ـ عَوَضٌ أو مقابل. وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ ـ وساطة قريب. وَلا هُمْ يُنصَرُونَ * وَإذ ابْتَلَىٰ إبْرَاهيم رَبُّهُ بكَلمَاتٍ ـ هن أحكام الشريعة. فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إنّي جَاعلُكَ للنَّاس إمَامًا ـ فدعاه إبراهيم: وَمن ذُرّيَّتي قَالَ ـ اللَّه: لا يَنَالُ عَهْدي الظَّالمين ـ من ذريتك ومن غير ذريتك. وَإذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ ـ الحرام مرجعًا. لّلنَّاس وَأَمْنًا وَاتَّخذُوا ـ أيها المؤمنون. من مَّقَام إبْرَاهيم مُصَلًّى وَعَهدْنَا ـ من قبل. إلَىٰ إبْرَاهيم وَإسْمَاعيلَ أَن طَهّرَا بَيْتيَ للطَّائفين وَالْعَاكفينَ وَالرُّكَّع السُّجُود * وَإذْ قَالَ إبْرَاهيمُ رَبّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمنًا وَارزُقْ أَهْلَهُ منَ الثَّمَرَات مَنْ آمَنَ منْهُم باللَّه وَالْيَوْم الآخر قَالَ ـ اللَّه: وَمَن كَفَرَ ـ أيضًا (وهكذا تتجلى عطاءات الربوبية حيث يرزق سبحانه الجميع: المؤمن والكافر). فَأُمَتّعُهُ قَليلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إلَىٰ عَذَاب النَّار وَبئْسَ الْمَصيرُ ـ وتذكر حين كان إبراهيم يبنى البيت ويعاونه ابنه إسماعيل ويدعوان ربهما: وَإذْ يَرْفَعُ إبْرَاهيمُ الْقَوَاعدَ منَ الْبَيْت وَإسْمَاعيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ منَّا إنَّكَ أَنتَ السَّميعُ الْعَليمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلمَيْن لكَ وَمن ذُرّيَّتنَا أُمَّةً مُّسْلمَةً لَّكَ وَأَرنَا مَنَاسكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فيهمْ ـ فى الذرية. رَسُولاً منْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهمْ آيَاتكَ وَيُعَلّمُهُمُ الْكتَابَ وَالْحكْمَةَ وَيُزَكّيهمْ إنَّكَ أَنتَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ * وَمَن يَرْغَبُ عَن مّلَّة إبْرَاهيمَ إلاَّ مَن سَفهَ نَفْسَهُ وَلَقَد اصْطَفَيْنَاهُ في الدُّنْيَا وَإنَّهُ في الآخرَة لَمنَ الصَّالحين.

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾

* إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ـ وذهب فريق من الناس من أهل الكتاب: وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ـ كلهم عباد اللَّه، وكلهم أنبياء. وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ ـ أي بجميع الرسالات والرسل، وخاتمهم محمد. فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ـ فى خلاف معكم، ولو ادعوا بألسنتهم غير ذلك. فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ـ ويحميك يا محمد أنت ومن آمن معك من شر عنادهم ومكائدهم وهو. السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ * قُلْ ـ يا محمد: أَتُحَاجُّونَنَا ـ أتجادلوننا. فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ـ باتباع دينه بصدق كما فطره منذ الخلق. وكيف. تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ـ بالرغم من أنهم عاشوا وماتوا قبل موسى وعيسى، عليهما الصلاة والسلام أى قبل اليهودية والنصرانية. قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ ـ أخفى علمه بدين اللَّه الحق وبأن هؤلاء الأنبياء ما كانوا هودًا ولا نصارى. وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

(١٢) قضية: كتمان العلم: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ [الآية: ١٤٠].

قال رسول اللَّه ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار»(*).

لا خلاف فى أن كاتم الشهادة ظالم، لأن الشهادة ترتبط بالحقوق والعدالة.

العلم والشهادة: العلم أعم من الشهادة، فالعلم معرفة تشمل ما هو يقينى ملموس، فذلك من قبيل الشهادة التى يأثم من يكذبها عمدًا، فهى حصيلة ما نتعرف عليه بالحواس من بصر ولمس وذوق وشم. ومنه ما هو قطعى غير ملموس، كمعرفتك بالله والرسل والرسالات، وكل رسول حمل معه أدلة وبراهين على صدق رسالته.

←

(*) أحمد، باقى مسند المكثرين، ٧٦٠٢ - ٧٧٠٤ - ٨١٧٧ - ٨٢٨٤.. الترمذى، العلم، ٢٥٧٤.. أبو داود، العلم، ٣١٧٤. ابن ماجة، المقدمة، ٢٥٧ - ٢٦٢.

والعلم يشمل أيضًا حصيلة المعرفة التجريبية ومنها العلوم الطبيعية من كيمياء وفيزياء. ويشمل العلم أيضًا حصيلة المعرفة الظنية، وهى درجات، منها استنباط الأحكام من الأدلة الشرعية وتفسير الآيات، والفهم الإنسانى للنصوص هو علم ظنى يعتمد على فهم الخطاب وترجيح العقل... وهو لازم فى الحياة الدنيا.

أما حصيلة المعرفة الظنية العشوائية دون الاعتماد على قرائن وبراهين فلا تسمى علمًا وإنما هى الشكوك والظنون التى قال الله فيها: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ٢٣]. فالظنون تجر عادة إلى الآثام والانحراف، لذلك حذر الله منها كل الناس حتى المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

النهى عن كتمان العلم: يقاس على النهى عن كتمان الشهادة النهى عن كتمان العلم النافع.

إن أنفع العلوم هى علوم الدين. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢].
ويقول الرسول ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين...»(*). وفهم الدين يؤدى إلى النجاة فى الآخرة.

ويقاس على علوم الدين العلوم النافعة فى الدنيا، كالطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والرياضيات... إلخ. فعلوم الدنيا النافعة تساعد على التعمق فى فهم الدين. وكل ذلك يخدم الإنسان ويوسع مداركه ويرتفع بضميره إلى مرتبة عالية، فَيَرْشُدُ ويرشد غيره ويعم الخير والصلاح.

حقوق التأليف والنشر تساعد على نشر العلوم، ولا تتناقض مع النهى عن كتمان العلم:

فى العصور الماضية، قبل اختراع الطباعة كان التعليم يتم شفويًا فى أغلبه. ويبرئ المعلم ذمته بأن يكتب مخطوطًا ليعين أهل العلم والمفكرين على تداول المعرفة ومناقشة الرأى، ولم تكن تلك المخطوطات تتداول بالتجارة.

ومنذ عصر الطباعة صارت الكتب عروضًا للتجارة، لها أثمان فى التداول، وتدر عائدًا على مؤلفيها وناشريها، لأن الاعتماد على القراءة والكتابة فى نشر العلم اتسع بعد اختراع المطابع الحديثة.

كان العالم قديمًا تبرأ ذمته بمجرد أن يكتب مخطوطًا ويتركه متاحًا لمن يريد أن ينقل منه، وهذا الوضع كان ثانويًا إلى جانب تداول العلم والمعرفة باللقاء المباشر والخطاب الشفوى. أما اليوم فإن العالم إن ترك كتابه المطبوع متاحًا بالمجان فسينتج عن ذلك:

١ ـ لن يتحصل على ما أنفقه على الطباعة، وتقل قدرته المالية فلا يستطيع متابعة عملية التأليف قصد تطوير كتابه أو إصدار كتب أخرى تحمل الجديد من الفكر فى الموضوعات الهامة. وفى ذلك سد باب مواصلة العلم وتوسعته وتطويره. ويجب أن لا نفترض فى العلماء أنهم أثرياء.

٢ ـ ترك المؤلف المطبوع بالمجان يسهل كتمان العلم، لأنه يمكن لأى متعصب لا يروقه ما فى الكتاب من علوم ومعرفة، أن يتحصل على نسخه، كلها أو بعضها، فيصادرها دون تكلفة، ولكنه إذا فعل ذلك بدفع الثمن، فالمؤلف يستطيع أن يواصل الإصدار والطباعة بما يدره الكتاب من عائد، ويصعب على عدوه المتعصب مواصلة الإنفاق على مصادرة الكتاب.

٣ ـ عدم مراعاة قوانين النشر وحماية حقوق المؤلف تؤدى إلى تسهيل إمكانية أن يسطو أحد من الناس على الكتاب فينسبه لنفسه، أو يتدخل مغرض فيخرج طبعة محرفة من الكتاب ويصدره منسوبًا بالزور إلى صاحبه أو إلى شخص وهمى.

الخلاصة: حماية حقوق النشر والملكية الفكرية لا تتناقض مع أحكام الدين الحنيف. والتحصل على ربح، والاسترزاق من العلم أمر مشروع. وننصح كل مؤلف وناشر ألا يغالى فى أسعار الكتب، وأن يهب للمكتبات العامة والمتخصصة، والمحتاجين من الدارسين نسخًا مجانية. ونقدر كل التقدير أحكام القانون التى تتضمنها التشريعات المعاصرة، والتى تبيح تصوير نسخة من أى كتاب بغرض الاستعمال الشخصى. لأن هذه الأحكام لها قيمتها البالغة فى نشر العلم وتداول المصنفات حتى بعد موت مؤلفيها ونفاد طبعاتها.

وما نقوله عن الكتب ينطبق فى عمومه على الأشرطة المسموعة والأفلام العلمية والتسجيلية والأقراص الضوئية.. مع اختلافات ترجع إلى الفوارق التقنية وتكاليف الإعداد يجب مراعاتها لتلافى الأضرار والخسائر التى يمكن أن تصيب المنتجين فتعجزهم عن الاستثمار فى الأوجه النافعة للتقدم العلمى والتكنولوجى.

(*) البخارى، العلم، ٦٩. مسلم، الزكاة، ١٧١٩ - ١٧٢١، الإمارة، ٣٥٤٩. ابن ماجة، المقدمة، ٢١٧. أحمد، مسند الشاميين، ١٦٢٣١ - ١٦٢٨٤ - ١٦٢٩٠ - ١٦٢٩٩. مالك، الجامع، ١٤٠٠.. الدارمى، المقدمة، ٢٢٦ - ٢٢٨.

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن... ـ التوجه إلى المسجد الأقصى، وكان قبلتهم فى الصلاة. الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ـ معتدلة، منصفة. لِّتَكُونُوا ـ يا مؤمنين يوم القيامة شهداء. عَلَى النَّاسِ ـ هل اتبعوا دين الله أم كفروا. وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ... ـ أيها الناس جميعًا. شَهِيداً ـ فيشهد على من كفر، ويشهد لمن اتبع دينه، ويشهد على المسلمين إذا تقاعسوا عن التبليغ من بعده. وما تركناك تتوجه إلى القبلة الأولى «بيت المقدس» إلا لأسباب، منها التدرج، ومنها اختبار الناس، ولكى تميز بين من يتبعك بصدق فيسمع كلام اللَّه على أى حال، ممن يكفر لأوْهَى الأسباب فيعرض عن دين اللَّه حين يبدل اللَّه حكمًا ما. وهذا اختبار صعب على كثير من الناس، عدا المتقين.

وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ... ـ الذين كانوا، رغم نزول أمر اللَّه بتغيير القبلة، ما يزالون يصلون تجاه المسجد الأقصى لعدم علمهم بذلك الأمر. إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ـ ومن أسباب تغيير القبلة، أنك كنت تقلب. وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ـ حزنـًا واستغرابًا لأن اللَّه تركك تتوجه بالصلاة أنت وقومك المؤمنون نحو المسجد الأقصى «بيت المقدس» وفيه المشركون ، وهم يقولون: عجبًا لمحمد ترك ديننا واتبع قبلتنا، فحكمنا بأن نُوَلِّيَكَ. قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ... ـ يعلمون بالتوراة والإنجيل. لَيَعْلَمُونَ ـ أن الإسلام هو دين. الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ.

---

١٣ قضية: الوسطية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [الآية ١٤٢].

الوسط هو الموقع المتوسط بين طرفين، فوسط الشىء منتصفه. عندما تقف عند نقطة معينة تستطيع أن تتصور أنك وسط فتقول هذا الاتجاه عن يمينى وهذا عن يسارى وهذا أمامى وهذا خلفى... إلخ. وهذا هو المعنى الذى يتبادر إلى ذهننا من الآية. فالرسول وسط الأمة، ومن حوله تتحدد الفرق: فمن اتبعه كان مؤمنًا، ومن حاربه كان كافرًا، ومن توقف كان معرضًا، ومن عامله بوجهين كان منافقًا. وكذلك أمة المؤمنين تكون وسطًا للإنسانية، لأن عليها أن تبلغ الرسالة إلى مختلف الأمم.

ويوم القيامة يشهد الوسط على من حوله، هذا اتبع ما جاء من الهدى، وذاك حارب الدين، وهناك من أعرض، ومن الناس من نافق...

إن المؤمنين وسطاء بين الأمم لتبليغ الرسالة الخاتمة، فالتبليغ فرض كفاية، والأمة التى لا تقوم به كما ينبغى لن تعتبر يوم القيامة أمة شاهدة، ولا تنطبق عليها الآية ﴿ لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ بل ستحاسب على الإهمال فى القيام بواجب التبليغ ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾. إن المؤمنين لن ينجوا من المسؤولية بتصديقهم فقط، بل عليهم أن يبلغوا ويحبوا لإخوتهم فى الإنسانية ما يحبون لأنفسهم من الإيمان.

←

- قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(*).

وتكون الوسطية أيضًا صفة فى أمة المؤمنين بمعنى الاعتدال والتوازن، فلا إغراق فى المادية ولا تمادى فى الروحانية إلى درجة إهمال أمورهم وأمور المجتمع.

(١٤) قضية: التبليغ : ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [الآية:١٤٣].

هذه الآية تجعل على جميع المسلمين فى كل زمان ومكان واجبًا كفائيًا بتبليغ الدعوة إلى الإنسانية جمعاء، بقدر المستطاع ودون إهمال. وتفصيل ذلك أن خاتم الأنبياء والمرسلين محمدًا ﷺ بلغ الرسالة ما استطاع، فأرسل إلى الملوك والرؤساء والقبائل والمجتمعات حتى توفاه اللّٰه، وعلى المسلمين من بعده أن ينشروا الرسالة بالتبليغ والحجة والشرح (فرض كفاية) بقدر مستطاعهم، حتى إذا جمع الناس أمام اللّٰه يكون كل مجتمع عليه شهيد من رسول، أو داعية، حمل إلى الناس الرسالة التى تلقاها مباشرة من الرسول أو بطريق غير مباشر أى من داعية مثله، وهكذا يكون الرسول شهيدًا أيضًا على أمة الإسلام فى كل عصر، هل أديتم واجبكم بتبليغ الدعوة بإخلاص وكفاية أم لا؟ ومن ذلك تبدو المسؤولية كبيرة وتتمثل فى العمل على إنجاز هذا الواجب الكفائى الذى يقع على المسلمين فى كل زمان ومكان، ويلزمهم بالعمل المستمر على إيجاد عدد مناسب من العلماء والمجتهدين والدعاة الأكفاء لنشر دين اللّٰه، والتعريف به وشرحه شرحًا جيدًا وترجمة أحكامه ، وتحضير برامج للتعريف بالإسلام وتعليم مبادئه بمختلف اللغات (العالمية منها على أقل تقدير).

ويجب على الدعاة ألا ييأسوا لأن الناس بالرغم من أن غالبيتهم ينفرون مما يجهلون، إلا أن اللّٰه أودع فيهم جميعًا إلهامًا فطريًا بوجود اللّٰه ووحدانيته وذلك منذ ميثاق الذرية،﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ولكن الكافر والملحد يجاهد هذا الشعور، وضميره يلح عليه بين الحين والآخر، لأن النفس أمارة بالسوء توهم صاحبها بأن الدخول فى الإيمان والالتزام بشرع اللّٰه سيكبله بالقيود. والحق أن الالتزام بدين اللّٰه يحقق اعتدال النفس الذى يصل إلى تفهم حقيقة الحرية، حرية النفس المطمئنة التى لا يتمتع بها إلا من ذاق حلاوة الإيمان، وعرف كيف يبذل الجهد فى سبيل الوفاء بمسؤولياته تجاه الناس وتجاه اللّٰه. هذا المؤمن لا يكون بأى حال ضارًا لمن حوله، وإنما يكون منارة وقد تحررت نفسه من زخارف الدنيا التى لا يجنى الأفراد من ورائها إلا الكد والشقاء، دون عائد روحى يطمئن النفس وينيرها. ولا يتحقق للناس ذلك إلا بالإيمان والتزام شرع اللّٰه، وحين يتحقق الإيمان الصادق والممارسة الجادة للدين فى حياة الفرد اليومية، يجد فى كده متعة عظيمة لا تعادلها متعة، ويجد عند تعبه عزاءً مريحًا لا تحققه له أرقى وسائل الترفيه المادية، ذلك لأن أثر وسائل الترفيه وقتى، وبالاعتياد عليها وتكرار استعمالها يصبح هذا الأثر ضعيفًا يمله الإنسان، فيسعى إلى ابتكار وسائل ترفيه جديدة، وهكذا حتى يصبح الترفيه إدمانًا فتضعف العزائم عن أداء الالتزامات الإنسانية الكريمة. أما الإيمان الصادق فيعطى راحة مستمرة واطمئنانًا لا ينقطع.

(١٥) قضية : النسخ [الآية: ١٤٤].

مصطلح النسخ يعبر عن أحد المعانى الآتية: إلغاء الحكم، أو تخصيص حكم بعد أن كان عامًا، ويدخل فيه استثناء حالة مفردة من حكم عام. وأحكام الشريعة تحملها آيات القرآن والسنة النبوية كما وردت فى أحاديث الرسول ﷺ، وقد جرى فيها النسخ، فبعض أحكام القرآن نسختها آيات من القرآن نفسه. والقرآن ينسخ بعض الأحكام التى وردت فى السنة النبوية. أما السنة (الحديث) فلا تنسخ، عند البعض، حكمًا فى القرآن نظرًا لنزولها عنه درجة. والبعض يرى أن أحكام القرآن والسنة الصحيحة كلها من الوحى فينسخ بعضها بعضًا، تدرجًا بالناس نحو الالتزام أو الإباحة، إلى غير ذلك(**). والنسخ لا يرد على نص آيات القرآن، وإنما على أحكام بعضها. فجميع آيات القرآن باقية غير منسوخة لفظًا، ويجوز التعبد بالآيات التى تحمل أحكامًا منسوخة.

(*) البخارى، الإيمان، ١٢. مسلم، الإيمان، ٦٤ - ٦٥. الترمذى، صفة القيامة والرقائق والورع، ٢٤٣٩. النّسائى، الإيمان وشرائعه، ٤٩٣٠ - ٤٩٣١. ابن ماجة، المقدمة، ٦٥. أحمد، باقى مسند المكثرين، ١٢٣٣٨ - ١٢٦٧١ - ١٣١٣٨ - ١٣٣٧١. الدّارمى، الرقاق، ٢٦٢٣.

(**) راجع مقدمة أبى جعفر النحاس (ت : ٣٣٨هـ) الناسخ والمنسوخ، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾

* وَلَئِنْ أَتَيْتَ ـ واجهت. الَّذِينَ أُوتُوا ـ الكتب من قبلك ثم أنكروا ما فيها من آيات تنبئ برسالتك. بِكُلِّ ـ حجة. مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ـ أى دينك. وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ـ لتفرقهم شيعًا. وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم ـ بأن تصالحت معهم فى مقابل التنازل عن اتباع بعض أوامر اللَّه. مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ـ الفارق بين الحق والضلال. إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ـ ما فيه من نبوءتك. كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.

كان تغيير القبلة من المسجد الأقصى (بيت المقدس) إلى المسجد الحرام (الكعبة) فيه تيسير نفسى على الرسول والمؤمنين، لما ورد فى الآيات، ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤]، ولكن اللَّه يضيف حكمة أخرى يُعْلِمُ بها المؤمنين وهى أن النسخ والتغيير فيه تصفية، أى اختبار يجتازه المؤمنون بالطاعة. أما بعض الناس ممن يتظاهرون بالإيمان ولم يتمكن بعد من قلوبهم، فتنكشف سرائرهم عند وقوع النسخ فى أحكام الشريعة، وينفضح كفرهم.

من ذلك يتبين أن جوانب الحكمة فى أمور الشرع لا يمكن للإنسان الإلمام بجميعها، إلا أنها جميعًا تندرج تحت باب الاختبار، واللَّه يفعل ما يشاء ويحكم بما يشاء، وعلى الناس الطاعة إن أرادوا النجاة والفوز العظيم. ومن الناس من يعلم بالحق وينكره حرصًا على مصالحه الخاصة، فلا يكون قدوة لقومه فى بيان الحق، وبذلك يضيع على نفسه ـ وربما على قومه أيضًا ـ الخلاص الحقيقى من قيد الشقاء الذى كتبه اللَّه على بنى آدم جميعهم فى عيشهم النكد على الأرض. ذلك الشقاء الذى يظل ملازمًا للإنسان، فهو إلى الصلاح يجد ويتعب، وفى فسقه يشقى، وفى كفره يشقى، وفى صحته يشقى وفى مرضه يشقى، وإنه فى سعيه إلى اللهو والهوى يشقى أيضًا، وفى عيشه فى الترف يشقى بالملل والرتابة، إن لم يكن أيضًا بالمرض والتخمة. ويظل الإنسان على هذا الحال إلى موته، وإن تخللت حياته بعض المتع، وصدق اللَّه تعالى حين قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ [الانشقاق: ٦].

إن الخلاص الحقيقى من الشقاء لن يكون إلا بإذن اللَّه، فهو فى الدنيا خلاص نسبى للمؤمن، ذلك أن شقاءه يكون فى الإعراض عن كثير من مغريات الحياة وزينتها، فى مقابل أن تكون نفسه راضية مطمئنة بالإيمان باللَّه ،وعبادة المؤمن للَّه فيها ترويح مستمر عن نفسه. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢]، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥]، هذه هى جملة شقاء الدنيا، أما الخلاص الحقيقى المطلق فهو فى الآخرة، عند الفوز برضوان اللَّه وجنته.

وإن الذى يقول بأن الدين أفيون الشعوب يكفر ويحكم على نفسه وعلى من اتبعه بالشقاء الأبدى القاسى المصحوب باليأس والبعد عن الطمأنينة القلبية. أما الدين فيأمر بالتماس أسباب العيش والعمل على التقدم والرقى مع طمأنينة القلب ورجاء الآخرة.

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ ـ فنويتم الصلاة. فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ ـ أهل الكتاب الذين قالوا: ترك محمد ديننا واتبع قبلتنا. عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ـ من الوثنيين من العرب، سيظلون يحاجونكم ويصدونكم. فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ـ بنصركم وإظهار الدين.

وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ(*) * وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ. . . ـ صبروا وذكروا أنفسهم فقالوا: إنا لله خالقنا وإنا إليه راجعون، ونرجو رحمته فى الآخرة. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ ـ غفران. مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ * إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ـ تحرج الذين آمنوا من العرب أن يطوفوا بالصفا والمروة، لأنهم كانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية قبل الإسلام، اعتقاداً منهم بأن الإسلام يغير كل ما كان قبله، فنزلت الآية تبيّن أن الصفا والمروة من شعائر الحج الصحيحة والموروثة دون تحريف منذ نبوة إبراهيم وإسماعيل، عليهما الصلاة والسلام ـ. وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ. . . ـ يصرُّون على إخفاء. مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ـ الآيات التى تشير إلى بعثة محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين، والمذكورة فى التوراة والإنجيل، من بعد ما علموا بأن الله قد كشف عن حيلهم للناس فى القرآن، فأولئك الذين يصرون على كفرهم. يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ.

إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا ـ للناس ما كانوا هم وأقرانهم يخفونه. فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيم

(*) راجع: حساب الشهيد وجزاؤه، رقم ١٤٥.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

* إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ * وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ ـ معبودًا آخر من صنم أو إنسان أوحيوان أو طير، باعتباره رمزًا يمثل اللَّه فيسويه باللَّه ويدعوه ويسجد له، وبذلك يجعله ندا لـلَّه فيحبه. كَحُبِّ اللَّهِ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ـ وتقديسًا له من أى مخلوق. وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ـ أنفسهم بالكفر. إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ـ سيعلمون. أَنَّ الْقُوَّةَ ـ المطلقة الحقة جميعها للَّه وحده. وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ ـ يوم القيامة والحساب. وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ـ أسباب النجاة والخلاص. وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا ـ عودة أخرى إلى الدنيا، حتى تكون لنا فرصة أخرى على زعمائنا. فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا ـ يتبرؤون منا الآن. كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ ـ كفرهم يعود عليهم. حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا . . . ـ فى كل شيء، دون أن نشغل بالنا بالتفكير والتأمل للتمييز بين ما هو حق وما هو باطل، عجبًا، أيقولون هذا حتى عندما يتبين لهم بوضوح أن آباءهم كانوا. لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ

(١٦) **قضية :** ﴿ إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ . . . ﴾ [الآية: ١٦١].

يرتفع التكليف بالموت، فيتهيأ الإنسان للحساب. ومن ضروب ارتفاع التكليف بغير الموت، الجنون، كأن يحل بالشخص البالغ جنون مطبق لاينفك عنه حتى الموت، فنظن بحسب الظاهر أن يعتبر حاله قبل الجنون، فإن كان كافرًا قبل أن يجن فهو كمن مات على الكفر، وإن كان مؤمنًا فهو كمن مات مؤمنًا. والله أعلم بحقائق النفوس ودقائق الأمور.

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾

* وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا - بصدّهم دعوة الرسول محمد، صلى اللّه عليه وسلم، وقولهم بتقليد الآباء. كَمَثَلِ الَّذِي... - يصيح مجيبًا لصوت يناديه، دون أن يفهم من ذلك الصوت شيئًا، وإنما عهد صوت ذلك النداء من آبائه. وهو يسمع أيضًا نداءً آخر من الرسول غير معهود صوته على أذنيه، فيذهب كالدابة المستأنسة نحو وقع الصوت المألوف لأذنيه، دون أن يعمل عقله فى سماع تفاصيل الأقوال والترجيح بالحجج والبراهين بين كل من الندائين. وهم بموقفهم هذا ينكرون نعمة اللّه عليهم بأن أعطاهم العقل فيتخاذلون ويتكاسلون عن إعماله، ويفضلون أن يكونوا مثل الصم والبكم والعمى، فالسمع والنطق والبصر دون العقل لا يفيد شيئًا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا من طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّه إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ به لِغَيْرِ اللَّه فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ - أى فمن أكرهته الحاجة الملحة الضرورية - إلى تناول شىء مما حُرِّمَ من ذلك، فأخذ بقدرما يذهب عنه الإكراه. فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ... - أحكام وآيات. وَيَشْتَرُونَ بِه ثَمَنًا قَلِيلاً - من جاه أو مال. أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ - بمغفرته ورحمته. وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(١٧) قضية : الضرورات تبيح المحظورات: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [الآية:١٧٣].

الضرورة الملجئة تبيح ما هو محظور : هذا مبدأ عقلانى يفهمه البشر فى كل الشرائع السماوية والوضعية. ولكن المشكل هو صعوبة وضع تعريف جامع لأحوال الضرورة وأنواعها، وتحديد القدر المستباح من الأمور المحظورة عند الضرورة. لذلك اجتهد فقهاء المسلمين لوضع إرشادات مختصرة وقواعد عامة مثل "الحاجات تنزل منزلة الضرورات فى إباحة المحظورات"، ويقصدون بذلك عموم الحاجات الملجئة التى يكون معها التزام الحكم الشرعى مسببًا لأضرار معينة ومحققًا لمشقة بالغة، و"الضرورات تقدر بقدرها" أى أنها تبيح من المحظور القدر الذى يلبى الحاجة الضرورية الملحة.

ومن المعلوم أن الحاجات منها الفردية ومنها الجماعية، وهى تتدرج وفقًا لأولويات محددة، أدناها الأمور التحسينية وتعلوها الأمور الحاجية، ثم الضرورات وهى أيضًا تتدرج فيما بينها حتى تصل إلى الخيار بين الحياة والموت. وكذلك قد يتجاذب الحاجات الضرورية الصراع فيما بين الأفراد والجماعات بعضهم ببعض. والضرورة تتشعب فى ضروبها وأصنافها مع تشعبات دروب الحياة ومسالكها(*).

النصيحة : إذا كان من الواضح أن مفهوم الضرورة فوق مستوى الإلمام به مسبقًا على سبيل الحصر، وأنه فى كثير من الأحيان يفرض نفسه فى صورة وقائع وأحداث عملية، إذن فيجب النظر إليه على سبيل أنه من جملة الفتن - الاختبارات - التى يمتحن بها الإنسان، والتى تقتضى منه أن يستحضر أعلى وأقوى القيم الأخلاقية، مثل إيثار الآخرين، حتى يتجاوز أحوال الضرورة عمليًا بضمير سليم. فإذا استحضر المؤمن هذه القيم، فهو بالتأكيد لن يقدم على المحظور إلا لضرورة بلغت فى القسوة غايتها. وما من ضرورة يسعى الإنسان إلى تلبيتها إلا وهو يغض النظر عن مصلحة أخرى، ربما تكون أولى وأحق بالرعاية لعلو مرتبتها على الأولى. وإذا كان الإنسان يريد أن يستفيد من رحمة اللّه ومغفرته وعفوه إن تجاوز حدود الضرورة، فعليه أن يفكر مليًا بقدرما يستطيع قبل الإقدام على مخالفة المحظور معتذرًا بالضرورة.

(*) راجع القضايا: ٥٥ - ٧٣ - ٩٠.

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦) ۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) ﴾

* أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بالهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نزل ـ الرسالات. بالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا ـ فيما ورد. فِي الْكِتَابِ ـ بمناقشتهم لماذا يأمر اللّٰه بذلك، ولماذا يبعث رسولاً من جنس كذا وأصل كذا ؟ فيدفعهم ذلك إلى الاعتراض على أحكام اللّٰه، فيخفون النصوص ويحرفون علوم الدين والكتب السماوية، إنهم. فِي شِقَاقٍ ـ خلاف. بَعِيدٍ ـ عن الحق الواضح الذى يوجب طاعة الله والتزام الأمانة فى تبليغ أحكام رسالته إلى الناس، والتسليم بأن علمه أعلى من مدارك المخلوقات جميعًا.

لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ـ فلا ينفع الذين يضللون الناس توجههم إلى اللّٰه بصلاة أو دعاء. وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ . . . ـ هو منهج قويم يتمثل فى طاعة اللّٰه والإيمان به وبالآخرة وبالملائكة والرسالات والنبيين جميعهم، والعمل بشريعة اللّٰه تامة غير منقوصة، ذلك هو الذى يرقى بالإنسان إلى المستوى العالى من الخلق الكريم، فلا يكون بخيلاً، بل يعطى من. الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ . . .

ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة، ويوفى بعهده إذا عاهد، ويصبر فى الشدة والفقر ووقت الزود عن دينه وعرضه وماله ووطنه. هذا هو مثال المؤمنين الذين صدقوا فى إيمانهم. وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ـ النفس بالنفس، والعين بالعين، والسن بالسن، قصاصًا من شخص المعتدى أو المعتدين. وعند التقييم لأداء الديات بدلاً من القصاص تكون قيمة. الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ ـ فلا يقول قوم إن قيمة عبد من عندنا هى قيمة حر من قبيلة أخرى، أو قيمة نسائنا هى قيمة رجال من غير قبيلتنا. فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ـ أى أداء الدية دون مماطلة. ذَٰلِكَ ـ أى إمكانية الصلح مع أخذ الدية. تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ـ فيجب إيقاف الثأر عند أول تسوية بالقصاص أو بالدية، لاتقاء عذاب اللّٰه. فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

---

(١٨) قضية : الإيمان عقيدة وعمل: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [الآية: ١٧٧].

قال تعالى، فى وصف المؤمنين: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن . . .﴾ يبين حدًا أدنى من الأوصاف يجب توافرها فى الشخص حتى يكون مؤمنًا بحق، ويطمئن إلى النجاة من عذاب اللّٰه والفوز بجنته، فيجب أن يكون نافعًا للغير من ذوى القربى واليتامى والمساكين. والمذكور فى الآية هو قدر من الواجبات، وهناك مندوبات أخلاقية فى السنة، وفى بعض ما هو متوارث من الأعراف الإنسانية من صور الكرم والشهامة والمروءة، يستطيع المؤمن أن يستزيد منها أيضًا حتى يرتفع أكثر فأكثر فى درجات الإيمان، فالمؤمنون يتفاوتون فيما بينهم فى القدرات والإمكانات، ويرفع الله بعضهم فوق بعض درجات.

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾

❀ ٢ - بيان الآية ١٨٠ :

كانت الوصية واجبة للوالدين والأقربين إلى أن نزلت أحكام الميراث فى سورة النساء، الآيات ٧ وما بعدها. وذهب البعض إلى بقاء الحكم واجبًا لصالح الأقربين غير الوارثين. ولا يعتبر موافقًا للشرع ما تقضى به القوانين من قابلية إبطال تصرفات المورث لمجرد صدورها فى مرض الموت، لأن الله يقول بصحة وصيته.

---

* وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ - القصاص الفردى يكون بواسطة الحاكم ويؤخذ من القاتل نفسه بعد الحكم النهائى البات بإدانته، وبعد أن يرفض ولىُّ دم المقتول التصالح على الدية. كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ - مالاً - فعليه أن يوصى ببعضه. لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ - وفقًا للمتعارف عليه تأكيدًا للود وصلة الرحم. حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ - (كان واجبًا حتى نزلت أحكام المواريث). فَمَن بَدَّلَهُ - بدّل قول الموصى. بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ - ذنب ذلك يقع. عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ - وكذلك على الذين يعلمون بذلك التبديل، ويصمتون خوفًا أو للاستفادة من الكذب. إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ - بجميع الأقوال، الصادق منها والكاذب. فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ - أى أن المؤمن إذا رأى ميلاً عن الحق من جانب الموصى، ليس له إلا أن يتدخل بالنصح للموصى، إذا كان على قيد الحياة لتعديل وصيته، أو بالوساطة بالصلح بين من يعنيهم الأمر بعد وفاة الموصى، حتى يتراضوا على تعديل أنصبتهم وفقًا للعدل والمعروف، إن أمكن ذلك.

---

(١٩) قضية : القصاص [الآية ١٧٨ وما بعدها]، وآيات من سور أخرى:

• القصاص الفردى:

يفترق القصاص عن الثأر، فالثأر له مفهوم عشوائى، أما القصاص فهو مقاصة عادلة بين حق نشأ من جانب فى مقابل ظلم وقع من جانب آخر فى المجال الجنائى، وتقتضى تلك المقاصة إنصاف المجنى عليه أو أهله من المعتدى، ولا يكون ذلك إلا بواسطة الحاكم أى القضاء.

والقضاء يتحرى أبعاد الاعتداء الموجب للقصاص، من حيث الإثبات ومن حيث درء الحدود بالشبهات، فلا يقتص إلا ممن ثبت أنه المجرم، وثبت كذلك فى حقه القصد الجنائى، فمن كان يدفع عن نفسه الاعتداء فهو فى حالة دفاع شرعى ولا قصاص عليه، ومن ثارت حول قصده شبهة، فلا ينسب إليه التعمد. وقد يعتبر الاستفزاز الشديد من المجنى عليه للجانى مبررًا لتخفيف العقاب. هذه أمثلة من قضايا تطبيقية، والقضاء منوط به تحقيق كل هذه الأمور.

وإذا سقط القصاص لشبهة مع ثبوت الفعل فى جانب المتهم، يعاقب الجانى بعقوبة تعزيرية. والحكم بالقصاص لا ينفذ إلا بعد رضاء المجنى عليه أو وليه، لأن له أن يعفو ويقبل الدية (التعويض المادى عينيًا كان أم نقديًا حسب أحوال المجتمعات واختلاف ظروف الأسواق. والتقدير بالناقة لا يكون إلا فى المجتمعات التى تعرف للإبل قيمة تجارية. وليست الجمال سوى معيار ورد فى السنة النبوية الشريفة لتقدير قيمة التعويض ، ولكنه لا يمنع من التقدير النقدى فى المجتمعات المدنية، ذلك أن الناقة قد لا تكون لها أية قيمة سواء كطعام أو كدابة للركوب فى كثير من المجتمعات . لقد عدد الخليفة عمر بن الخطاب معايير التقدير فأضاف إلى النوق البقر والغنم والبذة (ملابس) لتكون أسسًا للتقدير مناسبة لجميع المجتمعات وفى مختلف الأزمنة، وحدد لكل معيار سعره النقدى، ورفع من السعر وخفضه وفقًا للسوق، ورفع من العدد المقدر تعويضًا ⬅

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾

٣ - بيان الآية ١٨٤:

عن سلمة بن الأكوع قال : لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ.. ﴾ كان من شاء منّا صام ومن شاء أن يفتدى فعل، حتى نزلت الآية التى بعدها فنسختها : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ (البخارى ، التفسير، ٤١٤٧) فلا يجوز أن يفتدى بعد ذلك سوى كبار السن الضعفاء وأصحاب الأمراض المزمنة المانعة من الصوم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ - (قيل : صيام ثلاثة أيام من كل شهر كانت واجبة علينا كما كانت على الذين من قبلنا، ثم نسخت بفرض صيام شهر رمضان) ويصح أيضًا اعتبار الشهر أيامًا معدودات ٢٩ أو ٣٠ يومًا فى السنة، فلا يكون هناك محل للنسخ. فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ - يقضيها. وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ - مع الضرر والشدة بسبب العجز والكبر. فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ - عن كل يوم يفطرونه، إن لم يكونوا هم أنفسهم مساكين. فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا - بالزيادة على ذلك. فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

← عينيًا منها وخفضه عما ورد فى الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ. كل ذلك يبيّن أن الدية هى تعويض مالى مناسب يقدر وفقًا لظروف كل مجتمع على حدة وبالاستعانة بإرشادات السنة. «كان رسول الله ﷺ يُقَوِّمُ دِيَّةَ الخطأ على أهل القرى أربع مائة دينار أو عدلها من الورق (الفضة) ويُقَوِّمُها على أثمان الإبل، فإذا غلت رفع فى قيمتها. وإذا هاجت رخصًا نقص من قيمتها...»(*).

ويثير القصاص بعض الصعوبات إذ أنه من المعلوم أن القصاص يؤخذ من الفاعل نفسه، ولكن قد يستأجر الفاعل شخصًا لارتكاب الفعل المستوجب القصاص، ففى هذه الحالة يؤخذ القصاص من الاثنين إذا توافرت شروط المسؤولية فى حقهما. أما بالنسبة للدية فهل على كل واحد من الجناة المشتركين أن يدفع دية كاملة ؟ الدية هى تعويض عن نفس المجنى عليه يدفع إليه (فى الجروح والإصابات) أو إلى أهله (فى القتل) وهو تعويض محدد وفقًا للمعايير سالفة الذكر، فلا يأخذ أكثر منه. أما من ناحية الجناة فإن الدية عقوبة، فالرأى من هذا الوجه أنها لا تنقسم عليهم عند الاشتراك فى الجناية، وإنما تجب كاملة على كل واحد منهم ويُدْفَعُ من المجموع قيمة ما يستحق للمجنى عليه أو ورثته، ويذهب الباقى لخزانة الدولة، وإلا تجرأ الناس بعضهم على بعض بالاشتراك فى الاعتداء، حين يشعرون أن المجنى عليه أو وليه فقير سوف يرضى بالدية، فيشتركون على الظلم، ويكون عبء أداء الدية عليهم خفيفًا.

والدية تؤخذ من أسرة الجانى، والعاقلة عند الفقهاء هم عصبة الشخص من الذكور دون الإناث، وإنما تتحمل العاقلة من الدية فى القتل الخطإ. كل هذه الأمور والتفصيلات يجب أن تصدر الدولة بشأنها قوانين مفصلة حتى لا يختلف القضاة وتتضارب أحكامهم فى القضايا المماثلة. ولا مانع أبدًا من أن تفرض الدولة عقوبات أخرى إلى جانب عقوبة الدية فى حالة عفو المجنى عليه أو أهله عن القصاص حتى تتمكن من ترسيخ الأمن والنظام، لأن التعزير يجب عندما تقتضيه الظروف لتحقيق المصالح الاجتماعية.

أثر القصاص أو الدية هو إنهاء النزاع بحيث يعتبر أى اعتداء بعد ذلك بمثابة جريمة جديدة ومبادرة ظالمة. ←

(*) أبو داود، الديات ٣٩٥٥.

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

* شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذي أُنزِلَ فيه الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَان فَمَن شَهِدَ منكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سفَرٍ فَعدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ـ يقضيها فى غير رمضان. يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ * أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ... ـ مضاجعة. نسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُم لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ... ـ تخونون. أَنفُسَكُمْ ـ بمخالفتكم أمر اللَّه بالامتناع عن الجماع طوال شهر الصيام. فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ ـ فى غير وقت الصيام، أى من بعد غروب الشمس إلى الفجر. وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ ـ المقصود ظهور تباشير الفجر بتسلل أشعته لتقهر ظلام الليل، وليس التمييز بين خيطين أحدهما أبيض والآخر أسود. الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى ـ االليل عند غروب الشمس. وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِد ـ وذلك نهى عن أن تكون المساجد بمثابة منازل سكنية، فلابد من الاحتفاظ لها بما يليق بها من القدسية والحرمة. تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاته لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ.

• الفتنة الجماعية:

فى الفتنة الجماعية تختلط أدلة الإثبات، فيكون المبدأ فيها أن تحسم وفقًا لمعيار الآية : ﴿ وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ [الحجرات: ٩]. فبعد الصلح وحساب الخسائر عند الطرفين تتم التسويات فى صورة تعويضات مالية «ديات». وهذا لا يمنع الفرد، المجنى عليه أو وليه، إذا ما كان عالمًا بشخص المعتدى أن يرفع دعواه أمام القضاء، ويقدم وسائل الإثبات والأدلة، طالبًا القصاص الفردى.

(٢٠) قضية : رؤية الهلال والعلم بظهوره (شهر رمضان) : ﴿ فَمَن شَهِدَ منكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ **[الآية: ١٨٥].**

من شهد منكم الشهر، أى من علم به، فالعين وسيلة لحصول العلم، والعلم يكون وفقًا لما هو معروف من رؤية بعض الناس الهلال فيُعلمون الآخرين فى البلد. وينبغى الأخذ فى الاعتبار أن تغير الزمان وتقدم وسائل الاتصال جعل تبادل العلم بين أقطار العالم يتم فى لحظات. وبقاع العالم لا تبدأ نهارها أو ليلها معًا، فليلة الشك تكون مشتركة بين مجموعة من البلاد يبدأ نهارها من الغد فى وقت متقارب، فإن رؤية الهلال فى بعضها يجزئ فى إعلام سائرها، فيجب أن يصوم أهل هذه البلاد معًا، أو لا يصومون معًا إن انعدمت الرؤية بالكلية فى جميعها. ثم تأتى المجموعة الأخرى من البلاد ـ التى كانت فى النهار وقت ما كانت الأولى فى ليلة الشك ـ تدخل ليلها مطمئنة بأن يصبح أهلها من المسلمين صائمين إن كانت المجموعة الأولى صائمة، أما إن كانت المجموعة الأولى غير صائمة. فإن الثانية تكون فى ليلة شك فترصد الهلال.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾

وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم . . . ـ ظلمًا وتعطوا منها رشوة لتسطوا على حقوق. النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ـ الأَهِلَّةِ، أى عن الحكمة من اهتداء الناس بالأهلة دون غيرها مما خلق اللَّه كالشمس؟ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ـ تساعدهم فى اجتهادهم لحساب الأيام والأشهر، وكذلك التعرف على مواقيت الشعائر والمناسك كالحج والصيام وغيره، فيلزم حسابها بالأهلة حتمًا دون غيرها، وذلك أمر من اللَّه. وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ـ بعد أن تغيبوا فى السفر طاعة للَّه، ذلك أن من العرب من كان عند عودته من السفر الطويل يتسور المنزل ليفاجئ زوجته، ريبة منه فى أمرها وقت غيابه، فلا يليق ذلك السلوك من المؤمن إذا ذهب للحج، لأن المؤمن يعامل الناس بالحسنى، بخاصة الأقربين، ثم إنه يجب أن يكون على ثقة بأن اللَّه يصون أهله فى حضرته وفى غيبته، فإن كان اللَّه يعلم بأن زوجته سيئة السلوك فسوف يفرق بينهما فى أى وقت شاء، وبما ييسر من ظروف، لذلك فعلى المؤمن دائمًا أن يلتزم السلوك القويم اللائق فى التعامل بالمعروف. وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ـ اللَّه. وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا ـ على من سالمكم. إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

➡ والأصل فى العلم هو الرؤية البصرية، وإلى جانبها الوسائل العلمية المساعدة التى يستعان بها فى الحسابات الفلكية وفى حالة وجود سحب أو عواصف ترابية... الخ.

ولا مانع من اللجوء إلى الحسابات الفلكية كعامل أصيل لاستبيان بداية شهر الصوم، ولكنه يأتى فى مرتبة تالية للرؤية البصرية التى تقدم عليه عند التعارض. ولا يكون التعارض حقيقيًا إلا فى حالة واحدة ـ حسب ظننا ـ وهى حالة ما إذا رُؤِىَ الهلال بالعين المجردة فى ليلة الشك، فى الوقت الذى تكون الحسابات الفلكية نافية أن يكون الغد بداية شهر رمضان. أما العكس فغير صحيح إذ أن عدم رؤية الهلال بالعين المجردة، مع تأكيد الحسابات الفلكية، لوجوده فى السماء يجعل الأولى بالاتباع ما هو مجزوم به، إذ أن الرؤية البصرية تكون محل شك فى نفيها ظهور الهلال نظرًا لدقته ولقصر الفترة التى يظهر فيها، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »(*). وكل ذلك مجهود مبذول فى طاعة اللَّه، يقبله اللَّه على أى حال طالما لم نركن إلى الكسل والإهمال. ولا نعتقد أن هناك تعارضًا بين الحساب العلمى وقول رسول اللَّه ﷺ: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب »(**) لأنه يتكلم عن ظروف أمة الإسلام وقت أن بعث فيها، والإسلام لا يضع عائقًا أمام العلوم، ألا نرى رسول اللَّه ﷺ كان يحث على تعليم الأطفال والأميين رجالاً ونساء القراءة والكتابة. ونحن فى عصرنا هذا أمة محمد ﷺ التى تقرأ وتكتب وتحسب، ولسنا بأمة أمية، فيجب أن لا نأخذ من قول رسول اللَّه ـ الذى يخبر بحال الأمة فى عهده ـ حكمًا يفرض البقاء فى الأمية، فنتجاوز به ظروف وروده، وإلا نكون قد حكمنا على الإسلام بأنه يغلق المجتمعات والعقول والأفهام.

⬅

(*) البخارى، البيوع، باب تفسير المشبهات. الترمذى، صفة القيامة والرقائق والورع ٢٤٤٢. النَّسائى، آداب القضاة ٥٣٠٢ - ٥٣٠٣. الأشربة ٥٦١٥. أحمد، مسند أهل البيت ١٦٣٠ - ١٦٣٦. باقى مسند المكثرين ١٢٠٩٢. الدارمى، المقدمة ١٦٥ - ١٦٩ البيوع ٢٤٢٠.

(**) البخارى، الصوم ١٧٨٠. مسلم، الصيام ١٨٠٦. النَّسائى، الصيام ٢١١١ - ٢١١٢. أبو داود ١٩٧٥. أحمد، مسند المكثرين من الصحابة ٤٧٧٥ - ٤٨٩١ - ٥٧٦٨ - ٥٨٥٥.

﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾

* وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ـ تمكنتم منهم. وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ـ أى من مكة. وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ـ فتنتهم للمؤمنين بتعذيبهم حتى يرتدوا عن الإسلام هى أشد من القتل، فقاتلوهم للقضاء على هذه الفتنة. وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ * الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ـ أى أن احترام الحرمات كعدم القتال فى الأشهر الحرم مرتبط بالمعاملة بالمثل، فإن احترم أعداؤكم هذه الحرمات فبها، وإن خالفوها فقاتلوهم بالمثل فى الأشهر الحرم. وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ـ أى معاملة بالمثل. فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ ـ نصرة دين الله وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ـ بالامتناع عن الجهاد بالنفس وبالمال. وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

← يبقى بعد ذلك مسألة البلاد التى يظل النهار بها لوقت طويل ويتبدل حال النهار والليل الواحد على مدار السنة بكاملها، مثل القطب الشمالى، فإن بقاء النهار لمدة ستة أشهر، يتنافى مع التطبيق الحرفى لحكم القرآن الكريم، فالنهار يدوم حوالى ستة أشهر، فلا يمكن إتمام الصيام بأى حال إلى قدوم الليل. وتكون طاعة أمر الله فى هذه الحالة بصيام أيام حسابية، أى يصومون اثنى عشرة ساعة ويفطرون مثلها بالتبادل، بصرف النظر عن كون ما حولهم ليلاً أو نهارًا، وعليهم أن يبدأوا ذلك بمجرد علمهم بأن سائر المسلمين قد بدأوا الصيام. وعليهم تقسيم أوقات الصلاة بحيث يصلون خمسة فروض خلال الأربع وعشرين ساعة.

أما الدول الأسكندنافية التى يختل التوازن فيها بين الليل والنهار فهى أيضًا لا غنى للمسلمين فيها عن التقدير الحسابى بالساعات لضبط وقت صيامهم بما يحقق التوسط والاعتدال.

ومن ذلك نفهم أن الشرع يقدر باعتبار الأوسط من ظروف الزمان والمكان . والاجتهاد واجب على كل العلماء حتى يؤدوا دورهم فى تطبيق شريعة الله تطبيقًا سليمًا، وإيصال العلم بالدين إلى مختلف الأمم. أما الأماكن النائية والرحلات إلى الكواكب الأخرى ، فذلك يقتضى اجتهادات خاصة ، ويجزئ فيها عد اليوم بأربع وعشرين ساعة.

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّه ـ يعنى من أحرم بحج أو عمرة فليس له أن يحل حتى يتمـهما تمام الحج يوم النحر، فإذا رمى جمرة العقبة وطاف بالبيت وبالصفا والمروة فقد حل. فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ـ حال دونكم ومكة حائل من عدو أو مرض أو حادث أو كارثة من شأنه أن يفوت عليكم أيـام الحـج، فأرسـلوا مـا. اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ـ من بقر أو غنم أو إبل إلى مكان الذبح والتـوزيع على الفقـراء. وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ ـ حتى يصل الهـدى إلى مكانه بمكة. ... فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ به أَذًى... ـ فى رأسه يلـح عليه فَحَلَـقَ قبل ذلك. فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ ـ ثلاثة أيام. أَوْ صَدَقَةٍ ـ إطعام ستة مسـاكين. أَوْ نُسُكٍ ـ ذبح شاة. فَإِذَا... ـ أمنتم من العدو أو ذهب عـنكم المرض أو زال العائق بعـد فوات أيام الحج، فما تقيمون من شعائر هو بمثابة عـمرة، ولكم أن تنتظروا الحج المقبل، ومن انتظر عليه أن يذبح الهدى، ومن عجز عن ذلك يصوم ثلاثة أيام قـبل الوقوف بعرفـة فى أيام الحج، وسبعـة أيام عندما يرجع إلى مـوطنه بعد إتمام الشـعائر. تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ... ـ مقيمـا فى المسجد الحرام، بأن كان مـوطنه يبعد عن مكة مسافة السـفر الذى يبيح قصر الصلاة، فـإن كان من أهل مكة وله إقامة معتادة بهـا، أو له أهل يتخذونها موطنًا، فلا دم عليـه (ولا صيام عليه عند الشافـعى). وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ـ الإحرام للحج يكون فى أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ـ شوال وذو القـعدة والعشر الأوائل من ذى الحجة. فَمَن ... ـ عـزم خلالها عـلى أداء فريضتـه وأحرم بالحج فيمتنع عليه مـباشرة الزوجة وتعمد المـعاصى والجدال بأقوال الخـصام والتبـاغض، حتـى لا يـبطل حجه. وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا ـ بالـمؤن الكـافية من الطعـام، واخلصوا فى عبادة اللَّه. فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُون يَا أُولِي الأَلْبَاب * لَيْسَ عَلَيْكُمْ.... ـ إثم أن تسعـوا بالتجارة المشروعة ابتغاء للرزق من ربكم. فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ... ـ وهـو جـبل قـزح الـذى يقف عليه الإمـام بالمزدلفة ـ واشكروه وهللوا له بالحمد على نعـمة الهداية. وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِه لَمِنَ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا... ـ يا معشر قـريش مع الناس حيث أفاضوا وقفوا معهم على عـرفة (لأن أهل قريش كانوا يترفعون عن الوقوف مع الناس بعرفـة، فيقفون بالمزدلفة). وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ... ـ من يشغل باله بالدنيا ولا يعبأ بالآخرة فلا تنفعه شعائر. وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ـ من الدعوات الصالحات وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ـ أيام التشريق الثلاثة وهى أيام منى ورمى الجمرات، ومن أهم صور ذكر الله فيها التكبير بعد الصلوات المكتوبة : الله أكبر الله أكبر(*). فَمَن تَعَجَّلَ ... ـ فترك منى بعد. يَوْمَيْنِ فلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ ـ إلى اليوم الثالث. فلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَمِنَ ... ـ المنافقين. مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ـ ويقول بلسانه إنه يشهد اللّه على ما يكنه لك من حب وتقدير وهو أَلَدُّ خصيم لك وللمؤمنين.

وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ـ أى يبذلها فيلقى بها فى الفقر بعد الغنى، (كما فعل صهيب بن سنان الرومى الذى تنازل لقريش عن ما له ليتركوه يلحق بالرسول فى المدينة). ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ـ أى اعملوا بجميع أحكام السِّلم وهو الإسلام (لأن بعض اليهود بعد إسلامهم عظموا يوم السبت وكرهوا الإبل، فأنكر المسلمون عليهم ذلك). وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * فَإِن زَلَلْتُم ـ بأن أنكرتم بعضًا من أحكام شريعة الإسلام. مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ـ أى فليتذكر كل من زلت قدمه عن طريق اللّه، برفضه الإسلام أو بإنكاره بعض أحكامه، ما كان من نقمة اللّه على أمم سابقة بأن أتتهم العقوبة الإلهية فى سحاب (قوم صالح) أو على يد الملائكة (قوم لوط) كل ذلك بأمر اللّه الذى يدبر شأن الكون والمخلوقات.

سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ـ تنبئ ببعثتك على لسان الرسل الذين أرسلناهم إليهم من قبل، وفى الكتب التى معهم من توراة وإنجيل. وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ ـ بإخفائها. مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

(*) راجع تفسير ابن كثير، والمسائل المذكورة فى تفسير القرطبى، فى موضع تلك الآية.

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً . . . ـ يحكمهم شـرع الله الذى كُلِّفَ آدم وبنوه بالتزامه، ثم تفرق الناس شـيعًا فخـرجوا عليه وتأولوا فيـه الأقاويل والمذاهب وحـرفوه، لذلك بعث. اللَّهُ النَّبِيِّينَ ـ لتصـحيح المفـاهيم المحـرفة وإقامـة شرع الله. مُبَشِّرِينَ ـ من يؤمن بما جـاء من عند اللَّه. وَمُنذِرِينَ ـ من يكفر. وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ـ فى دين اللَّه، وما اختلف فى كتب اللَّـه المنزلة بالتأويل والتحريف. إِلاَّ الَّذِينَ ـ نزلت عليهم تلك الكتب. مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ ـ فتنـة. بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ـ إلى التمييـز بيـن الحـق والباطـل. بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. * أَمْ حَسِبْتُمْ ـ أيها المؤمنون. أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ـ بدون أن تُبْتَـلُوا، وقد ابتلى اللَّه مؤمنين أعلى منكم درجـات، عركتهم المحن والمصـائب حتى وصل بهم الأمر أن يتساءل النبى ومن معه. مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ.

(٢١) قضية: الإيمان والعمل بمقتضاه بقدر المستطاع [الآية: ٢١٤].

إن الإيمان بجميع أسس الدين الإسلامى واجب، وهى أسس عديدة ومتكاملة، منها : الإيمان بوحدانية اللَّه وتنزيهه من كل صفة تدنى منزلتـه العَـلِيَّة، أو تحط من قدر رسالته الخاتمـة الشاملة، التى احتوت على الأسس الصادقة لكـل الرسالات السابقة المنزلة من عنده. ومن خصائص شريعـته الخاتمة أنها تنسخ العمل بالأحكام الواردة فى الرسالات السابقـة، وذلك للتيسير على الناس، فلن ينزل عليهم رسالة بعد القـرآن الذى هو محفوظ بأمر اللَّه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ومن الأركان، الإيمان برسل اللَّه جميـعًا وخاتمهم محمـد ﷺ وتنزيهم من كل صفة أو فعل مشين. والإيمـان بوجوب الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لـمن استطاع إليه سبيلا مرة مفروضة فى العمـر. والإيمان بوجوب طاعة اللَّه فى كل أوامره بقدرما يسـتطيع الإنسان ودون تكاسل، والمتكاسل عاص. أمـا الممتنع عن طاعة اللَّه وهو منكـر وجوبها، فهو كـافر منكر لأمر معلوم من الدين بالضرورة.

ويتفرع عن تلك الأسس أمـور عديدة، منها التزام يقع على الحاكم بأن يطبق شـرع اللَّه ويوظف الوسائل والإمكانات نحو تحقيق هذا الهدف بالكفاية والكفاءة اللائقة، ذلك أن طاعة الله واجبة على الأفراد والحكام.

وتجب التفرقة فى هذا المقام بين الإيمان بالواجب والقيام به فعلاً، فالإيمان أمر نفسى يعنى الاعتقاد، والمؤمن، سواء كان فردًا عاديًا أم حاكمًا، لابد وأن يرسخ فى نفسه أن طاعة الله أمر مفروض، فلا ينكر مما شَرَّعَ اللَّهُ فى الدين شيئًا.

أما تطبيق وتنفيذ ما ألزمنا به اللَّه بالفعل، فهو مسألة نسبية ترتبط بالظروف والإمكانات. فالصلاة مقدور عليها، بفضل اللَّه، فى الغالـب الأعم من الأحوال، إذ أنها تؤدى من الـمريض وهو فى فراشـه أو حتى بعـينيه إن لم يسـتطع الحركـة. وتؤدى أيضًا باستحضار الخشوع فى النفس لمن كان أخرسا...إلخ، والصيـام أمهل اللَّه فيه المريض، ومن هو على سفر ـ فعدة من أيام أخر، يصومهـا فى غير رمضـان ـ والزكاة ليست واجبة علـى الفقير، وإنما له حق فـيها، إلى أن يرتفع عنه الفقـر. وكذلك الحج ليس ملزمًا إلا لمن استطاع إليه سبيلاً.

وحتى العـقيدة التى تكون بالقلب وينطق بـها اللسان، يقبل الـله فيها عـذر الإكراه، فمن تلفظ بألفـاظ الكفر تحت إكراه، وكـان قلبه مطمئنًا بالإيمان فهو عند اللَّه مؤمن ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ [النحل: ١٠٦] و﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾

٤ - بيان الآية ٢١٧:

خصص الحكم بالآية ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ [التوبة: ٣٦] أى معاملة بالمثل. بمعنى أنه لا التزام على المسلمين باحترام الأشهر الحرم إلا فى مواجهة خصم هو أيضًا يحترم حرمة هذه الأشهر.

* يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ به عَلِيمٌ * كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ - والصمود أمام عدوُّكُمْ. وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا - من الدعة والخلود للراحة والكسل. وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ * يَسْأَلُونَكَ عَن... - الأشهر الحُرُم، أنقاتل فيها؟ قُلْ قِتَالٌ - فى الشهر الحرام. كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ به(*) وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ - أيضاً محرَّم فيه القتال على الدوام. وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ - أى الرسول ومن معه من أهل مكة، (فقد أكرهوا على الهجرة من وطنهم فلا يُحرَّم عليهم القتال فى الأشهر الحُرُم، لأنهم مطرودون من وطنهم، والطرد أكبر من اختراق حرمة الأشهر الحرم، لأن للمطرود أن يدافع بكل الوسائل فى سبيل استرداد وطنه المسلوب) وطرد الضعيف واتخاذ الوسائل لفتنة الناس وصدهم عن الدين. أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ولا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دينه فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ - ذنب عظيم. وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ - لأن للخمر لذّة مزاجية موقوتة والقمار فيه كسب للمال جزافًا بلا كد أو تعب. وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ - يتصدقون بما يسهل عليهم من فضل أموالهم (وذلك عن الصدقة التطوعية بعد إخراج الزكاة). كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ - فيما ينفعكم.

---

(٢٢) **قضية:** ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [الآية: ٢١٩].

من المفسرين من قال بأن حكم هذه الآية منسوخ بالآية ٩٠ من سورة المائدة: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ إلى حد قول بعضهم إن المنافع التى كانت فيها إنما كانت قبل التحريم ثم نسخت وأزيلت.

ولكن إذا أمعنا النظر لا نجد ناسخًا ولا منسوخًا فيما جاءت به الآيتان، لأن كليهما صريح فى التحريم، وقد جاءت صراحة التحريم فى الأولى بعبارتين: ﴿ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ... وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾. ⬅

(*) راجع القضية رقم ٨٦.

﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

❁ ٥ ـ بيان الآية ٢٢١:

استثنى منها التزوج بالكتابيات، بالآية: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ... وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة: ٥].

فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ـ لأن اللَّه حرَّم أكل مال اليتيم، فإن عُزِلَ ماله عن تجارة الوصى نقص لوجوب الزكاة، وإن أنفقوا عليهم على حدة بأن عزلوهم حتى وهم يأكلون، فإن فى ذلك حرجًا.

قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ ... ـ بمخالطة أموالهم بأموال التجار للتنمية مع تحديد أصل المال وتوزيع الربح بعدالة، وكذلك بمخالطتهم معكم فى المعيشة مع حساب نفقاتها، فيجوز. وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ـ أى الظالم من العادل فى معاملة اليتامى. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ ـ بأحكام دقيقة ومفصلة. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ـ أى لا تضاجعوهن (ينال الزوج من زوجته ما شاء، عدا النكاح فى الفرج، وهذا أقوى الآراء). وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ـ أى أن المضاجعة تكون فى القبل. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ.

← ولا يليق بنا أن نعتقد فى إباحة شىء لمجرد أن الله ذكر أنه يحتوى على شىء من المنافع، إلى حد إنكار كل نفع عن المحرمات، وإلى الحد الذى يجعلنا لا ننتبه إلى التحريم الصريح ﴿ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ... وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ ونقول إن الحكم نسخ بالآية: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾.

إن كثيرًا من المحرمات تحمل ملذات بتعاطيها ومنافع بالاتجار فيها، وهذا هو الإغراء الذى يدفع الناس إلى تناولها. والخمر من هذا القبيل، فيها إغراء ونفع وقتى يجنيه الشارب، ولكن المضار أكبر. فالآية بليغة فى وصف طبيعة هذا الشىء، وتبليغ تحريمه بكلمة الإثم التى تجمع بين الضرر والذنب. ولم تصف الآية الخمر بأنها نافعة مطلقًا حتى يقال إن الله نسخ طبيعتها بالتحريم.

علة التحريم: حرمت الخمر لأنها تذهب بالعقل. والإنسان مسؤول ومتحمل بأمانة : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ ... ﴾ [الأحزاب: ٧٢] والمسؤولية ترتفع عن الإنسان عندما يفقد وعيه بالنوم أو الإغماء... أما عندما يقترف بنفسه ما يذهب عنه الوعى فإن جميع الشرائع، سماوية كانت أم وضعية تعاقبه. فالأمم المعاصرة تعاقب من يقود سيارته وهو سكران، لأنه دخل متعمداً مختاراً فى دائرة اللاوعى مع بقاء جميع جوارحه يقظة تعمل ولكن بدون ضابط العقل، فيصبح خطرًا على نفسه وعلى غيره.

ما يقاس على الخمر: المخدرات الخفيفة كالحشيشة. أما المخدرات التى تركب على خلايا الدم، كالأفيون والهيروين والكوكايين فحرمتها أشد بكثير من حرمة الخمر. والتاجر يعتبر فى نظر الشرع قاتلاً. والذى يتناولها يعتبر منتحرًا، وإن تأخر موته إلى حين. إلا من تاب وأقلع، وقليل ما هم.

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾

❁ ٦ - بيان الآية ٢٢٨:

يخرج من عموم الحكم: المطلقة قبل الدخول بها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ [الأحزاب: ٤٩] والمطلقة الحامل ﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤].

---

* نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ - بأى وضع شئتم مع لزوم أن تكون المضاجعة فى القبل وليس فى الدبر. وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ - بطاعة اللَّه. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ - أى لا يمنعكم قسم أقسمتموه على قطع رحم، من الرجوع فيه - والقيام بالكفارة - فى سبيل الخير والإصلاح، فاللَّه لا يعترض الرجوع فى الأيمان غير العادلة.

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ - أى اليمين غير المقصودة، كأن تجرى على اللسان بمقتضى العادة أو بالمزاح، فليس فى مخالفتها كفارة. وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ - أى بما عزمتم عليه بالنية مع القسم. وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ - لأنه يقبل الكفارة فى حالة حنث اليمين، لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ - أى يحلفون ألا يضاجعوا نساءهم. تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ - ليس لهم أن يزيدوا على أربعة أشهر. فَإِن فَاءُوا - راجعوا. فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ - ينتظرن ثلاث دورات للحيض أو للطهر الذى بين الحيضتين، فإذا تمت فهى دليل على براءة الرحم من الحمل، فيكون للمرأة المطلقة أن تتزوج من جديد بعقد جديد يعتمد رضاها، سواء من زوجها الأول إن لم يكن الطلاق بائنًا بنيونة كبرى، أو من رجل غيره. وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ - للتضليل فى حساب مدة العدة. إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ - خلال فترة العدة. إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ - من الحقوق والمعاملة الحسنة. مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ - من الواجبات كل ذلك. بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ - القوامة. وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * الطَّلَاقُ - مرتان - أى الطلاق الرجعى الذى يجوز فيه إرجاع المرأة المطلقة بإرادة الزوج المنفردة خلال فترة العدة، وقد ينقلب بائنًا بنيونة صغرى بأن مضت العدة دون مراجعة الزوج إياها (أو كان طلاقًا على مال، فلا يحق للزوج مراجعة زوجته فى العدة، وإنما يكون ذلك بعقد جديد... وفى المسألة تفاصيل فقهية) - والمعاشرة الزوجية تكون بالحسنى الواجبة بمقتضى العرف .والتسريح أى العزم على فصم العلاقة الزوجية يكون أيضًا بالإحسان أى باللطف الجميل ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) * وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) ﴾

ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتم النساء من مهر وعطايا. ﴿إلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ - أى دام الخلاف وسوء المعاشرة، ففى هذه الحالة لا إثم على المرأة أن تلجأ إلى الخلع فتفدى نفسها بالمال، بأن تتنازل عن حقوقها أو بعضها فى سبيل إنهاء الزوجية، وكذلك لا إثم على الرجل إذا قبل عوضًا فى مقابل أن زوجته مصرة على مفارقته. تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * فَإِن طَلَّقَهَا - بعد المرتين المذكورتين سابقًا. فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ - فلا يستطيع أن يتزوجها إلا فى حالة أن تكون قد تزوجت من زوج غيره، ثم طلقها هذا الأخير. فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا - فى هذه الحالة. أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ - فكدن أن يبلغن أجلهن الذى تجوز فيه الرجعة، وأردتم مراجعتهن فافعلوا قبل انتهاء الأجل. فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ - أى لا يكون القصد من ذلك تفويت فرصة على المطلقة فى أن تتزوج بغير مطلقها بعد انقضاء العدة، وإن لم تريدوا الرجعة فسرحوهن. بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا - كالضغط عليهن فى سبيل أن يتنازلن عن حقوقهن لِّتَعْتَدُوا، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ - أى يتحايل على حدود شرع اللَّه. فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا - بأن تسلكوا سبلاً ملتوية ظاهرها احترام شرع اللَّه وباطنها يتجاوز حدوده، وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - بأن هداكم للإيمان بما. أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ - بانقضاء العدة. فَلا تَعْضُلُوهُنَّ - الخطاب مُوَجَّه للولى. أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ - الذين طلقوهن - فى حدود ما سبق بيانه. إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ - لأنه يقى من الانسياق إلى الفساد. وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ - أى لمن لم يكن لهن عذر فى عدم الإرضاع الطبيعى طوال هذه المدة أو بعضها. وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ - أى الأب. رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا - أى أن ذلك كله مرهون بالاستطاعة وفقًا للوسط الاجتماعى وقدرة الزوج. لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا - بأن تجبر على إرضاعه بالرغم من ضعفها ومرضها.

(٢٣) بيان: فطام الرضيع قبل نهاية العامين، والإرضاع باللبن المصنع [الآية: ٢٣٣].

إن أراد الأبوان فطام الرضيع قبل إتمام العامين لسبب قوى، كضعف الأم أو جفاف لبنها أوعدم إقبال الرضيع على لبن أمه أو لبن المرضعة بما فيه الكفاية، فإن ذلك الفطام لابد وأن يكون بالتشاور، والتشاور لا يقتصر على الأبوين فقط، ولكن لابد من استشارة أهل الخبرة من الأطباء المتخصصين فى طب الأطفال، ذلك لأن اللَّه سبحانه وتعالى لم يقل : ... وتشاور بينهما، فيكون التشاور مقصوراً على الأبوين، وإنما فَصَّلَ العبارة ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ أى استشارتهما أهل الخبرة والمعرفة.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥) لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧) حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ (٢٣٨) ﴾

٧- بيان الآية ٢٣٤:

يستثنى من عموم الحكم الحامل، ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤].

وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ - بأن تمنع الأم المطلقة والد الطفل من رؤيته وزيارته، أو تطالبه بنفقة فوق ما يستطيع، وكل ذلك مرجعه العرف والمعقول. وَعَلَى الْوَارِثِ - أى الوصى بعد موت الأب. مِثْلُ ذَلِكَ - من الواجبات. فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً - قبل الحولين. عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ - لمصلحة الطفل أو الأم. فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ - أى توكلوا رضاعتهم لغير الأم بالتراضى فيما بينكم ولمصلحة الطفل. فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم - من أجر المرضعة. بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا - أى زوجات. يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا - وهى مدة العدة التى تبين براءة الرحم. فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ - من قبول الخطبة والزواج. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ - للمعتدة من وفاة الزوج. مِنْ خِطْبَةِ - بالتعبير الضمنى دون التصريح. أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ - من نية الزواج بها بعد العدة. عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا - بالتصريح. إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا - ضمنيًا. وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ - أى تبلغ العدة أجلها. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ * لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ - أى قبل الدخول بهن. أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً - وقبل أن تسموا لهن مهرًا. وَمَتِّعُوهُنَّ - افرضوا لهن عطاءً من هدية أو مال عوضًا عن المهر. عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ - أى بحسب حال الرجل المطلق. مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ * وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً - أى سميتم لهن مهرًا محددًا. فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ - يتنازلن. أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا - بالكرم من جانب الرجال بأن يعطوا أكثر من ذلك، أو من جانب النساء بأن يقبلن أقل أو يتنازلن برضاهن عن حقوقهن رأفة بحال الرجل إن كان فقيرًا، فإن ذلك. أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ - وهى العصر فى أغلب الأقوال، لأن الصلوات الخمس فرضت ليلة الإسراء والمعراج، فأصبح الرسول فى قومه يعلمهم الصلاة، نكان الأداء الأول لصلاة الصبح. وكذلك الناس عادة يبدأون يومهم بالصباح ويختمونه بالليل(*). وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ(**) - خاشعين.

(*) وردت أحاديث فى أنها العصر : البخارى، الجهاد والسير ٢٧١٤. مسلم، المساجد ومواضع الصلاة ٩٩٣. ابن ماجة، الصلاة ٦٧٦. أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة ٥٥٧.

(**) عن زيد بن أرقم قال : «كنا نتكلم فى الصلاة فى عهد رسول الله ﷺ يتكلم أحد منا بحاجته حتى نزلت». الناسخ والمنسوخ لأبى جعفر النحاس، ص١٨.

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾

٨- بيان الآية ٢٤٠:

كان ذلك الحكم في بداية الإسلام ثم نسخ كاملاً بآيات الميراث التي حددت لزوجة المتوفى نصيبًا ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ﴾ [النساء: ١٢] فلا وصية. وكذلك لا عدة لمدة عام، وإنما ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤] إن لم يكنّ حاملات. فإن كان الحمل فـ ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤].

فَإِنْ خِفْتُمْ - أي حاصركم الخوف من الحيوان ليلاً أو قطاع الطرق، أو ما شابه ذلك من الظروف التي تضطر الإنسان إلى عدم النزول من على مطيته إلى الأرض للصلاة، خوفًا من هلاك محتمل أو محقق (وصلاة المضطر غير صلاة الخوف من العدو في القتال والمعارك التي سيأتي ذكرها وتفصيلها في موضعها). فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا - وإلى أي جهة تستقبلونها. فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا - ينبغي أن تكون الصلاة حال الاطمئنان وكما. عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ - من العبادات والأحكام. وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا - نفقة. إِلَى الْحَوْلِ - سنة كاملة. غَيْرَ إِخْرَاجٍ - فلا يتركن بيوت أزواجهن، حدادًا.

فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ - أي أن الحداد ينبغي أن لا يزيد على العام، وإنما من الممكن أن يقصر عن تلك المدة بما هو معروف، والخيار للمرأة بين النص والعرف، وكان ذلك قبل ورود النسخ (المشار إليه أعلاه). وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

* وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ - متعة من عطاء مالي محدد وفقًا للعرف واستطاعة الزوج. حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِه - أي أحكامه. لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ - قيل فرارًا من الطاعون. وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ - إجابة لدعوة نبي، قيل إنه حزقيل - عليه السلام - إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ * وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا - بإنفاق ماله في سبيل اللَّه. فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً - عند رده إليه في الآخرة لأن أجر الآخرة له الدوام، وكذلك يرد اللَّه له بركة وخيرًا في دنياه. وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ - الأرزاق كيف يشاء. وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾

* أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ ـ موت. مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ـ العمالقة الذين طردونا من بلادنا واحتلوها. قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ـ أن تتخاذلوا فلا. تُقَاتِلُوا، قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ـ ظلمًا. فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا ـ متخاذلين. إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ـ هذا كلام وجهاء القوم. وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ، قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ـ إن آية اصطفاء اللّه له ملكًا عليكم أن يَأْتِيَكُمُ ـ بالتابوت الذى اغتصبه أعداؤكم العمالقة. فيه سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ـ لأنهم كانوا يقدمونه فى صدارة صفوف القتال يستفتحون به على عدوهم. وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ ـ صحف مطهرة. تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ ـ وتضعه فى بيته. إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ ـ ملء بطونهم. إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ ـ ملك العمالقة. وَجُنُودِهِ. قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ ـ عليه السلام ـ (الذى كان فى جيش الملك طالوت). جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ـ تبديلهم على مراكز القوة والنفوذ والسلطان. لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ.

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عيسى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا ـ وتفرقوا شيعًا. فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ ـ بالله ورسله، وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا ـ أى ما تفرقوا عن الإيمان. وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ـ إخراج الزكاة والصدقات فى وجوه الخير والبر وفى سبيل الله. مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ ـ يوم الحساب الذى. لا بَيْعٌ فِيهِ ـ لا فداء للنفس بالمال. وَلا خُلَّةٌ ـ ولا صداقة. وَلا شَفَاعَةٌ ـ تنفع. وَالْكَافِرُونَ ـ يومئذ. هُمُ الظَّالِمُونَ * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ـ غفلة. وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي ـ لا أحد. يَشْفَعُ عِندَهُ ـ لأحد. إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ ـ الإيمان. مِنَ الْغَيِّ ـ الكفر والفساد. فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ـ الشيطان وكل ما يُعْبَدُ من دون الله. وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ـ وهم أصحاب الفطرة والضمائر السليمة. يُخْرِجُهُم ـ بفضله. مِّنَ الظُّلُمَاتِ ـ ظلمات الحيرة والشكوك. إِلَى النُّورِ ـ نور الإيمان والمعرفة الصادقة بطريق الله.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ـ الشياطين وما تسول لهم من الشرك بالله والإلحاد. يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ ـ فهم ينسلخون من ضمائرهم، ومن نور طريق الله إلى ظلمات الكفر. أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

(٢٤) قضية: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الآية: ٢٥٣].

إن الله سبحانه وتعالى هو خالق الخلق جميعًا وهو أعلم بمن خلق، فله وحده أن يقدر ويميز بين الناس فى الدرجات، حتى فيما بين الرسل. أما الناس فليس لهم ذلك، قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى»(*) ذلك لأن الأنبياء جميعهم أدوا الأمانة، وكلا منهم لم ينطق عن الهوى، وقد أخلصوا فى إيمانهم لله وحده، لقد جاءوا لهداية الإنسانية، وإن سعى الناس إلى التفضيل بين الأنبياء لحب زائد لبعضهم فإن ذلك يؤدى إلى ما لا تحمد عقباه ، لذلك حظر الله على المؤمنين أن يفتحوا هذا الباب، على الوجه الآتى بيانه فى أواخر الآيات من سورة البقرة.

(*) البخارى، أحاديث الأنبياء ٣١٦٣. مسلم، الفضائل ٤٣٨١. أحمد، باقى مسند المكثرين ٨٨٨٧ - ٩٦٦٢ - ١٠٥٣٠. راجع القضية ٢٧.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٥٨) أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٦٤) ﴾

تأمل فى موقف. الَّذي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ـ بعد. أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أَوْ كَالَّذِي ـ العُزَيْر. مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ ـ الذى كان معك قبل أن تغفل عن الدنيا. لَمْ يَتَسَنَّهْ ـ لم يتغير. وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ ـ لم يبق منه إلا العظام البالية. وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ ـ الباقية من حمارك (أو عظامه هو نفسه). كَيْفَ نُنشِزُهَا ـ نحييها. ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ـ تحقق ذلك أمام عينيه. قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ـ يعنى اطمئنان القلب بلمس الحقيقة والتعرف على الكيفية وليس اطمئنانه من جهة قدرة الله. قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ ـ فضمهن، أى قربهن إليك لتعرفهن، واجعلهن كالصرّة بعد تقطيعهن إربًا. ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ .. جُزْءًا ـ من هذا الخليط. ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا ـ على المنفق عليه. وَلا أَذًى ـ بتعييره بحاجته إلى معونتهم. لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ.

* قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ـ لطيف. وَمَغْفِرَةٌ ـ بسماح النفس بالعطاء الخالص لوجه الله. خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ـ أى حرصًا منه أن ينال شرفًا فى نظر الناس. وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ ـ حجر أملس. عَلَيْهِ تُرَابٌ ـ أى أن ما يعمله من خير لا يساوى عند الله أكثر من تراب. فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ـ مطر غزير. فَتَرَكَهُ صَلْدًا ـ فعاد أملس كما كان، كأن لم يكن له عمل، لأنه طلب مقابل عمله شرف الدنيا. لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾

* وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ - لثواب اللَّه في ميزان أعمالهم. كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ - مطر غزير فازدادت نضارة. فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ - مطر خفيف يكفى لبقائها واستمرارها نضرة. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ - الضعف والهرم. وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ - لأنه كان يعتقد أن كل ثمر تثمره حديقته هو بكده فقط دون بركة اللَّه وإذنه ورضاه. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ - أدوا زكاة أموالكم وتصدقوا فى أوجه الخير. وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ - من خير كالثمار والزرع والمعادن ، تخرج منه الزكاة المفروضة والصدقات المندوبة - وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ - لا تعمدوا إلى دفع الردىء من أموالكم إلى الفقراء وتحسبون أنه يجزئكم فى حساب الزكاة - تدفعون ذلك إلى الفقراء. وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ - وأنتم لا تقبلونه إذا دفع إليكم (كزرع أو ثمار ضامرة). إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ - ترضونه بعفاف نفس، كأن يعطى إليكم زيادة عن القدر الذى تستحقونه. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ * وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ.

إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ - فى الدنيا بالبركة فى أموالكم، وفى الآخرة بالأجر العظيم المضاعف. وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ - أعطوا الزكاة والصدقات. لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا - صاروا محتاجين. فِي سَبِيلِ اللَّهِ - كالمجاهدين وطلبة العلم. لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا - تجارة أو عملاً للكسب. فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ - بالتفرس فيهم وفى أحوالهم. لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾

* الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ - يوم القيامة. إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ - الجنون. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا - يغالطون فى القول بأن يدّعوا أن البيع الذى يدر ربحًا حلالاً هو كالربا فى القروض، وأن كليهما فى تساوٍ لما فيهما من زيادة على أصل المال - ولكن الحقيقة أن اللَّه أحل البيع لأن الربح فيه مقابل سعى وجهد فى المعاوضات، وحرم الربا - لأنها زيادة فى المال بدون عمل. فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ - فمن علم بذلك التحريم، فلا يؤاخذ على ما تقدم منه فى المعاملات الربوية، وإنما يلتزم تجنب الربا منذ علمه بالتحريم . ومن أصر على الربا بعد علمه بالتحريم. فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا - بمحق البركة من الكسب الربوى. وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ - ويبارك فى الأموال التى تؤدى الصدقات عنها. قال رسول اللَّه ﷺ : «ما نقص مال عبد من صدقة»(*). وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا - أى اعفوا عن المدين المقترض فيما زاد عن أصل الدين. إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ - أى بعداوة. مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (ومن الذى يستطيع تحمل عداوة اللَّه ورسوله!) وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ - أصل القرض. لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ * وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا - بالتساهل مع المعسر أو العفو عنه. خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ.

---

(٢٥) قضية: وأحل الله البيع وحرم الربا [الآية: ٢٧٥].

نهى رسول اللَّه ﷺ عن الحصول على منفعة من وراء القرض، قال : «إذا أقرض أحدكم قرضًا فأهدى له (المقترض) أو حمله على الدابة فلا يركبها ولا يقبله، إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك»(**).

لذلك فإن على كل فرد أن يراقب معاملاته ويعمل بصيرته حتى لا يقع فى الربا، خاصة وأن هناك أمورًا تتعلق بالمعاملات تُعدُّ من المتغيرات السريعة مثل تغير قيمة العملة النقدية بين وقت الاقتراض ووقت الوفاء.

إن الله يأمر بالوفاء بالقروض دون ربا، وفى التطبيق العملى نرى الفقير والغنى يقدم على الاقتراض، فمتطلبات الحياة المعاصرة كثيرة وملحة، وعند السداد بعد عام أو اثنين مثلاً، يحدث أن تكون قيمة العملة التى تم بها القرض قد هبطت كثيرًا أو ارتفعت كثيرًا، وعندئذ يكون القرض جر نفعًا إما للمقرض أو للمقترض.

←

(*) الترمذى ، الزهد ٢٢٤٧.

(**) ابن ماجة، الأحكام ٢٤٢٣.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢) ﴾

* يا أيُّها الَّذين آمنُوا إذَا تَدَايَنتُم بدَيْنٍ إلَىٰ أَجلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتبٌ بالْعَدْلِ ولا يَأْبَ كَاتبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذي عَلَيْه الْحَقُّ ـ يقوم المدين بالإملاء بأمانة. وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ منْهُ شَيْئًا ـ وكذلك الكاتب عليه أن يدون بالضبط ما يملى عليه. فَإن كَانَ الَّذي عَلَيْه الْحَقُّ سَفيهًا أَوْ ضَعيفًا أَوْ لا يَسْتَطيعُ أَن يُملَّ هُوَ فَلْيُمْللْ وَليُّهُ بالْعَدْل وَاسْتَشْهدُوا شَهيدَيْن من رِّجَالكُمْ فَإن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْن فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَان ممَّن تَرْضَوْنَ منَ الشُّهَدَاء أَن تَضلَّ إحْدَاهُمَا فَتُذَكّرَ إحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ ـ وذلك فى الأموال، لأن النساء عادة أقل احتكاكًا بالمعاملات من الرجال ـ وَلا يَأْبَ ـ ولا يمتنع. الشُّهَدَاءُ إذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغيرًا أَوْ كَبيرًا إلَىٰ أَجَله ـ وذلك منعًا لضياع الحقوق. ذَلكُمْ أَقْسَطُ عندَ اللَّه وَأَقْوَمُ للشَّهَادَة وَأَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوا إلاَّ أَن تَكُونَ تجَارَةً حَاضرَةً تُديرُونَهَا بَيْنَكُمْ ـ فتسفر عن المقاصة الفورية بين الالتزامات والحقوق. فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهدُوا إذَا تَبَايَعْتُمْ ـ إلى أجل. وَلا يُضَارَّ كَاتبٌ وَلا شَهيدٌ وَإن تَفْعَلُوا ـ خلاف ما أمر الله به. فَإنَّهُ فُسُوقٌ ـ إثم يحل بكم بسبب عصيانكم وستجازون عليه. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بكُلّ شَيْءٍ عَليمٌ.

➜ لذلك يصح ـ مع مراعاة رحمة الفقير والمعسر ـ قياس مبلغ القرض على عملة ثابتة وقت دفعه إلى المقترض، بحيث يمكن استرداد مبلغ مساوٍ لأصل القرض فى قيمته، فلا يكون القرض جر نفعًا.

والقضية الأخرى التى تشغل بال الفقهاء المعاصرين هى قضية فوائد البنوك (وأرباح شهادات الاستثمار) نظرًا لأنها معاملات مدنية وتجارية يكون البنك فيها هو المقترض أو المودع لديه (والبنك غير فقير ولا يمثل فقراء) وهو يدير الأموال ويربح منها. وللفقهاء المعاصرين فى جواز المعاملات المصرفية القائمة على الفوائد آراء عديدة، منهم من يتوسع فى إباحتها ومنهم من يقيد ومنهم من يرى مطلق حرمتها، فلك أن تراجع هذه الاتجاهات وحجتها، وتتبع ما يمليه عليك ضميرك.

ولكن النصيحة هى : طالما وجدت بنوك إسلامية تستثمر الأموال وتحسب أرباحها وتوزعها على الودائع، وتجتهد فى تحرى الحلال والحرام فى المعاملات محافظة على الشرعية، فتكون الأحقية للتعامل مع هذه البنوك، حتى ولو كانت الأرباح التى تحققها أقل مما يعود على عملاء البنوك العادية التى تعمل دون أية التفاتة إلى مبادئ الإسلام والاجتهاد بشأنها.

إن مؤازرة البنوك الإسلامية يعطيها نموًا وانتشارًا يمكنها من تلبية حاجات المجتمع المسلم.

(٣٦) توضيح : كتابة الديون [الآية: ٢٨٢].

الكتابة والإشهاد مقصود بهما توثيق الديون، وكل طرق التوثيق القوية تعادل الكتابة والإشهاد، كالسجلات الموثقة.

وفائدة التوثيق تبدو فى الديون الآجلة، حتى ولو كانت الثقة موجودة بين أطراف المعاملة، لأن كل طرف لا يعلم أين ومتى سيفارق الحياة، فإن مات أحدهم أو جميعهم قبل تسوية الديون الآجلة، فكيف يستطيع الورثة التعرف على ما كان ➜

﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣) لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾

٩- بيان الآية ٢٨٤:

ظاهر الآية عام فيما يتعلق بإبداء ما فى النفس وكتمانه. وقد لحقت المسلمين شدة عندما سمعوها، فجاءت الآية التى بعدها ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ وشرحتها السنة فى ضوء أن كتمان ما فى النفس لا يحاسب به المؤمن، لأن ذلك فوق الطاقة، ما لم يتعلق بالشهادة أى الشك والريبة فى العقيدة. أما إبداء ما فى النفس بالقول أو الفعل فيحاسب به الناس فى حدود الشرع.

---

* وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ - على سبيل الندب. فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا - دون كتابة ولا رهن. فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ - بأن تمتنعوا عن الإدلاء بها إذا قام نزاع حول المعاملة. وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ - مذنب ذنبًا كبيرًا. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ - من نية على طاعة اللَّه والتزام أحكامه وأوامره بالقول والعمل. أَوْ تُخْفُوهُ - أى تخفون نية العصيان، كل ذلك. يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ - للذين تابوا وندموا وأصلحوا. وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ - الذين أصروا على العصيان. وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّه وَمَلائِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِه لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِه وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ - من أعمال صالحة. وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ - من ذنوب. رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا - بغير عمد. رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا - تكليفًا شاقًا تكفيرًا عمَّا كان منا من ذنوب قبل الإسلام لك. كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِه وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

← لمورثهم من حقوق وما عليه من واجبات. وعادة ما تقوم الريبة والظنون فيمن يتقدم طالبًا استيفاء ما كان له عند المتوفى من حقوق دون أن تكون لديه أدلة إثبات.

إن الكتابة والإشهاد أو الرهان المقبوضة من الأمور المطلوبة ولكن الفقهاء الذين تنعقد على اجتهاداتهم الفتيا بينوا أنها ليست على سبيل الفرض لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ [الآية: ٢٨٣].

(٢٧) قضية: وجوب الإيمان بجميع الرسل دون تفرقة أو تمييز [الآية: ٢٨٥].

ليس للناس أن يفرقوا بين الرسل فيقولوا هذا الرسول أفضل وأعلى درجة من ذاك، فكلهم رسل وأنبياء جاؤوا لهداية الناس، وليس للناس النظر إلا للغرض من البعثة، فجميع الرسل قد أدوا الأمانة، وهم فى ذلك يجب أن يكونوا سواءً فى أعين الناس.

←

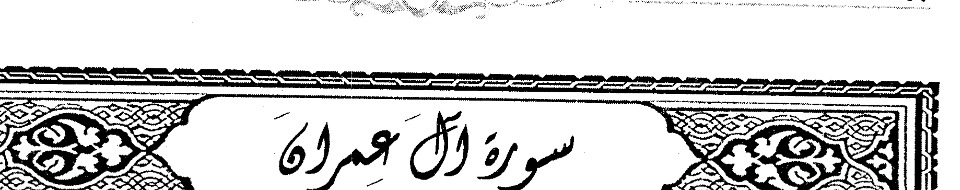
➡ والحكمة من إلزام المؤمنين بالتسوية بين الرسل تكمن فى عدم الزج بهم إلى مصائد الشيطان الذى قد يغوى بعض الناس بسبب الإفراط فى حب رسولهم، فيدفعهم إلى ما لا ينبغى أن يكون، كأن ينسبوا له طبيعة غير طبيعة البشر، كما فعل الناس بعيسى وأمه مريم، عليهما الصلاة والسلام، حين نسبوا إليهما الطبيعة الإلهية، وفى ذلك خروج على وجوب إخلاص العقيدة للّه والإيمان به وحده وبألوهيته المطلقة التى لا يشاركه فيها أحد. ذلك وقد تشعب الكافرون والمشركون شيعًا وأحزابًا، إلى أن بعث الله محمدًا الأمين بالرسالة الخاتمة ليبيّن للناس ما توارثوه من الباطل ويميز لهم الحق، وترك لهم كتاب اللّه القرآن نورًا هاديًا إلى يوم يبعثون، فمن كفر من بعد علمه بهذا الدين وأحكامه فقد ضل ضلالاً بعيدًا. هذا عن العقيدة، أما النوايا المتعلقة بالأفعال، فإن اللّه لا يحاسب عليها، فمن نوى فعل شر أو معصية، ولم يفعلها لعائق حال بينه وبين ذلك فلا وزر عليه، ومن نوى فعل خير وأقدم عليه آخذًا بالأسباب الجادة، فحال بينه وبين تحقيقه حائل، فإن اللّه يكتب له ثوابًا على ذلك. ومن نوى الخير وحققه بالفعل، فإن اللّه يضاعف له الأجر. ويجب التحذير فى هذا المقام من بعض المفاهيم التى يمكن أن تلتبس على المؤمن، فمفهوم الضرورات تبيح المحظورات يعتمد على وجود ضرورة ملجئة . أما مفهوم الغاية تبرر الوسيلة فهو مفهوم واسع يخلط بين ما هو ضرورى وما هو غير ضرورى وبين ما هو كريم وما هو مشين، ويفتح الأبواب أمام الانتهازيين وهذا ما لا يقره دين اللّه.

(٢٨) قضية: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا . . .﴾ [الآية:٢٨٦].

لا يحاسب الله الناس إلا على قدر طاقتهم، فالإثم يرتفع فى حالة الضرورة الملجئة، كمن يأكل المَيْتَة للبقاء على قيد الحياة حتى يجد طعامًا يغنيه عنها. والضرورات تبيح المحظورات، وهى تقدر بقدرها أى يأخذ الإنسان من المحظور القدر الذى يدفع عنه حالة الضرورة. ذلك أن حالة الضرورة تحمل إكراهًا، والمكره غير محاسب شرعًا على إثم ما أكره عليه، كما فى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وبيان الآية يقتصر على التكاليف الشرعية، أما فيما يتعلق بالابتلاء فالله يبتلى الناس كما يشاء، فقد كتب عليهم الموت بحالاته المختلفة، كالموت المفاجئ والبطيء وما يصحبه من ألم وما لا يصحبه، وما يحدث تلقاء الحال وما يحصل نتيجة حادث أو يحصل عن عذاب...وسائر البلايا تكون أقل قدرًا من محنة الموت، والنفس أولاً وأخيرًا مُسَلِّمَةٌ لقضاء الله وقدره.

وكل من كتب عليه الجهاد هو مكلف به شرعًا، فلا ينبغى الانسحاب من صفوف الجند، لأن الحرب بطبيعتها تحمل الخوف والفزع، ويقدم الجندى روحه فداء ودفاعًا عن قضيته، فإذا قتل فهو شهيد، ولا يقال إنه قد حُمِّلَ فوق طاقته. وهذه أمور مفهومة ومستقرة لدى جميع المجتمعات الإنسانية، فالخوف ليس مبررًا للهرب من صفوف الجند، ولا هو من قبيل الضرورات التى تبيح المحظورات.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝ ﴾

الٓمٓ * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ـ فيه الحجة والبرهان. وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ـ وهو القرآن الذى يفرق بين الحق الذى هو من عند الله والباطل الذى شاب الكتب السابقة بالتحريف والتصحيف والإخفاء. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ـ بعد علمهم بها. لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ـ من ذكور وإناث وخناث وسليم ومعوق وحسن وقبيح. لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ـ واضحة المعنى. هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ـ لهن الصدارة فى القرآن. وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ـ نوايا مبيتة للحيدة عن الحق. فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ ـ تأويله وتفسيره بما يثير الشكوك فى الدين وفتنة الناس وراء التأويلات، وما ينجم عن ذلك من خلافات عقدية. وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ـ وحده. وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ـ وجب علينا الإيمان بكل ما جاء فى القرآن ما دمنا نصدق ما فيه من آيات واضحات وحكم بينات، ولا يضرنا أن نجهل تأويل بعض الآيات. وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ـ ذوو العقل والحكمة الذين يدعون ربهم. رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ.

---

(٢٩) قضية: هل يضل الله أحداً من المهتدين بعد إيمانه؟ ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا . . .﴾ [الآية: ٨].

إن الذى يهتدى إلى الحق لا يُضلُّهُ اللَّه، ولكن بما أن الإنسان دائمًا فى محنة فهو يعلم أن الأيام قد تبدله من حال إلى حال، ويعلم أن الظروف قد تدفعه إلى بعض الذنوب، وإن توالى المحن وكثرة الذنوب تثير غضب الله، وعندئذ يتركه الله لهواه، بعد أن كان من قبل بجانبه يحرك فيه الضمير والحس بالخير والشر. إن الله لا يدفع أحدًا دفعًا إلى الضلال، فالله يفعل ما يريد وإرادته غالبة على كل شىء، وهو لا يريد الضلال لأحد، وإنما الضال هو الذى يخرج بنفسه من دائرة الإيمان بسبب استمراره فى العصيان. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥] وذلك يعنى أن الله لا يترك الضلال يقع فى قلوب من اهتدوا حتى يبين لهم ما يتقون، أى حتى يشرع ⬅

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۝ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝ ﴾

* رَبَّنَا إِنَّكَ جامعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فيه - يوم الحساب. إنَّ اللَّهَ لا يُخلفُ الْميعَادَ * إنَّ الَّذين كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّه شَيْئًا وَأُوْلَئكَ هُمْ وَقُودُ النَّار * كَدَأْب آل فرْعَوْنَ وَالَّذين من قَبْلهمْ كَذَّبُوا بآيَاتنا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بذُنُوبهمْ - فى الدنيا والآخرة. وَاللَّهُ شَديدُ الْعقَاب * قُل لِّلَّذينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ - فى الدنيا. وَتُحْشَرُونَ إلَىٰ جَهَنَّمَ وَبئْسَ الْمهَادُ.

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا - فى موقعة بدر. فئَةٌ تُقَاتلُ في سَبيل اللَّه وَأُخْرَىٰ كَافرَةٌ يَرَوْنَهُم - أى يرى المؤمنون الكافرين. مِّثْلَيْهِمْ - فى العدد والعتاد. رَأْيَ الْعَيْنِ - على الأقل عند من لا يدقق النظر والتقدير، وإن كانوا فى الواقع أكثر من ذلك. وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بنَصْره مَن يَشَاءُ إنَّ في ذَلكَ لَعبْرَةً لأُولي الأَبْصَار * زُيِّنَ للنَّاس حُبُّ الشَّهَوَات منَ النِّسَاء وَالْبَنينَ وَالْقَنَاطير الْمُقَنطَرَة منَ الذَّهَب وَالْفضَّة - الأموال بمختلف صورها -. وَالْخَيْل الْمُسَوَّمَة وَالأَنْعَام - (ومواكب الرفاهة والرخاء). وَالْحَرْث - امتلاك الأراضى والعقارات. ذَلكَ مَتَاعُ الْحَيَاة الدُّنْيَا وَاللَّهُ عندَهُ حُسْنُ الْمَآب * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بخَيْرٍ مِّن ذَلكُمْ للَّذينَ اتَّقَوْا عندَ رَبِّهمْ جَنَّاتٌ تَجْري من تَحْتهَا الأَنْهَارُ خَالدينَ فيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرضْوَانٌ مِّنَ اللَّه وَاللَّهُ بَصيرٌ بالْعبَاد * الَّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إنَّنَا آمَنَّا فَاغْفرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقنَا عَذَابَ النَّار * الصَّابرينَ وَالصَّادقينَ وَالْقَانتينَ - المداومين على طاعة الله. وَالْمُنفقينَ وَالْمُسْتَغْفرينَ بالأَسْحَار.

➜ لهم المنهاج القويم الذى يتبعونه فى حياتهم، فيلزمهم بالواجبات وينهاهم عن المحرمات ويرغبهم فى المندوبات وينفرهم من المكروهات، فى العبادات والمعاملات. فإن لم يتبعوا شريعة الله فعندئذ يستحقون الإضلال بما عملت أيديهم.

لذلك على المؤمن أن يكثر من الاستغفار، تحرزاً من عواقب الأمور، ويدعو ربه: ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ أى حتى إذا وقع منا الذنب فلا تتخلى عنا فتترك قلوبنا عرضة للزيغ عن طريقك، بل سهل لنا العودة إلى الطريق القويم وهون علينا المحن ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾.

وعلى ذلك يجب أن نفهم أن الله لا يأمر بخروج الإيمان من قلب أحد من الذين اهتدوا، وإنما كل مهتد إلى الإيمان لابد وأن يتذكر دائمًا أن حياته فى امتحان، فلا يغتر بإيمانه لأن الغرور يضعف النفس، ويجعلها عرضة للفشل فى الابتلاءات التى تواجهها، وتكرار الفشل واستمراره هو الذى يجعل الفاشل يلفظ من قلبه الإيمان ويترك نفسه لترهات الكفر ومسالك العصيان. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢] والفتنة هى اختبار يضع الفرد أمام خيار بين الخير والشر وبين الحق والباطل، وإرادته هى الفيصل. فينبغى على المؤمن أن لا يغتر على أى حال كان، ولا يحسب أنه أقوى من الأحداث والظروف، فعليه أن يتعظ ويعمل دائمًا على أن يكون الله إلى جانبه، وذلك لايكون إلا بالاستمرار فى طاعة الله.

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

* شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ - قائمًا على العدل. لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ - وهو التوحيد بالله والإيمان بجميع رسله ورسالاته والركون إلى القرآن الذى جاء بالحق ودحض ما لحق الرسالات السابقة من تحريفات وأباطيل. وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ - بدين الإسلام الحنيف الخاتم، وما كان اختلافهم إلا. بغيًا - ظلمًا. بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

فَإِنْ حَاجُّوكَ - إن جادلوك منتصرين للباطل. فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا - بالشقاء وقلق النفس. وَالآخِرَةِ - بعذاب جهنم. وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ - من الرسائل السابقة. يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ - القرآن. لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ - بالحق. ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ - تدخل. اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ - تبعث الحياة من العدم. وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

---

(٣٠) قضية: ﴿ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ [الآية: ٢٧].

تخرج الحى من الميت : هذه مسألة تختلف عن معنى يحيى ويميت، ذلك لأن الحياة تعتمد على الموت فالإنسان - أو الحيوان - حين يأكل من الثمار والنبات واللحوم لا تدخل جوفه هذه الأغذية إلا ميتة، ثم تبدأ عملية التمثيل الغذائى فى الجسم، فينتج عنها تجديد الدم والخلايا، فالحياة تعتمد على مأكول ميت لا روح فيه، وهو الطعام، وبغير ذلك لا تكون الحياة فهى تخرج من الموت. ومن ذلك يتبيّن أن الموت الذى نراه فى جميع الكائنات التى ندركها بمعرفتنا ما هو إلا تحول من حال إلى حال. فالإنسان أو الحيوان أو النبات حين يموت، نجد حياة تخرج من جيفته فى صورة ميكروبات وديدان وحشرات.

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾

لا يَتَّخذ ـ أى محظور ومحرّم أن يتخذ. الْمُؤْمِنُونَ ـ أو فريق منهم. الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ـ حلفاء. من دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ـ إذا كانت مواجهة بين مؤمنين وكافرين ومن باب أولى إذا كانت فتن بين فرق من المؤمنين فليس لفريق منهم أن يستنصر بالكافرين. وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ ـ من نوايا وأسرار. أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا ـ فاصلاً. بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ * قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ * إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ـ خالصًا لك بأن أهبه لخدمة دينك. فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ بقدر هذه الأنثى التى وضعتها. وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ ـ فى تقدير الناس. وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

← والواقع يؤكد أن ذلك التحول متصل ومستمر مثل تداخل الليل والنهار ودوران الأرض والشمس. ومن ذلك يتبيّن أن الآية لا يتم معناها إلا بشقها الثانى: وتخرج الميت من الحى، وبذلك يستمر التبادل بين الحياة والموت كما أراده الله سبحانه وتعالى أن يتم فى دائرة متصلة، فدوام البقاء على حال واحد ليس لأحد غير الله الحى الباقى الأزلى الذى لا يتغيّر ولا يتبدّل، وهو الذى يحكم بخلود مخلوقاته فى الملأ الأعلى، المؤمنون فى الجنة والكافرون فى النار بعد الحساب...

إن التغيير والتبديل يخضع له جميع المخلوقات فى الحياة الدنيا، ولنا أن نتأمل فى البذور والنوى الذى يخرج منه النبات والشجر، وكذلك يرقة الحرير التى تنسج حولها خيوطًا لتغلق على نفسها فتجف ثم تتحول إلى فراشة، وتأمل كذلك اللؤلؤ فى أصداف البحر، والألماس جماد يتكون فى أطوار متدرجة من النمو، والنجوم والشموس يبدأ نموها من غاز ثم تتطور فتكبر ثم تعود فتنكمش بعد اكتمال نموها ..إلى غير ذلك من ملايين المشاهد العجيبة لتحول المخلوقات.

(٣١) **قضية:** ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الآية: ٢٨].

هذه القضية تفرض مواجهة بين أمة مؤمنة وأخرى غير مؤمنة ـ كما توضح ذلك الآية ١٣ ـ فيكون الإسلام دينًا أو المسلمون جماعة عنصرًا هامًا فى الصراع، ولو تداخلت معه عناصر أخرى. فالشرط الأساس فى تطبيق هذا المبدإ هو ألا يكون الإسلام والمسلمون عنصرًا مهملاً فى القضية، بل يكونون طرفًا أو داخلين فى أحد أطراف الصراع.

←

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

فتقبل دعوتها رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ـ أحاطها بكل الظروف التى من شأنها أن تجعلها أصفى نساء العالمين. وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ـ عليه السلام ليرعى شؤون حياتها. كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ـ ثماراً فى غير موسمها. قَالَ ـ متعجبًا. يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ ـ عند هذه الآية بدا لزكريا أن يدعو اللّه طالبًا الذرية، وإن كان قد بلغ الكبر هو وزوجته، وفات أوان الإنجاب، إضافة إلى أنه متأكد من أن امرأته عاقر. دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا ـ إماماً. وَحَصُوراً ـ تقيًا. وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ

➜ وحيث يتوافر شرط تعلق الأمر بالإسلام أو بالمسلمين فى نزاع أو مواجهة، فإن أخطر ما يكون هو الركون إلى قوة من الأمم المعادية للإسلام لنصرة فريق من المسلمين، لأن ذلك من المحظورات وهى لا تأتى إلا بالعواقب الوخيمة.

ولا يقال إن غير المسلم يستبعد مطلقًا عن المشاركة فى الدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين، فالذمى مواطن فى أرض الإسلام ، وإن كانت الشريعة الإسلامية تعفيه من واجب المشاركة مع المسلمين فى الدفاع عن الوطن، حيث كانت الحروب ذات طابع دينى، فذلك حرصا على ألا يجبر على التضحية بحياته فى سبيل نصرة دين هو غير مؤمن به، وله أن يتنازل برضاه عن هذا الإعفاء، فيشارك المسلمين القتال دفاعًا عن ماله وأرضه ووطنه، وقد نقل لنا التاريخ مواقف بطولية لذميين شاركوا المسلمين نضالهم.

وقد يكون المسلمون قلة فى مجتمع غير مسلم، فتناصرهم بعض الفئات من هذا المجتمع، فلا بأس فى ذلك، ونرى أن الدول الغربية التى تطبق الديمقراطية تعطى الأقلية الإسلامية حريتها فى إقامة الشعائر وفى التزام مبادئ الإسلام فى الأحوال الشخصية، وفى تعليم أبنائها مبادئ الدين وآداب الشريعة..إلخ، فذلك من قبيل المؤازرة والمناصرة التى تقتضيها مبادئ التعايش السلمى فى المجتمعات التى تتعدد فيها الأعراق والملل.

وإذا كانت المواجهة بين دولتين إسلاميتين، فإن الوضع يكون أكثر تعقيدًا، حيث إن هذه الحرب لا تكون فى واقع الأمر بسبب الدين، وإنما من قبيل الفتن السياسية، والإسلام يوجب على المسلمين عدم التورط فى الفتن، ويوجب حل هذا النزاع بالسعى بالصلح والتحكيم، وإن لم يحدث هذا بصورة فعالة، فالضرورة الملجئة تبيح كل محظور فى سبيل طلب النجدة، واستعمال حقوق الدفاع الشرعى بأى طريق يراه المعتدى عليه.

التقية: ﴿ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ [الآية: ٢٨]:

إن التسامح والعفو عن المقهور الذى يمكر ويخدع تحت ضغط الإكراه هو مبدأ تعرفه جميع الأمم ، ومن التجنى أن يحاول المغرضون إثارة شبهة أن الإسلام دين يسمح بالخداع اعتمادا على أن القرآن أقرّ التقية. والحق فى ذلك أن الأمر يتعلق بقضية الضرورات تبيح المحظورات، وهذا أمر يجرى فى مختلف المجتمعات. وكافة الدول تركن إلى الخداع فى الحروب وفى السباق التنافسى فيما بينها، وكذلك يضطر العديد من الشرفاء إلى إخفاء حقائق معينة تحت وطأة الإكراه والظلم.وليس من اللائق الطعن فى ذلك لأن تلك الخاصية تكاد تكون طبيعة إنسانية. ولكن يجب تحذير الناس بألا يلجأوا إلى ذلك إلا أمام خطر حقيقى يتهددهم حتى لا تعتبر تصرفاتهم من أعمال المنافقين الساعية إلى تحقيق مكاسب رخيصة لا تدخل فى مجال الظروف والأحوال الضرورية .

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

* قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ـ يطمئن بها قلبي. قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ * وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ـ اخشعى. وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ * ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ـ وما كنت تعلم به من قبل، وما كنت يا محمد معهم وقت أن تنازعوا فألقوا الأقلام للاقتراع على من يكفل مريم. وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا ـ بالنبوة والإمامة فى الدنيا وعلو المنزلة فى الآخرة. وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ـ تمثالاً. فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً ـ حيًا. بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ ـ الأعمى منذ ولادته. وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا ـ بما أنزل علىّ من كتاب من الله وهو الإنجيل. لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ـ فى التوراة كفارة عن ذنوبكم، وتخفيفًا من الله على من آمن. وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ

(٣٢) بيان: جواز دعاء الله بطلب بشارة لاطمئنان القلب ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً . . . ﴾ [الآية ٤١].

إن اللّه رؤوف حليم بعباده، وليس معنى أن الرسول أو النبى حين يطلب آية من ربّه ليطمئن بها قلبه أنه يشك فى قدرة اللّه، وإنما طلب البشارة ليهدأ القلق فى انتظار وقوع الحدث، فكما أن الشخص يكون واثقًا من محبة قريب له ولا يشك لحظة فى هذه المحبة، إلا إنه يكون فى حاجة إلى كلمة طيبة يسمعها بين الحين والحين يفرح بها قلبه.

وفى هذا الإطار سأل إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، ربّه: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾

* فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ ـ وميولهم إلى الغدر به. قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ـ وهم اثنا عشر من تلاميذه ومعهم أتباعهم. نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَكَرُوا ـ أى أعداؤه، أرسلوا فى قتله غيلة. وَمَكَرَ اللَّهُ ـ ألقى شبه عيسى على من أُرْسِلَ لقتله فقتلوه وصلبوه. وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ـ فى الدنيا والآخرة. وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ

---

(٣٣) **قضية:** ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ **[الآية: ٥٥].**

أى الذين اتبعوا دينك، وهو دين الوحدانية، ويقتضيهم ذلك أن يؤمنوا بالرسالات من قبلك ومن بعدك (هذا معنى اتباع أى رسول من رسل اللّه تعالى) ويصدق ذلك بعد رسالة الإسلام على رسول اللّه محمد وأمته، فهم متبعون دين اللّه وهو الإسلام الذى هو جوهر جميع الرسالات السماوية السابقة، فالمسلم يؤمن بمحمد وعيسى وموسى وإبراهيم، وغيرهم من الرسل والنبيين. هذا إضافة إلى أن المسلمين من أمة محمد سينزل فيهم عيسى بن مريم، عليه الصلاة والسلام، حين يبعثه الله مرة أخرى إلى الأرض يهدى الناس بالقرآن ليخرجهم من ظلمات فتنة المسيح الدجال، فيكون المؤمنون يومئذ هم أمة محمد خاتم الرسل وأتباع عيسى بن مريم فى آن واحد. ذلك ما فهمناه من الآية، واللّه أعلم.

إن اللّه عدَّ الذين قالوا إن عيسى ابن اللّه من جملة الكافرين، فهم ليسوا من أتباع عيسى، ولو سُمُّوا عرفًا نصارى. ويتضح من سياق الآية أن المقصود بأتباع عيسى هم أنصاره من المؤمنين وقت محنته وذريتهم المؤمنة، وليس هم النصارى الذين أشركوا عيسى بالله فاعتبروه ابنًا له ورفضوا الإيمان بالرسول الخاتم محمد، صلى الله عليه وسلم، حامل رسالة الإسلام. وهذا ما يبينه اللّه تبارك وتعالى فى الآيات من ٦٤ إلى ٦٨ من سورة آل عمران، وفى الأخيرة يقول: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

(٣٤) **بيان:** ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ **[الآية ٥٦].**

عذاب الكافرين:

١ ـ الكافرون الذين عاصروا الرسل وكفروا بهم وحاربوهم: يشقيهم الله فى الدنيا، ويعذبون فى القبر، وفى الآخرة يخلدون فى جهنم وبئس المصير.

٢ ـ الكافرون الذين لم يعاصروا الرسل : يشقون شقاء الدنيا، وقد يستمتعون بها على سبيل الفتنة، ومتاع الدنيا قليل، ثم يعذبون بعد الموت فى قبورهم، وفى الآخرة يخلدون فى عذاب جهنم وبئس المصير.

←

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

* إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عندَ اللَّه كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ من تُرَاب ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ـ قال له كن فكان، ثم أودعه في رحم أمه الطاهـرة لتلده ولا أب له. الْحَقُّ من رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ـ المرتابيـن. فَمَنْ حَاجَّكَ ـ جادلك في صدق ما جاءك من العلم بطريق الوحي. فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّه عَلَى الْكَاذِبِينَ ـ عندئذ يخاف المجادل لأنه يجادل عن ظن واه، وهو عالم بذلك، وعالم أنك رسول اللَّه لا تنطق عن الهوى. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا منْ إِلَه إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْا ـ أعرضوا. فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَاب تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ به شَيْئًا وَلا يَتَّخذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُون اللَّه فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ـ بأنا اتبعنا دين محمد وأنتم أنكرتموه، وتلك الشهادة تلزمكم يوم القيامة. يَا أَهْلَ الْكِتَاب لِمَ تُحَاجُّونَ ـ تجادلون. فِي إِبْرَاهِيمَ ـ بأن تقولوا كان يهوديًا أو كان نصرانيًا. وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ ـ اللذان بناء عليهما سميتم أنفسكم يهودًا ونصارى. إِلاَّ مِنْ بَعْدِه أَفَلا تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ ـ جادلتم. فِيمَا لَكُم بِه عِلْمٌ ـ أي فيما وصلكم من علم في التوراة والإنجيل. فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِه عِلْمٌ ـ من أمر إبراهيم وصفاته، وهو سابق عليكم ولم تعاصروه. وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ. مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ـ أي اتبعوا ملته أي دين التوحيد، وجوهره واحد منذ القدم، وإن تعدد الرسل. والمقصود بالذين اتبعوه هم من آمنوا به في عصره، والرسل ومن آمن معهم من بعده. وَهَذَا النَّبِيُّ ـ محمد. وَالَّذِينَ آمَنُوا ـ معه والذين آمنوا به من بعده. وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ * وَدَّت طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَاب لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ـ لأن الذي يصد عن سبيل اللَّه ولا يتأمل في آياته، هو ضال وواقع في مصائد الشيطان، فهو يضل نفسه قبل أن يضل غيره.

← ٣ ـ غير المسلمين الذين توارثوا عقائد محرفة، ولم تصلهم الدعوة إلى الإيمان الصحيح، أو وصلهم العلم مغلوطًا ومشوشًا. أولئك حسابهم عند الله، والله بصير بالعباد(*).

وجميع هؤلاء أيًا ما كانت أحوالهم في الدنيا، يشقون فيها شقاء نفسيًا مستمرًا، ذلك لأن اطمئنان القلب وراحة الضمير وسلامة النفس لا يجدها الإنسان إلا مع الإيمان الصحيح.

(*) راجع القضايا: ٢ ـ ٥ ـ ١٥.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾ ﴾

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ - ترون الحجج والبراهين. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ - تخفون من التوراة والإنجيل الآيات الدالة على بعثة محمد خاتم الأنبياء والمرسلين. وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ - يبغون تقسيم وقتهم بين الحق والباطل آملين فى غلبة الباطل مع مضى الزمن. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلا تُؤْمِنُوا - تطمئنوا. إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ - ردًا على قولهم لن. يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ - من العلم فإن أظهرتموه كاملاً، وفى التوراة من آيات صريحة فى نبوة محمد، فإن من آمن به يحاجونكم بها عند ربكم، فانصروا أنفسكم واكتموا هذه الآيات واحذفوها من كتبكم. قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ - المتمثلة فى اصطفاء. مَن يَشَاءُ - رسولا. وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ - لأمانته. وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا - لتعنته. ذَٰلِكَ - ردًا على الذين. قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ - وأن الله لا يؤاخذهم على ظلم من خالفهم فى الدين. وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ - أنه افتراء، وما من شريعة نزلت من الله إلى الناس تقر ذلك الادعاء الباطل. بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ.

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا - فى الدنيا، مهما بلغ. قَلِيلاً - بالنظر إلى الخسرانُ المبينُ فى الآخرة. أُوْلَٰئِكَ لا خَلاقَ - لا نعيم. لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ - لا يطهرهم من ذنوبهم بالمغفرة والرحمة. وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

٣٥ قضية: ادعاء الكذب على الله [الآية ٧٥].

ضرب الله مثلاً من أهل الكتاب أنهم كأى مجتمع، منهم الأمين فى معاملاته، يؤدى الأمانة أيا كان قدرها دون أن يطمع فى شىء منها، ومنهم من يطمع فيما استؤمن عليه حتى ولو كان ضئيلا، مثل دينار كان أحدهم مدينًا به لمؤمن، ورفض أداءه قائلاً: ليس علينا فى الأميين - أى العرب الذين هم على غير ديننا - سبيل، أى لا ذنب يحاسبنا الله عليه إذا ما أهدرنا حقوقهم. وهذا كذب على الله الذى لا يسمح بغبن يقع بين الناس فى معاملاتهم ولو كانوا مختلفى الملة والعقيدة.

قال رسول الله ﷺ: «ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلَّفَهُ فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه (خصيمه) يوم القيامة»(*) هذا مبدأ الإسلام فى تحقيق سلامة التعايش فى أمن واطمئنان.

(*) أبو داود، الخراج والإمارة والفيء ٢٦٥٤.

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (٨٠) وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٨٥) كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٦) أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٨٩) ﴾

* وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم - يحرفون الكلام عند تلاوة آيات التوراة لتحسبوا كذبهم صدقًا. لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ - عهد. النَّبِيِّينَ - بحق ما آتيتكم من كتاب وفضلتكم بالنبوة. ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ - محمد، خاتم المرسلين، يوم القيامة ومعه الأمم الذين أرسل إليهم، والذين علموا بدينه من بعده، منهم من اتبعه ومنهم من أنكره فى الدنيا. مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ - من العلم بشريعة اللَّه. لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ - بشهادتكم بالكفر على من خالف دينه وأنكره، حتى ولو كان ممن ينسب نفسه إلى أمتكم، وحتى ولو كان من نسلكم. قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي - عهدى. قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ - اللَّه. فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ - الواحد، الذى أرسلت به جميع الرسل. يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا - عدا الإنس والجن فلا يقبل اللَّه منهما إلا الإسلام طواعية واختيارًا، بالرغم من أنهما شأن بقية المخلوقات فى قيد الخضوع لظروف الحياة كما خلقها اللَّه، وهذا جانب من التسليم القهرى. وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ.

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ - قال رسول الله ﷺ : «لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس بن متى»(*). وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ - مُسَلِّمُونَ أمرنا للَّه طواعية منا. وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ * كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا - رأوا وعلموا. أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا - طواعية. مِنْ بَعْدِ - كفرهم فندموا. وَأَصْلَحُوا - فى الحياة الدنيا. فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(*) البخارى ، أحاديث الأنبياء ٣١٦٠ . أحمد ، مسند المكثرين من الصحابة ٣٥٢٠ - ٣٩٨٠ - ٤٠٠٧ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ - يوم القيامة. وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ - من أموال وخيرات. وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ.

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ - يعقوب. عَلَىٰ نَفْسِهِ - مما كان يكره من أطعمة. مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ - فحرم الله بعض الطعام تكريمًا لنبيه يعقوب، عليه الصلاة والسلام. قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ - الأصلية - فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ - إن كان لكم حق فى إنكاركم لهذا الدين الذى نزل على محمد.. فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.

٣٦ قضية: المحرمات من الطعام والشراب [الآية: ٩٣].

من المحرمات ما قد حرمه الله للضرر والمفسدة، كالميتة والدم، وليس معنى هذا أن جميع المحرمات قد حرمت للضرر، وإنما قد يكون سبب التحريم امتحان الإنسان ووضعه فى موضع من مواضع التكليف، كتحريم الشجرة على آدم، شجرة واحدة حرمت عليه من بين أشجار جنة الله العريضة، فقد وقع التحريم على محل واحد من بين ما لا حصر له من المباحات. ومعنى هذا أن الله حين يحرم شيئًا يترك للإنسان العديد مما يضاهى الصنف المحرم مباحًا، فهو قد حرم لحم الخنزير وأباح اللحوم الأخرى من بقر وضأن وغيرها، ولا يشك أحد فى أن هذه اللحوم المباحة أطيب من لحم الخنزير، حتى إن أهل الغرب من النصارى - فى عصرنا - ليس من عاداتهم أن يكرموا الضيف على لحم خنزير فقط، وإنما يعمل الكريم دائمًا على أن يكون لحم الخنزير ثانويًا على المائدة، لدنو مرتبته بين لحوم البقر والضأن.

والآية ٩٣ تبيّن لنا أمرًا هامًا، وهو أن التحريم قد تكون له علة أخرى، وهى تكريم نبى بجعل ما كان يتجنبه من طعام محلا للتحريم. ولكن جميع أنواع التحريم تجرنا فى النهاية إلى فتنة واحدة هى وجوب احترام الحظر فى ذاته، والتنبه إلى أن الشيطان يُزيّنُ المحظور فى نفوس الناس بوسوسته، كما فعل مع آدم، فيصير المحظور مرغوبًا، بينما قيمته فى الواقع ضئيلة إذا ما قورن بما هو حلال من الرزق الطيب. ومن هنا أُخرِجَ آدم من الجنة العريضة فى مقابل تناوله من شجرة واحدة ممنوعة.

من كل ذلك نخلص إلى أمر هام، وهو أن المؤمن لابد وأن يطيع الله برضا نفس فينتهج شريعته دون أن يشغل باله فى السؤال عن علة الأوامر والنواهى، لأنه لن يستطيع أن يحصر جميع علل التحريم. وعليه ألا ينسى علة مشتركة بين كل المحرمات ألا وهى الامتحان.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

* قُلْ يا أَهلَ الْكتَاب لمَ تَكْفُرُونَ بآيات اللَّه وَاللَّهُ شهيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يا أَهْلَ الْكتَاب لمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّه مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عوجًا وأَنتُمْ شُهَدَاءُ ـ تعلمون بصدق رسالة الله الخاتمة. وَمَا اللَّهُ بغافلٍ عمَّا تَعْمَلُونَ * يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إن تُطيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكتَاب يَرُدُّوكُم بَعْدَ إيمَانكُمْ كَافرِينَ * وكَيْفَ تَكْفُرُونَ وأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّه ـ فى هذا القرآن المحفوظ من كل تحريف. وَفيكُمْ رَسُولُهُ ـ يبين لكم الحق. وَمَن يَعْتَصم باللَّه فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صراط مُّسْتَقيم * يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاته ـ واثبتوا على إيمانكم حتى يتوفاكم الموت. وَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنتُم مُّسْلمُونَ ـ موحدون باللَّه، مؤمنون بجميع رسله ورسالاته. . وَاعْتَصمُوا بحَبْل اللَّه جَميعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نعْمَتَ اللَّه عَلَيْكُمْ إذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً ـ قبل الإسلام حين كنتم قبائل متحاربة. فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبكُمْ فَأَصْبَحْتُم بنعْمَته إخْوَانًا وكُنتُم عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّار فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاته لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْر وَيَأْمُرُونَ بالمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَن الْمُنكَر ـ واجب كفائى. وَأُوْلَئكَ هُمُ الْمُفْلحُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذينَ تَفَرَّقُوا ـ عن التوحيد والإيمان بجميع الرسل والرسالات. وَاخْتَلَفُوا ـ فيما بينهم شيعًا، منهم من أشرك باللَّه بادعاء إله آخر، أو اتخاذ وسيط من إنسان أو حيوان أو صنم، ومنهم من أنكر وجود اللَّه مطلقًا، وكل فرقة تفلسف موقفها المعوج بالعديد من الحجج. مِنْ بَعْد مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظيمٌ * يَوْمَ ـ الحساب. تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ـ المؤمنين. وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ـ الكافرين. فَأَمَّا الَّذينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ـ نسألهم: أتحملتم بمسؤولية الكفر باللَّه وحسبتم أنكم خالصون من العذاب. أَكَفَرْتُم بَعْدَ إيمَانكُمْ ـ كفرتم بعد ثبوت الحق أمام أعينكم إرضاء للغرور وإيثارًا للمصالح الآنية. فَذُوقُوا الْعَذَابَ بمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفي رَحْمَة اللَّه هُمْ فيهَا خَالدُونَ * تلْكَ آيَاتُ اللَّه نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمينَ * وَللَّه مَا في السَّمَوَات وَمَا في الأَرْض وَإِلَى اللَّه تُرْجَعُ الأُمُورُ * كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاس تَأْمُرُونَ بالْمَعْرُوف وَتَنْهَوْنَ عَن الْمُنكَر وَتُؤْمنُونَ باللَّه وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكتَاب لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمنُونَ ـ الذين أعلنوا إسلامهم وظلوا مقيمين فى مجتمعهم، أو أسروا إيمانهم تقية وخوفًا من قومهم وعملوا بتعاليم الإسلام. وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسقُونَ.

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى ـ يسيرًا بالمكر والحيلة والخديعة. وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ * ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا ـ أينما كانوا مع إصرارهم على محاربة الإسلام والمسلمين، لا يخرجون من ذلتهم. إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ـ وحين يَكُفُّون عن محاربة الإسلام وقتال المسلمين، يأذن اللَّه فى رفع الذل عنهم فى الدنيا (حبل من اللَّه) وإذا أخذوا بأسباب الحياة في سلام مع أمة الإسلام، فإن ذلك يزيد فى عزتهم الدنيوية (حبل من الناس). وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ـ بكفرهم. وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ـ أى الذل المطلق يوم القيامة. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ـ مثل عبد اللَّه بن سلام ومن تبعه، رضى الله عنهم، كانوا يتلون القرآن، وقال فيهم اليهود ما تبع دين محمد إلا شرارنا، وقد كان عبد اللَّه بن سلام أكبر أحبارهم وأعلمهم وكانوا يشهدون له بذلك قبل إسلامه. وتصدق الآية أيضًا على من أسلم من أهل الكتاب وظل مقيمًا فى مجتمعه يؤدى ما عليه من فروض للَّه تعالى، من صلاة وصيام وزكاة...، وتصدق الآية أيضًا على من أسلم بقلبه وأخلص الإيمان بوحدانية اللَّه وبرسله جميعًا وخاتمهم محمد ﷺ وتظاهر بأنه على غير دين الإسلام خوفًا من مجتمعه وعبد اللَّه سرًا ولم يجار الكافرين فى إيذاء المسلمين ومحاربتهم. يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ ـ سواء فى العلانية أو فى السر فلن ينكره اللَّه عليهم بل هو يتقبل منهم. فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ـ يوم القيامة. وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ـ سواء فى الخير أو فى الشر. كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ـ حرٌّ أو برد شديد. أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ـ لأنه أنذرهم بالرسل والبينات. وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ـ بالكفر والإنكار. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً ـ أمناء على الأسرار والمسؤوليات المتعلقة بكم وبدينكم. مِّن دُونِكُمْ ـ أناس آخرين من الذين يكنون لكم الحقد والكراهية. لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ـ لا يقصرون فى خداعكم والمكر بكم بإفشاء أسراركم إلى عدوكم. وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ـ أحب على أنفسهم أن يروا أموركم تتعقد وتسوء لتصبحوا فى مشقة من العيش. قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ ـ من النوايا السيئة وتدبير المكائد لكم. أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ.

﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾

هَا أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ - لما يظهرون لكم من مودة على خلاف ما يبطنون. وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّه وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا - معكم بما تؤمنون به. وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ - تعبيرًا عن. الْغَيْظِ . قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا - على تجنبهم والحذر منهم. وَتَتَّقُوا - اللَّه فى شأنهم بحق. لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا - فاللَّه كفيل بإحباط مكائدهم. إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ - وتذكر موقف المنافقين يوم أحد، حين تركت أهلك ومنزلك، وخرجت تنظم صفوف الجند، ومراكزهم. لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا - أوشكت طائفتان (بنو سلمة وبنو حارثة) أن تضعفا وهما من المؤمنين، فكروا فى الإنسحاب، أسوة بما فعله عبد اللَّه بن أبى وأصحابه المنافقون، حين تركوا الصفوف منسحبين حتى يوقعوا الخوف فى نفوس المؤمنين - تذكر هذه المواقف منهم. وَعَلَى اللَّه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ - ضعفاء فى العدة والعتاد، وكنتم مطرودين من مكة. فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ - بما أوحى إليك من ربك. أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاثَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُنزَلِينَ - ليقاتلوا معكم. بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا - اللَّه بتجنب الظلم والمعاصى. ولما جاءكم العدو بعد هذا الوعد مباشرة أمدكم. رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم - فى كل حين بتذكر مواقف اللَّه معكم فتخلصوا له الإيمان والعمل. وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ - أى إن للَّه حكمة فى التعجيل ببعض الكافرين فى الأجل، والإمداد لآخرين بنجاتهم من المعارك، وفسحة من العمر لعلهم يؤمنون. ليس لك من الأمر شىء - فالأمر للَّه يؤجلهم. أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ - أى على بعضهم، حين يصحو الإيمان الصادق فى قلوبهم، فيقبل الله توبتهم. أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ.

وَلِلَّه مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ - فهو يعلم بقدر النفوس وصفائها، والضمائر منها السليم ومنها الخبيث. وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ - لكل من أخذ خطوة إلى تطهير نفسه وتزكيتها نحو الإيمان (والخطوات الأولى نحو طريق الإيمان مبينة فى الآيات التالية).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * واتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ - أي اعملوا بشريعة اللَّه. وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ - شريعة اللَّه فى معاقبة الظالمين. فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ - فانظروا ماذا فعل الله بأمم قبلكم كانوا ظالمين، فاقرأوا تاريخهم وشاهدوا آثارهم. فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَلا تَهِنُوا - لا تضعفوا. وَلا تَحْزَنُوا - فتكسلوا عن طاعة اللَّه والرسول واتباع الشريعة. وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ - فى القدر عند اللَّه فى الدنيا والآخرة بالإيمان الخالص. إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ - خسارة. فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ - من أعدائكم. قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ - من مؤمنين وكافرين لأنها محنة الحياة وامتحان الصبر والطاعة. وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ.

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا - أى يصنفهم فى درجات الإيمان قوة وضعفًا. وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ - والمنافقين. أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ - بصدق، وبوسع استطاعتهم، من رجال ونساء وشيوخ وشباب، بالعمل والإنفاق فى سبيل نصرة دين اللَّه. وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ - فى المعارك للدفاع عن الحق والإسلام. وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ - بالشهادة فى أى معركة مع الرسول أسوة بمن استشهدوا فى موقعة بدر. مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ - أى الموت، أمام أعينكم فى موقعة أحد. فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ - بخوف ورعب حين أشيع أن الرسول قد قتل ... إن كنتم صادقين فى إيمانكم فاعلموا أن محمداً ما هو إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ - كافرين ؟! ذلك بأن قيل للخائفين من المؤمنين يوم شدة الكفار عليهم فى أحد: طالما أن محمداً قد قتل فارجعوا عن الإسلام إلى ملتكم الأولى. وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ.

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾

* وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً - فالعمر له أجل فى علم اللَّه، فهو الذى يحدده بداية ونهاية. وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ * وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ - قبل محمد. قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ - مؤمنون بربهم. كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا - فلم يتشككوا فى إيمانهم بأن الله سينصرهم. لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا - وما جبنوا. وَمَا اسْتَكَانُوا - وما استسلموا لعدوهم. وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ.

---

(٣٧) قضية: الصبر والإيمان فى المعارك [الآية: ١٤٦].

لابد وأن يعلم كل إنسان يدافع عن قضية عادلة أن اللَّه سبحانه وتعالى يقف بجانبه حين يخلص له الإيمان، ولا يكون الجيش عزيزًا قويًا، إلا إذا كان الغالب الأعم من أفراده طائعين لله. ذلك أن اللَّه سبحانه وتعالى لا يحب أن يظل المناضل صابرًا على مرارة الحرب والقتال ثم يبيت على معصية، أو يَرْكَنَ بين حين وحين إلى ذنب يستبيحه متعللاً بأن ضرورة الحرب تلجئه إليه، كأن يشرب الخمر بحجة أنها تزيد من نشاطه، ولا عمل بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات إلا بجدية ودراسة وبأوامر من القادة.

ويجب أن يكون المؤمن على يقين بأن كل ما هو مستطاع فى سبيل طاعة اللَّه واجب العمل به، ولا تجزئة فى ذلك، ومن أهم الأمور طاعة القادة الصالحين والبعد عن الانسياق إلى ضعفاء النفوس من الجبناء من الجنود، وكذلك أيضًا البعد عن النفاق.

وإذا انتشر فى الجيش المنافقون وضعفاء النفوس، فشاعت معصية اللَّه، فإن ذلك نذير بالهزيمة أيًا ما كانت القضية التى يدافع عنها هذا الجيش. وقد ضرب اللَّه مثلاً بجيش الرسول ﷺ فى غزوة أحد حين خرج بعض جنوده عن طاعة الأوامر، وهذا الدرس الذى أدب به اللَّه تعالى الناس، هو نذير لكل قوم ألجأتهم الظروف إلى دخول المعارك.

وإضافة إلى ما سبق، فإنه يجب على القادة والمسؤولين عدم الإلقاء بجيوشهم إلى التهلكة، لذلك عليهم دراسة ظروف الحرب ومقارنة عدتهم وعتادهم بما عليه عدوهم، وكذلك يدخلون فى الحسبان الإمدادات التى يمكن أن تأتيهم من حلفائهم بالمقارنة بالإمدادات المتاحة لعدوهم، فإذا كانت قوة المؤمنين (العددية والكفائية) تعادل على أقل تقدير نصف قوة الكافرين، مع توافر الإيمان الصادق فى قلوب غالبية الجنود والقادة، فعندئذ يمكن دخول المعركة، وقد قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦]، وذلك إذا كان محك المعركة قضية تتعلق بالإسلام والمسلمين، وكان المسلمون، شعبًا وجيشًا، مؤمنين بحق وليسوا من العصاة تاركى العمل بأحكام الدين. فلا مساندة من اللَّه لجيش من جنود مسلمين يدافع عن شعب أغلبه من الفاسقين العاصين المنحرفين عن شريعة الله، ففى هذه الحالة لا غرابة فى أن الحرب تكون عادية قد تنتهى لصالح أى من الأطراف.

﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ۝ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَـٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ ﴾

* بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ـ فاتبعوا شريعته بأن تطيعوا أوامره وتتجنبوا نواهيه، وهذا سبب ينصركم اللّه به . سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ـ من الموت ومن لقاء المؤمنين فى القتال رغم كسبهم جولة فى أحد، جزاءً بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ـ وليس جزاء على وقوفكم فى مواجهتهم. ذلك توبيخ من اللّه للمذنبين من المؤمنين الذين لم يطيعوا الرسول فى أُحُد، ليستعيدوا قوة إيمانهم وليغفر لهم.

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم ـ تقتلونهم فى بداية المعركة. بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم ـ اللّه بأن خرجتم عن طاعة أوامر رسوله (ترك الرماة صفوفهم ليجمعوا الغنائم). مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ـ من النصر. مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا ـ فيلهث وراء جمع الغنائم. وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ـ فيثبت فى مكانه، لا يلهيه شىء عن طاعة أمر الرسول. ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ـ أى صرف قوتكم عنهم فانهزمتم. لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ـ باستغفاركم وبفضله. وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ـ تذكروا حين كنتم. تُصْعِدُونَ ـ إلى الخلاء بعيدًا عن المعركة فارين من الرعب. وَلا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ ـ لا تكلمون أحدًا من الذعر. وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ـ يناديكم للرجوع إلى صفوف المعركة، فلم تجيبوه. فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ ـ أى جازاكم أنتم بالهزيمة فى مقابل الغم الذى سببتموه للنبى بعدم طاعته. لِّكَيْلا تَحْزَنُوا ـ بعد هذا الجزاء القاسى. عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ـ أى على ماتركتم من نعم الحياة، وأنتم تجاهدون فى سبيل اللّه ، ولتعلموا أن اللّه يجازيكم على صبركم بالنصر. وَلا مَا أَصَابَكُمْ ـ ولا تخافوا مما يصيبكم من كَرِّ العدو فى القتال، لأن اللّه هو العليم بكم وبصمودكم وهو ينصركم إذا صبرتم. وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ـ بعد أن استغفروا وندموا. وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ـ بالقلق والاضطراب، لأنهم ما زالوا فى خوف من كَرِّ العدو مرة أخرى. يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ ـ أى هل تحقق النصر الذى وعدنا اللّه إياه؟! وهم يظنون أن النبى قد قتل، فلما علم النبى بقولهم أمره اللّه بأن يبلغهم بأن. الأَمْرَ كُلَّهُ ـ من نصر أو هزيمة هو من تقدير الله العادل الرحيم. يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا ـ أى لو كان لنا الخيار فى الخروج إلى المعركة ما جئنا معكم لنهزم هنا، لكننا جئنا كرهًا عنا، تنفيذًا لأوامر القائد النبى. قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ـ إلى المكان الذى كتب لهم أن يقتلوا فيه. وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ـ هذه هى الحكمة من ابتلاء اللّه إياكم بالمحن الشديدة كالهزيمة. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾

* إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ ـ تركوا صفوف المعركة فتسببوا فى الهزيمة. يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ ـ أغواهم. بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ـ من الغنائم. وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ ـ لأداء الشعائر أو لـلتجارة. أَوْ كَانُوا غُزًّى ـ غزاة يناضلون مع الرسول. لَّوْ كَانُوا عِندَنَا ـ أى معنا وعلى ديننا لكانوا فى عزة. مَا مَاتُوا ـ فى سعيهم. وَمَا قُتِلُوا ـ فى المعارك. لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ ـ القول. حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ـ يوم القيامة وفى الدنيا حين يشهدون عزة المؤمنين بعد كفاحهم. وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.

* وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ـ فى سعيكم المشروع. لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ ـ مما يجمع الكفار من أموال وكنوز. وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ـ فبرحمة. مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ـ أى للمؤمنين. وَلَوْ كُنتَ ـ يا محمد. فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ـ عن المؤمنين الذين لم يطيعوا أوامرك بالتزام الصفوف فى المعركة وأزلهم الشيطان فى غفلة. وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ـ فى الأمور العملية كما كنت تفعل معهم من قبل، أى اعفُ عنهم عفواً كاملاً، فإذا عزمت على أمر بعد المشورة. فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ.

* إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ـ (فقدت قطيفة حمراء من الغنائم، فقال بعض الناس : لعل النبى أخذها).

وَمَن يَغْلُلْ ـ أى يأخذ لنفسه من الغنائم قبل قسمتها بالحق، ولو كان نبيًا. يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ.

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾

* لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ـ يعنى من البشر، ومن قومهم يطمئنون إليه ويعرفونه. يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ ـ يوم أحد باستشهاد سبعين منكم. قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا ـ كيف هذه الهزيمة ونحن على حالنا كيوم بدر من الإسلام ورسول اللَّه فينا ؟!. قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

٣٨ قضية: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الآية: ١٦٤].

قد يقول قائل: كيف تكون شريعة اللَّه الخاتمة ـ الإسلام ـ موجهة إلى الناس كافة بالرغم من أن اللَّه تعالى يبيّن أنه بعث فى العرب، شأن أى رساله أخرى سابقة، رسولاً من أنفسهم ؟

الجواب: إن أى بلاغ لابد وأن ينطلق من بداية محددة ومحدودة، ثم بعد ذلك تتوسع دائرته اعتمادًا على وسائل منها الدعوة والنشر والترجمة. لقد نزل القرآن منجمًا، وفى بداية نزوله أمر الله رسوله أن يبلغ عشيرته الأقربين ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. إلى أن بَيَّنَ اللَّهُ عالمية رسالة الإسلام: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ [سبأ: ٢٨].

هذا التدرج لازم فى الحياة الدنيا. ألا ترى أن الإعلان العالمى لحقوق الإنسان يبدأ بفكرة ثم مؤتمر ثم يصاغ بلغة معينة ثم يترجم وينشر.

ومن ناحية أخرى قد تحمل الآية: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ معنى أن الله بعث فى الناس رسولاً منهم، أى من جنسهم إنسانًا وليس من الملائكة، فقد يكون الملك صارمًا شديدًا، وذلك رحمة بهم. ومنَّةُ الهداية الإلهية تكون لأصحاب النفوس الطيبة فهم المؤمنون، لذلك قال الله: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولم يقل على الناس، لأن الرسالة تنزل حجة ونقمة على الذى وصله العلم بها فجحدها أو أعرض عنها وكفر، فالمنة ليست لكل الناس وإنما هى للطيبين منهم. ومن لم تصله الدعوة فالله أعلم بحاله.

العلم الواضح بالإسلام حق للإنسان وواجب عليه ما استطاع إليه سبيلاً

كانت أغلب الرسالات السماوية قبل الإسلام ذات طابَع محلى عند نزولها، بمعنى أن مهمة الرسول كانت محددة فى البلاغ إلى قوم أو أقوام بعينهم، وامتدت بعض هذه الديانات إلى أنحاء واسعة من العالم بجهد القائمين على بثها بعد عصر الرسل.

أما الإسلام فقد نزل شريعة خاتمة، فلن تنزل بعده شريعة من السماء ـ وقد وجه الله تلك الشريعة إلى الناس كافة. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]. وقد بلّغ الرسول الملوك وقادة الأمم من حوله، ويقع على عاتق المسلمين من بعده واجب التبليغ. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ [البقرة: ١٤٣]. ذلك يعنى أن المسلمين عليهم أن يكونوا وسطاء لنقل الإسلام متكاملاً ومنسقًا فى تخطيط منظم إلى الأمم الأخرى، وسوف يسألهم الله يوم الحساب : هل أديتم هذه الأمانة بعد وفاة الرسول ؟ ويكون الرسول شاهدًا على ذلك.

إن العلم بدين الله الخاتم حق لكل إنسان، لذلك لا يكفى فى هذا المقام إنشاء نواة لتعليم دين الإسلام باللغة العربية فى دولة غير ناطقة بالعربية، وإنما يجب أن تكون هناك برامج ـ إلى جانب برنامج تعليم الدين بالعربية ـ بلغة المحل، أو بلغة عالمية ينطق بها ويفهمها الشعب المخاطب بالدعوة، لأن عدد من ينجح فى تعلم اللغة العربية فى العديد من الدول الناطقة بغير العربية قليل جدًا، فالاقتصار على الدعوة والتعليم باللغة العربية لن يحقق انتشاراً كافيًا ليكون جلّ الناس على علم واضح بالدين الإسلامى.

←

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾

وَمَا أَصَابَكُمْ - من هزيمة. يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ - فى معركة أحد. فَبِإِذْنِ اللَّهِ - جزاء على عصيانكم أوامر رسوله. وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ - واللّه بالطبع يعلمهم ولكن المقصود ليعلم الرسول المؤمنين الصادقين. وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا - أى إن لم يكن قتالكم فى سبيل الله فقاتلوا معنا دفاعًا عن أموالكم وأرضكم. قَالُوا - وهم ينسحبون من صفوف الجند قبل بدء المعركة. لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً - أى لو نعلم أن بكم كفاءة للقتال فى هذه المعركة. لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم - كلامًا يسخرون به من المؤمنين. مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ - فقلوبهم تشعر بصدق عزم المؤمنين وقدرتهم على القتال لما بدا منهم من قبل فى معركة بدر. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ - من غيظ. الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا - تقاعسوا عن القتال. لَوْ أَطَاعُونَا - الذين استشهدوا وقعدوا معنا. مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(*) * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ - فضل الشهادة فى سبيله. وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ - الجرح بالهزيمة فى أحد، ثم عزموا على نصرته وطاعته فى الموقعة المقبلة، حيث إن الكافرين تواعدوهم أن يرجعوا إلى قتالهم العام المقبل عند عين بدر، حيث كان النصر الأول للمؤمنين. لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا - بصدق طاعتهم ووفائهم للرسول. أَجْرٌ عَظِيمٌ.

➡ إن نقل المعرفة الواضحة بالدين إلى اللغات الأخرى أمر واجب، ولا يخشى منه تحريف مبادئ الدين، لأن الرجوع إلى أصول المواد العربية الإسلامية بواسطة الترجمة ممكن على وجه الدوام، وانتشار الدين يؤدى إلى زيادة عدد المؤمنين، ويدفعهم حب الله إلى تنمية الرغبة فى تعلم العربية، فيزيد الإقبال عليها ولا يقل.

وليعلم كل إنسان أن له حقًا فى أن يعلم بالدين الخاتم بوضوح، ثم بعد ذلك هو حر فى أن يؤمن به فينجو، أو يكفر به مع تحمل تبعات المسؤولية عن ذلك أمام الله يوم الحساب، وتبعة الكفر هى الخلود فى جحيم جهنم على الدوام.

ونُذَكِّرُ فى هذا المقام بأنه لا وجود لكتاب سماوى أصيل مدون باللغة التى بلغ بها الرسول، فى يد البشرية فى عصرنا هذا، إلا هذا القرآن، وإن عثر على مدونة للرسالة الأصلية التى بلغها موسى أو عيسى، عليهما الصلاة والسلام، فستكون بلغة قديمة غير مفهومة عند الناس فى عصرنا، فلا يكون من وجودها نفع. وكل ما جاء من عند الله فى الكتب السماوية من قبل، مضمونه واحد فى العقيدة والتوحيد، على غرار دين الإسلام الخاتم. لذلك فإن أية تناقضات وردت فى ترجمات لرسالات سماوية ما هى إلا من تحريف الناس، ولا يحسم الأمر فيها سوى الرجوع إلى القرآن، فهو أصل محفوظ بين يدى الإنسانية حتى يوم الحساب.

(*) راجع : حساب الشهيد وجزاؤه، رقم ١٤٥.

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾

* الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ - رسل أرسلهم الكافرون. إِنَّ النَّاسَ - أعداءكم. قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ - الحشود لمعاودة قتالكم. فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ - فذهبوا فى الموعد المحدد إلى عين بدر مع الرسول للقتال، ولكنهم فوجئوا بأن الكافرين لم يحضروا لقتالهم خوفًا ورعبًا منهم، فانتظروا حتى تيقنوا من جبن الكفار عن مواجهتهم. وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ - جزاءً على مسارعتهم إلى الكفر. وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

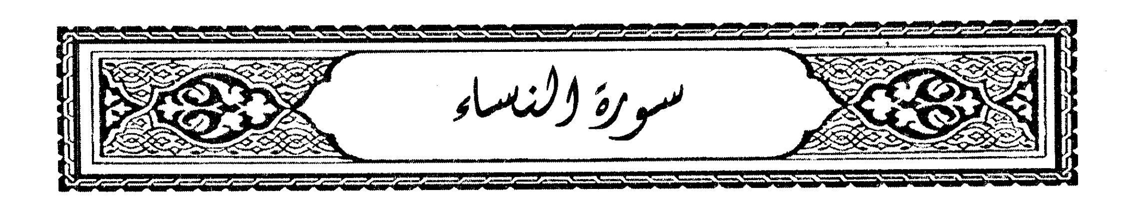
إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ - سَعَة فى الأعمار والخيرات. خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ - ذلك. لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ - ليترككم أيها المؤمنون. عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ - من انخداع فى المنافقين، فمكنكم من ذلك بعد موقعة أحد، فتفرقتم بين الْخَبِيثَ - المنافق عبد الله بن أُبى وأتباعه. مِنَ الطَّيِّبِ - المؤمن الصادق. وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ - بالوحى إليكم مباشرة فردًا فردًا. وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ - ويوحى إليهم بما يشاء. فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ - سيحيط بأعناقهم ذنب بخلهم. يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ - لا يعطى سعة المال لمحمد ﷺ وأتباعه، فيتركهم يقترضون لتدبير أمورهم وجهادهم فى سبيله. وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، سَنَكْتُبُ - عليهم الجزاء على مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ - لهم يوم القيامة: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ - من ذنوب ومن سبكم لله ورسوله واتباعكم دين أسلافكم الذين سبق أن قتلوا أنبياء أرسلوا إليهم ليمرقوا من الدين وينكبوا على الحياة الدنيا. وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ * الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ.

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ (١٨٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ (١٨٥) ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٨٦) وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩) إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩٠) ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٩١) رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ (١٩٤) فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ (١٩٥) ﴾

فَإِن كَذَّبُوكَ ـ فلا تحزن. فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ـ الرسالات التى نزلت على أنبياء سابقين كإبراهيم وموسى وعيسى وداود، عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ * لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ـ لا تخفون منه أية آيات، خاصة تلك التى تبشر بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ. فَنَبَذُوهُ ـ تركوا ذلك العهد. وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ـ لما تأكدوا أن الرسول الذى بعثه الله عربى وليس من عرقهم. وَاشْتَرَوْا ـ بمخالفة عهد الله وميثاقه. ثَمَنًا قَلِيلاً ـ هو التعصب العرقى. فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ * لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ـ من أعمال التضليل. وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا ـ بما لم. يَفْعَلُوا ـ من قول الحق واتباع الصدق شيئًا. فَلا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ ـ بمنأى. مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ـ لَمْ تخلق الكون ارتجالاً دون غرض. سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا ـ رسولاً، هو محمد ﷺ. يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا ـ من الرحمة والمغفرة على يد رُسُلك الكرام. وَلا تُخْزِنَا ـ لا تفضحنا بذنوبنا. يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ـ من رجال ونساء وصبيان وشيوخ. لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ.

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

* لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذينَ كَفَرُوا ـ بتجارتهم وسعة ثرواتهم. في الْبلاد * مَتاعٌ قَليلٌ ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهادُ * لكِنِ الَّذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُم لَهُمْ ـ يوم القيامة. جَنَّاتٌ تَجْري من تَحْتِهَا الأَنْهارُ خَالدينَ فيهَا نُزُلاً مِنْ عند الله وَما عند الله خَيْرٌ للأَبْرارِ * وإِنَّ منْ أَهْلِ الْكتاب لَمَن يؤْمنُ بالله وَما أُنزلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعينَ لله لا يَشْتَرُونَ بآيات الله ثَمَنًا قَليلاً ـ وذلك مثل عبد الله بن سلام، ومن اتبعه فى الدخول إلى دين الإسلام، وأيضا الذين يسلمون سرًا وخوفًا من محيطهم، ما داموا يؤدون التزاماتهم تجاه ربهم ولا يشاركون فى إيذاء المسلمين. أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرهُمْ عندَ رَبِّهِمْ إنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَاب * يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ـ على مصاعب الدنيا ومحنها. وَصَابِرُوا ـ فى مواجهة الكافرين فلا يكونون أكثر منكم جلدًا. وَرَابِطُوا ـ للجهاد دفاعًا عن دينكم. وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ـ آدم. وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ـ حواء. وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ـ هل كنتم تعبدونه حق عبادته وتعملون بشريعته؟. وَالأَرْحَامَ ـ صلة الرحم بروابط المودة بين الأهل والأقارب ومراعاة الجار، وحسن معاملة الناس عامة... إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً * وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً * وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ـ الخطاب للأوصياء والأولياء الذين يقومون على بنات يتامى، فيطمعون فى التزوج بهن لما لهن من أموال، فطالما كان الوصى، ليس بينه وبين اليتيمة التى فى كنفه مانعٌ شرعىٌّ فله أن يطلبها للزواج، شريطة أن يعدل معها، ويكون ذلك برضاها الحر، وبميل نفسى من الوصى إليها ومنها إليه، وليس لمجرد طمع فى مال، والرقيب هو الضمير.
فيكون معنى الآية : وإن خفتم أن تجوروا فى زواجكم الذى ترغبون فيه من اليتامى اللاتى فى كنفكم. فَانكِحُوا ـ غيرهن مما طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ـ كحد أقصى للجمع بين زيجات قائمة، إذ أن الإسلام جاء، وكان عند الرجال فى الجاهلية أكثر من أربع نسوة، فمنهم من كان تحته عشر زوجات، فأمر اللّه بالاقتصار على أربع كحد أقصى، شريطة العدل فى معاشرتهن. فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ـ أى زوجة واحدة. أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ـ فى حالة ما تخافون عدم العدل حتى مع زوجة واحدة، فاقتصروا على ما تملكون من الإماء(*). ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا.

(٣٩) قضية: الرق فى الإسلام [الآية: ٣، وآيات من سورة أخرى].

جاء الإسلام والمجتمعات متعارفة على الرق، فكان استعباد الإنسان فى الجاهلية، عند العرب وغيرهم، له عدة أساليب ومصادر، منها ما هو مدنى كالاسترقاق بسبب الديون، ومنها ما هو حربى، ومنها ما يرجع إلى الخطف والقرصنة... إلخ، فكان فى كل أمة من الأمم طبقة من العبيد. ثم جاءت شريعة اللّه الخاتمة تطالب الإنسان، أيًا ما كان جنسه أو منزلته الاجتماعية، بالإيمان باللّه عن رضًا واختيار، ومن حكمة هذه الشريعة أنها رفقت بالأفراد والمجتمعات معًا، فنظمت شؤون العبيد من حيث الحقوق والواجبات، وحثت السادة على إطلاق سراح الأرقاء لإرضاء الله وللتكفير عن الذنوب ـ كما نرى فى العديد من ⬅

(*) راجع القضية رقم ٣٩.

آيـات القـرآن الكريـم ـ وعلى سبـيل المثال بيَّن الله أن مـن أفضل طـرق اجتيـاز العقبات لنيل رضا الله، تحرير الـعبيد: ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٣].

لو لم يكن الإسلام دينًا من السماء، لكان سهلاً على محمد ﷺ أن يعلن أن دخول العبد الإسلام يجعله حرًا رغمًا عن إرادة سيده، ليجـد مناصرة من رقيق أمـة العرب، ويقلب على الأمم الأخرى طبـقات العبـيد. ولكن نظرًا لأن الإسلام هداية من السـماء لكل من العبد والسـيد والرجل والمرأة... فقد رفق وتدرج بالجمـيع نحو التقرب إلى اللَّه عن رضًا واخـتيار حر. لقد كان الرسـول وأصحابه يشترون العبيد ليعتقوهم، والقرآن يحثهم على ذلك، وقد فرض الله لتحرير العبيد سهمًا من مصارف الزكاة [راجع: التوبة: ٦٠].

يقول فضيلة الشيخ السيد سابق، رحمه اللَّه : «إن القرآن لم يرد فيه نص يبيح الرق، وإنما جاء فيه الدعوة إلى العتق. ولم يثبت أن رسول اللَّـه ضرب الرق على أسـير من الأسارى، بل أطـلق أرقاء مكة وأرقـاء بنى المصطلق وأرقـاء حنين. وثبت عنه أنه ﷺ أعتق ما كان عنده من رقيق فى الجاهلية، وأعتق كذلك ما أهدى إليه منهم.

على أن الخلفاء الراشـدين، رضى اللَّه عنهم، ثبت عنهم أنهم استرقوا بعض الأسـرى على قاعدة المعاملـة بالمثل. فهم لم يبيحوا الرق فى كل صورة من صوره، كما كان عليه العمل فى الشـرائع الوضعية ـ وإنما حصروه فى الحرب المشروعة المعلنة بين المسلمين وعدوهم ـ وألغوا كل الصور الأخرى واعتبروها محرمة شرعًا لا تحل بحال»(*).

ومعنى ذلك أن التدرج والرفق بحال المجتمعات يجعل لأحكام الرق وضعًا خاصًا فى التطبيق، فتكون مقصورة على أحوال المعاملة بالمثـل فى الحروب. أما الأفراد، فمحظور عليهم أن يسـترق بعضهم بعضًا عن طريق التـجارة، وكذلك ليس لأحد أن يهب نفسه عبدًا لغيره تحت وطأة الفقر أو غيره من الأسباب، فكل هذه صور محرمة تخرج عن أسس الإسلام وروحه.

إن الروح العـامة للشـريعة الإسـلامية الـتى تحث على تحرير الرقـاب، تشيـر إلى أن العبـودية لا يمكن أن تمـثل إلا قضـية استثنائيـة. فمن ضربت عليه العـبودية من جراء الحرب كعـقوبة، ينبغى ألا تمتد إلى غـيـره، لأن الـلـه تبارك وتعـالى يقــول : ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥].

ونظرًا لأن الله قد أمر بصرف سهم من حصيلة الزكاة فى تحرير الرقاب ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠]. فإن معنى ذلك أن أمـة الإسـلام، على وسـع بلادهـا وعـرض ثرائهـا، تستطيع ـ دون عناء ـ أن تفدى بالمـال رقاب أى عدد من العبـيد فى كل زمان ومكان، فلا يمثل الرق فيها إلا وضعًا وقتيًا.

وبالنظر إلى مجـتمعات الـيوم، لا نجد فيهـا عادة الاسترقـاق، فقد تطورت العـلاقات الدولية، وتبلورت حقـوق الإنسان، ووقعت الدول على المواثيق المانعة للرق، وذلك يعنى انعدام مبرر الاسترقاق.

(٤٠) قضية: تعدد الزوجات[الآية:٣].

كان الرجال قبل الإسلام يتزوجـون كما يشاؤون من النساء دون التقيد بعدد، فلما جاء الإسلام قـيَّد التعدد بحد أقصى أربع زوجات عـلى ذمة الرجل الواحـد. وتلك المكنة مـرهونة بالعدل بين النسـاء فى المـعاملة، فـيجب على الزوج أن يحـفظ لهن كرامـتهن على حد سـواء، ويسوى بينهن فى المعـيشة على قـدر مسـتواه الاجتماعى... أمـا العدل فى الميل الـنفسى فليس من الأمور المقدور عليها، وفيه يقول اللَّه تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ [النساء: ١٢٩] فالميل القلبى له وزن، وهو يكون فى العادة إلى واحدة أكثر من الأخريات.

معنى ذلك أن العاقل لابد وأن يتروى ولا يسـتعمل هذه الرخصة إلا عند الضرورة ليتـحرز من الظلم. ومن أمثلة الضرورات أن تكون الزوجة لا تلبى حاجات زوجها لمرضها أو لضعفها، ورغم ذلك لا يريدان الانفصال خوفًا على مصالح أولادهما،

(*) السيد سابق، فقه السنة، ط. دار الفكر ـ بيروت، المجلد الثالث ص ٨٨.

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾

وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ـ عطية عن رضا. فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ـ أى فإن طابت أنفسهن فتنازلن لأزواجهن عن شيء من مهورهن، فلا حرج فى ذلك على الأزواج. وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ ـ الذين لم تنضج عقولهم لصغر سن أو عته أو غفلة. أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ـ سماها أموالكم نظرًا لقيامكم عليها، وهى فى الحقيقة أموالهم. وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا.

وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ـ بلغوا سن النضج ودلالته الاحتلام. فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ـ فإن تحققتم من أن البالغ يعقل الأمور ويحسن التصرف. فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا ـ بالتبذير. وَبِدَارًا ـ بالتعجيل فى صرفها فى أوجه ليست عاجلة قبل. أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ـ فليترفع عن أن يأكل من مال اليتيم. وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ـ أى يأخذ مقابل ما يتكلف من جهد فى إدارة مال اليتيم والمحافظة عليه وتنميته. فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا * لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ـ أى سواء كانت التركة قليلة أو كثيرة. نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ ـ أعطوهم من التركة شيئًا (وذلك على سبيل الندب والترغيب، صلة للأرحام مع من لم يكن وارثًا ولا موصى له. وفيه أقوال أخرى فارجع إلى كتب الفقه). وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا * وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ـ تحذير من الله وهو ولى الضعفاء، فمن أحسن إليهم أحسن الله إليه وإلى الضعفاء من ذريته. فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ ـ وليعملوا بأوامره. وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا.

← فبدلاً من أن يقع فى الزنا فله استعمال هذه الرخصة. وقد تكون بين الزوجين روابط المودة والرحمة ولكن الزوجة لا تنجب والزوج يرغب فى الذرية، إلى غير ذلك من الظروف والأسباب.

وعلى أى حال، إن استعمل الرجل هذه الرخصة ثم صدر بعد ذلك منه ظلم، فللزوجة المتضررة طلب الطلاق منه بالتراضى، فإن رفض فلها اللجوء إلى القاضى، وإن كانت عصمتها بيدها، فلا جناح عليها إن اختارت الفراق لعدم التسوية بينها وبين الأخريات، لأن ذلك من ضروب الضرر المبرر للطلاق.

وهناك مبررات أخرى للتعدد مثل إعادة التوازن بعد الخلل الذى تحدثه الحروب والأوبئة الخطيرة حيث يصبح المجتمع فى حاجة إلى زيادة معدل التكاثر .

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) ﴾

* يُوصيكُمُ اللَّهُ في أَوْلادكُمْ للذَّكَر مثْلُ حَظّ الأُنثَيَيْن فَإن كُنَّ نساءً فَوْقَ اثْنَتَيْن فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإن كَانَتْ وَاحدَةً فَلَهَا النّصْفُ وَلأَبَوَيْه لكُلّ وَاحد مّنْهُمَا السُّدُسُ ممَّا تَرَكَ إن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمّه الثُّلُثُ فَإن كَانَ لَهُ إخْوَةٌ فَلأُمّه السُّدُسُ(*) من بَعْد وَصيَّة يُوصي بهَا أَوْ دَيْن ـ أى إن التركـة لا تقسم على الوجه السابق إلا بعـد إخراج الوصية والديون. آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَريضَةً مّنَ اللَّه إنَّ اللَّهَ كَانَ عَليمًا حَكيمًا.

(٤١) قضية: الميراث والوصية: ﴿ يُوصيكُمُ اللَّهُ في أَوْلادكُمْ للذَّكَر مثْلُ حَظّ الأُنثَيَيْن ﴾ [الآية: ١١].

تثير قـواعد الميراث قـضية هامة هى التـفرقة فى الأنصبـة بين الذكر والأنثى، فى أغلب الحالات، حين يتـواجدان فى صف واحد عند الميـراث. ولفهم المعيار الذى تأسست عليـه هذه التفرقة، لابد من إمعان الـنظر فى أمر هام، وهو أن أصلح القوانين هى تلك التى تحقق مـصالح الغالبيـة العظمى من أفراد المجـتمع. ولا غرابة أن يكون شرع الله قـد أقام توزيع أنصبة الـميراث على حسب الغالب من المسـؤوليات الاجتماعية المـوزعة على الناس عمومًا رجالاً ونساء. ومـا زلنا نرى إلى الآن مسؤوليات الأسرة، فى أغلب المجتمعات، تفـرض على الرجل أعباء مالية ـ فى إقامة شؤونها وتسيير أمورها المعـيشية ـ أكبر من التزامات النساء، فالرجال عادة أكثر احتياجًا إلى المال. كـما أن المرأة أعطاها الشرع نصيبًا لا بأس به من الميراث، بالرغم من أن الإنفاق من المسؤوليات الأساسية للرجال. ونصيب المرأة يبقى ليكون فى النهاية من مدخرات الأسرة التى تؤمن لها البقاء والاستقرار.

وقد أخذ الشرع فى اعتبـاره الأحوال العامة للناس، فالميراث كسب للخلف عن السلف دون جهد وتعب، أما فـيما فيه جد وتعـب وتجـارة، فإن جميع ما تكسبه المـرأة مـن هـذه الأنشطـة هـو لـهـا، ولا يشاركـها فى ملكيتها أحد إلا بـرضاها، شأنها شأن الرجل.

هذا لا يمنع من وجود حالات تخرج عن المجـرى العادى للأمور، وتتطلب تطبيق معايير خاصـة. والشرع الإسلامى يشتمل على هذه المعايير، فأى إنسـان وهو ما زال على قيد الحياة له أن يهب من ماله ما يشـاء لمن يشاء. فإن رأى والد أن ابنته ستكون فى حاجـة ماسة للمـال فى المستقـبل، كأن كانت عـاجزة، لا عمل لهـا ولا أمل فى زواج، فله أن يعطيها من المـال ما يكفيـها لتعويض عجزها و لتدبير شؤون حياتها.

وإعمال مـعيار الهبـة حال حياة المـورث لا خلاف عليه، ومعـنى ذلك أن اللجوء للوسائل والتصـرفات المشروعـة بحكمة وبصيرة، يُعَدُّ معيارًا فعالاً لتلافى آثار الأوضاع الاستـثنائية التى لا تخلو منها المجتمعات. لذلك يجب أن يكون الشخص ملما بأحكام الشريعة الإسلامية وبظروفه الشخصية، وبمختلف الوسائل المشروعة التى من شأنها إقامة التوازن إذا اضطربت الأحوال والظروف. فكما أن الشخص فى ظل التشريعات الوضعـية التى تسوى بين الإناث والذكور فى الميراث، لا يلام إذا وهب حال حياته مـالاً لإقامة توازن يراه واجبًا بين ورثتـه، حين يكون بعضهم قليل المسـؤوليات بالمقارنة بالآخرين، فـإن الأمر كذلك فى ظـل الشريعـة الإسـلاميـة شريطـة ألا يكون التفضيل بناء على الحب والميل النفسى دون العدل والتوازن الموضوعى.

(*) جعلت السنة للجدة «السدس إذا لم يكن دونها أم» (أبو داود، الفرائض ٢٥٠٨) ولا يعتبر ذلك من قبيل الإضافة وإنما يدخل فى تفصيل ميراث الأمهات وإن علون.

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾

❁ ١٠ـ بيان الآيتين [١٥ـ١٦]:

يتبين من قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ أن حكمًا آخر سيحل بعد ذلـك وفقًا للتدرج. قال الرسول ﷺ: «خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيـلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم»(*). وبينت السنة أن الحكم عـام فى الرجال والنساء، فـصار الحكم الذى أعلن بالحـديث وعمل به الرسول ﷺ والصـحابة والتابعين من بعدهم، ناسخًا لحكم الآيتين ١٥ و ١٦ومن الفقهاء من يرى الاكتفاء برجم المحصن دون جلده.

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ـ تأكيد لما سبق ذكره من أن التـركة لا توزع إلا بعد إخراج الوصايا والديون. وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ـ تأكيد. وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ ـ أى إن كان الميت رجلاً أو امرأة لا والد له ولا ولد. وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ـ تكرر التأكيد مرارًا «من بعد وصية يوصى بها أو دين» مع كل مسألة مـيراثية، وذلك حتى لا يدعى أحـد بأن إخراج نصيب الوصية وسـداد الديون قبل القسمـة ليس واجبًا فى كل الأحـوال. غَيْرَ مُضَارٍّ ـ من غير أن يتـعمـد الإضـرار بأحـد بافتعـال الديون والوصايا. وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ـ أى إن ذلك التوزيع هو أمر من اللّه. وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ * تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ـ ويتعـد حدوده. يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ ـ احبسوهن. فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ـ من قبل أن تتبلد أنفسـهم باعتياد الآثام وتراكمها. فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا.

(*) مسلم، الحـدود ٣١٩٩. الترمذى، الحـدود ١٣٥٤. أبو داود، الحدود ١٣٥٤. ابن ماجة، الحـدود ٢٥٤٠. أحمد، باقى مسند الأنصار ٢١٦١٤ ـ ٢١٦٤٥ ـ ٢١٦٥٦ ـ ٢١٦٧١. الدارمى، الحدود ٢٢٢٤.

البكر : التى لم تتزوج، والثيب: المحصنة التى تزوجت.

ـ الجلد والتغريب عام للزانية أو الزانى غير المحصن (الذى لم يتزوج). الجلد والرجم للزانية المحصنة الحرة أو الزانى المحصن (الذى تزوج) الحر. أما العبيد فقد اختلف الفقهاء حول عقوباتهم، راجع لاحقًا ص ٨٩ بالهامش.

﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾

❁ ١١ - بيان الآية ٢٣: إضافة من السنة.

قال رسول الله ﷺ: «لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها»(*) فزاد ذلك على ما حرَّمته الآية.

وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ - بإصرار وتجبر. حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ - وشعر بقرب حسابه على ما ارتكب من آثام. قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ - لتنتقصوهن حقوقهن من مهر ونفقة.

إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ - اقتراف ما يخالف أسس العلاقة الزوجية، كالزنا أو النشوز أو القذف... فذلك يسقط الحقوق ويقطع الروابط. وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا * وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا - كثير من المال. فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ - بالمعاشرة الزوجية. وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا - عقد الزواج. وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ - قبل نزول هذه الآيات فقد عفا الله عنه، ويفصل بينهما. إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً - لأن فيه إثارة الغيرة والأحقاد بين الأهل.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ - فهو معفو عنه، مع وجوب التفريق. إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا - أما ما يأتي من مخالفة عمدية بعد العلم بذلك البيان فهو جريمة كبرى (زنا المحارم).

(*) البخاري، النكاح ٤٧١٨ - ٤٧١٩. مسلم، النكاح ٢٥١٤ إلى ٢٥٢١. الترمذي، النكاح ١٠٤٥. النسائي، النكاح ٣٢٣٦ إلى ٣٢٤١. أبو داود، النكاح ١٧٦٨ - ١٧٦٩. ابن ماجة، النكاح ١٩١٩. أحمد، باقي مسند المكثرين ٦٨٣٦. مالك، النكاح ٩٧٧، الرضاع ١١٠٢. الدارمي، النكاح ٢٠٨٣ - ٢٠٨٤.

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾

وَالْمُحْصَنَاتُ - أى المتزوجات أو المطلقات والأرامل قبل انتهاء عدتهن. منَ النساء إلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ - بالسبى المشروع الذى تقتضيه المعاملة بالمثل فى الحروب، إذ الأمة تصبح مقطوعة الصلة بزوجها الذى هو من العدو. ويجب انتظار عدتها للتأكد من براءة رحمها حتى لا تختلط الأنساب. كِتَابَ اللَّه عَلَيْكُمْ وَأُحلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلكُمْ - أى ما لم ينص اللّه تعالى على تحريمه فى الآيات السابقة. أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالكُم مُّحْصنين - متزوجين (أو مشترين لإماء). غَيْرَ مُسَافحينَ - بالزنا. فَمَا اسْتَمْتَعْتُم به منْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ - حقوقهن من المهور والنفقات. فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فيمَا تَرَاضَيْتُم به - تصالحتم على النقصان منه أو الزيادة فيه بالرضا.

وَمَن لَّمْ يَسْتَطعْ منكُمْ طَوْلاً - أى بما يملك من مال. أَن يَنكحَ الْمُحْصَنَات - الحرائر. الْمُؤْمنَات - فلينكح من مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مّن فَتَيَاتكُمُ الْمُؤْمنَات - الإماء. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بإيمَانكُمْ بَعْضُكُم مّن بَعْضٍ - لا فرق بين حرة وأمة فى الإيمان. فَانكحُوهُنَّ بإذْن أَهْلهنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بالْمَعْرُوف مُحْصَنَات - عفيفات طاهرات. غَيْرَ مُسَافحَات - غير زانيات علنًا. وَلا مُتَّخذَات أَخْدَانٍ - أى ولا زانيات فى السر. فَإذَا أُحْصنَّ - تزوجن. فَإنْ أَتَيْنَ بفَاحشَةٍ فَعَلَيْهنَّ نصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَات - الحرائر. منَ الْعَذَاب(*) ذَلكَ لمَنْ خَشيَ الْعَنَتَ - المشقة من عدم الزواج وخوف الوقوع فى الزنا. منكُمْ وَأَن تَصْبرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ - تصبروا حتى يتيسر حالكم فتتزوجوا بالحرائر خير لكم (فقد جاء الإسلام ليحرر الرقيق بتدرج وحكمة وتصرف، وسهولة التزوج بالإماء قد تجعل الطلب عليهن كثيرًا، فيكثر الاسترقاق). وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحيمٌ * يُريدُ اللَّهُ ليُبَيّنَ لَكُمْ وَيَهْديَكُمْ سُنَنَ الَّذينَ - اتبعوا الشرائع السماوية بصدق وإيمان (كل شرائع الله جوهرها واحد وطريق المؤمنين واحد). من قَبْلكُم وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَليمٌ حَكيمٌ * وَاللَّهُ يُريدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُريدُ الَّذينَ يَتَّبعُونَ الشَّهَوَات أَن تَميلُوا مَيْلاً عَظيماً * يُريدُ اللَّهُ أَن يُخَفّفَ عَنكُمْ وَخُلقَ الإنسَانُ ضَعيفًا.

(*) مفهوم الآية أن العبد (أو الأمة) إذا زنى يكون عليه الجلد خمسين جلدة والتغريب ستة أشهر. وذلك نصف حد الحُرِّ غير المحصن. ومن الفقهاء من جعل ذلك الحد للعبيد مطلقًا دون تفرقة بين عبد محصن أو غير محصن، لأن الزواج مع الرق تبقى معه شروط الأحصان غير مكتملة.

ومن الفقهاء من قال بأن هذا هو حد العبد غير المحصن، أما المحصن فعليه الرجم، مثله مثل الحر. والإحصان فى هذه المسألة يتحقق بزواج العبد، والرجم عقوبة لا تتبعض فلا تنطبق عليه هذه الآية، وإنما يجب رجمه.

ومن الفقهاء من قال إن الآية فى العبد (أو الأمة) المحصن فعليه الجلد خمسين والتغريب ستة أشهر. أما غير المحصن فعقوبته تعزيرية مثل الضرب.

راجع: كتب الفقه الإسلامى والتفسيرات الجامعة كالقرطبى، وابن كثير، ووهبة الزحيلى.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾

❁ ١٢- بيان الآية ٣٣: ميراث المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

هذا الحكم منسوخ بالآية: ﴿ وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [الأنفال:٧٥]، وبآيات المواريث في سورة النساء.

---

* يا أَيُّها الَّذين آمَنُوا لا تأكُلوا أموالَكُم بَيْنَكُم بالْباطل إلاَّ أن تَكُونَ تِجارَةً - بخلط الأموال مشاركة وتحديد الأنصبة من الأرباح وأنصبة القائمين على إدارتها. عَن تَرَاضٍ منكُمْ ولا تَقْتُلوا أنفُسَكُمْ إنَّ اللَّهَ كانَ بكُمْ رحيماً * ومن يَفْعَلْ ذلكَ عُدْوانًا وظُلْمًا فسَوْفَ نُصْليه نارًا وكانَ ذلكَ عَلَى اللَّه يَسيراً * إن تَجْتَنبُوا كَبائرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتكُمْ ونُدْخلْكُم مُّدْخَلاً كَريماً * ولا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ به بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَال نَصيبٌ - ثواب عند اللَّه. مِمَّا اكْتَسَبُوا - من أعمال فى الدنيا كالجهاد والسعى لكسب العيش. ولِلنِّسَاء نَصيبٌ - ثواب عند اللَّه. مِمَّا اكْتَسَبْنَ - من أعمال يقدرن عليها في الدنيا، كرعاية الأولاد أو السعي للكسب من عمل مشروع. واسْأَلُوا اللَّهَ من فَضْله إنَّ اللَّهَ كَانَ بكُلِّ شيْءٍ عليمًا * ولكُلٍّ جعَلْنا موَالي ممَّا تَرَكَ الْوَالدَان والأَقْرَبُونَ - ورثة من قرابات أخرى غير النسب. والَّذين عقدت أَيْمَانُكُمْ - عاهدتموهم على التحالف والتناصر معكم، يكون لهم أنصبة فى ميراثكم. فَآتُوهُمْ نَصيبَهُمْ - من الميراث. إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهيداً * الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء - يكفلونهن. بمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ - أى بما فضل اللَّه الرجال على النساء فى القدرات الجسدية وكثير من خبرات العمل والكسب. وبما أنفقوا من أموالهم - عليهن. فالصَّالحَاتُ قَانتَاتٌ - مطيعات لأزواجهن. حَافظَاتٌ لِّلْغَيْب - أى محافظات على حقوق أزواجهن فى غيبتهم. بمَا حَفظَ اللَّهُ - لهن من حقوق على الأزواج. واللاَّتي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ - عصيانهن. فعظُوهُنَّ واهْجُرُوهُنَّ في الْمَضَاجع واضْربُوهُنَّ - إن لم يتعظن. فإنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبيلاً - بالإيذاء ظلمًا. إنَّ اللَّهَ كَانَ عليًا كبيرا

---

(٤٢) قضية: عمل المرأة: ﴿ لِّلرِّجَال نَصيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ولِلنِّسَاء نَصيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ [الآية: ٣٢].

من الفقهاء من يرى أن المرأة لها حق العمل وتولى الوظائف ما دامت قد تأهلت بالعلم والخبرة، ومنهم من يرى أن المرأة لا تعمل إلا عند الضرورة، وقد مثلوا للضرورة بقلة موارد رزقها ورزق الأسرة.

والإسلام دين يحض على تعليم المسلمين رجالاً ونساء، فالرسول ﷺ كان يطلق الأسير فى مقابل أن يُعَلِّمَ بعض الصغار القراءة والكتابة. وكان ﷺ يوصى كل متعلم بتعليم جيرانه، وبما أنه ﷺ قال: «من كتم علمًا يعلمه جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار»(*). لذلك نرى أن المرأة إذا اكتسبت علمًا، وكان المجتمع فى حاجة إلى خبرتها فإن لها أن تعمل، سواء حسبنا هذا فى عداد الحقوق أم من قبيل الضرورات.

(*) أحمد، باقى مسند المكثرين، ١٠٠٨٢. ابن ماجة، المقدمة، ٢٥٧.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾

* وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ـ أى وإن علمتم خلافًا بينهما يهدد روابط الأسرة. فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ـ للنظر فى أمر الطلاق وتسوية الحقوق على ضوء ما ينسب إلى كل من الزوجين من الظلم. إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا * وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ـ أى الذى ليس بينكم وبينه قرابة. وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ ـ الرفيق أو الزميل فى العمل أو فى السفر. وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا.

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ـ من المال والعلم ـ شبههم اللّه بالكافرين بقوله: وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ـ لأن فى بخلهم كفرًا بأنعم الله. وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا * إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا * فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ـ نبى أدى رسالته فيشهد على أمته أنه أتم إليها البلاغ. وَجِئْنَا بِكَ ـ يا محمد. عَلَىٰ هَؤُلاءِ ـ الذين عاصروك ومن جاءبعدهم وعلم بالإسلام. شَهِيدًا.

---

(٤٣) قضية: التحكيم: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا . . . ﴾ [الآية: ٣٥].

يشترط فى المُحكِّم أن يكون على دراية بشرع الله وقريبًا من الزوجين يعلم بظروفهما.

إن التحكيم يقوم على الثقة فى المحكم، وقد كثر الاعتماد عليه فى عصرنا الحاضر لفض المنازعات المدنية والتجارية نظرًا لسهولة إجراءاته، واختصاره للوقت مقارنة بالقضاء المزدحم فى كثير من البلدان بوابل من مختلف أنواع القضايا. وكثير من النظم القانونية المعاصرة تقر التحكيم وتضع له ضوابط تنظمه، لذلك يحسن جذب الانتباه إلى الأمور الآتية:

إذا كان الزوجان مسلمين فسوف يكون الحكمان مسلمين، أما إذا كانت الزوجة كتابية فإن أحد الحَكَمَيْن، الذى هو من أهلها، سيكون كتابيًا مثلها ـ إن لم يكن فى أقاربها أحد من المسلمين ـ فكيف يعتمد عليه فى تطبيق شرع الله، وهو غير مؤمن بالإسلام، ولا يعلم بمبادئه علمًا كافيًا ؟

ونظرًا إلى أن الآية مطلقة لم يرد فيها قيد ولا شرط يتعلق بصفة من هو من أهلها، ومراعاة لموقف كل من الحكمين فى رعاية مصلحة طرف من طرفى النزاع، فإن الحكمين سواء كانا مسلمين أم كان أحدهما غير مسلم، يمكن ألا يصلا إلى حُكم يرتضيانه لحل النزاع، فيكون التحكيم فى هذه الحالة ضياعًا للوقت، وتعود القضية مرة أخرى إلى القضاء ليعيد النظر فيها من البداية.

ولضمان فعالية التحكيم فى مثل هذه الأحوال نرى ضرورة أن يمارس الحَكَمان مهمتهما بمشاركة حَكَم ثالث (مرجح) يكون مسلمًا وعلى علم بالشريعة الإسلامية، يتم اختياره بمعرفة القاضى (المحكمة) الذى كان سينظر القضية لولا التحكيم.

ولا نكون بذلك خارجين على حُكم الآية الكريمة، لأن محكمة التحكيم تكونت من حَكَم من أهله وحَكَم من أهلها، وليس فى الآية ما يفيد وجوب قصر هيئة التحكيم على هذين الحَكَمَيْن فقط، فيمكن إضافة حَكَم مرجح عالم بالشرعية الإسلامية، حتى إذا ما تناقضت اتجاهات الحكمين يقوم هو بترجيح الكفة التى يراها مرضية لله سبحانه وتعالى.

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾

* يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ - أىْ يصيرون ترابا. وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا - ولا يستطيعون إخفاء حقيقة أعمالهم عن اللَّه. يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ(*) وَلا جُنُبًا(**) إِلاَّ - أن تكونوا. عَابِرِي سَبِيلٍ(***) حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ - أى لمستم بشرة النساء، ونقض الوضوء يكون للامس والملموس طالما لم يكن بين بشرة هذا وذاك حائل من ملابس أو قماش أو جلد. فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا - ترابًا أو غبارًا. طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ - ضربة بباطن اليدين على الصعيد لمسح الوجه، ثم ضربة أخرى لمسح اليدين حتى المرفقين. إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ - أى أهل الكتاب الذين علموا برسالة الإسلام ورفضوا الدخول فى الإيمان. يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ - منكم. بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا.

مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ - أى كلام التوراة. عَن مَّوَاضِعِهِ - أى يحرفونه عن المفاهيم التى وضع لها بالتأويل المغرض وليس بالتفسير الأمين. وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا - منك يا محمد. وَعَصَيْنَا - ولم نؤمن. وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ - أى أن ظاهر عباراتهم يوحى بأنه كلام عادى يعبر عن مجرد رفض الدخول فى الإسلام، مع أن هذه العبارات هى عندهم تستعمل فى السب، ويقولون لو كان نبيًا بحق لأعلمه اللَّه أننا نَسُبُّهُ - وقد أنزل اللَّه تعالى على رسوله هذه الآيات تفضح مقاصدهم الخبيثة. وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا - أى الكلام الصادق الذى ليس له باطن من المعانى الخبيثة. لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً - منهم، كعبد اللَّه بن سلام أعلم أحبارهم الذى أسلم هو ومن اتبعه. يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ - فى الدنيا بمسخ خلقتهم. كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ(****) وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً.

(*) كان المؤمنون، قبل بيان تحريم الخمر، منهم من يتابع نهج الجاهلية فيتناول المسكرات، فأنذرهم الله سبحانه وتعالى بالآية: ﴿ لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾. ثم بعد ذلك بين التحريم المطلق بالآية: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١].

(**) بعد الاحتلام، أو بعد الاتصال الجنسى (الإيلاج) يكون الشخص - سواء الرجل أو المرأة - جنباً إلى أن يغتسل بقصد التطهر.

(***) كأن يكون مكان الماء داخل المسجد ولا مدخل إليه إلا بالمرور ببيت الصلاة، فيباح له عبور المسجد وهو جنب ليغتسل (راجع تفسيرى القرطبى وابن كثير).

(****) راجع الآية ١٣٣ من سورة الأعراف.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾

* إنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ ـ يوم القيامة. أَن يُشْرَكَ به ـ أما إذا تاب العبد عن كفره في الدنيا قبل أن يحضره الموت، وآمن وعمل صالحًا، فإن اللَّه يقبل التوبة الصادقة، وهى التى تكون عن وعى وندم واستغفار وشهادة بألا إله إلا اللَّه وأن محمدًا خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن جميع الأنبياء والرسل عباد الله. وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّه فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ـ بأن قالوا نحن أبناء اللَّه أو شعبه المختار. بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً * انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ـ (النقير : قدر نواة التمر) وذلك لشدة بخلهم وحسدهم. أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ـ من الإيمان الصادق. فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ـ فلماذا يؤمنون بهؤلاء ويجحدون محمدًا ورسالته.

فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ ـ أي بمحمد. وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ـ عقابًا للكافرين. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ـ جوًا لطيفًا فى نعيم الجنة الدائم. إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ـ نعم الموعظة موعظة اللّه لكم. إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ۝ ﴾

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ـ اختلفتم فى أمر. فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ـ إلى القرآن والسنة. إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ـ وهم المنافقون. يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ـ أراد أحد المنافقين الذين يدّعون الإسلام الاحتكام إلى أحد الكفار، بينما أراد خصمه اليهودى الاحتكام إلى رسول الله محمد، واحتكما بالفعل إلى رسول الله ﷺ وقضى بالحق لليهودى. وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ـ بالطاغوت. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً.

---

(٤٤) قضية: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [الآية: ٥٩].

يأمرنا اللّه سبحانه وتعالى، عند الاختلاف حول أمر هام، أن نرجع فى شأنه إلى القرآن والسنة، لذلك فإن الاجتهاد يجب أن يكون مستندًا إلى حجة من نصوص القرآن والسنة أو إلى روحهما.

ونصوص القرآن والسنة محصورة، ومشكلات الناس من حيث الزمان والمكان لا تنتهى. ولكن المتأمل فى نصوص الشريعة يستطيع أن يتثبت من أن الله اعتنى بكل المسائل المتعلقة بالدين والحياة، فشريعة الله تعرضت لمشكلات كبيرة وهامة، ووضعت الحلول المباشرة لها، وسكتت عن مسائل أخرى. وذلك السكوت ليس من قبيل الإهمال ولا هو يعنى أن كل المسكوت عنه مباح. لذلك كان الفقه بأصوله وقواعده الكلية نظاما يبحث فى أحكام جميع المسائل بالرجوع أولاً إلى القرآن والسنة، والاستنباط منهما ومن روحهما.

ولا غرابة فى اختلاف آراء الفقهاء، فالرأى يثرى ثقافة المجتمع، والصواب قد تكون له عدة أوجه. ولكن اختلاف الرأى قد يدفع إلى تضارب أحكام القضاء فى القضايا المتشابهة، فيرى قاض اتباع رأى هذا الفقيه، وقاض آخر يفصل فى قضية مماثلة، ويرى اتباع رأى فقيه آخر، فهذا يُبَرِّئُ وذاك يُدين.

لذلك كان لزامًا أن يكون إلى جانب نصوص القرآن والسنة واجتهادات الفقهاء دور هام يقوم به ولى الأمر، ألا وهو توحيد معيار العدالة، فيأمر جميع القضاة فى الإقليم الذى يحكمه بأن يلتزموا الحكم الشرعى الذى تمت صياغته فى نص القانون (وكان يسمى قديمًا أوامر ولى الأمر). لذلك يجب أن تضم الهيئات التشريعية فى الدول الإسلامية مجالس للفقهاء المعاصرين للمشاركة فى وضع القوانين.

وولى الأمر عندما يضع قانونًا يأخذ من آراء الفقهاء القدماء والمعاصرين ما يتناسب مع مجتمعه، ولكن نص القانون لا يكون له إلا وجهة واحدة ومحددة، فإذا اختلف الفقهاء حول مسألة معينة، فذهب فريق إلى القول بتحريمها وذهب فريق آخر إلى القول بإباحتها، فإن اتجاه المقنن يكون محددًا، إما أن يتجه إلى تحريم المسألة فيصدر بشأنها قانونًا يحرمها (مطلقًا أو فى بعض الظروف والأماكن) وإما أن يتجه إلى إباحتها فلا يصدر بشأنها قانونًا، فتكون مردودة إلى أصل الإباحة. وقد يغير الحاكم موقفه مع الزمان فيغير القانون، ولكنه لا يملك أبدًا أن يُضَمِّنَ نصوص القانون تناقضات حول الموضوع الواحد، والقانون الجديد يلغى القوانين السابقة فى الموضوع، فلا أثر فى التطبيق إلا للقانون الجارى العمل به. وذلك على خلاف الفقه، فإن آراء الفقهاء القديمة والحديثة تعيش معًا وتنتج آثارها معًا فى الشرح والتنوير، بالرغم من اختلافها وتباينها، لذلك فهى رحمة للأمة لأنها تمد الحاكم بذخيرة معرفية ليستطيع فى كل حين الانتقال من رأى إلى رأى فقهى آخر بغية تطوير القانون الإسلامى لصالح مجتمعه. ←

﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾

فَكَيْفَ إِذا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ـ بسبب الإعراض عنك والاحتكام إلى أهل الكفر. ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا ـ بذلك. إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ـ إلا سعيًا للصلح بالتراضى بين الطرفين، وليس بعرض النزاع على قاض ليقضى فيه بغير قضاء اللَّه. أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ـ من عظة وتوبيخ وإنذار.

➡ والحاكم وهو ينتقى من الآراء الفقهية ليصوغ القانون أو ليغيره ويعدله، يجب أن ينتهج منهج الشورى عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨].

وبعد ذلك إذا اجتهد الحاكم بهذه السبل فأصاب الخير لمجتمعه فله عظيم الأجر والثواب، وإذا جانب تحقيق الخير فعندئذ يكون مأجورًا أيضًا، إذا لم يكن قد قصر فى اتباع الشورى. وبالشورى تقوى أوجه الصواب وتضعف أوجه الخطأ، ويمكن تدارك الآثار الضارة بالعمل على تغيير وتطوير القوانين دون إبطاء.

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ . . .أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ وبناء على ذلك فإن القاضى يلتزم بأوامر ولى الأمر ما دامت لا تخالف نصًا فى القرآن أو السنة (وأوامر ولى الأمر قد تكون صادرة فى نصوص مكتوبة، أو قد تكون حلولاً استقر عليها قضاء المحاكم العليا فى الدولة) فإذا أحسن تطبيقها فيكون له أجران، وإذا أخطأ فيكون له أجر. ولكن ليس للقاضى أن يخالف القانون ليحكم برأى فقهى على خلاف حكم القانون، لأنه بذلك يفتح بابًا للقضاة الآخرين، كل منهم يترك القانون ليتجه وجهة يراها ويقول : إن موقفى إسلامى لأننى أستند إلى أحد آراء الفقه الإسلامى. فالقاضى بذلك يتحمل إثم الخروج على أوامر ولى الأمر وعدم التزام آيات القرآن والأحاديث النبوية التى أمرت بطاعة أولى الأمر (ما دامت القوانين قد روعى فى صياغتها أسس الشريعة الإسلامية) وذلك يجعل معيار العدالة مشتتًا فى المجتمع، فَيُبَرَّأ أناس ويدان آخرون على اقتراف أعمال متماثلة أو متشابهة. ولذلك لا ينطبق عليه فى هذه الحالة حديث رسول الله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»(*).

ويجب التنبيه إلى الاختلاف الجذرى بين الصياغات الفقهية والقانونية، فالفقيه يبدى رأيًا، فإذا تبنى ولى الأمر هذا الرأى فإن الجهاز التشريعى بالدولة يقوم باجتهاد جديد ليصيغ ذلك الرأى صياغة دقيقة حتى يصدر النص القانونى مفصلاً فلا يختلف القضاة حول فهمه وتطبيقه.

ومما تقدم يتبين أن القانون الإسلامى، هو القانون الذى تتم صياغته بمراعاة أسس الشريعة الإسلامية، وهو قد يختلف من موطن إلى موطن ومن زمان إلى زمان فهو قابل للتبديل والتغيير والتطوير فى الحدود التى تسمح بها معايير أصول الفقه وقواعده الكلية.

أما الفقه الإسلامى فهو الثروة الفكرية التى تنمو وتثرى باطراد، فالرأى يضاف إلى الرأى دون أن يلغى أحدهما الآخر، والاختلاف يغذى الحصيلة المعرفية والثقافة الدينية والقانونية.

أما الشريعة الإسلامية فهى المنهج القويم كما بينته نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والقواعد الإرشادية (علم أصول الفقه وقواعده الكلية) المتولدة عنهما، وهى ثابتة لا تتغير ولكنها مرنة تسمح بتخريج الحلول وتطويرها.

(*) البخارى، الاعتصام بالكتاب والسنة، ٦٨٠٥. مسلم، الأقضية ٣٢٤٠. الترمذى، الأحكام ١٢٤٨. أبو داود، الأقضية ٣١٠٣. ابن ماجة، الأحكام ٢٣٠٥. أحمد، مسند الشاميين ١٧١٠٦.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا (٦٥) وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا (٧٠) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا (٧١) وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣) ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧) ﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّه ولَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جاءُوكَ فاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيماً * فلا وربِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً * ولَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم ـ كما كتبنا على بنى إسرائيل من قبل فى التوراة. مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ولَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ـ فى شريعة الإسلام. لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ـ على الإيمان الصادق بالله. وَإِذًا لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيماً * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيماً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا. وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ـ فى الخروج مع الرسول للجهاد. فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ ـ بالنصر. لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ ـ فأفوز فوزًا عظيماً * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ ـ أو ينتصر. فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ـ فى الآخرة. وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ـ الممنوعين من الهجرة من مكة. الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ـ الشيطان. فَقَاتِلُوا ـ أيها المؤمنون. أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً * أَلَمْ تَرَ إِلَى ـ المؤمنين. الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ـ عن قتال الكفار الذين يؤذونكم بمكة وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ ـ بعد هجرتهم إلى المدينة، وقد صاروا أقوياء. إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ـ نستمتع بحياتنا، ونحن مؤمنون بك وبرسولك. قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً.

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ ـ إن تصب المنافقين نعمة. يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ـ لما يعلم فى نفوسنا من خير. وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ـ أى من شؤم محمد. قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ـ ابتلاء، سواء الحسنة أم السيئة. فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ ـ جزاء على أعمالك الخيرة. فَمِنَ ـ فضل. اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ـ أيها الإنسان. فَمِن نَّفْسِكَ ـ جزاء على اقتراف الآثام (وقد تنزل المصيبة على المؤمن للامتحان أو للتكفير عن ذنوب مضت، فيرتفع بصبره درجات فى الإيمان). وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً ـ تبين لهم أحكام اللَّه. وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً * مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً * وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ـ يقول المنافقون لك الطاعة. فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ ـ بيتوا النية على مخالفة ما عاهدوك عليه. وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ـ أفلا يتأملون فى القرآن وإعجازه ، ويقارنون ذلك بكتب الناس، ولو كان الكلام من عند غير اللَّه لورد فيه التناقض. وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ ـ نبأ. مِّنَ الْأَمْنِ ـ النصر. أَوِ الْخَوْفِ ـ التراجع أو الهزيمة. أَذَاعُوا بِهِ ـ نشروه دون أن يكلفوا أنفسهم تبين صدقه من كذبه، ولو أنهم ترووا فانتظروا ليستعلموا من الرسول، أو من أولى الأمر من القادة والحكام الذين يخلفهم الرسول ليقوموا على شؤون الناس عند خروجه للحرب، لتبين لهم الصدق من الكذب عن طريق أهل الخبرة والدراية من قبل أن يشيعوا الأخبار بين الناس فتضعف نفوسهم. وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً * فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ـ لا تسأل إلا عن نفسك. وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ـ على اتباعك. عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً. مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً ـ يسعى بين الناس بالخير. يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ـ من الأثر الطيب الذى يترتب عليها. وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً ـ يسعى بغرض الشر يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ـ نصيب من الشر. وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ـ رقيبًا قادرًا. وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ـ رقيبًا محاسبًا. اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا

﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾

* فَمَا لَكُمْ - اختلفتم في أمر. الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ - فئة ترى قتلهم وأخرى ترى العفو عنهم لظاهر إسلامهم. وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم - ردهم وفضح أمرهم. بِمَا كَسَبُوا - من النفاق والخساسة. أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا - أي تنسبوا الإيمان إلى من أضل اللّه (لوم على موقف الفريق الذي يرى العفو عنهم). وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً * وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ - بالخروج مع الرسول والانضمام الصادق إلى صفوفه أينما كان. فَإِن تَوَلَّوْا - عن المؤمنين بالانسحاب. فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً * إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ - عهد أمن وسلام. أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ - بمشاركتكم الجهاد. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً.

---

(٤٥) قضية: الانسحاب من الصفوف في الحرب [الآية: ٨٩].

نزلت الآية في فريق من الجند رجع عن جيش الرسول ﷺ في غزوة «أحد» قبل القتال، قيل: كانوا ثلاثمائة رجل بقيادة المنافق عبد اللّه بن أُبَيٍّ بن سلول، وتركوا الرسول في سبعمائة مقاتل من المؤمنين الصادقين(*).

هذا الموقف يثير قضية هامة وهي أن أحكام شريعة اللّه واقعية ومنطقية، ألا نرى في القوانين العسكرية في عصرنا الحاضر بشاعة جريمة الخيانة العظمى، وعقوبة الإعدام تناسب مقترفها. إن المنافق لا يهمه إلا مصالحه الشخصية، وهو حريص أشد الحرص على الحياة، وبمجرد أن يتخوف يفر فرار الجبناء ويحدث فراغًا وزعزعة في صفوف الجيش.

إن المنافق لا إيمان له بمبدأ ولا بشريعة، فمبدؤه حبه لذاته، وهو أشد خطرًا على مجتمعه من عدو كافر، لأن الكافر واضح يعلن عن موقفه، أما المنافق فيظهر ما لا يبطن فيجعل الناس يركنون إلى ظاهر أمره، وهو مزيف للحقيقة. وعندما تشتد الأمور وتحتاج إلى حزم وعزم تجده خائرًا فارًا هاربًا بحياته، فدينه هو حياته وماله، لا يكترث بأمن مجتمعه ووطنه، فلا وطن له في قرارة نفسه.

(٤٦) قضية: اللجوء السياسي والفرار واحترام المواثيق: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ [الآية: ٩٠].

هذه الآية تبين مدى احترام الإسلام للمواثيق والعهود، فإن العصاة والمتمردين كالمنافقين، إذا لجأوا إلى قوم بينهم وبين المسلمين - المتضررين من هؤلاء - ميثاق (معاهدة) فإن هذا اللجوء يعصمهم، على ألا يكون من صريح شروط الميثاق عدم قبول مثل هؤلاء اللاجئين.

إن هذا المبدأ يقترب من مفهوم اللجوء السياسي، على أن هناك تحفظًا واجبًا نرى التنبيه إليه، وهو ألا يصل اللجوء إلى الكثرة التي يعتبر معها تجمعًا لقوى مستقبلية تواجه المسلمين بالحرب، فإن هذا يكون منافيًا لميثاق الأمان بين المسلمين والقوم الملتجأ إليهم. ويجب التنبيه إلى أن سواد العلاقات السلمية بين المجتمعات واستمرارها طويلاً يُعَدُّ، في نظرنا، ميثاقًا ضمنيًا بالسلم والأمان.

(*) راجع لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، بهامش تفسير الجلالين.

﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾

* ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ـ بنفاقهم. ويأمنوا قومهم ـ فيظهروا الكفر عند لقائهم (وهما قبيلتا أسد وغطفان). كلَّ ما ردُّوا إلى الفتنة أُركسوا فيها ـ المعنى أنهم غارقون فى النفاق والشرك. فإن لم يعتزلوكم ـ بحق. ويُلقوا إليكم السَّلَمَ ـ الخالص فلا يفشون أسراركم لعدوكم. ويكفُّوا أيديهم فخذوهم ـ بالأسر. واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولائكم جعلنا لكم عليهم سلطانًا مبينًا * وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلاَّ خطئًا ومن قتل مؤمنا خطئًا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مُسَلَّمة إلىٰ أهله إلاَّ أن يصَّدَّقوا ـ أى يتصدق أهل القتيل بالعفو والتنازل عن الدية. فإن كان من قوم عدوٍّ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مُسَلَّمة إلىٰ أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما.

---

(٤٧) قضية: القتل الخطأ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا ﴾ [الآية: ٩٢].

من أمثلة القضايا التطبيقية التى تثار بمناسبة هذه الآية ما يلى :

١ ـ القتل الخطأ يعنى عدم توفر القصد الجنائى لدى القاتل.

٢ ـ قد توجد الرعونة إلى جانب الخطأ، فيصبح الخطأ جسيمًا، كأن يقود شخص سيارة بسرعة عالية فى مكان مزدحم بالناس، أو يلقى من النافذة شيئًا ثقيل الوزن وهو يعلم أن مئات من الناس يمرون من تحت منزله. إن مثل ذلك الشخص الأرعن يستحق تشديد العقوبة لأنه يدرك أن فعله سينتج عنه الموت غالبًا، فاستوى عنده أن يحصل الموت أو لا يحصل، فكيف يقبل القاضى القول بأنه لم يقصد أن يقتل. صحيح أنه لا يعرف المقتول ولم يقصده بنفسه، ولكنه استوى عنده أن يموت هذا الشخص أو ذاك أو لا يحدث الموت. إن مثل هذا الشخص أقرب إلى القاتل العمد منه إلى القاتل خطأ، ويجب أن يعاقب عقوبة تعزيرية مناسبة إضافة إلى ما ورد فى الآية من كفارة. وكذلك الأمر بالنسبة لشارب الخمر، إذا وقع منه القتل الخطأ لأنه أقدم عمدًا وهو واعٍ على شراب من شأنه أن يذهب العقل ويجلب الرعونة وعدم الانضباط واختلال التوازن.

٣ ـ ومن التطبيقات الدقيقة أيضًا فى هذا المجال الحكم بالإعدام على شخص برىء، فالقضاة قد حكموا عليه خطأ، وعلى الهيئة القضائية (الدولة) تعويض أهله بالدية. لذلك يحسن أن تراعى القوانين أن يظل المحكوم عليه بالإعدام حيًا فى السجن لمدة مناسبة (عام أو عامين) لربما يظهر من الأدلة ما يفيد براءته أو ما يوجب تخفيف الحكم عليه.

٤ ـ ومن الأمثلة التى يمكن أن تحدث فى الحروب، أن يحاصر العدو قلة من المسلمين، فإن توقف الجيش عن قتال العدو خوفًا على هؤلاء سينتصر العدو ويهلك من المسلمين أضعافهم، فعندئذ يواصل الجيش القتال، وتعوض الدولة بعد النصر أهل من استشهدوا من المسلمين، ولا كفارة على أحد من الجنود لأنه لا أحد يعلم من قتل من، وكل جندى ينفذ الأوامر، ولا يعتبر ذلك من قبيل القتل العمد ولا القتل الخطأ، وإنما هو حالة خاصة.

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾

* وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ـ ذلك إن لم يتب ويكفر عن هذا الذنب العظيم. والتكفير يكون بوضع نفسه تحت تصرف العدالة للقصاص، فإن عفى عنه يدفع الدية لأهل القتيل. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ ـ خرجتم للجهاد. فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ـ أي ميزوا بين من يعاديكم ومن يسالمكم. وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ ـ شهادة الإسلام التى بها يحقن الدم والمال. لَسْتَ مُؤْمِنًا ـ أى لا تقولوا له: إنك تدفع عن نفسك شر الهزيمة بظاهر الشهادة، ولكنك فى واقع الأمر لست مسلمًا. تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ـ تريدون أخذ ماله غنيمة. فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ـ غير مال هذا الذى ألقى إليكم كلمة الإسلام. كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ ـ كافرين مثله ثم آمنتم بفضل الله. فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ـ فميزوا وتثبتوا حتى لا تقتلوا مسلمًا. إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ـ (كان المؤمن لا يقعد عن الجهاد إلا بعذر، أما بعد تنظيم الجيوش، فقد أصبح واجب الخروج كفائيًا على الأمة وعينيًا على رجال الجيش). غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ـ من كان به عائق من مرض أو عجز. وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا.

(٤٨) قضية: ﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [الآية:٩٢].

تفيدنا هذه الآية بأن الإسلام لا يجبر الأفراد إذا ما أسلموا على ترك أوطانهم ومجتمعاتهم، ما دام محيطهم الاجتماعى لا يعوقهم فى أداء شعائرهم وعباداتهم، ومن ذلك يجوز أن يحمل المسلم المعاصر جنسية دولة غير مسلمة، ما دامت لا تجاهر بالعداء للإسلام والمسلمين.

(٤٩) قضية: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ [الآية:٩٣].

* القتل العمد هو إتيان فعل من شأنه أن يحدث الموت للغير، مع توفر القصد الجنائى، فإن حدث الموت فإن جريمة القتل قد تمت، أما لو نجا المجنى عليه بسبب لا دخل لإرادة الجانى فيه فإن فعل الجانى فى هذه الحالة يعتبر شروعًا فى القتل لم تبين آيات القرآن الكريم ولا أحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، حدًا له، ومثل هذه الأفعال الخطرة تستوجب فى الشريعة الإسلامية عقوبة تعزيرية إلى جانب تعويض المجنى عليه عما لحقه من أذى وأضرار. وأغلب العقوبات التى كانت فى الماضى تعزيرية تخضع لتقدير القاضى صارت اليوم عقوبات مقدرة بالقوانين فى أغلب الدول الإسلامية المعاصرة.

* لا يلزم فى القتل العمد أن يقصد الجانى قتل المجنى عليه شخصيًا، فالعبرة بتوفر نية القتل، كمن يطلق النار عمدًا على جماعة، فسقط أحدهم، فهو قاتل متعمد حتى ولو لم يقصد قتل من قُتِلَ بشخصه. وعقوبة القاتل العمد فى الدنيا القصاص، إلاأن يعفو عنه أهل المجنى عليه فيدفع الدية. ويبقى حق المجتمع فى القصاص من الجانى قائما، ذلك لأن كل جريمة تمثل اعتداء على أمن الجماعة واستقررها.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا ـ أى الملائكة. فِيمَ كُنتُمْ ـ منشغلين فـى حياتكـم الدنيا. قَالُوا كُنَّا ـ عاصين اللَّه بالشرك والكفر لأننا كنا. مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا ـ الملائكة. أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ ـ المغلوبيـن على أمرهم. مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً * وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيراً وَسَعَةً ـ مواطن كثيـرة وسَعَةً فى الرزق. وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً.

---

* قال رسـول الله ﷺ: «إذا اقتتل المسلـمان بسيفـيهما فـالقاتل والمقـتول فى النار. قيل: هذا القـاتل فما بال المقـتول يا رسول الله؟ قال: كان حريصًـا على قتل صاحبه »(*). وعلى ذلك فالفتن التى تقوم بين المـسلمين، ستودى بأمم منهم إلى نار جهنم يوم الحساب، والمـحرض على الإجرام والفتن يجنى من الآثام ما يجنيه المـجرمون. لذلك ندعو المجتمعـات الإسلامية إلى إنشاء هيآت تحـكيم دولية لفض المنازعات بين المسلمـين، اعتبارا لقول الـله تبارك وتعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥]. ذكر القرطبى: عن ابن عباس، رضى الله عنه، قال : « نزلت هذه الآية فى أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وقال: أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر فيما بينهم فيعمهم العذاب».

وعن حذيفـة بن اليمـان، رضى الله عنه، قال: قال رسـول الله، صلى الله عليـه وسلم. «تكون بين ناس من أصحـابى فتنة يغفرها الله لهم بصحبتهم إياى، يستن بهم فيها ناس من بعدهم يدخلهم الله بها النار».

وهذه التأويلات تعضدها الأحاديث الصحيحة، فـفى صحيح مسلم عن زينب بنت جحش، رضى الله عنها، سألت رسول الله ﷺ فقالت : «يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : نعم، إذا كثر الخبث ».

وفى صـحيح التـرمذى : «إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخـذوا على يديه أوشك أن يعـمهم الله بعـذاب من عنده». وفى صحـيح البخـارى والترمذى، عن النعـمان بن بشـير، عن النبى ﷺ قال: «مـثل القائم على حـدود الله والواقع فيـها كمـثل قوم استهـموا على سفينة فـأصاب بعضهم أعـلاها وبعضهم أسفلهـا، فكان الذين فى أسفلها إذا اسـتقوا الماء مروا على مـن فوقهم فقالوا: لو أنا خـرقنا فى نصيبنا خرقـا ولم نؤذ من فوقنا.. فإن يتركوهم ومـا أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخـذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»(**) .

(*) البخارى، الإيمان ٣٠، الديات ٦٣٦٧، الفتن ٦٥٥٦. مسلم، الفتن وأشراط الساعة ٥١٣٩ ـ ٥١٤٠ ـ ٥١٤١. النسائى، تحريم الدم ٤٠٥١ ـ ٤٠٥٢ ـ ٤٠٥٣ ـ ٤٠٥٤. أبو داود، الفتن والملاحم ٣٧٢٣. ابن ماجة، الفتن ٣٩٥٥.

(**) راجع تفسير القرطبى: سورة الأنفال، الآية ٢٥.

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾

* وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ ـ بالسفر. فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاة ـ الرباعية (والسنة أوضحت أن القصر فى السفر فى حال الأمن رخصة تَصَدَّقَ الله بها على المؤمنين).إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً * وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ ـ صلاة الخوف من العدو فى الحرب.فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ـ وأنت إمامهم فى مقابلة جهة العدو. وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا ـ الطائفة التى تقف للحراسة ولم تصل بعد من وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ـ حتى ولو كنتم فى الصلاة. وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِيناً.

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ ـ ذهب عنكم الخوف. فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ ـ المفروضة. كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً.

(٥٠) قضية: صلاة الخوف فى المعركة [الآيتان: ١٠١، ١٠٢].

رسمت صلاة الخوف فى الحروب القديمة التى كانت تتطلب مواجهة مباشرة بالسيف والرمح والخيل والجمال، وغير ذلك، وهى بديل عن الصلاة الأصلية.

وقد وردت فى صلاة الخوف كيفيات مختلفة حسب حالة الخوف قوة وضعفًا، وحسب ما إذا كانت المعركة فى السفر حيث يجوز قصر الصلاة الرباعية، أم فى الحضر.

وأشهر كيفياتها فى السفر أن يقسم المعسكر إلى طائفتين : طائفة تقف تجاه العدو وطائفة تقف وراء الإمام فيصلى بها ركعة، ويثبت قائمًا (ينتظر) وتقوم هى فتصلى ركعة أخرى وتسلم، وتذهب فتقف موقف الطائفة الأخرى، وتأتى الأخرى فيصلى بها الإمام ركعة، ويثبت جالسًا (ينتظر) فتقوم هى، وتأتى بركعة أخرى ثم يسلم بهم(*). أما إذا كان القتال فى الحضر حيث لا يجوز القصر فيضاعف عدد الركعات.

ولكن الحروب الحديثة بالمدافع والقنابل والطائرات والصواريخ والمدرعات، لا يكون مناسبًا معها صلاة الخوف، فيمكن للجنود الرجوع إلى الأصل بأداء الصلوات العادية، بالتبادل بين الفرق أو بين الأفراد فى مواقعهم، وفقًا للتوجيهات المناسبة من القادة. ولكن ليس لأحد بأى حال من الأحوال أن يبتكر تنظيم صلاة الخوف بكيفية جديدة، لأنه ليس من الاجتهاد الإتيان بالجديد فى العبادات.

(*) راجع أبو بكر الجزائرى، منهاج المسلم، ط. دار المعرفة ـ الدار البيضاء ـ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٥٩.

﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمًا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمًا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾

* وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ـ مجاهدة عدوكم. إن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ـ النصر أو الشهادة. مَا لا يَرْجُونَ ـ هم، لكونهم كافرين بالله. وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ـ أي التزم الحيدة بين الخصوم ولا تنصر أحدهما على الآخر تحيزًا إلى المسلم منهم. وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ـ لا تدافع عن الذين يرتكبون الجرائم. إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ ـ يستترون. مِنَ النَّاسِ ـ خوفًا. وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ـ أينما كانوا ويعلم أسرارهم.إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا ـ يرضاه الله مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ ـ لدفع العقاب.عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً * وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا ـ معصية، كأن يغتصب حقًا ليس له أو يعين غيره على أخذ ما لا يحق له. فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا.

(٥١) قضية: الدفاع عن المذنبين [الآيات: ١٠٩-١١٢] وضع مهنة المحاماة فى عصرنا الحاضر:

• **أولاً: العدالة الجنائية:**

إن المدافع رقيب على موقفه، فإن كان يعلم بأن من يدافع عنه مجرمًا، ومع ذلك يوحى ببراءته الموضوعية من الجريمة فقد ساعده على الإثم، ويتحمل وزر ذلك مع المجرم أمام الله لأنه مشارك فى تضليل العدالة، ويتحمل كل منهما وزرًا أكبر لو أن براءة المجرم سينتج عنها إدانة شخص برىء [آية: ١١٢] وعلى أى حال ليس هناك وزر على المحامى إن اقتصر دفاعه على التماس الظروف المخففة أو المعفية من العقاب، لأنه لا يوحى ببراءة المجرم.

وتثور هنا مشكلة معاصرة وهى البراءة الإجرائية التى ينتج عنها تبرئة المتهم لعدم مراعاة الإجراءات الواجب اتباعها فى القبض على المشتبه فيهم أو تفتيش منازلهم أو التنصت على محادثاتهم...

من المعلوم أن تنظيم العدالة الجنائية يقوم على مراعاة التوازن بين أمن المجتمع واستقراره، والحفاظ على حرمات الحقوق الضرورية للأفراد، من حرية المسكن وحرية التنقل، وغير ذلك من الحريات العامة.

إن ما يكفل تحقيق هذا التوازن فى عصرنا الحاضر هو ما نسميه بقوانين الإجراءات الجنائية، التى توجب على السلطات مراعاة نظام معين فى إجراءات ضبط الجريمة والقبض على المتهم، حتى لا يكون المجتمع معرضًا للاضطراب بتعريض حرمات الناس والبيوت للانتهاك المستمر بسبب البحث عن مرتكبى الجرائم.

وليس للسلطة العامة تجاوز هذه الإجراءات حتى ولو أدى احترامها إلى إفلات بعض المجرمين، لأن ضياع فرصة الإمساك ببعضهم أهون بكثير من الإمساك بهم جميعًا مع خرق هذه الإجراءات، لأن ذلك يستتبع هتكًا للحرمات والأمن، ←

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾

وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ ـ بالهداية الحقة. لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ـ ولكنهم فى الواقع. وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ من شَيْءٍ ـ لأن اللَّه يحفظك ومن معك من المؤمنين الصادقين. وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا * لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ ـ تشاورهم فى السر إلا إذا كان الغرض من مؤتمرهم أمر بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ـ بقصد التوبة والإيمان. فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ ـ نؤته من أمر الدنيا نصيبًا. وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

← وتعريض الناس للقلق والخوف من سلوك السلطات، فيسهل اقتحام منازل العديد من الأبرياء بحجة البحث عن المجرمين، ويسهل استيقاف مئات من الأبرياء فى سبيل القبض على مجرم واحد. لذا يجب أن تحترم السلطة قواعد الإجراءات الجنائية. ويعتبر موقف المحامى شرعيًا وهو يدافع عن مجرم انتهكت السلطات حرمة مسكنه أو حرمته الشخصية بتجاوزها قوانين الإجراءات فى سبيل ضبطه. فالمحامى ليس عليه لوم، لأنه ينتقد وينقض موقفًا خاطئًا صادراً عن السلطة، وهو لم يضلل العدالة بإيحاء براءة المجرم. وفى علاقة المحامى بالله، فالله يعلم بالنوايا، فإذا كان هدفه من مرافعته فى تلك القضايا الحرص على احترام قوانين الإجراءات فذلك خير، وإن كان هدفه الارتزاق والإثراء من المجرمين فذلك هو الحرام بعينه. وإن ثبت عدم فعالية بعض القوانين الإجرائية فى حماية المجتمع من جرائم خطيرة مثل المخدرات والخيانة العظمى للدولة، فإن هذه هى مشكلة الحاكم (المقنن) الذى يمكنه معالجة الأمر بوضع إجراءات استثنائية تجاه هذه الجرائم.

أخرج الخرائطى فى مكارم الأخلاق عن ثور الكندى أن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، كان يعس بالمدينة من الليل، فسمع صوت رجل فى بيت يتغنى، فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر، فقال: يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته ! فقال: وأنت يا أمير المؤمنين لا تعجل علي أن أكون عصيت الله واحدة، فقد عصيت الله فى ثلاث : قال الله: ﴿ولا تجسسوا﴾ [الحجرات: ١٢]. وقال: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ [البقرة: ١٨٩]. وقد تسورت على ودخلت على بغير إذن، وقال الله: ﴿لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ [النور: ٢٧]. قال عمر: هل عندك من خير (أى توبة عن تلك المعاصى) إن عفوت عنك ؟ قال : نعم. فعفا عنه وخرج وتركه(*).

وهذا الموقف يستحق وقفة هامة، لأن عمر بن الخطاب من أحرص الناس على التطبيق السليم لأحكام الشريعة، وهو يعلم أن أوامر اللَّه بعدم التجسس، وعدم دخول البيوت إلا بعد استئذان أهلها، من الأمور التى ينبغى أن توضع فى الصف الأعلى لأنها تتعلق بأمن الناس وكرامة المجتمع.

• ثانيًا: العدالة التوزيعية:

وما يقال عن العدالة الجنائية يقال عن العدالة التوزيعية من معاملات وأحوال شخصية وعلاقات دولية خاصة بين الأفراد، وقوانين الإثبات وقوانين المرافعات، فالضرر الذى يعود على المجتمع من عدم احترام قوانين المرافعات وقوانين الإثبات، يتمثل فى تعريض المعاملات للاضطراب العام، وضرر ذلك أكبر من الضرر الناجم عن استحواذ بعض الظالمين على غير حقوقهم.

(*) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، للسيوطى، ط. دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج ٧ تفسير الآية ١٢ من سورة الحجرات.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾

* إِنَّ اللَّهَ لا يغفر أَن يُشْرَكَ به وَيَغْفِرُ مَا دون ذَلِكَ لِمَن يشاءُ وَمَن يُشْرِكْ بالله فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعيداً * إن يَدْعُونَ من دُونه إلاَّ إنَاثًا ـ كان العرب يسمون بعض الأصنام بأسماء مؤنثة. وَإن يَدْعُونَ إلاَّ شَيْطَانًا مَّريداً * لَعَنَهُ اللَّهُ ـ إبليس وكل شيطان عاص. وَقَالَ لأَتَّخذَنَّ منْ عبَادكَ نَصيبًا مَّفْرُوضًا * وَلأُضلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ ـ أماني باطلة ملؤها الغرور. وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ ـ يقطعن آذان البهائم فيؤذونها دون طائل، ويحرمون الانتفاع بهذه الأنعام المسومة. وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّه ـ يغيرون طبيعة ما خلق الله. وهم لا يصلون إلى شيء من هذا إلا بإذن اللَّه (الله يتيح للناس سبل التقدم العلمي لأقصى أبعاده، على سبيل امتحان الإنسان). وَمَن يَتَّخذ الشَّيْطَانَ وَليًّا مِّن دُون اللَّه فَقَدْ خَسرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا * يَعدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلاَّ غُرُوراً.

أُوْلَئكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجدُونَ عَنْهَا مَحيصًا ـ مهربًا أو ملجأ. وَالَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات سَنُدْخلُهُمْ جَنَّات تَجْري من تَحْتهَا الأَنْهَارُ خَالدينَ فيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّه حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ منَ اللَّه قيلاً * لَيْسَ ـ الفوز بالجنة. بِأَمَانِيِّكُمْ ـ ليس بمجرد الأماني دون عمل ما يتطلبه الإيمان الصادق. وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ـ الذين يظنون أنهم فائزون لانتمائهم لعرق معين أو لمجرد ادعاء حبهم لله مع تعمدهم عصيان أوامره وكفرهم ببعض رسالاته ورسله، وخاتمهم محمد ﷺ. مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ به وَلا يَجدْ لَهُ من دُون اللَّه وَليًّا وَلا نَصيراً * وَمَن يَعْمَلْ منَ الصَّالحَات من ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمنٌ فَأُوْلَئكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقيراً.

---

(٥٢) **قضية :** ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ به وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ **[الآية: ١١٦].**

إن الله كريم يزن الحسنات في مقابل الخطايا فيغفرها، ويغفر بكرمه أكثر من ذلك، فيضاعف الحسنات، ويغفر بغير حساب، ويعفو عن كثير من الخطايا ولو سها مرتكبها عن الاستغفار عنها، إلا الشرك والكفر فالله لا يعفو عنه بغير استغفار وتوبة، فيلزم أن يندم التائب عما تقدم منه من شرك أو كفر أو إلحاد ويعزم على ألا يعود إليه، فيقر بالعقيدة السليمة ويؤمن بجميع أنبياء الله ورسله وخاتمهم محمد، وذلك مقبول عند اللَّه قبل سكرة الموت، والإسلام يَجُبُّ ما قبله. وإن عاد الشخص إلى الكفر بالردة عن الإسلام ثم عاد فتاب ورجع وندم، فإن اللَّه يقبل ذلك أيضًا، فهو سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِه فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ... ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فبالموت يرتفع التكليف، ويذهب الإنسان إلى الحساب بين يدي خالقه. أما قبل ذلك فكل توبة جائزة ما دامت صادقة مستوفية شروطها.

ولكن التحذير يكمن في أن الكافر عامة، على أية صورة كان كفره، تكون نفسه كثيبة بظلمات الكفر، فالشخص الذي يكفر بقصد الإغراق في ملذات الحياة وعصيان اللَّه، ليس من السهل عليه أن يتعظ ويستفيد من الظروف الدافعة إلى التوبة والندم، فالشيطان يسعى إلى تكبيله بالمعاصي ليكون قلبه مظلمًا فيموت على كفره.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾

* وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ـ وهى ملة التوحيد التى يؤمن بها جميع الرسل والأنبياء ، ولكن إبراهيم هو الذى سمى المؤمنين بالمسلمين. وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً * وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ـ القرآن. فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ـ من مهور وعطايا وحقوق بمقتضى الزواج. وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً * وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً ـ عن معاشرتها كما يجب أن تكون العشرة بين الأزواج. فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً ـ بالتنازل عن بعض الحقوق بالرضا. وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ـ من الفرقة. وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ ـ البخل بالمال وتجنب الإحسان والمعاشرة الطيبة، وذلك سبب أغلب حالات الشقاق والخلاف. وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً * وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا ـ أن تضبطوا عواطفكم فتسووا. بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا ـ فى معاملتكم لهن. كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا ـ فتهملون زوجة بسبب الميل للأخرى، فتكون. كَالْمُعَلَّقَةِ ـ لا هى زوجة من حيث واقع المعاشرة، ولا هى مطلقة من حيث الشرع. وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً.

وَإِن يَتَفَرَّقَا ـ إن لم يحدث التصالح بينهما يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ ـ بأن يفتح لكل منهما الأبواب نحو زواج جديد. وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا ـ فلن تضروا اللّه شيئًا. فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ـ يعبدونه بإخلاص، لو كان يستفيد من إيمان الناس أو يضار بكفرهم. وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيراً * مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ـ نعيمها فقط فهو مقصر فى حق نفسه، لأن اللّه الذى يعطى ذلك عنده ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ـ فيجب على الرشيد أن يسعى إلى الجمع بين الثوابين. وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ـ بالصدق وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ ـ المشهود عليه. غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ـ أيا ما كان مركز المتنازعين فى المجتمع، فلا تخافوا أن تصدقوا بالشهادة فى مواجهة الكبير الغنى ولا تشفقوا على الضعيف أو الفقير بغير حق فتحيدوا عن الصدق، فإن اللَّه أعلم بأحوال كل من هذا وذاك. فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ـ فلا تخلطوا الخوف أو الشفقة أو الحب بالصدق والعدل فى الشهادة. وَإِن تَلْوُوا ـ تغيروا الحق أو تحرفوه عن موضعه. أَوْ تُعْرِضُوا ـ تمتنعوا عن الشهادة. فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ـ المرتدون والمنافقون. ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا ـ فماتوا وهم كفار. لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً * بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا.

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ ـ مع هؤلاء المستهزئين بالدين. حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ـ لو استمر اتم الجلوس معهم صامتين مع سماعكم السخرية بالدين، لأن ذلك يعتبر إقرارًا لهم بما يقولون. إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا * الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ ـ نصر. مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ـ فاعطونا نصيبًا من الغنائم. وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ ـ من نصر. قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم ـ نحميكم. مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ـ بمكرنا وتضليلنا إياهم. فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ـ يتيح لهم بعض أغراضهم فى الدنيا، وذلك قليل فى مقابل خسران نعيم الآخرة، فهم يشترون بسوء عملهم فى الدنيا عذابا خالدا فى الآخرة لا طاقة لهم به. وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ ـ يتظاهرون بالعبادات أمام المؤمنين لكسب رضاهم. وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ ـ بعمل الخير. إِلاَّ قَلِيلاً ـ بقدر ما يجعل الناس يرضون عنهم ويثبتونهم فى مراكزهم مخدوعين فى صدق نواياهم.

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾

مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلكَ لا إِلَىٰ هؤُلاءِ ـ لا هم من المؤمنين إذ أن قلوبهم كـافرة. وَلا إِلَىٰ هؤُلاء ـ ولا هم مثل الكافرين المجاهرين بكفرهم، إذ هم أجبن منهم وأحط درجات. وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجدَ لَهُ سَبيلاً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ من دُونِ الْمُؤْمنينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا للَّه عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ـ أتريدون أن يعذبكم الله كـما سيـعذب المنافـقين. إِنَّ الْمُنَافـقينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصيـرًا * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّه وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّه فَأُوْلَئكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا.

لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ ـ وفى حدود ما يدفع الظلم عنه. وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا * إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا * إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّه وَرُسُله وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّه وَرُسُله وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ ـ أحكام اللَّه. وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخذُوا بَيْنَ ذَلكَ سَبِيلاً ـ توسطًا. أُوْلَئكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّه وَرُسُله وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ـ فى الإيمان. أُوْلَئكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَلكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ـ إلها. منْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا * وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ ـ رفع الجبل كالمظلة آية لهم حتى يؤدوا للَّه ميثاقهم بالطاعة. وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ـ ادخلوا باب القرية منحنين. وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا ـ لا تخالفوا أمر اللـه فتعملوا فى يوم. السَّبْتِ وَأَخَذْنَا منْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا * فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّه وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ـ لا تعى ولا تسمع. بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ـ قليل منهمن آمن كعبد اللَّه بن سلام. وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا.

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ـ مع علمهم بأنه. رَسُولَ اللَّهِ ـ وذلك غاية الإثم. وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ـ بأن ألقى اللَّه على أحد من رجالهم شبهًا بعيسى، عليه الصلاة والسلام، فقتلوا الرجل وصلبوه معتقدين أنه المسيح. وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ـ ارتاب الشهود فى أمر المصلوب حيث بدا جسده على غير جسد عيسى وإنما الشبه فى الوجه. وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ـ قبل أن يتوفاه اللَّه. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا * فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ ـ كعبد اللَّه بن سلام، كبير أحبار اليهود فى زمان النبى، وغيره من الصادقين الواعين فى كل زمان بعد النبى. وَالْمُؤْمِنُونَ ـ من أهل الكتاب الذين يتبعون سبيل الراسخين فى العلم. يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ـ من شريعة الله الخاتمة. وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا.

(٥٣) قضية: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [الآية: ١٥٩].

قبل موت من ؟ أغلب المفسرين على أن كل أهل الكتاب عند قضاء أجله يرى الحق، وهو أن عيسى ﷺ لم يقتل ولم يصلب وأنه عبد الله ورسوله وليس ابن الله كما يدعون.

ولكن يحتمل التفسير أن أهل الكتاب الذين تشير إليهم الآية هم غير المسلمين من أهل الديانات السماوية ومنهم اليهود والنصارى الذين يعاصرون بعثته الثانية على الأرض، فظهور المسيح عيسى بن مريم من جديد هو من علامات الساعة، فهؤلاء سيؤمنون به قبل موته(*).

والمسيح فى بعثته الثانية، كأى رسول أمين، سيدعو الناس إلى الإيمان بكل الرسالات التى جاءت من عند الله، ومضمونها واحد من حيث العقيدة وإنما الخلاف فى ذلك هو تحريف من عند الناس، وسيدعوهم إلى الإيمان بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد، وأن يتبعوا آخر رسالة نزلت من السماء وهى الإسلام. و ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. أى إن كل الرسالات السماوية الصحيحة هى على التوحيد.

(٥٤) قضية: الإيمان بجميع الرسل والرسالات السماوية لأنها كلها من عند الله [الآية: ١٦٢]: جوهرها واحد من حيث العقيدة وهو: الإيمان بالله وحده وعمل الخير والمعروف واجتناب الفواحش... إلخ.

هذا عن الإيمان، فماذا عن العمل بالأحكام التفصيلية، وهى تختلف بين شريعة وأخرى، مثل كيفية أداء الصلاة، ومقدار الزكاة، وتحريم بعض أنواع الطعام، وبعض المحرمات من النساء ... إلخ.

←

(*) راجع فى كتب الحديث، الفتن وأشراط الساعة.

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾

* إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ـ أى أن كل رسول له آية ومعجزة خاصة به عند ربِّه، مثل موسى من آياته أن اللَّه سبحانه وتعالى كَلَّمَهُ(*)، وذلك لا يخرجه عن طبيعته الإنسانية، وقد بَلَّغَ موسى رسالة ربه بكلامه، أى بكلام موسى، وهو لغة إنسانية قديمة.

رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ـ وقد قال اللَّه فى موضع آخر ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥]. وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً * لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً ـ فى الآخرة. إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً

➡ الإنسان مطالب فى كل هذا بما بين يديه ولا يكلف اللَّه نفسًا إلا وسعها، وما بين يدى الناس هو آخر رسالة معاصرة لهم، ففى زمان موسى يعمل الناس بأحكام التوراة وهؤلاء هم المؤمنون. وفى زمان عيسى يعملون بالأحكام الواردة فى الإنجيل، وفى زمان محمد المؤمنون هم الذين يعملون بأحكام القرآن والسنة. ولا يعمل المؤمن بشريعة سابقة على التى بين يديه.

ومعاصرة المؤمن للرسالة هو مفهوم حكمى، وليس بالمفهوم الحسابى الجامد، إذ يدخل فيه معيار وصول الدعوة والعلم بها. فمن كان اليوم يعيش فى قبيلة مغلقة من حيث اللغة والثقافة والتواصل، بحيث لا يعلم من ثقافات بقية المجتمعات شيئًا، فهو مطالب بالعمل بأحكام آخر شريعة من الشرائع السماوية التى بين يديه، فقد تكون التوراة ورثها عن سلفه عالمًا بأحكامها أو الإنجيل، أو شريعة أخرى سماوية نزلت على أسلافه على يد رسول لا نعلمه ﴿ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ . . . ﴾ [النساء: ١٦٤].

هذا من حيث الافتراضات النظرية، أما من حيث المنطق العملى، فإن الأصول الأولى للتوراة المكتوبة مباشرة عن موسى وبلغة عصره، وكذلك أصول الإنجيل المكتوب عن عيسى لا وجود لها فى عصرنا الحاضر، وما يوجد من كتابات عن التوراة والإنجيل هو مدونات كتبت بعد عصر الرسل بزمان. ويصدق الكلام على الكتب السماوية السابقة على التوراة والإنجيل. ونستطيع القول بأنه لم يبق فى أيدى البشرية فى عصرنا الحاضر أصل لرسالة سماوية دونت فى عصر رسولها واستمرت محفوظة وبقيت لغتها حية لم تنقرض، سوى هذا القرآن الكريم. والرسول محمد ﷺ والخلفاء من بعده اهتموا بتعليم الكتابة حتى تبقى رسالة السماء محفوظة بالتدوين إلى جانب الحفظ فى الصدور. واستمرار الحفظ والكتابة والطباعة والمراجعة والنشر، لم ينقطع إلى اليوم بل يزيد توسعًا وإتقانًا.

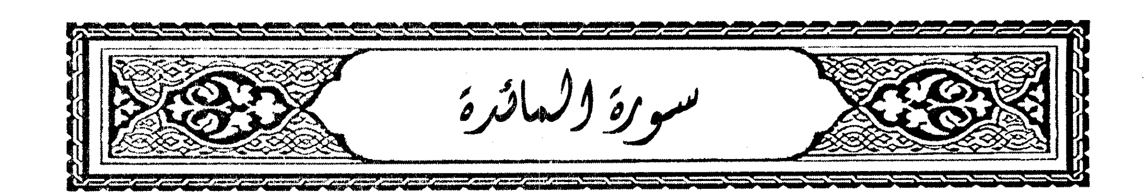
(*) راجع القضية ٧٠ ـ ٧١.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾

* يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّه مَا في السَّمَوَات وَالأَرْض ـ فلا نجاة من سخط اللَّه إلا بالتسليم إليه طواعية بالإيمان فى الدنيا، وجميع الخلق يخضعون قهرًا لحكمه فى الآخرة. وَكَانَ اللَّهُ عَليماً حَكيماً * يا أَهْلَ الْكتاب لا تَغْلُوا في دينكُمْ ـ بأن يدفعكم حبكم الزائد لرسول إلى تأليهه. وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّه إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسيحُ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّه وَكَلمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ـ لأن اللَّه خلقه كما خلق آدم بكلمة «كن» ثم أودعه رحم أمه مريم لتضعه من غير أب. فَآمنُوا باللَّه وَرُسُله وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ ـ لا تقولوا بالثالوث الذى تقدسونه: اللَّه والابن والروح القدس. انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا في السَّمَوَات وَمَا في الأَرْض وَكَفَىٰ باللَّه وَكيلاً * لَن يَسْتَنكفَ الْمَسيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّه وَلا الْمَلائكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكفْ عَنْ عبَادَته ـ ومن يستنكف أن يكون عبدًا للَّه، سواء استنكف ذلك لنفسه أو للرسول الذى يؤمن به. وَيَسْتَكْبِرْ ـ على الخضوع للَّه بالاعتراف بألوهيته الخالصة على جميع خلقه. فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْه جَميعاً ـ فى الآخرة.

فَأَمَّا الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَات فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْله وَأَمَّا الَّذينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَليمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُون اللَّه وَليًّا وَلا نَصيراً * يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبيناً * فَأَمَّا الَّذينَ آمَنُوا باللَّه وَاعْتَصَمُوا به ـ تمسكوا بدينه إيمانًا صادقًا وعملاً صالحا. فَسَيُدْخلُهُمْ في رَحْمَة مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْديهِمْ إِلَيْه صرَاطًا مُّسْتَقيماً.

* يَسْتَفْتُونَكَ ـ فتوى طلبها أحد المؤمنين، فى مرض موته، من رسول اللَّه ﷺ ليبيّن له كيف يوزع ما له بعد الموت، وليس من والديه أحد حيًا، ولا أبناء له. قُلِ اللَّهُ يُفْتيكُمْ في الْكَلالَة ـ الورثة من غير الأصول والفروع. إِن امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَان ممَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنسَاءً فَللذَّكَر مثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْن يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضلُّوا وَاللَّهُ بكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ـ إلا ما يحرَّم عليكم فى القرآن. غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ـ ولا تستبيحوا الصيد وأنتم مُحْرِمُونَ بالحج أو العمرة، و فى الحرم المكى مطلقًا. إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا ـ لا تستبيحوا حرمة. شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ ـ لا تستبيحوا لأنفسكم ما قربتم للّه من الذبائح فى الحج والعمرة، فتأكلوها وتجعلوا لها وجهة أخرى غير فقراء بيت اللّه الحرام. وَلا الْقَلائِدَ ـ القلادة توضع للبهيمة المهداة إلى بيت اللّه حتى لا يتعرض أحد لها، فلا تأخذوا البهيمة المقلدة ولا تنزعوا منها القلادة (ما دامت مقدَّمة من مسلم، أما القرابين المقدمة من غير المسلمين فلا تقبل) إلى أن يتم ذبحها فى المكان المخصص وللغرض المنشود ـ ولا تمنعوا قاصدى. الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ ـ بالتجارة المشروعة. وَرِضْوَانًا ـ بالعبادة. وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ـ كما شئتم خارج الحرم المكى. وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ ـ ولا تدفعكم عداوة القوم من أهل مكة الذين صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ـ (يوم الحديبية) ـ إلى الاعتداء عليهم (بعد الصلح) فى الحرم. وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ ـ الميتة من ضربة بحجر أو عصا...

(٥٥) قضية: الضرورات تبيح المحظورات [الآية: ٣].

سبق الكلام فى هذه القضية بمناسبة الآية ١٧٣ من سورة البقرة(*).

وملخصها أن الضرورة، وإن كانت تفتقر إلى تعريف محدد جامع مانع، إلا أن تصورها يدور حول الحاجة الملجئة التى لا يستطيع فى ظلها الإنسان الجاد التزام ما هو مفروض عليه شرعًا، وإلا تَحَمَّلَ مشقة لا طاقة له بها.

(*) راجع القضايا: ١٧ ـ ٧٣ ـ ٩٠.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥ ﴾

وَالْمُتَرَدِّيَةُ ـ الميتة بالسقوط من مكان عال. وَالنَّطِيحَةُ ـ التى نطحتها بهيمة أخرى فماتت. وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ ـ إلا ما أدركتموه حيًا من هذه الأنعام، فذبحتموه قبل موته، وحرم عليكم ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ـ تحت الأصنام. وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ـ التطلع إلى معرفة الغيب أو المستقبل بطريق الأزلام، وهى قداح سبعة كان يكتب على بعضها ما يفيد الإقدام على أمر ما، وعلى بعضها ما يفيد الإحجام. ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ ـ من أمل الانتصار عليكم والقضاء على دينكم. فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ـ (نزلت الآية على رسول الله ﷺ يوم عرفة فى حجة الوداع، وقد دخلت القبائل العربية الإسلام). فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ ـ مجاعة. غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ـ لا يتناول من الحرام إلا بقدر الضرورة. فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ـ أى ما دربتم من الصقور والكلاب. تُعَلِّمُونَهُنَّ ـ القنص. مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ـ كلوا مما اصطادت هذه الحيوانات لحسابكم(*). وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ـ قبل أكله. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ـ مما أحل اللّه من طعام وشراب. وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ـ شأنه شأن طعامكم. حِلٌّ لَّكُمْ ـ شريطة أن تسموا «باسم الله الرحمن الرحيم» عند تناوله، عملاً بالآية ١٢١ من سورة الأنعام ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (ويخرج منه ما حرَّم عليكم بعينه فى [البقرة: ١٧٣ والمائدة: ٩٠] والميتة والدم والخنزير، والخمر ـ فهو حرام حتى ولو كان أهل الكتاب يتناولونه، وإن علمت أن أهل كتاب يهلون لغير الله عند الذبح فلا تأكل). وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ـ فأكرموهم منه وادعوهم إلى موائدكم. وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

⬅ وللضرورة مستويات وضروب، فهى قد تمس حياة الإنسان أو ماله أو مركزه أو وطنه، وهى تتعلق بالفرد كما قد تتعلق بفئة من الناس أو بالمجتمع كله.

ويختلط مفهوم الضرورة أيضًا بمفهوم المصلحة، وإن كان مفهوم المصلحة أوسع، فتلبية الضرورة يحمل مصلحة أكيدة، فى حين أن ليست كل المصالح من الضرورات، فالإصلاح يشمل التحسين والتطوير فى غير الظروف الملجئة. والمصلحة بذاتها، من غير أن يلحقها وصف الضرورة لا تبيح ارتكاب المحظور.

(٥٦) قضية: طعام أهل الكتاب [الآية: ٥].

طعام أهل الكتاب غير محرم على المسلمين، إنما يحرم منه ما هو محرم مطلقًا على المسلم، مثل الخنزير والدم (مثل السجق ـ المقانق ـ المصنوع من الدم المجمد، والمنخنقة والموقوذة ... الخ) وما هو غير ذلك يجوز أكله. ⬅

(*) لا ضير فى أن يمسك كلب صيد صيدًا ثم نأكل من ذلك الصيد، لأننا نأكله مطبوخًا أو مشويًا على أى حال. ويجب فى هذه الحالة طهيه تمامًا أو شواءه جيدًا للوقاية من الجراثيم والأمراض التى يمكن أن تنتقل إلينا من لعاب الكلب وقد اختلط بما نأكل منه.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

الْكِتَابَ ـ أي الحرائر من نساء القوم الذين أوتوا رسالات سابقة كالتوراة والإنجيل والزبور... من قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ـ مهورهن. مُحْصِنِينَ ـ بغرض الزواج غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ـ غير زانين لا جهراً ولا سراً. وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ(*) ـ أي واغسلوا أرجُلَكُمْ لأنها منصوبة بالفتح عطفًا على أيديكم، فهي مفعول للفعل اغسلوا، ولو كانت معطوفة على برؤوسكم لكانت مكسورة: وأرْجُلِكُمْ ولكان الواجب مسح الرجلين دون غسلهما. وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا ـ وإن قضيتم شهوتكم بالجماع أو نحوه كالاحتلام. فَاطَّهَّرُوا ـ فاغتسلوا. وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ـ أي لامستم بشرتهن دون حائل، وأغلب الفقهاء على ذلك، ويرى البعض أن اللمس هو الجماع). فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ـ للوضوء. فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ـ ترابًا طاهرًا. فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ـ وذلك بضربتين، الأولى بباطن الكفين على التراب لمسح الوجه بهما، ثم الثانية لمسح اليدين حتى المرفقين. مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

➡ الغرض من هذا الحكم الإبقاء على العلاقات الودية بين المسلمين حاملي الرسالة الخاتمة وأهل الكتاب، حتى تكون دائمًا الفرصة متاحة للتعرف على رسالة الإسلام فى جو اجتماعى من الود والمحبة، وإن موائد الطعام أكثر الفرص مودة فى اللقاء والحوار والتسامر.

ولقد ثارت بعض المشكلات فى أوروبا حول طريقة الذبح، حيث تكون بداية بقرع رأس الذبيحة لتغيب عن وعيها ثم بعد ذلك تقطع رأسها، وقيل : لا تقطع رأسها، بل تصعق بالكهرباء ثم تموت وتعبأ، فهى منخنقة. إن الفيصل هو علم المسلم بهذه الحقيقة فمن كان واثقًا أنها منخنقة فلا يأكل منها، وكذلك يحرم الأكل من ذبيحة ذكر عليها اسم غير الله ـ كاسم المسيح مثلا. أما غير ذلك مما هو مذبوح على الصمت، فيؤكل منه بعد التسمية : باسم الله الرحمن الرحيم.

ويوجد فى بعض الدول غير الإسلامية مذابح إسلامية، ولكن ليس معنى هذا أن على المسلم رفض دعوة أهل الكتاب الذين لا يشترون اللحم من المذبح الإسلامى، وإنما يقبل دعوتهم إلى الطعام، ويتناول من لحوم موائدهم ـ (بقر ماعز ضأن)، مع التسمية باسم الله الرحمن الرحيم، أما الخنزير فلا يباح أكله. ونص القرآن يذكر عبارة طعام أهل الكتاب، ولم يذكر لفظ "ذبيحة" أهل الكتاب، فلا قيمة لطريقة الذبح إلا عند التأكد من أن الطعام من لحم حيوان منخنق لم يذبح. أما إن كان صيدا فيجوز أكله.

من هم أهل الكتاب؟ لا خلاف على أن النصارى واليهود هم أهل كتاب، ولكن هل ينحصر مفهوم أهل الكتاب فى هؤلاء فقط دون غيرهم من غير المسلمين؟ هناك خلاف بين الفقهاء والمفسرين، فمنهم من يتوسع فى المفهوم فيجعله شاملاً كل ⬅

(*) تعلقت بالآية بعض رخص التخفيف :

١ ـ جواز أداء عدة صلوات فى أوقات مختلفة بوضوء واحد، مادام لم ينقض. ومن توضأ على وضوء زاده الله عشر حسنات.

٢ ـ رخص الله المسح على الخفين للمقيم يوماً وليلة وللمسافر ثلاثة أيام. ورد ذلك بالسنة. راجع البخارى، الوضوء ١٩٥ ـ ١٩٦ ـ ١٩٧. مسلم، الطهارة٤١٤. النسائى، الطهارة ١٢٨ ـ ١٢٩. ابن ماجة، الطهارة وسننها ٥٤٥. أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة ٧٤١ ـ ٨٦٣ ـ ٩٢٠. الدارمى، الطهارة ٧٠٨.

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾

* وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ ـ حين بايعتم الرسول على الإيمان باللَّه وحده والعمل بأحكام الشريعة. إِذْ قُلْتُمْ ـ له. سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا ـ ولا يمنعكم مخاصمة أو كراهة قوم من العدل. اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ ـ وهم كفار مكة قبل الفتح. أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ.

➡ أمة نزل إليها من الله كتاب معلوم، لأن الحكمة من هذه الإباحة لا تحقق أقصى غايتها إلا بالتوسع فى مفهوم أهل الكتاب، تسهيلاً على الدعاة وفى سبيل نشر العلم بشريعة اللَّه فى مختلف الأمم.

وفى دول الغرب أقام المسلمون مذابح إسلامية، ولكنهم طبعوا اللحوم والمنتجات التى تخرج من المذبح بخاتم اللحم الحلال، وهذا يوحى بأن اللحوم المذبوحة خارج المذبح الإسلامى لا تعتبر حلالاً. إن كثيرًا من المسلمين فى هذه البلاد ليست لديهم دراية تفصيلية بالحلال والحرام، وقد كان لذلك تأثيره على العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين، إلى درجة ظهور المطاعم الحلال، مع ارتفاع نسبى فى أسعار اللحوم الموصوفة بالحلال.

كان الأوفق ختم اللحوم المذبوحة بالمذبح الإسلامى بخاتم "لحم المذبح الإسلامى . وطعام أهل الكتاب حلال للمسلمين"، وبذلك لا يلتبس على الناس مفهوم الحلال والحرام فى الطعام.

ومن المفاهيم الخاطئة الشائعة فى هذه البلاد أن كثيراً من المسلمين يرون أن اللحم إذا لم يتم نضجه تمامًا كان حرامًا، وقد انتشرت عادة أكل اللحوم نصف الناضجة التى تنضح بالحمرة عند أهل هذه البلاد. والمسلمون أشاعوا أن الإسلام يحرم أكلها على هذا الحال، لأنه يحرم أكل الدم. وفى هذا المفهوم خطأ كبير، إذ أن الإسلام يحرم فعلاً الدم ـ باستثناء الكبد والطحال، قال رسول الله ﷺ: «أحل لكم ميتتان ودمان، فأما الميتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال»(*) عدا ما كان فى اللحم من بقايا الدم التى لا يمكن تفاديها وإزالتها، فيحل تناولها مع اللحم سواء تم نضجه أم لم يتم(**).

وقد أدى تنافس الجزارات فى ترويج اللحم المختوم بخاتم الحلال فى أوربا إلى ارتفاع سعره، ودفع ذلك ببعض بائعى السمك إلى تعليق لافتات مكتوب عليها أسماك حلال، وذلك ليس من الإسلام.

(*) ابن ماجة، الأطعمة ٣٣٠٥. أحمد، مسند المكثرين من الصحابة ٥٤٦٥.

(**) قال عمران بن جرير : سألت أبا مجلز عما يتلطخ من اللحم بالدم، وعن القدر تعلوها الحمرة من الدم، فقال: لا بأس به. وقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ نحوه. وعليه إجماع العلماء. راجع تفسير القرطبى للآية ١٤٥ من سورة الأنعام.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾

* وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً ـ على كل جماعة نقيب يراقب مدى التزام الأفراد شرع اللَّه، ويقوم على تنفيذ الأحكام. وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ـ نصرتموهم ـ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ ـ الكلام أى أحكام الشرع وأوامر اللَّه. عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ـ (قال البعض: نزلت فى يهود غدروا برسول الله ﷺ غدرة فأرادوا قتله فأمره الله بالصفح عنهم فى هذه النازلة بعينها، فهى على هذا القول خاصة وليست منسوخة). وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ـ لم يعملوا ببعض أحكام الشرع. فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ـ محمد ﷺ. يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ـ من أمور تجاوز عنها. قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ـ هو هذا القرآن الكريم. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ـ طرق الإيمان والنجاة والخلاص. وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ـ أليس الأب يضعف أمام أبنائه فلا يقدر على تعذيبهم. بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ـ ولا يسأل عما يفعل. وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ ـ بعد أمد من انقطاع الرسل، كى لا تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

* وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لقَوْمه يَا قَوْم اذْكُرُوا نعْمَةَ اللَّه عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فيكُمْ أَنبيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْت أَحَدًا مّنَ الْعَالَمينَ * يَا قَوْم ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَاركُمْ فَتَنقَلبُوا خَاسرينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فيهَا قَوْمًا جَبَّارينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا منْهَا فَإِن يَخْرُجُوا منْهَا فَإِنَّا دَاخلُونَ * قَالَ رَجُلان منَ الَّذينَ يَخَافُونَ ـ من أصحاب الإيمان الصادق. أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهمَا ادْخُلُوا عَلَيْهمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالبُونَ وَعَلَى اللَّه فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمنينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعدُونَ * قَالَ رَبّ إِنّي لا أَمْلكُ إِلاَّ نَفْسي وَأَخي ـ لا أثق إلا بنفسى وبأخى هارون. فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْم الْفَاسقينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهمْ أَرْبَعينَ سَنَةً يَتيهُونَ في الأَرْض فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْم الْفَاسقينَ * وَاتْلُ عَلَيْهمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ ـ هابيل وقابيل. بالْحَقّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبّلَ منْ أَحَدهمَا ـ هابيل. وَلَمْ يُتَقَبَّلْ منَ الآخَر قَالَ ـ قابيل الذى خرج عن الحق. لأَقْتُلَنَّكَ ـ إن لم تترك لى حقك. قَالَ ـ الأول: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ منَ الْمُتَّقينَ * لَئن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لتَقْتُلَني مَا أَنَا بِبَاسط يَديَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمينَ(*) * إِنّي أُريدُ أَن ـ بمعنى إنى أنذرك بأنك سوف. تَبُوءَ بإِثْمي وَإِثْمكَ ـ ولن يغفر اللَّه لك. فَتَكُونَ منْ أَصْحَاب النَّار وَذَلكَ جَزَاءُ الظَّالمينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخيه فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ منَ الْخَاسرينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ في الأَرْض ليُريَهُ ـ لا يقال إن الغراب علّمَ ابن آدم وإنما يقال: أعلمه، رُبَّ حامل علم ليس بفقيه. كَيْفَ يُوَاري سَوْءَةَ أَخيه ـ كيف يستر جثة أخيه بالدفن فى الأرض. قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ ـ أعجزت أن أفعل مثل ما فعل هَذَا الْغُرَاب فَأُوَاريَ سَوْءَةَ أَخي ـ ففعل ثم بات حزينًا. فَأَصْبَحَ منَ النَّادمينَ(**).

(*) هذه الآية تحمل خبراً مما مضى، ولا يؤخذ منها حكم شرعى، فقد شرع فى الإسلام الدفاع عن النفس.

(**) يبدو أن الإنسان المعاصر قد تمادى فى انتهاك حرمات الموتى فنبش قبور المصريين القدماء، ليس فقط لاسترداد الكنوز المدفونة وإنما لعرض جثث هؤلاء الموتى بهدف الاستثمار السياحى تحت ذريعة الإشادة بفن التحنيط لدى الفراعنة، ولكن ذلك يعتبر اعتداءً بشعًا على حرمة جسد الإنسان بعد موته. ويجدر بالمصريين المعاصرين ستر جثث أجدادهم، وينبغى على كل دولة تسمح بإجراء تجارب جادة وضرورية على جثث الموتى أن تدفن الرفات بعد الانتهاء من هذه المهمات. وإن دعت الحاجة إلى عرض رفات أثرية أو عظام تدل على قدم عمر الإنسان، فيليق عرض نموذج مصنع لها، ولايجوز البتة عرضها بذاتها. أيحب أحدكم أن يُعْرَضَ جسده بعد موته ؟

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

منْ أَجْلِ ذلكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ـ يسرفون فى استباحة حرمات اللّه. إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ـ يهددون أمن الجماعة. وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا ـ بقطع الطريق ونشر الذعر والخوف. أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ـ والخيار متروك للحاكم، حسب آثار فعلهم من خسائر فى الأنفس والأموال. ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ـ تابوا طواعية من قبل أن يقبض عليهم. فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ـ اعملوا على إرضائه فاتبعوا أوامره وتجنبوا نواهيه. وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ـ دائم. وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً ـ عقابًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

---

(٥٧) قضية: ١ ـ جريمة الحرابة، وأمثلة معاصرة [الآية:٣٣].

هى جريمة تتعلق بالأمن العام، يقترفها جماعة ليسوا أجانب عن الوطن (فإن كانوا أجانب فيمكن أن تصعد الجريمة إلى مستوى سياسى بين الدول) بأن يقطعوا الطريق على المارة.

إن تجمع مثل هؤلاء للتعرض للناس هو عمل إرهابى فى ذاته، فإن كانوا مسلحين فإن الإرهاب ونشر الذعر يكون أبعد أثرًا وأوسع مدىً. ويدخل فى هذه الجريمة خطف الأشخاص، والسرقة مع حمل سلاح، لأن السارق على استعداد لسفك الدماء، وغير ذلك من صور الإرهاب

٢ ـ جرائم معاصرة تدخل فى إطار الحرابة:

خطف الطائرات ـ اقتحام الأبنية لاحتجاز الناس رهائن ـ وجميع صور الإرهاب المسلح أيًا ما كان الغرض من ورائه، فالغاية لا تبرر وسيلة إرهاب الناس ونشر الذعر وقتل الأبرياء دون ذنب.

٣ ـ حد الحرابة:

﴿أن يُقَتَّلوا﴾ إذا أسفر اعتداؤهم عن موت الأبرياء.

←

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠) ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٣) ﴾

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ـ ويؤيدونه سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ـ يتواطئون معهم. لَمْ يَأْتُوكَ ـ ولم يؤيدوك. يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ـ يشوشون على الحق. يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ـ أى إن رأى الرسول أن الأمر كذا، فهو وفق رأينا فاقبلوه.

وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ ـ وإن رأى غير ذلك. فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ـ لمكرهم وخبث نواياهم. لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ ـ بما أنزل الله. أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ـ بالعدل أى بحكم الله دون محاباة. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ ـ يلجأون إليك لتحكم بينهم بالتوراة (كانت قضية زنا وكان اليهود لا يعملون بما هو مكتوب فى التوراة من رجم الزانى). وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ـ واضح. ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ـ من بعد ما حكمت عليهم بما هو مدون فيها. وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ.

← أو ﴿ يُصَلَّبُوا ﴾ إذا اجتمعت جرائمهم، من قتل وسرقة ونهب واغتصاب... فيمثل بهم بعد الموت حداً.

أو ﴿ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ ﴾ إذا اجتمعت الجرائم البشعة من سرقة ونهب واغتصاب وإصابات وجروح، دون القتل.

أو ﴿ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ﴾ يسجنوا سالمين بأرواحهم وأبدانهم إذا اقتصرت آثار جريمتهم على السرقة والنهب.

والخيار متروك للحاكم فى تلك الحدود.

هذا ما اخترناه، وفى الفقه أقوال أخرى، فارجع إليها والله المعين.

٤ـ التوبة عن الجريمة [الآية: ٣٤].

يشترط فى التوبة أن تكون قبل أن يتم القبض على مقترفى جريمة الحرابة. وأثر التوبة يقتصر على العفو عن حق الله وهو حد الحرابة. أما المسؤولية عما وقع من آثار هذه الجريمة فتظل منعقدة فى حق الجناة، فإن كانوا قد نهبوا وخربوا فعليهم إرجاع ما نهبوه وتعويض المجنى عليهم عن الخسائر. وإن كانوا قد قتلوا فيقتص منهم شأنهم شأن القاتل فى غير جريمة الحرابة، وللحاكم أن يضع ما يشاء من عقوبات تعزيرية لتحقيق الأمن.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

* إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ - من بنى إسرائيل. الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ - يحكمون. بِمَا اسْتُحْفِظُوا من كتاب اللَّه - الكتب السماوية السابقة. وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً - لا تخرجوا عن الحق لمنافع دنيوية. وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ.

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا - فى التوراة. أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ به - عفا عن حقه فى القصاص. فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ - عن ذنوبه. وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ - القرآن. بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ - مصدقًا لما ورد فى رسالات اللَّه السابقة كالتوراة والإنجيل ومهيمنًا عليه، فهو يبيّن المواضع الهامة التى حرفها الناس فى تلك الكتب. فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ - فتحيد. عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ - فى القرآن. لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً - لا تحيد عن الحق. وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا - ولا مرجع فى حكم الله إلا لرسالة منه أصيلة كتبت عن الرسول فى عهده وبلغته، ولا تصدق صفة المرجعية فى عصرنا هذا إلا على القرآن. فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ - فى القرآن. وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ - اتباع. بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا - بعدما حكمت بالحق، بما أنزل الله فى القرآن. فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ - أيبغون أحكامًا تميز بين الناس، كأحكام الجاهلية، ويعرضون عن حكم اللّه. وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ـ أصفياء تعملون بمشورتهم، وتحيدون عن الحق فى سبيل إرضائهم. بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ـ وهم المنافقون. يُسَارِعُونَ ـ فى موالاتهم. يَقُولُونَ ـ إنما نفعل ذلك خشية. أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ـ إذا غلب هؤلاء المسلمين ـ ألم يُقَدِّروا أن اللَّه قادر على أن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ ـ أى نصر مبين للمؤمنين. فَيُصْبِحُوا ـ هؤلاء المنافقون. عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا ـ وهم يوجهون إلى المنافقين اللوم. أَهَؤُلاءِ ـ الكفار. الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ـ فى الدنيا بعد انتصار الإسلام، وفى الآخرة حيث يكون الإنسان فى أمس الحاجة إلى رحمة الله. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ـ فارتداده لايقدم ولا يؤخر عند الله، واللَّه قادر على أن يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ ـ أى قلوبهم تلين. عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ـ خاشعون للَّه لا يتعالون على الناس. وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ * قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً ـ جزاءً. عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ـ الذين يعبدون الأوثان. أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ * وَإِذَا جَاءُوكُمْ ـ هؤلاء المنافقون. قَالُوا ـ بألسنتهم. آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ ـ وأسروه فى قلوبهم. وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ـ أيضًا، وهم عائدون إلى موطنهم. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ.

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

* وَتَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ـ بل يتفننون فى التبريرات ويقرونهم على ذلك. لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ـ يزعمون أن اللَّه يقتر فى الرزق. غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ـ بل هم البخلاء بالإنفاق فى وجوه الخير مما رزقهم اللَّه. وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ـ بالكرم ويرزق جميع مخلوقاته. يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ـ يوسع فى الرزق ويضيق، وله فى ذلك حكمٌ. وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا ـ بالحق والقسطاس المستقيم أحكام التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ـ وجميع ما. أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ـ أى لوسع اللَّه فى أرزاقهم. مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ـ عادلة تعمل بأمانة بجميع ما جاء فى هذه الكتب، فكانوا يؤمنون بالتوراة والإنجيل، وآمنوا بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ فأسلموا. منهم عبد اللَّه بن سلام ومن تبعه، ومن أسلم بعده من اليهود والنصارى، وغيرهم. وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ـ جميع مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ـ من الحق. حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ـ بتمامه، وذلك يقتضى الدخول فى الإسلام. وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ـ من قرآن. طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً ـ فى حدود ماوصلهم من رسالات ربّهم. فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا ـ أنكروا بعض الرسل. وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ ـ وقتلوا بعض الرسل.

﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ ـ ظنوا أن جرائمهم هذه لن تجلب نقمة اللَّه عليهم. فَعَمُوا وَصَمُّوا ـ عن رؤية الحق والإيمان به. ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ـ بعد استغفارهم. ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ـ أي ثم عاد كثير منهم إلى الظلم والإجرام في حق اللَّه والرسل، فعاد اللَّه إلى عقابهم. وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ـ أي لو كانت طبيعتهما إلهية لما كانا في حاجة إلى الرزق. انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ـ كيف يحيدون عن الحق. قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ـ يسمع أقوالكم ويعلم بأفعالكم. قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ـ بتأليه رسول من الرسل لحبكم إياه فتتبعوا غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ * لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ـ وهم من أنبيائهم. ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ـ قست قلوبهم فجاهروا بالمعصية. لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ـ من مشركي العرب المعادين لمحمد. لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ـ أي ما اتخذوا الكافرين أولياء. وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ.

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ـ من العرب من أهل مكة. وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ـ أنصار عيسى (نزلت في وفد جاء من عند النجاشي ملك الحبشة إلى المسلمين بقصد معرفة حقيقة دعوة محمد). ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ.

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

* وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ - عرفوا أنه الدين الخاتم مصدق لما جاء به الأنبياء السابقون. يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ - لماذا لا نتبع دين محمد، وقد ثبت أنه الحق من اللّه، فنفوز بمرضاة الله مع الصالحين. فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا - على حرمات الله. إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ * لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ - القسم غير الجاد، كما لو كان مزاحًا. وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ - عقوبة حنث اليمين. إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ - لا تسرفوا بالحلف فى كل مناسبة، بل اقصروه على الأمور الهامة. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

---

(٥٨) **قضية:** ﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ **[الآية: ٨٩].**

من واقع عصرنا الراهن، قد يوجد المؤمن الذى عليه الكفارة فى بلد ليس فيه من يحتاج إلى الطعام واللباس وإنما فيه أناس يحتاجون إلى ضرورات أخرى للمعيشة كسداد فاتورة الإنارة والمياه، أو يحتاجون إلى مساعدة لتعليم أبنائهم، وقد يكون ذلك أولى من تحسين الطعام واللباس الذى هم عليه. لذلك نرى أن الصدقة النقدية تجزئ فى هذه المواطن وتكون أولى من الصيام.

ومعلوم أيضًا فى عصرنا الراهن ندرة العبيد، وسيسأل الله ولاة الأمور عن تحريرهم من مصارف الزكاة وبما أقرته الدول من حقوق للإنسان.

ومن المرغوب فيه أن يهتم المجتمع المعاصر بإنشاء صناديق للكفارات إلى جانب صناديق الزكاة لتلبية وتنظيم مصالح المسلمين فى أداء التزاماتهم الدينية.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(*) * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ـ الضلال فى الدنيا والآخرة. فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ * لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ـ من الحلال. إِذَا مَا اتَّقَوْا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَّأَحْسَنُوا ـ التكرار للتأكيد ولوجوب الاستمرار فى طاعة الله. وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ ـ بتحريم الصَّيْدِ ـ فى حرم مكة. تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ـ وهو سهل القنص. لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ـ ويطيع أوامره. فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ـ فمن خالف متعمداً ذلك التحريم فإن إثمه عظيم، إلا أن يستغفر عن توبة صادقة، ويكفِّر عن جرمه. يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ـ أى جائز لكم فى كل وقت وفى أى مكان حتى ولو كنتم مسافرين أو محرمين بالحج أو العمرة. وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ـ وقت أن تكونوا محرمين بالحج أو العمرة. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ـ للعبادة واللجوء الآمن. وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ ـ الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، حرام فيها القتال، ما لم يكن لصد العدوان. وَالْهَدْيَ ـ الأنعام المهداة إلى الكعبة. وَالْقَلائِدَ ـ أنعام مسومة بقلادة تدل على أنها قربان إلى الكعبة. ذلك ـ تذكير لكم من الله بأنه يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ـ لمن تاب واستغفر. مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ * قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ـ بما يملك من مال ونفوذ. فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

(*) راجع قضية ٢٢.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ـ أى كانوا ملحين فى السؤال عن حكم كل صغيرة وكبيرة. ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ـ هجروها لما أصابهم من مشقة، لكثرة ما حرم عليهم، فثقل عليهم الدين فتركوه فأصبحوا كافرين. مَا جَعَلَ اللَّهُ ـ لم يشرع اللَّه مـا شـرع أهل الجاهلية من تحريم بَحِيرَةٍ ـ كانوا يشقون أذن الناقة ويجعلون درها للأصنام. وَلا سَائِبَةٍ ـ يسيبون الناقة نذرًا لأصنامهم إن شفى أحدهم من مرض أو بلغ منزلة. وَلا وَصِيلَةٍ ـ الشاة التى تلد ذكرًا وأنثى. وَلا حَامٍ ـ الفحل من الإبل الذى خرج من صلبه عشرة أبطن، لا يُرْكَبُ ولا يَحْمِلْ. وهى أنعام حرَّموا ذبحها وأكلها نذرًا لأصنامهم. وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا ـ يكفينا. مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا ـ من دين اللَّه. وَلا يَهْتَدُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ـ شاهدان. ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ـ من المؤمنين إن كان الموت فى بلد من بلاد الإسلام . أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ـ من غير المسلمين. إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ

(٥٩) قضية: ﴿ لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [الآية: ١٠١].

يتضح من الآية أن المؤمنين كانوا يكثرون السؤال حول أمور الشريعة، وروى أن أحد الناس سأل رسول الله ﷺ حين شرَّع الله فريضة الحج، فقال: «فى كل عام يا رسول الله ؟» فسكت الرسول، ثم رد فقال : «لا، ولو قلتها لوجبت، الحج مرة فما زاد فهو تطوع»(*).

ومعنى ذلك أن الله، سبحانه وتعالى، لا يسكت عن بيان أمور معينة سهوًا، ولكن ليسهل على الناس، أو ليعفو عما سكت عنه، فيندرج حكمه تحت قاعدة «الأصل فى الأشياء الإباحة». وهى قاعدة أصولية، لا تمنع الحاكم من سن القوانين العملية التى تحقق المصالح العامة، فالقاعدة لا تنطبق إلابالنسبة للأمور التى سكت عنها الله فى قرآنه وفى سنة نبيه، وكذلك سكتت عنها نصوص القوانين التى تحظى بالشرعية الإسلامية: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

(*) الدارمى، المناسك ١٧٢٢. أحمد، مسند بنى هاشم ٢١٩٠. النَّسائى، مناسك الحج ٢٥٧٣. أبو داود، المناسك ١٤٦٣. ابن ماجة، الحج ٢٨٧٧. أسباب النزول للنيسابورى، بهامش مختصر الطبرى. لباب النقول فى أسباب النزول، للسيوطى بهامش تفسير الجلالين.

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

ـ كنتم في سفر. فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ـ في غير بلاد الإسلام. تَحْبِسُونَهُمَا ـ تحضرونهما خصيصًا للوصية. مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ ـ صلاة العصر ـ (إن كانت مناسبة مع ظروف الاحتضار أو مرض الموت، وإن لم تكن فبعد أى صلاة). فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ ـ إن حدث خلاف بشأن الوصية. لا نَشْتَرِي بِهِ ـ أي لا نكذب في الشهادة لنشترى بالقسم ثمنًا قليلاً. وَلَوْ كَانَ ـ في الخلاف قريب لنا. وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الآثِمِينَ * فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ـ فإن تبيّن أنهما ليسا أهلاً للثقة، فغيروهما باثنين آخرين. فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ ـ أي من الورثة الذين استحقت عليهم شهادة الأولين. فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا ـ أي يقسمان بالله بأن يبرآ باليمين وألا يفعلا مثل الأولين. وَمَا اعْتَدَيْنَا ـ وإذا كذبنا أو أتينا بما يخالف صدق الشهادة. إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ * ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا ـ أقرب إلى الصدق. أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ ـ يوم القيامة. فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ـ كيف تقبل الناس دعوتكم إلى الحق. قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ـ لا علم لهم إلا بظاهر الأمور ممن اتبعوهم وممن خرجوا عليهم بالكفر والعداء، أما حقيقة الأمور على وجه اليقين فالعلم بها لله وحده. إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ.

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ـ الوحى هنا وحى إلهام. أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا ـ وذلك لَمَّا اطمأنت قلوبهم، كما سيأتى. وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ * إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ.

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠) ﴾

* وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ - أى ما يكون لى أن أقول شيئًا يخالف ما أوحيته إلى. إِن كُنتُ قُلْتُهُ - صراحة أو ضمنًا، علنًا أو سرًا. فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ - يوم الحساب. يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ـ يجعلون لله شركاء، وهو الخالق وكل ما عداه مخلوق له. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم ـ وأصلكم. مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً ـ لكل واحد أجل فيه يموت. وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ـ ليوم الحساب لا يعلمه إلا هو. ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ـ ترتابون. وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ * وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ ـ حقيقة. مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن ـ أمم سابقة. مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ـ كانوا أكثر منكم قوة. وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا ـ بالمطر الوفير. وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ ـ ورغم ذلك جحدوا أنعم الله. فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ ـ مكتوبًا فى صحف دفعة واحدة فيه شريعة الله. فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ـ لم لا ينزل عليه ملك يصدقه أمامنا. وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ـ بالفصل بين المؤمن والكافر فى الحال. ثُمَّ لا يُنظَرُونَ ـ لا يمهلون.

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ـ (أى سوف يختلفون أيضًا فى الملك نفسه لأنهم مجادلون ولأن الملك سيبدو لهم فى صورة إنسان). وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ـ من العذاب والوعيد الذى توعدهم الله به. قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ـ تتبعوا الآثار والتاريخ. ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ـ من مخلوقات؟ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ـ لكل من تاب وآمن وعمل صالحًا. لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ـ إلا عند رؤية ما يوعدون من عذاب.

﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخذُ وَلِيًّا ـ وهو فاطر السَّمَوَات وَالأَرْض وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ـ بمجرد وصـول رسالة ربِّى. وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَن يُصْرَفْ عَنْهُ ـ عذاب اللَّه يَوْمَئِذٍ ـ يوم القيامة. فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ـ على الحق اليـقين. قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ـ ومن بلغه العلم من الأجيال المقبلة من الإنس والجان، فهم من المنذرين به. أَئِنَّكُمْ ـ (للتعجب). لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لاَّ أَشْهَدُ ـ معكم على ذلك. قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ـ فنسب إلى اللَّه مـا لا يليق بجـلاله فأشـرك به، وحَرَّف فى الكتب وأخْفَى الآيات المبشرة بمحمد خاتم الأنبياء والمرسلين. أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ـ الذين كنتم تدعون أنـهم آلهة مع اللَّه. ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ـ لم يكن ردهم فى محنتهم يوم الحساب. إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ـ فى الحياة الدنيا. انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم ـ ذهب عنهم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ـ به على اللَّه من شركاء. وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ـ حين تتلو آيات القرآن. وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ـ أغشية غليظة. أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ـ صممًا. وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ ـ يتثبتوا من صدقها. لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ ـ يأمرون الناس بالإعراض عن القرآن كما يرفضون هم اتباعه. وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ـ لأن عذاب الآخرة للكافرين لا ينقطع. وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ ـ مرة أخرى إلى الحـياة الدنيا. وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

* بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ـ لعادوا إلى الشرك والكفر. وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا ـ عُرِضوا. عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ـ بما كفرتم به من قبل وأنتم فى الحياة الدنيا. قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بلقاء الله ـ أنكروا البعث والحساب. حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ـ فى سلوكنا فى الدنيا. وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ ـ ذنوبهم. عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ.

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ـ فعلى المؤمن أن يعمل صالحًا ويطيع اللّه استعدادًا لدار الخلود. أَفَلا تَعْقِلُونَ * قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ ـ المراد هو أنهم لا يتحدونك أنت بل هم ينكرون آيات الله. وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ـ ينكرون كتاب اللّه لأغراض دنيوية. وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ * وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ـ زاد أسفك وحزنك على كفرهم. فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ـ لتجمعهم على الإيمان فافعل (على سبيل العتاب اللطيف من اللّه لرسوله) ولن تستطيع أن تفعل ذلك. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ـ الجاهل هو من رَكَنَ إلى ظواهر الأمور فقط للعلم، وأغفل أن هناك حكمة إلهية خلف تلك الظواهر وأن اللّه لا يظلم أحدًا. إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ـ يعقلون. وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ.

(٦٠) قضية: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [الآية: ٣٢].

طالما أن إقامة الفرد فى الدنيا قصيرة، فإن الآخرة تكون هى الأَوْلَى والأحق بالسعى إليها بالعمل الصالح، لأنها دار البقاء والدوام. والذى ينكب على الدنيا فقط فهو يلهو ويلعب كالأطفال حين يستمتعون بالدمى وينسون ما حولهم. وماذا تجدى أعوام طويلة ستون أو سبعون أو ثمانون عامًا يقضيها الإنسان فى اللهو، وهو فى حقيقة لأمر لا يشعر إلا بيومه ولحظته، فالماضى ولو كان طويلاً هو بمثابة حلم مضى لا يملك صاحبه منه شيئًا، فالإنسان لا يعيش إلا لحظته، وعندما يأتيه الموت يشعر كأنه لم يعش من قبل. لذلك عبر اللّه عن الحياة الدنيا بأنها لهو ولعب(*).

(*) راجع القضية رقم ١٣٤.

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

* وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ـ كما طلبوا منه من قبل بأن يأتى بملك يصدقه أو بكتاب من عند اللَّه دفعة واحدة. قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً ـ مما طلبتم. وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ـ لا يقدرون أن ما بين أيديهم من آيات القرآن كاف، وإنهم لو أجيبوا إلى طلبهم لن يمهلهم اللَّه بعد ذلك على كفرهم، وهو الآن مـمهلهم رأفة بهم. وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ـ فانظروا كيف يرزق الله هـذه المخلوقات ويسبغ عليها الحياة ويذيقها الموت. مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ـ ما أهملنا فى القرآن مـن شىء من الحجة والبرهان على صدق ما فيه من الحق، وصـدق الرسـول الذى حـمـله إلى الناس. ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ. * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ ـ تضرعون إليه ليكشف عنكم السوء. وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ.

(٦١) قضية: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الآية: ٣٨].

البعض يرى أن المقصود بالكتاب هو القرآن، فهو لم يفرط فى ذكر الأمثلة والبراهين وتشريع الطريق القويم والتحذير من الضلال. والبعض يرى أن المقصود بالكتاب هو اللوح المحفوظ، فيكون معنى الآية أن اللَّه لم يفرط فى حصر جميع مخلوقاته ورصد تحركاتها، وكتب كل ذلك فى اللوح المحفوظ.

وعلى أى حال فالقرآن كتاب أحكام وأخلاق ومواعظ، يحمل شريعة مرشدة، وما من شىء ترتاب فيه وتريد أن تستجلى حقيقته إلا ويمكنك أن تستدل على حكمه من آيات القرآن سواء بطريق مباشر أو عن طريق القياس. ولذلك لم يفرط فى حق الإنسان فى شىء، فهو يهدف إلى السمو بالفرد والمجتمع إلى نموذج مثالى من الأخلاق والعلاقات والروابط الكريمة، حتى الأمور التى لم يتعرض لها القرآن صراحة، فقد قال الله فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ [المائدة: ١٠١] ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يخفف عن الناس فلم يتعرض لأمور كثيرة. وإن كان من بينها أمور تتعلق بتنظيم المجتمع، فقد أمر الله باتباع الشورى فى تنظيمها بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

(٦٢) قضية: ﴿مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: ٣٩].

نصيحة للمطلع على القرآن من غير المسلمين : إذا بدأ غير المسلم بقراءة كتاب اللَّه بقصد تأمله، فليتمه حتى النهاية. أما إذا كان يقرأ بسوء نية كأن يتحرى واهمًا عن قصور أو تناقض، فإننا ننصحه بأن يتوقف عند هذه الآية، ويتأمل مليًا فى معناها، ثم يحاول التزام الحيدة والتجرد، ويعيد قراءة ما قرأه من بداية القرآن، فإنه حتمًا سيجد آفاق فكره تتفتح لمعان جديدة، فإن أصر على اتباع مقاصده السيئة بعد ذلك، فإنه سوف يتوهم التناقض بين بعض معانى الآيات، وبذلك يكون من الذين تركهم الله فى ضلالهم بسبب سوء نواياهم التى تدفعهم إلى الفهم الخاطئ للقرآن.

إن الله سبحانه وتعالى لا يضل أحدًا البتة بأن يغلق باب الإيمان أمامه وهو يبحث عنه، بل هو الرحمن الرحيم الذى أنزل الهداية ليساعد الناس على التزام أمانتهم التى تحملوا بها ثم نسوا قدرها، وهو يساعد كل فرد يبحث عن الحق فى كل ⬅

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ - فكذبوا الرسل فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ - بالفقر والمرض. لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا - أى لم يتجهوا إلى الله إلا عند نزول عقابه الملموس فى الفقر والمرض. وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ - وكانت قلوبهم من قبل عنيدة حين كان الحوار جدالا بالحجة والإنذار بعذاب الآخرة. وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ - من فسق وفجور وظلم. فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا به فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ - من نعيم الدنيا ومشاغلها. حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً - فجأة. فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ - يائسون من الرحمة عند مثولهم للحساب. فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا - أنفسهم وغيرهم بالكفر. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم به انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ - الحجج والبراهين. ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ * قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ

← وقت. أما الشخص الذى لا يعنيه الإيمان فى شىء، وإنما يبحث فى أمور الدين بقصد بلبلة الأفكار وتشويه المفاهيم، فإن الله لا يهديه بل يتركه فى ضلاله، وتظل الحجب محيطة بفكره لأنه مبادر بالشر، لا يستحق معونة الله، وقد يعفو عنه الله إذا ما تاب وغير موقفه والتزم الحيدة والتجرد.

(٦٣) **بيان:** ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ **[الآية: ٤٤].**

جميع الناس المتكالبين على الدنيا يأخذهم اللّه بغتة، فالفرد منهم لا يعمل للموت حسابًا ما دام فى صحة جيدة ويتمتع بالدنيا، فموته بوفاة طبيعية أو بحادث هو بغتة. ومن الناس من تنزل عليهم كوارث تأخذهم جماعات. كل ذلك بالنسبة للكافرين يعتبر بغتة لأنهم سيشاهدون بعد الموت حقيقة ما كانوا به يكذبون.

أما المؤمن فهو يعيش وقلبه متعلق باللّه وبالآخرة، يعمل للدنيا حسابًا وكذلك للآخرة بالعبادات والأعمال الصالحة، ويتوقع الموت فى أى لحظة، لذلك فإن الموت ولو كان مفاجئًا لا يعتبر بالنسبة له أخذًا بالبغتة، لأنه سيرى حقائق صَدَّقَ بها من قبل أن يشاهدها، وعمل لها حسابها.

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾

* وَأَنذِرْ به - بالقرآن. الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ - وهم الذين فى قلوبهم خير الفطرة. لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِه وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ - لعلهم يؤمنون ويعملون بشريعة اللَّه. وَلا تَطْرُدِ - ولا تبعد عن مجلسك الضعفاء من الفقراء والعبيد، لترضى فئة من الكافرين يأنفون من الدخول فى الدين بسبب هؤلاء. الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بالْغَدَاة والْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عليهم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالمين.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا - الناس. بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا - ليقول الظالمون المتكبرون المغرورون. أَهَؤُلاء - الضعفاء والفقراء. مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا - وفضلهم علينا بالإيمان. أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بالشَّاكِرِينَ - بلى. وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسه الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَملَ منكُمْ سُوءًا بجَهَالَة ثُمَّ تاب مِنْ بَعْده وأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَات وَلتَسْتَبِينَ - لتعرف. سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ - وخُلُقهم. قُلْ إِنِّي نُهيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِين تَدْعُونَ من دُون اللَّه قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ - وإن فعلت ذلك فقد ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ * قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَة مِّن رَّبِّي - بينما أنتم كَذَّبْتُم به، مَا عندي مَا تَسْتَعْجِلُونَ به - من تحقيق آيات اللَّه على الفور كما تطلبون. إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للَّه يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصلين * قُل لَّوْ أَنَّ عندي مَا تَسْتَعْجِلُونَ به لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْني وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بالظَّالمين * وَعنْدَهُ مَفَاتحُ الْغَيْب لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ من ورَقَة إِلاَّ يَعْلَمُهَا ولا حَبَّة في ظُلُمَات الأَرْض ولا رَطْب ولا يَابس إِلاَّ في كتاب مُّبين * وَهُوَ الَّذي يَتوَفَّاكُم باللَّيْلِ - أى ينزل عليكم النوم بالليل، فالنوم يشبه الموت. ويَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بالنَّهَار ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فيه - يوقظكم مرة أخرى من بعد النوم. ليُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى - إلى أن ينقضى الأجل. ثُمَّ إِلَيْه مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ الْقَاهرُ فَوْقَ عباده وَيُرْسلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً - ملائكة تسجل الأعمال. حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا - من الملائكة. وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ - لا يهملون شيئًا مما أقامهم اللَّه تعالى عليه. ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّه مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ.

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ـ حين تأتي الرياح والصواعق والأمطار بما لا تشتهون، فحينئذ تدعون اللَّه. تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ ـ وحده. يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ـ فى الحياة الدنيا إذا اتجهتم إليه بالإيمان والطاعة. ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ـ به بالرغم من علمكم بقوته. قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ـ يفرقكم إلى جماعات صغيرة دائمة التصارع. وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وَكَذَّبَ بِهِ ـ بالقرآن وآياته. قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ * لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ـ بالسخرية والاستهزاء. فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ ـ ينسيك أمر اللَّه بأن تترك مجلسهم، فاتركه عندما تتذكر، فإنهم ظالمون. وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ ـ من ذنوب هؤلاء الظالمين مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ ـ الأمر بتركهم حين يسخرون من الدين هو تذكير لهم. لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ـ يرجعون عن ذلك فتصحو فى نفوسهم فطرة الخير. وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ ـ أى بالقرآن من قبل أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ـ تدفع النفس إلى العذاب مقابل ما كسب صاحبها من ذنوب. لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ـ وإن أرادت أن تدفع فداء بكل ذنب، فلن يقبل منها يوم الحساب لأن اللَّه لا يغفر للإنسان أن يموت على الكفر. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ـ دُفعوا إلى جهنم. لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ.

* قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ ـ ضال. لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ـ فلا يأتى. قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ـ للَّه. وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ (٧٣) ﴾

* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ - وهو الذى يخلق من العدم فيقول للشىء. كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ - ينفخ الملك الموكل فى البوق إيذانًا بيوم القيامة. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ.

(٦٤) **قضية: الخلق والاختراع:** ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾ [الآية: ٧٣].

أتدرى ماذا تعنى كلمة "يخلق" ؟

ربما يتبادر إلى ذهن البعض أن الإنسان حين يصنع شيئًا فهو يخلقه، كلا، فالحق أن الإنسان يركب أشياء ويحول عناصر موجودة من حوله - بعد تعرفه عليها وعلمه بخواصها - فينتج بذلك مصنوعاته.

لقد أنعم الله على الإنسان بالعقل ليمكنه من الوصول إلى آفاق بعيدة، ومخترعات البشرية ما هى إلا حيلة العقل للوصول إلى ما لا يستطيع الإنسان أن يحققه بنفسه أو يشق عليه إنجازه. ولقد تجمعت آلاف مؤلفة من العقول لصناعة الطائرات وسفن الفضاء، والسؤال المطروح : هل كل هؤلاء العباقرة مجتمعين أو منفردين يستطيعون الطيران بأنفسهم بسرعة الطائرة أو سفينة الفضاء، أو يستطيعون العدو بسرعة السيارة، أو الصمود فى البحر كما تصمد السفينة، أو إنجاز الحسابات بسرعة الحاسب الآلى؟ بالطبع لا.

أما كلمة "يخلق" فتعنى إيجاد الأشياء والعناصر ومنحها خواصها وصفاتها ووظائفها، حين يكون كل ما هو خارج عن ذات الخالق عدمًا محضًا. وذلك يعنى أن الخواص المتعلقة بالمخلوقات قد منحها الخالق وهو يستطيع أن يحققها بذاته، فإنك حين ترى البرق يصل نوره من السماء إلى الأرض، قاطعًا الأميال الطويلة فى لحظات وجيزة، فمعنى ذلك أن الخالق يستطيع بذاته أن يصل إليك أو يوصلك إليه فى لحظة أو أقل، فهو أقدر من المخلوق، وهو محيط بكل الكون الذى خلقه.

ومن عجائب خلق الله التى يعلمها الناس فى عصرنا هذا، ولم يكن الإنسان على دراية بها فى العصور القديمة، أنه أوجد قوة هائلة فى شىء لا يدركه البصر، فالكهرباء غير متعلقة بجسم بعينه من المخلوقات المرئية والمحسوسة من حولنا، ولم يطلع الإنسان عليها إلى الآن، وإنما كشف آثارها كنتيجة لحركة أجسام بها خاصية مغناطيسية فى مقابلتها بحركة غيرها. فآثار الكهرباء تنتج عن حركة وتماس، والإنسان لا يدرى بكنهها بالرغم من أنه يولدها من حركة أشياء معينة، ويتحايل على تخزينها فى بطاريات، وهو يحاكى ما خلق الله من مخلوقات تولد الكهرباء كالسحب، والماء المنهمر وكذلك خلق الله مخلوقات تختزن الكهرباء وتفرغها، كالشمس وبعض سمك البحر، وغير ذلك.

انظر إلى سلك معدنى فيه تيار كهربائى، وسلك آخر ليس فيه ذلك التيار، وضعهما على ميزان، ما فرق الوزن بينهما؟ ما فرق الوزن بين بطارية مشحونة وأخرى فارغة وما الفرق بين مركباتهما؟ وأنت تعلم اليوم أن الكهرباء كما تُسَيِّرُ أجهزة صغيرة صنعها الإنسان كالمذياع والتلفاز والسيارة، تُسَيِّرُ أيضًا شموسًا ومَجَرَّات وكواكب فى الفضاء الواسع، وتصعق وتميت. لماذا تؤمن بوجود الكهرباء، وأنت لا تراها بذاتها وإنما تصلك آثارها، ولا تؤمن بوجود الله ؟ لماذا لا تؤمن بماهية للروح مميزة عن الجسد، فتبقى الروح بعد فناء الجسد، ثم يبعثان معا يوم الحساب.

إن الخواص مخلوقات أضافها الله إلى الأشياء ووزعها عليها بأمره، وقدرات الله تفوق كل هذه الخاصيات والميزات. ونحن لا نستطيع أن نعلم كيف يخلق الله الأشياء وليس لنا أن نبحث فى ذلك، إلا أن كلمة "يخلق" لها معنى فى ⬅

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيه آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ـ وقصة إيمانه أنه (لما) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْه اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ ـ غرب. قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا ـ مضيئًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي ـ الذى يسيطر على كل هذه المرئيات. لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ.

➡ عقولنا يساعدنا على التعرف على عجز الإنسان عن الخلق، مهما بلغ تقدم علومه ومعرفته. وتفصيل ذلك أن "يخلق" معناها إيجاد شيء حين يكون كل ما حول الخالق عدمًا، فبدء الخلق معناه انعدام الكائنات إلا واحد هو الخالق، وكل ما يستجد بعد ذلك فى عالم العدم هو من صنع الخالق ويستمد وجوده وحياته من الخالق. والسؤال : أين أنت أيها الإنسان من هذا؟! إن الإنسان تلقى كل معلوماته من خارج ذاته، فالعقل يستقبل أولاً ثم يفكر. عندما يولد الطفل يتحرك بصورة عشوائية للتعرف على ما حوله، وهو لا يعلم مسميات أجزاء جسمه التى يراها، وقد كان قبل ذلك فى ظلمة ولا يعلم ما هى الظلمة، إلا بعد أن رأى النور وظل فترة لا يعرف للنور معنى، ثم علم بالتدريج أن النور يكشف لبصره رؤية الأشياء، وأن الظلمة حجاب يعوق البصر عن الرؤية. هل العقل إذا تنازل عن كل المعلومات التى تلقاها من خارجه ـ مع بقائه سليمًا من الناحية التكوينية ـ يستطيع أن يتصور شيئًا ما، ويحدد له وظيفة ما ؟!.

إن كلمة "يخلق" تعنى وجود العلم بكماله جملة فى ذات الخالق، حين يكون كل شيء خارج الذات الإلهية عدمًا، ثم يخرج الخالق من علمه ما يتجسد، بكلمة "كُنْ"، فى عالم العدم فيمتلئ عالم العدم بالوجود بإرادة الخالق، ويستمد الوجود وجوده وخواصه من علم الخالق وقدرته. وهل الإنسان يستطيع أن يتصور ماهية للعدم ؟! إن معنى كلمة عدم لا يعلمها إلا الخالق.

وأقوى معنى لكلمة "يخلق" هو الأمر بالكينونة، بكلمة من الخالق: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧]، آل عمران: ٤٧] والخالق يقدر أيضًا على الخلق بالتشكيل، وهو مفهوم مختلف عن الخلق بالأمر بكلمة "كن"، ولكنه يفيد فى بيان مطلق قدرة الله وتعدد تصرفاته فى الخلق، مرة بكلمة "كن" ومرة بالتشكيل ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧] و ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤] وذلك حتى لا يعتقد الإنسان أن كلمة ﴿ كُن ﴾ التى يوجد بها المخلوق دفعة واحدة، أسهل وأيسر من تشكيل المخلوق بما يحويه من مركبات معقدة، وذلك عندما يقيس الإنسان معانى الخلق والتشكيل بمستوى فكره المحدود وقدراته الضعيفة. إن كل شيء يفعله الله هو على درجة واحدة من الإمكانية، والله لا يصيبه تعب ولا لغوب. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨].

والله سبحانه وتعالى وحده هو الذى يخلق كل شيء، أما الإنسان، حين يصنع أو يخترع، فيشاركه فى العلم النظرى معطيات من حوله ومن عشرات ومئات من العلماء يتلقى منهم العلم، وبغير ذلك لا يستطيع أن يضع تصورًا نظريًا لمشروعه الذى يريد أن يحققه. ثم تأتى بعد ذلك عملية تصنيع المخترَع لتنقسم على عدد من أهل الخبرة فى التصنيع والتشكيل والخراطة، لإخراج نموذج، ثم ناهيك عن آلاف الصناع والآلات التى تشترك فى تصنيع المخترَع حتى يتم نشره. أين ذلك من قدرة الله الذى ينشر من مخلوقاته البلايين ويخلق الهواء والماء بوفرة عامة، وما يخلقه الله، منه ما خُلقَ دفعة واحدة بما لا يحصى عدده، ومنه ما خلق بإيداع خاصية التكاثر فى أصوله، ومنه ما ينبت من الأرض وتختلف ثمراته بالرغم من أنه من أرض واحدة ويسقى بماء واحد، ومنه ما هو نافع وما هو ضار... إلخ. كل ذلك يفعله الله وحده لا شريك له.

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

* فَلَمَّا رأى الشَّمْسَ بازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ـ من القمر والنجوم. فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ـ قلبي وذاتي. لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ـ خلق السماوات والأرض وكل ما نراه من مخلوقات. حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي ـ أتجادلوني. فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ـ فلن يضروني. إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ـ فذلك قدر الله الذي يحدث. وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ ـ أنا. مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ ـ أنتم أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ ـ أنا أم أنتم أحق بالطمأنينة. إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ـ من الصالحين المؤمنين. وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم ـ لخسروا. مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ ـ الذين يكذبون بما أنزل الله عليك. فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ـ فقد هدينا قومًا إلى تصديقك. أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ * وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ ـ تكتبونه على صحف. تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ـ منها. وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ـ هو الذي علّمكم. ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ * وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ـ من أحكام سماوية. وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

ومَنْ أظْلَمُ ممَّن افترىٰ على الله كذبًا أوْ قال أُوحيَ إليَّ ولم يُوح إليه شيءٌ ومن قال سأُنزلُ مثْل ما أنزل اللَّهُ ـ من الآيات. ولَوْ ترىٰ إذ الظَّالمُون في غمرات الْموْت والْملائكةُ باسطُوا أيْديهمْ أخْرجُوا أنفُسكُمُ ـ هيا أنقذوا أنفسكم إن استطعتم. الْيوْم تُجْزوْن عذاب الْهُون بما كُنتُم تقُولُون على الله غيْر الْحقّ وكُنتُمْ عن آياته تسْتكْبرُون ـ تنكرون شريعته. ولقدْ جئْتُمُونا فُرادىٰ كما خلقْناكُمْ أوَّل مرَّةٍ وتركْتُم مَّا خوَّلْناكُمْ ـ فى الحياة الدنيا من أموال وبنين. وراء ظُهُوركُمْ وما نرىٰ معكُمْ شُفعاءكُمُ الَّذين زعمْتُمْ أنَّهُمْ فيكُمْ شُركاءُ ـ زعمتم أنهم شركاء لله فى أموركم. لقد تَّقطَّع بيْنكُمْ ـ الوصل الموهوم الذى كنتم تزعمونه. وضلَّ عنكُم مَّا كُنتُمْ تزْعُمُون * إنَّ اللَّه فالقُ الْحبّ والنَّوىٰ يُخْرجُ الْحيَّ من الْميّت ومُخْرجُ الْميّت من الْحيّ(*) ذلكُمُ اللَّهُ فأنَّىٰ تُؤْفكُون * فالقُ الإصْباح ـ فالق الليل بنور الفجر. وجعل اللَّيْل سكنًا ـ راحة. والشَّمْس والْقمر حُسْبانًا ـ يسيران بانتظام فيستعين بذلك الإنسان فى حساب الأيام والشهور. ذلك تقْديرُ الْعزيز الْعليم * وهُو الَّذي جعل لكُمُ النُّجُوم لتهْتدُوا بها ـ فى تحديد الطرق والاتجاهات وأنتم في ظُلُمات الْبرّ والْبحْر قدْ فصَّلْنا الآيات لقوْمٍ يعْلمُون * وهُو الَّذي أنشأكُم مّن نَّفْسٍ واحدةٍ ـ آدم. فمُسْتقرٌّ ـ على الأرض، حياة إلى أجل. ومُسْتوْدعٌ ـ بعد الموت. قدْ فصَّلْنا الآيات لقوْمٍ يفْقهُون * وهُو الَّذي أنزل من ـ السحب فى السَّماء ماءً ـ واحدًا. فأخْرجْنا به نبات كُلّ شيْءٍ ـ مختلف عن الآخر. فأخْرجْنا منْهُ خضرًا نُّخْرجُ منْهُ حبًّا مُّتراكبًا ومن النَّخْل من طلْعها قنْوانٌ دانيةٌ وجنَّاتٍ مّنْ أعْنابٍ والزَّيْتُون والرُّمَّان مُشْتبهًا ـ إذا كان أصنافًا مختلفة من نوع واحد. وغيْر مُتشابهٍ ـ فى الطعم. انظُرُوا إلىٰ ثمره إذا أثْمر وينْعه ـ نضوجه. إنَّ في ذلكُمْ لآياتٍ لّقوْمٍ يُؤْمنُون.

وجعلُوا للَّه شُركاء الْجنَّ ـ واللَّه هو الذى. خلقهُمْ ـ جميعًا. وخرقُوا لهُ بنين وبناتٍ ـ نسبوا له شركاء من بنين وبنات، كقولهم عُزيْر ابن اللَّه والمسيح ابن اللَّه والملائكة بنات اللَّه، كل ذلك. بغيْر علْمٍ ـ وإنما البدع والتضليل. سُبْحانهُ وتعالىٰ ـ منزه. عمَّا يصفُون * بديعُ السَّموات والأرْض أنَّىٰ يكُونُ لهُ ولدٌ ولمْ تكُن لَّهُ صاحبةٌ وخلق كُلَّ شيْءٍ وهُو بكُلّ شيْءٍ عليمٌ * ذلكُمُ اللَّهُ ربُّكُمْ لا إله إلاَّ هُو خالقُ كُلّ شيْءٍ فاعْبُدُوهُ وهُو علىٰ كُلّ شيْءٍ وكيلٌ.

(*) راجع القضية ٣٠.

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

* لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ـ لا أحد من مخلوقاته يراه بالحواس كالبصر وغيره. وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ـ يحيط ببصر مخلوقاته وحواسهم. وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ * قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ ـ شواهد وبراهين. من رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ ـ وعى واتعظ. فَلِنَفْسِه وَمَنْ عَمِيَ ـ أغمض عينيه عن آيات الله فقد أضل نفسه. وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ـ ولست موكلاً بكم أن أحملكم إلى الإيمان رغمًا عنكم. وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا ـ كذبًا أنك. دَرَسْتَ ـ تعلمت من العارفين بالرسالات السابقة. وَلِنُبَيِّنَهُ ـ نظهر أن القرآن هو الحق الذى أوحى إليك من الله. لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ـ مكر. الْمُشْرِكِينَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ * وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ـ من شركاء. فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا ـ فيسب الكافرون اللَّه ظلمًا. بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ـ أى جعلنا للخير والشر أنصارًا أممًا وأفرادًا. ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم ـ ويحكم بينهم. بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ ـ من الآيات التى يطلبونها. لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ ـ وما يدريكم أنكم تؤمنون لو جاءتكم الآيات كما تطلبونها. وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ـ بالآمال والأمانى والأوهام فى مقابل أنهم. لَمْ يُؤْمِنُوا بِه ـ بالقرآن وبالرسول الذى جاءهم به. أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ.

وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ ـ كما يطلبون من الآيات. وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ـ وأحضرنا لهم من كل شىء آية ومعجزة. مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ـ لأنه مطلع على القلوب. وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ـ ما فعلوا فعلهم بجدالك ومحاولة هدم حجج اللَّه بالكلام. فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ـ دعهم لكذبهم فهم لا يريدون آيات ليؤمنوا وإنما يريدون تعجيزك وصرف الناس عن دينك وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ ـ ولتستمع إلى هذا الكذب. أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ـ من لا يهمهم أمر الإيمان باللَّه والآخرة. وَلِيَرْضَوْهُ ـ يقبلوا الكفر والكذب والافتراء. وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ـ من أعمال يستحسنونها بكفرهم. وقل لهم.

﴿ أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا ۚ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ۖ فلا تكونن من الممترين ﴿١١٤﴾ وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا ۚ لا مبدل لكلماته ۚ وهو السميع العليم ﴿١١٥﴾ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ۚ إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴿١١٦﴾ إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله ۖ وهو أعلم بالمهتدين ﴿١١٧﴾ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ﴿١١٨﴾ وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ۗ وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ۗ إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴿١١٩﴾ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ۚ إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون ﴿١٢٠﴾ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ۗ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ۖ وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴿١٢١﴾ أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ۚ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴿١٢٢﴾ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ۖ وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ﴿١٢٣﴾ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ۘ الله أعلم حيث يجعل رسالته ۗ سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴿١٢٤﴾ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ۖ ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ۚ كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴿١٢٥﴾ وهذا صراط ربك مستقيما ۗ قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون ﴿١٢٦﴾ ﴾

أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب ـ من علماء اليهود والنصارى. يعلمون أنه ـ أى القرآن. منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين * وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم * وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن ـ الأوهام. وإن هم إلا يخرصون * إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين * وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين * وذروا ظاهر الإثم ـ الذنوب. وباطنه ـ بتطهير النفس من النوايا الخبيثة. إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون.

ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ـ عند ذبحه (واذكروا اسم الله على ما تأكلون من صيد أو من طعام أهل الكتاب). وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ـ حول أحكام الحرام والحلال لإبعادكم عن طريق الله. وإن أطعتموهم إنكم لمشركون * أو من كان ميتا ـ أى ضالا. فأحييناه ـ بالإيمان. وجعلنا له نورا يمشي به ـ نور الهداية ينشره. في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ـ وهو الكافر العنيد الذى علم بالحق وأنكره. كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون * وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ـ أئمة الكفر. ليمكروا فيها ـ بتضليل الناس. وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ـ ولا يضرون إلا أنفسهم لأن لهم حسابا يخلدون بعده فى جهنم، هم ومن تبعهم. وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ـ أى لن نؤمن حتى ينزل الوحى علينا كما ينزل على رسل الله. الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله ـ ذل وصغر مكانة فى الآخرة. وعذاب شديد بما كانوا يمكرون * فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا ـ يتركه على ما هو فيه من خبث يضيق من أفق تفكيره وعقله. حرجا كأنما يصعد في السماء ـ كالذى يحاول أن يصعد بنفسه إلى السماء، فيضيق نفسه، ويجهد للتنفس نتيجة الارتفاع الذى يؤثر فى الضغط وفى نسبة الأوكسجين. كذلك يجعل الله الرجس ـ الهم والغم وكل ما لا خير فيه من وساوس. على الذين لا يؤمنون * وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون.

﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾

* لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ـ من الصالحات. ويَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَميعًا يَا مَعْشَرَ ـ شياطين. الْجِنِّ قَد اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ـ إغواء بنى. الإنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم ـ أتباعهم. مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ـ فاستمتاع الإنسان بالمحرم من شهوات الدنيا يأتي بوسوسة الشيطان، واستمتاع الجن يكون بتسيده على الإنسان الضال ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: ١٦]. وبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ـ يستثنى من الخلود فى النار المجرمين الذين لم يصل عصيانهم إلى الكفر والشرك بالله. إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.

وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالمين بَعْضًا بمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ـ أن قد أتانا الرسل. وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ـ عن الحق وليس بأيديهم رسالة من السماء. وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ـ مختلفين عنكم فكرًا أو عقيدة، وكذلك تتقلب أحوال الأجيال. إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ * قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ـ الدائمة: الآخرة. إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَجَعَلُوا ـ أهل الجاهلية بمكة. لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ ـ خلق ورزق به. مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ ـ للفقراء والضيف. بِزَعْمِهِمْ ـ أى بقول لا يوافق نية صادقة. وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ـ لأصنامنا، وهو يعود فى النهاية إلى أغنيائهم. فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ـ أى فما يلقونه فينزل فى جانب شركائهم يحتجزونه كاملاً لأنفسهم دون أن ينتقصوا منه شيئًا، وما ينزل فى جانب جهات البر ينتقصون منه لصالح شركائهم، كل ذلك جزافًا وتضليلاً. سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ـ أى أن شركاءهم زينوا لهم قتل أولادهم فيئدونهم خوف الفقر أو يذبحونهم قربانًا للأصنام.. لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ـ ليفسدوا عليهم دين الحق الذى توارثوه عن إسماعيل بن إبراهيم، عليهما الصلاة والسلام. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

* وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاءُ - موقوفة على من نحدده من سدنة وخدم للأوثان. بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا - حُرِّمَ ركوبها. وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ.

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا - للرجال. وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا - نسائنا. وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ - يأكلونها ويشركون معهم النساء. سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ - سيعاقبهم على بدعهم الظالمة. إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ - اعتباطًا بالجهل وعدم الثقة فى أن اللَّه ميسر الأرزاق. وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ - حلالاً. افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ - بالكذب والبدع. قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ - تحق زكاة الزرع منذ. يَوْمَ حَصَادِهِ - وصرفها يكون عند الكيل والوزن، لضرورة معرفة المقادير. وَلا تُسْرِفُوا - إن أردتم التصدق بالزيادة على فرض الزكاة (كان من الناس من يتصدق إلى الحد الذى لا يبقى له ثمرة). إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا - ما تستطيع الحمل وما لا تستطيع لصغرها (فرشًا: صغارًا).

كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ - هذه الآيات إشارة إلى ما ابتدعه أهل الجاهلية من تحريم إناث الأنعام من الضأن والماعز والإبل، أو تحريم ما تأتى به بطون بعضها من ذكر وأنثى، وصيغة التعجب لاستنكارها، وأنه لا يعقل أحد من العقلاء أن يكون شرع اللَّه نزل بها من قبل فى أى زمان كما يدعون وكما يبتدعون الضلالات.

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ(*) فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ (**) ـ فأكل من المحرمات بالقدر الذى يدفع عنه الاضطرار. فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ـ ما ليس منفرج الأصابع، كالإبل والخيل والنعام. وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ـ إلا ما علق بظهورها من الشحم وما علق بالأمعاء وما لصق بالعظم فهو حلال. ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ ـ حرمنا عليهم ذلك مقابل ظلمهم وتعنتهم مع الأنبياء بإلحاحهم فى السؤال عما سكت الله عن بيانه. وَإِنَّا لَصَادِقُونَ.

* فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ـ عسى أن يراجعوا أنفسهم ويرجعوا عن كذبهم فيسلموا. وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ـ الكافرين. سَيَقُولُ ـ هؤلاء. الَّذِينَ أَشْرَكُوا ـ يوم الحساب. لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ـ أى جحدوا ما أنعم الله عليهم بفطرة الفهم والتمييز فأرادوا أن يكونوا كمن لا يعقل. كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ـ بعد أن وصلهم البلاغ. حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ ـ نزل عليكم من اللَّه الذى تنسبون له هذه الأحكام. فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ـ فى كتاب حكيم معجز مثل القرآن.

إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ ـ التقديرات العشوائية منكرين بذلك عقولكم التى أنعم اللَّه عليكم بها. وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ـ تتقولون أوهامًا لا يقرها العقلاء. قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ * قُلْ هَلُمَّ ـ هاتوا. شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ـ أكل الأنعام وركوبها من الإبل والبقر كما سبق بيانه. فَإِن شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ـ فإن جاؤوا بشهود فهم كاذبون فلا تصدقهم. وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ـ يساوون به شركاء آخرين.

(*) تؤخذ الآية مع أحكام الآية ٣ من سورة المائدة، التى تُحَرِّمُ: ﴿ ...وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾. وتؤخذ كذلك مع أحكام السنة التى تحرم الحمر الأهلية، وكل ذات ناب من السباع (البخارى، الذبائح٥١٠١)، وكل ذات مخلب من الطير(مسلم، الصيد٥١٠١) ويراعى حكم طعام أهل الكتاب، أنه حلال.

(**) راجع القضية ٥٦ وللضرورة صار حلالاً الدم فى العروق التى تتخلل اللحم. وفى ذلك قال عكرمة: لولا هذه الآية لاتبع المسلمون من العروق ما تتبع اليهود. راجع تفسير القرطبى.

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

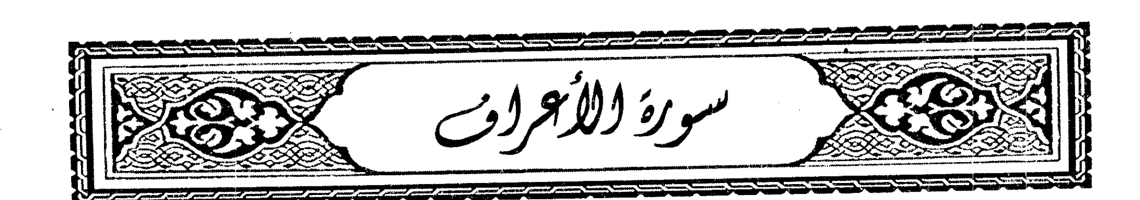
قُلْ تعالَوْا أَتْلُ ما حرَّمَ ربُّكُمْ عليكُمْ ألاَّ تُشْرِكُوا به شيئًا وبالْوالدَيْنِ إحْسَانًا ولا تقتُلوا أولادكُم مِّنْ إمْلاق ـ بسبب الفقر. نَّحْنُ نرزُقُكُم وإيَّاهُمْ ولا تقربُوا الْفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتُلُوا النَّفْس الَّتي حرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بالْحقِّ ذلكُمْ وصَّاكُم به لعلَّكُمْ تعقلُونَ * ولا تقربُوا مال الْيتيم إلاَّ بالَّتي هي أَحْسَنُ ـ إلا بالقدر اللازم لرعاية شؤونه وتنمية ماله إن أمكن. حتَّىٰ يبلُغَ أشُدَّهُ وأَوْفُوا الْكَيْل والْميزانَ بالْقسْط لا نُكلِّفُ نفسًا إلاَّ وُسْعها وإذَا قُلْتُمْ فاعْدلُوا ـ فقولوا الحق عن علم. ولوْ كانَ ذا قُرْبَىٰ ـ ولو كنتم تشهدون على قريب لكم. وبعهْد اللَّه أَوْفُوا ذَلكُمْ وصَّاكُم به لعلَّكُمْ تذكَّرُونَ.

وأَنَّ هذَا صراطي مُسْتَقيمًا ـ واضحا. فَاتَّبعُوهُ ولا تتَّبعُوا السُّبُل ـ بعيدا عنه. فتفرَّق بكُمْ عن سبيله ـ فتبعدكم عما شرع اللَّه لعباده. ذلكُمْ وصَّاكُم به لعلَّكُمْ تتَّقُونَ * ثُمَّ آتيْنَا مُوسى الْكتاب تمامًا على الَّذي أَحْسن وتفْصيلاً لِّكُلِّ شيْء وهُدى ورحْمةً لَّعلَّهُم بلقاء ربِّهم يؤْمنُونَ * وهذا كتابٌ أنزلْناهُ ـ القرآن. مُبارَكٌ فاتَّبعُوه واتَّقُوا لعلَّكُم تُرْحمُونَ * أن تقُولُوا إنَّما أُنزل الْكتابُ علَىٰ طائفتيْنِ من قبْلنا ـ اليهود والنصارى. وإن كُنَّا عن دراستهمْ لغافلين ـ احذروا يا أهل مكة أن تقولوا ماذا يفيدنا القرآن وقد نزلت من قبل كتب سماوية على اليهود والنصارى ولم تفدنا فى شىء لأننا أميين لا نعلم لغاتهم. أوْ تقُولُوا لوْ أَنَّا أُنزل عليْنا الْكتابُ ـ من الكتب السابقة على القرآن مثل التوراة أو الإنجيل. لكُنَّا أهْدىٰ منهُمْ ـ لا تقولوا ذلك فاللَّه لم يلزمكم بتعلم هـذه الكتب، فقد أصابها التحريف ولم يبق لمعرفة شريعة اللَّه الحقة إلا هذا القرآن. فقدْ جاءكُم بيِّنةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وهُدى ورحْمةٌ فمنْ أظْلمُ ممَّن كذَّب بآيات اللَّه وصدف عنْها ـ وانحرف عن اتباعها. سنجْزي الَّذين يصْدفُونَ عنْ آياتنا سُوء الْعذاب بما كانُوا يصْدفُونَ * هلْ ينظُرُون إلاَّ أن تأْتيهُمُ الْملائكةُ أوْ يأْتي ربُّك أوْ يأْتي بعْضُ آيات ربِّك يوْم يأْتي بعْض آيات ربِّك ـ ماذا ينتظر هؤلاء حتى يؤمنوا؟! أينتظرون الموت أم يوم القيامة والحساب، حيث لا ينفعُ نفسًا إيمانُها لمْ تكُنْ آمنتْ من قبْلُ ـ فى الدنيا. أوْ كسبتْ في إيمانها خيْرًا ـ بالعمل الصالح فى الدنيا. قُلِ انتظرُوا ـ ذلك إن شئتم. إنَّا مُنتظرُونَ ـ لنريكم صدق قولنا. إنَّ الَّذين فرَّقُوا دينهُمْ وكانُوا شيعًا ـ وهم المشركون واليهود والنصارى والصابئون والمجوس والبوذيون وعباد البقر... الذين علموا بالإسلام فجحدوه وأنكروه، وكذلك حال المنافقين وأهل البدع والزنادقة. لَّسْتَ منهُمْ في شيْءٍ إنَّما أمْرُهُمْ إلى اللَّه ثُمَّ يُنبِّئُهُم بما كانُوا يفْعلُونَ.

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾

* مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ـ (ذلك من كرم اللَّه الذى لا يعادله كرم). قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ـ كل رسول هو أول المسلمين لله من قومه، ومحمد ﷺ هو أول من علم بالقرآن وآمن به.

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ـ من معصية. إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ـ ولا تحمل نفس معصية اقترفتها نفس أخرى. ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ ـ يخلف بعضكم بعضًا بتوالى الأجيال. وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ـ فى القوة والغنى والتحضر. لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓصٓ (١) كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣) وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٥) فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ (٧) وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ (٩) وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (١٠) وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ (١٣) ﴾

الٓمٓصٓ * كتابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ـ القرآن. فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ـ خوف من إبلاغه. لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ـ من الكافرين المنكرين لما فيه. قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ * وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ـ عقابًا على كفر أهلها. فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ـ عذابنا. بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ـ أى ليلاً أو نهارًا بمشيئة الله. فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ـ لم يعترفوا بالحق إلا عند مواجهتهم العذاب. فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ـ كل إنسان سوف يقف أمام الله فى حساب الآخرة. فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ـ نعرض عليهم أعمالهم فيعلمون أن الله لم يكن غائبًا عنهم فى الدنيا، وإنما هو دومًا رقيب. وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ـ والميزان يومئذ يكون بالحق والعدل. فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ـ بالخير. فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ـ أى نقصت من الإيمان والحسنات. فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ * وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ ـ جعلناكم فيها أقدر على التصرف من بقية المخلوقات. وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ـ فى ظهر آدم حين أخذنا عليكم الميثاق(*).

ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا ـ سجود تحية. لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ـ يجادل إبليسُ وكأنه أقدر من الله تقييمًا للمخلوقات. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ـ لا تكون لك عزّة فيها. فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ.

(*) راجع الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.

﴿ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾

* قَالَ أَنظِرْنِي - أَخِّرْ في أَجَلي. إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي - وهذا كذب من إبليس بقوله: فبما أغويتنى، لأن اللَّه لم يُغْوِه، وإنما هو الذى خالف ربّه. لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ - لأترصد لهم فى كل محاولة يتقربون بها إلى طريقك القويم. ثُمَّ لآتِيَنَّهُم - بالوسوسة. مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا - ممقوتًا مطرودًا. لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ.

وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ - حواء. الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ - شجرة واحدة حرمها اللَّه عليهما فى مقابل التمتع بسائر نعيم الجنة. فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ - كذب زائف من الشيطان لأن اللَّه جعل الملائكة تسجد لآدم تحية وتكريمًا، فما بالهما يطمعان فى أن يكونا ملكين! هذا يبيّن أن وساوس الشيطان يفندها العقل، وتلفظها البصيرة الواعية. أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ - وهذا أيضًا تضليل لأنه لم يثبت أن الله أعلم آدم بأن مآله إلى الفناء. وَقَاسَمَهُمَا - احتال عليهما بالقسم على إخلاصه فى النصح لهما. إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ.

---

(٦٥) قضية: كيف أن إبليس طرد من الجنة قبل آدم ويوسوس له فيها ؟! [الآيات: ١٨ - ٢١].

قال الله تعالى فى الآيات السابقة لإبليس: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ ونحن هنا بصدد قضية المكان، فقد تعنى كلمة ﴿مِنْهَا﴾ من الجنة، وقد تعنى من الملإ الأعلى بأسره والجنة جزء منه. وعلى أى حال فإن آيات القرآن جلها تفيد أن الجنة مكان الطائعين لله، وقد طرد منها آدم حين عصى. وذلك يعنى أن إبليس لم يكن له وجود داخل الجنة وقت أن وسوس لآدم، لأن إبليس مغضوب عليه منذ أن عصى أمر ربه برفضه السجود لآدم، فكيف وسوس له ؟ الجواب : يمكن أن يكون إبليس قد راقب آدم وحواء ووسوس لهما وهو خارج الجنة.

ومن الممكن أن يصل الكلام والوسواس بين المتخاطبين مع فارق المكان، خاصة وأن الله ترك إبليس يوسوس فى صدور الناس إلى يوم الدين، دون استثناء أحد منهم، ابتداء من أبيهم آدم حتى آخر ما يخلق اللَّه من بنى الإنسان. لذلك أعطاه اللَّه القدرة على إيصال وسوسته رغم اختلاف المكان.

ألا نرى تلك الحقيقة فى يومنا هذا فى الهاتف والتلفاز والأقمار الصناعية التى تراقب وتبث الخطاب والحوار مرئيًا ومسموعًا بين أرجاء المعمورة، وتنقل صورًا من الفضاء ومن كواكب أخرى إلى الأرض ؟ إن اللَّه على كل شىء قدير، وقد أدرك العلم هذه الحقيقة بالكشف عن خواص ومركبات المواد والتنسيق بينها تشكيلاً وتركيبًا لإخراج المخترعات. وما تصل إليه المخترعات يكشف عن حقائق موجودة فى ذاتها من قبل أن تكتشفها الوسائل والأجهزة. فلا غرابة فى إمكانية أن يكون الله سبحانه وتعالى خلق مخلوقات أخرى غير الإنسان كالجن والملائكة، وتكون لهذه المخلوقات خواص تفوق قدرات الناس.

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

* فَدَلَّاهُمَا ـ فأنزل من قدرهما. بغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ـ عوراتهما الجسدية. قيل: كانت خلقتهما غاية فى الجمال، ولم يكن فى جسديهما سوءة ظاهرة، فلما أكلا من المحظور ظهر فيهما ما يسىء للنظر، مما هو فى خلقتنا، من إخراج وتبول وعرق ... إلخ. وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ـ يستران به عوراتهما حياءً وخجلاً (وحتى اليوم يستحى الإنسان أن يكشف عورته على الملأ إلا من كان مجرمًا مجنونًا). وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ـ أى بعض الناس عدو لبعض، والشيطان عدو للناس، والجان، منهم عدو لبعض (فمنهم المؤمن والكافر) وللناس. وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ـ حتى لقاء اللّه فى الآخرة. قَالَ فِيهَا ـ فى الأرض. تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ـ يوم البعث. يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ـ أى التزام شريعة اللّه خير من زخارف الدنيا. ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ـ إضرارًا بهما. إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ ـ يراقبكم هو وأعوانه من شياطين الجن. مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ.

وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ـ أى طالما وجدنا عليها آباءنا فلا بد وأن يكون اللّه قد أمرهم بها فى شريعة سابقة. قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ

(٦٦) قضية: تعلم الدين من المصادر الشرعية المعتمدة ضرورة

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ [الآية: ٢٨].

هذه الآية توجب السعى لمعرفة الصواب والخطأ من أحكام الحرام والحلال فى أمور الدنيا، والاجتهاد يقتضى استعمال العقل مع الاستناد إلى دليل من شرع الله، وله ضروب ودرجات، منها ما هو فى مكنة العامة كمعرفة الآيات المحكمات وتطبيقاتها. وأعلى درجاته استنباط الأحكام من القرآن والسنة، ويقوم به العلماء المتخصصون مسترشدين بمعايير من علوم اللغة وأصول الفقه وقواعده الكلية.

ومن ضروب الاجتهاد الذى هو فى مقدور عامة الناس، كل ما هو معلوم من الدين بالضرورة، ومثاله العلم بحرمة الزنا والسرقة والرشوة والقتل والقذف والتجسس... إلخ، فتلك جرائم محظورة فى كل الأديان والحضارات. فإذا وجد شخص ⬅

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ۙ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

* قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ - لأنهم. اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ - احملوا زينتكم وارتدوا ملابسكم ساترين عوراتكم. عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ - عند كل صلاة وطواف.

وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ - ببلوغ جمالها منتهاه.

كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ - بالظن دون تحكيم البصيرة والعقل.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ * يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي - شريعتي. فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

← آباءه يقترفون شيئًا من هذه الآثام، فهو يعلم تمامًا أنها من كبائر الإثم، فليس له أن يقول: «وجدت عليها آبائي لذلك أظن أنها كانت مباحة في شريعة أسلافنا» فذلك استخفاف وليس بعذر. ولا يصح أيضًا أن يقول: «قال لي فلان أو فلان من أقراني» فيخالف ما علم من الدين ومن منطق العقل بالضرورة.

إن الآية تشير إلى وجوب الاجتهاد، والعامة، فيما لا يملكون أن يجتهدوا فيه، عليهم أن يستفتوا العلماء، واختلاف العلماء يكون فيه توسعة على الناس، إذ يعتبر بمثابة تعدد أوجه الصواب، فيستطيع الفرد أن يختار اتجاهًا منها فيتبعه، ولكن ليس له خلط الآراء ليؤلف منها اتجاهًا جديدًا.

قال رسول الله ﷺ: «الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مُشَبَّهَاتٌ لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المُشَبَّهات استبرأ لدينه وعرضه. ومن وقع في الشُّبُهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه. ألا وإن لكل مَلك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه. ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسدُ كله، ألا وهي القلب»(*).

وإذا كان الفقهاء يشرحون الدين وأحكامه، ويبدون آراءهم فيما تشابه حكمه من الأحداث والوقائع، إلا أن العلم بالأمور البيّنة من الحلال والحرام يجب أن يكون لدى عامة الناس. لذلك يلزم أن يهتم قادة المجتمع المسلم بتثقيف الناس وتوعيتهم بأحكام الإسلام.

(*) البخاري، الإيمان ٥٠. مسلم، المساقاة ٢٩٩٦. الترمذي، البيوع ١١٢٦. النسائي، البيوع ٤٣٧٧، الأشربة ٥٦١٤. ابن ماجة، الفتن ٣٩٧٤. أحمد، مسند الكوفيين ١٧٦٢٤٤ - ١٧٦٤٥ - ١٧٦٤٩. الدارمي، البيوع ٢٤١٩.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ـ غروراً منهم، بالرغم من أن عقولهم والشواهد من حولهم تؤكد صدق آيات الله. أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ـ بادعاء شركاء لله. أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ـ جحد شريعته بعد علمه بها وبصدق الرسول الذى حملها. أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ـ أى مما هو مكتوب ومقدر لهم من أرزاق. حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا ـ الملائكة عند قضاء الأجل. يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ـ من شركاء. قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ـ ذهبوا عنا. وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم ـ قد سبقتكم فى الكفر. مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ـ التى قادتها إلى الكفر. حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا ـ أدرك بعضهم بعضًا. فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ـ لكم جميعًا عذابٌ مضاعفٌ، فأنتم جميعًا سواء. وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ـ ولكن لا تصدقون ذلك ولا تعرفون معنى مضاعفة العذاب وبلوغه أقصاه إلا عند دخولكم فيه (قد يكون حشرهم إلى جهنم أولاً لرؤيتها قبل بدء العذاب، لذلك ختمت الآية بـ "ولكن لا تعلمون" حيث لم يبدأ العذاب بعد. وقد يكون ختام الآية موجهًا للناس فى الدنيا كنصح وزجر عسى أن تصغى عقولهم، والله أعلم). وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ـ أى نحن وأنتم سواء فى الضلال. فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ـ تعالوا عن اتباع شرع الله (كما تعالى إبليس عن طاعة أمر ربه). لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ـ لا يكون لهم نصيب من رحمة الله فهم مبلسون. وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ـ ثقب إبرة الخياطة. وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ـ فراش يقعدون عليه. وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ـ أغطية تغشاهم. وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ـ أى عملوا الصالحات بنوايا طيبة وبقدرما يستطيعون. أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ـ تنعم صدورهم بالانشراح خالية من الهموم. تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ـ لقد تحقق وعد الله إيانا، معشر المؤمنين، بالجنة كما أبلغنا رسله الكرام. وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ - كانوا. يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا - كانوا يريدون الحياة وفقًا لأهوائهم وليس على صراط الله المستقيم. وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ * وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ - وبين الفريقين ساتر، قيل إنه سور فاصل بين الجنة والنار يسمى بالأعراف، وعليه. رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً - من أهل الفريقين. بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ - سلام تحية من بعيد. لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ - وما يزالون خارج الجنة وقت هذا الحوار - وروى أنهم يدخلونها بعد ذلك بمغفرة اللَّه. وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ - أى أبصار أصحاب الأعراف. تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ - قوتكم فى الحياة الدنيا. وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ - به على الضعفاء من المؤمنين. أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ - ها هو اللَّه ربّ العالمين ينعم على الضعفاء الذين استكبرتم عليهم أن. ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ - لكى يخفف علينا العذاب. قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا - الماء والخيرات. عَلَى الْكَافِرِينَ.

الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ - نتركهم فى النار للخلود فيها. كَمَا نَسُوا - أعرضوا عمدًا وعنادًا عن التصديق فى. لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ - يكذبون. وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ - ماذا ينتظر هؤلاء حتى يؤمنوا بما جاء فى القرآن ؟. هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ - تحقق ما جاء فيه من وعد ووعيد. يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ - الذين أعرضوا عنه. من قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ - ولم نؤمن. فَهَل لَّنَا من شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ - إلى الدنيا. فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ، قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ - من أيام اللَّه، (أما حساب يومنا الذى نتعارف عليه فى الدنيا، فهو بعد خلق الأرض والسماوات والكواكب والنجوم...). ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ - (لا نعلم وصفًا للعرش ولا كيفية استواء اللَّه عليه، فعلم ذلك عند اللَّه). يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ - يجعل الليل يغلب على النهار. يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

* ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ـ بخشوع وبصوت منخفض. إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ـ الذين يتجاوزون الحد.

وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ * وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ ـ يبرزون من مقابرهم فى الأرض يوم البعث مثلما ينبت النبات. لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ـ صحيحًا مبروكًا ويخرج المؤمن كذلك يوم البعث. وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا ـ فالكافر يوم البعث يخرج نكدًا.

كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ * لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ * أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ ـ لسان. رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ـ عميانًا عن الحق. وَإِلَىٰ عَادٍ ـ أرسلنا. أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ـ رعونة. وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ـ فى تبليغ رسالة الله إليكم.

أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ ـ لسان. رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ـ طولاً. فَاذْكُرُوا آلاءَ ـ أنعم. اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

قَالُوا أَجِئْتَنَا لنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنا فَأْتنا بمَا تَعدُنَا ـ من العذاب الذى تتوعدنا به. إن كُنتَ منَ الصَّادقينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادلُونَني في أَسْمَاءٍ ـ أسماء آلهة وأصنام. سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم ـ تعبدونها وتشركونها مع اللَّه، و. مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بهَا من سُلْطَانٍ ـ ما جعل اللَّه لما تعبدون من هذه الأسماء من قدرة ولا أمر بعبادتها. فَانتَظرُوا ـ عذاب اللَّه الذى استعجلتموه. إنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظرينَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذينَ مَعَهُ برَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابرَ ـ أهلكنا. الَّذينَ كَذَّبُوا بآيَاتنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمنينَ ـ وأرسلنا. إلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذه نَاقَةُ اللَّه لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ في أَرْضِ اللَّه وَلا تَمَسُّوهَا بسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَليمٌ * وَاذْكُرُوا إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ منْ بَعْد عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ ـ مكَّن لكم. في الأَرْضِ تَتَّخذُونَ من سُهُولهَا قُصُورًا وَتَنْحتُونَ الْجبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ ـ أنعم. اللَّه وَلا تَعْثَوْا في الأَرْضِ مُفْسدينَ * قَالَ الْمَلأُ الَّذينَ اسْتَكْبَرُوا من قَوْمه ـ الذين تعالوا عن اتباع رسولهم صالح، عليه الصلاة والسلام. للَّذينَ اسْتُضْعفُوا لمَنْ آمَنَ منْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّه قَالُوا إنَّا بمَا أُرْسلَ به مُؤْمنُونَ * قَالَ الَّذينَ اسْتَكْبَرُوا إنَّا بالَّذي آمَنتُم به كَافرُونَ * فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ـ ذبحوها. وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ـ استكبروا فعصوا ما نهاهم ربهم عن المساس بالناقة بسوء. وَقَالُوا يَا صَالحُ ائْتنَا بمَا تَعدُنَا ـ من العذاب. إن كُنتَ منَ الْمُرْسَلينَ. فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ـ الزلزلة. فَأَصْبَحُوا في دَارهمْ جَاثمينَ ـ منكمشين على ركبهم أمواتًا. فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكن لاَّ تُحبُّونَ النَّاصحينَ ـ وأرسلنا. لُوطًا إذْ قَالَ لقَوْمه أَتَأْتُونَ الْفَاحشَةَ مَا سَبَقَكُم بهَا منْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمينَ.

(٦٧) **قضية:** ﴿ وَلَكن لاَّ تُحبُّونَ النَّاصحينَ ﴾ [الآية: ٧٩].

نستفيد من هذا بأن النصيحة والدعوة لدين الله واجبة ولو غلب على الظن أن الموجه إليه النصح لن يعمل به: «عرضت على الأمم، فجعل يمر النبى معه الرجل، والنبى معه الرجلان، والنبى معه الرهط، والنبى ليس معه أحد» (البخارى، الطب ٥٣١١. مسلم، الإيمان٣٩٣). إن رسل الله قد عانوا الكثير فى سبيل تغيير مسيرة الأمم، لأن الناس يميلون إلى الاستمرار فيما توارثوه من سلوك وعادات وأعراف لتعودهم عليها. وإن التحول إلى المسار الصحيح يتطلب تضحيات والناس يخشون التضحيات ولو كانت يسيرة.

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾

* إِنَّكُمْ لَتأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم - أي آل لوط. مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ - كانت لا تنكر على قومها ما كانوا عليه من ضلال. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا - من حجارة من سجيل تهلك الظالمين. فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ.

* وَإِلَىٰ - أهل. مَدْيَنَ - أرسلنا. أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ - كان عندهم مكاييل وافرة وموازين ثقيلة يستعملونها إذا كانوا هم المشترين، وأخرى شحيحة وخفيفة يستعملونها إذا كانوا هم البائعين. وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ.

* وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ - تهددون الناس لأخذ فدية من المال (قطع الطريق). وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا - تبغون كسب معاشكم ظلمًا. وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً - حين كنتم جماعة قليلة. فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا - فيفصل بالحق. وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ - (تهديد). يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ - لملتكم. قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا - وهو لا يشاء ذلك لأصفيائه المؤمنين. وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا - يعلم بظاهر الأمور وباطنها. عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ - أحكم. بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ * وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ - الزلزلة. فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ - صاروا أمواتًا منكمشين على أنفسهم. الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا - كأن لم يحيوا فى قوة وغنى، فحياتهم كأنها حلم مضى، وتلك هى الحياة مهما طال بنا العمر. الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ.

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾

* فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ـ شعيب. وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ ـ أحزن. عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ـ الفقر والمرض. لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ـ بدلنا مكان الفقر والمرض (السيئة) نعمة الغنى والصحة (الحسنة). حَتَّىٰ عَفَوْا ـ اشتدوا. وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا ـ الأمم قبلنا. الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ ـ وإن ما أصابنا من فقر ومرض ما كان إلا مما تجرى به سنة الحياة فى كل جيل، ولم يكن عقوبة من اللَّه. فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ـ من ظلمهم. أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ.

أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ * أَوَ لَمْ يَهْدِ ـ يتضح. لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ ـ هلاك. أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم ـ عاقبناهم فى الدنيا. بِذُنُوبِهِمْ ـ كما عاقبنا من سبقهم. وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ـ الدالة على الحق. فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ.

---

(٦٨) قضية: ﴿ مَكْرَ اللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الآيتان: ٩٩-١٠٠].

إن الله رحيم بالعباد، فهو يرسل إليهم الرسل ويمد لهم فى الأسباب ويرزقهم. وقد وهبهم العقول والضمائر، وهو قريب منهم يساعد كل إنسان يخطو خطوة نحو الإيمان فيقويه. وإذا أصر قوم على تحدى الله، فهم فى الواقع لا يستطيعون حياله شيئًا، لأنه هو القاهر فوق عباده، ولكن الله فى مقابل عنادهم يرفع معونته التى توحى إلى ضمائرهم طريق الخير، فيصبحوا نهبًا للوساوس والمغريات الشيطانية، وبذلك يتراكم الشر فى أنفسهم. والله يحمى رسله والمؤمنين بمختلف الطرق التى تخطر أو لا تخطر على بال أعدائهم من الكافرين. وفى جميع الأحوال يبقى الكافر فى محنة البعد عن الحق، فإن رأى معجزة فيوسوس له الشيطان أنها سحر أو من خوارق الطبيعة التى تحدث نادرًا.

(٦٩) قضية: ﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ﴾ [الآية: ١٠١].

تفيد هذه الآية أن الناس إذا تأملوا بالعقل فيما هو بين أيديهم من معرفة مغلوطة حول رسالة السماء، فإنهم سيهتدون إلى جانب كبير من الصواب. ولكن من رحمة الله أنه يرسل إلى الناس رسلاً ويخفف عن أهل الفترة بين الرسل.

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾

* وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ـ من وفاء وإخلاص. وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه فَظَلَمُوا بِهَا ـ فظلموا أنفسهم بتكذيب الآيات المؤكدة لنبوة موسى. فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ ـ تدل على أنك رسول الله. فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ ـ منيرة. لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ـ أجل أمره وأمر أخيه هارون. وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ـ جامعين. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ.

وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا ـ مكافأة. إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ ـ فرعون. نَعَمْ ـ وسأجعلكم من. الْمُقَرَّبِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ـ تبتلع ما يصنعون من سحر.

(٧٠) قضية: رسالة موسى وحواره مع فرعون ومع بنى إسرائيل [الآية: ١٠٢].

لقد بعث الله موسى ليخلص بنى إسرائيل من الأسر الذى فرضه عليهم فرعون، وبدأ بدعوة فرعون للهداية، ثم طلب منه أن يترك إليه أمر بنى إسرائيل.

وهذه البعثة تثير قضية هامة وهى قضية اللغة : ما هى اللغة التى كان يبلغ بها موسى؟

من المنطقى أن يكون موسى قد خاطب فرعون بالمصرية القديمة، فموسى تربى فى بلاط فرعون حتى سن الشباب، فتكون لغته الأم هى المصرية القديمة.

هل خطابه إلى بنى إسرائيل كان أيضًا بالمصرية القديمة ؟

وفقًا لسيرة الأنبياء يبدو أن بنى إسرائيل عاشوا بمصر منذ يوسف، عليه الصلاة والسلام، وذلك يؤكد أن الجيل الذى كان بمصر وقت موسى، عليه الصلاة والسلام، كان مصرى اللسان، فالمنطق يميل إلى أن خطاب موسى إلى هؤلاء كان بالمصرية أيضًا، ولكن هل يمكن أن يكون قد بلغهم بلغة خاصة ؟ وما هى تلك اللغة ؟ وهل كانوا فى حاجة إلى أن يبلغهم موسى الرسالة بها وهم يملكون لغة المحل، المصرية القديمة ؟

وماذا عن المصريين الذين آمنوا بموسى ورسالته، هل دونوا عنه الشريعة بالمصرية القديمة ؟

إن هذه التساؤلات يجب أن يبحثها المتخصصون فى اللغات القديمة وتاريخها، لأن الإجابة عليها تفيد فى معرفة معالم الأصول الأولى لتلك الرسالة، وهل تلك الأصول موجودة، وكيف تقرأ وتفهم بصفتها مراجع فى عصرنا.

﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

فوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون * فَغُلِبُوا هُنَالكَ وَانقَلَبُوا صَاغرين ـ مخذولين. وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجدين * قَالُوا آمَنَّا برَبّ الْعَالَمين * رَبّ مُوسَىٰ وَهَارُون * قَالَ فرْعَوْنُ آمَنتُم به قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ في الْمَدينَة ـ أي مؤامرة تآمرتم بها مع موسى بعيدًا عني. لتُخْرِجُوا منْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لأُقَطّعَنَّ أَيْديَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مّنْ خلاف ثُمَّ لأُصَلّبَنَّكُمْ أَجْمَعين * قَالُوا إنَّا إلَىٰ رَبّنَا مُنقَلبُونَ * وَمَا تَنقمُ منَّا إلاَّ أَنْ آمَنَّا بآيَات رَبّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلمينَ * وَقَالَ الْمَلأُ من قَوْم فرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ ليُفْسدُوا في الأَرْض وَيَذَرَكَ وَآلهَتَكَ قَالَ سَنُقَتّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيي نسَاءَهُمْ وَإنَّا فَوْقَهُمْ قَاهرُونَ * قَالَ مُوسَىٰ لقَوْمه اسْتَعينُوا باللَّه وَاصْبرُوا إنَّ الأَرْضَ للَّه يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ منْ عبَاده وَالْعَاقبَةُ للْمُتَّقين.

قَالُوا أُوذينَا ـ من فرعون. من قَبْل أَن تَأْتيَنَا وَمن بَعْد مَا جئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلفَكُمْ في الأَرْض فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فرْعَوْنَ بالسّنينَ ـ القحط والجفاف. وَنَقْص مّنَ الثَّمَرَات لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ ـ الخير والنماء. قَالُوا لَنَا هَذه ـ هذا بفضل عملنا. وَإن تُصبْهُمْ سَيّئَةٌ ـ محنة كالجفاف وغير ذلك. يَطَّيَّرُوا بمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ـ يقولون هذا من شؤم موسى وأتباعه. أَلا إنَّمَا طَائرُهُمْ ـ ما يرونه من شؤم هو تنبيه وجزاء من. عندَ اللَّه وَلَكنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتنَا به منْ آيَة لّتَسْحَرَنَا بهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بمُؤْمنينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهمُ الطُّوفَانَ ـ يغرقهم. وَالْجَرَادَ ـ يأكل الزرع. وَالْقُمَّلَ ـ سوس يأكل ما تبقى من محصول بعد اجتياح الجراد. وَالضَّفَادعَ ـ كثرت الضفادع حتى دخلت في أوعية الطعام. وَالدَّمَ ـ وصار الماء كالدم في لونه وطعمه. آيَات مُّفَصَّلات فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرمينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهمُ الرّجْزُ ـ العقاب. قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بمَا عَهدَ عندَكَ لَئن كَشَفْتَ عَنَّا الرّجْزَ لَنُؤْمنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسلَنَّ مَعَكَ بَني إسْرَائيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرّجْزَ إلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالغُوهُ إذَا هُمْ يَنكُثُونَ ـ لا يوفون بعهدهم. فَانتَقَمْنَا منْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ في الْيَمّ بأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بآيَاتنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافلينَ.

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾

* وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ ـ وتم وعد الله للمؤمنين من. بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ.

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ـ جعلناهم يعبرون البحر فقابلوا بعد ذلك قومًا. يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ـ يعبدونها. قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا ـ صنمًا نعبده لنتقرّب به إلى اللّه. كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَٰؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ ـ عبادتهم ضائعة. وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ـ لتوحيدكم إياه، فاذكروا. وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً ـ يصوم النهار ويقوم الليل قبل أن يكلمه ربّه. فلما أتمها موسى خجل أن يكلم ربّه وفى فمه خلوف الصيام، فتسوك، فأمره اللّه بأن يزيد عشرة أيام ثم يأتى بخلوف فمه. فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي ـ وقت غيابى. فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ـ شأنهم، أى اسهر على تطبيق شرع اللّه فيهم. وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ـ ولا تلين أو تميل إلى جانب من يبدر منه السوء. وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ـ صيغة قسم تعارف عليها الناس لتأكيد ما يقسمون عليه (فيقال مثلاً : «أنا أول من يصدقك» أى أنا أصدقك بحق وقوة).

---

(٧١) قضية: ﴿ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الآية: ١٤٣].

من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى كَلَّمَ رسوله موسى، عليه الصلاة والسلام، تكليمًا ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١].

لقد سمى الله خطابه للأنبياء عن طريق الوحى كلامًا، فقد كلم الله رسله الذين ذكرهم ـ عدا موسى ـ وحيًا. أما موسى فقد كلمه دون وساطة وحى، ولكن من وراء حجاب، أى إن جميعهم لم يروه سبحانه وتعالى، حين كان يخاطبهم.

والسؤال : هل سمع موسى صوت الله، أم كان كلام الله إليه بطبع معنى الخطاب مباشرة فى وعيه ؟

إن اعتبرنا أن صوت الله له نفس قدر صورته لأنه من ذاته، فالحجاب يكون شاملاً الصوت، ويكون موسى لم يسمع صوت الله، ولكن الله طبع معنى الخطاب فى وعيه وإدراكه دون وساطة وحى، وذلك يعتبر كلامًا.

←

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ ـ ولا تطلب المزيد. وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ ـ التوراة. مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ـ طبقها بحزم. وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ـ (كل آيات الشريعة حسنة لأنها من عند الله سبحانه وتعالى) والمقصود بأحسنها هنا أحسنها أثرًا بالنسبة لكم، وهى آيات الرحمة والإيمان بالله والعمل الصالح. سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ـ سنجعلكم تشاهدون بأعينكم فى الدنيا ما حل ببلاد الفاسقين من مصائب.

← وإن اعتبرنا غير ذلك، فيحتمل أن يكون موسى قد سمع صوت الله.

ونميل إلى تغليب الاحتمال الأول، لأن الثانى فيه ما يلى :

١ ـ يقلل من قدسية صوت الله، فى حين أنه من الذات الإلهية مثل وجه الله تمامًا.

٢ ـ يفتح باب قضايا معقدة لن نصل فيها إلى حلول، مثل :

هل لله لغة خاطب بها موسى بعد أن هيأه لفهمها؟ أم كان الخطاب بلغة موسى؟ واللغة فى مفهومنا وسيلة للحوار، والله منزه عن الحاجة إلى الوسائل، فهو الذى يقول للشيء كن فيكون...

(٧٢) قضية: أصول الرسالات السماوية وتوثيقها كمصادر [الآيات: ١٤٥-١٥٠].

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾.

التحليل:

ـ ما هى الألواح ومن كتب فيها ؟ قد تكون ألواحًا من الخشب أو الفخار. وقيل إنها صخرة خلق الله فيها الكلام مكتوبًا.

ـ بأى لغة كانت تلك الكتابة ؟ قيل: كانت كتابة ليست ككتابتنا وإنما تلوح معانيها لموسى بمجرد النظر فى الألواح، وهذا معنى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ ﴾.

وقيل : هى ألواح كتبت بيد ولغة بشر (موسى أو غيره) وتحمل شرع الله، وإنما نسب الله الكتابة إليه تشريفًا للمكتوب.

ـ من كل شيء: أى من كل ما يحتاج إليه بنو إسرائيل فى دينهم ودنياهم.

القضية :

تفيدنا هذه الآية فى بيان أن كل رسالة نزلت من السماء كان لها أصل موثق ومكتوب لفائدة الإنسانية.

الألواح التى كانت مع موسى وهارون: إذا أخذنا بالرأى القائل بأنها كانت ألواحًا ينظر فيها موسى فتلوح المعانى منها، فإن ذلك يعنى أنها كانت أصولاً لفائدة الناس، لا تصل معانيها إليهم إلا عن طريق موسى الذى له كرامة الاطلاع عليها. وذلك يعنى أن هذه الألواح لا تكون أصولاً مرجعية لفائدة الناس مباشرة بعد موت موسى وهارون. وإنما تكون الأصول المرجعية الموثقة للرسالة هى ما دونه الناس أنفسهم مما أملى عليهم موسى وهارون من أحكام.

وإذا أخذنا بالرأى الذى يقول إنها كتابة بشر (موسى أو هارون أو غيرهما) نقول تلك هى الأصول المرجعية الأولى. فأين هى هذه الأصول، هل حافظ الناس عليها حتى عصرنا ؟ وبأى لغة كتب الناس ما أملاه الله عليهم من أحكام عن طريق النبيين الكريمين موسى وهارون؟

←

➡ إذا كان موسى قد كتب، فبأى لغة كتب الألواح؟ إنه نشأ وتربى فى بلاط فرعون، فيمكن أن يكون قد دونها باللغة المصرية القديمة؟ هل كان ملماً بالآرامية القديمة فيكون قد كتب بها، ولماذا ؟

إذا كان غير موسى هو الذى كتب، فبأى لغة كتب ؟

من المعلوم أن بنى إسرائيل كانوا بمصر من قبل بعثة موسى وهارون بزمان، فكانوا يملكون لغة المحل، وهى المصرية القديمة، فهل كتبوا ودونوا بها، أم كتبوا بالآرامية القديمة ؟

هل فقط بنو إسرائيل هم الذين دونوا عن موسى، أم، أيضًا، المصريون الذين آمنوا برسالته والتفوا حوله ؟ فإن كان من المصريين من كتب فيكون قد كتب ودون بالمصرية القديمة.

الخلاصة : إن الأصول الأولى للتوراة غير موجودة بأيدى الإنسانية المعاصرة فليس هناك توراة بالآرامية ولا بالمصرية القديمة، وإن وجدت فهى لن تفيد الإنسانية فى عصرنا الحاضر، لأن هاتين اللغتين ليستا من اللغات الحية.

إن الناس بحاجة ماسة إلى الأصول الأولى للرسالات السماوية التى دونت عن الرسل، لأنها من ممتلكات الإنسانية، وهى تفيد فى معرفة أحكام السماء ورفع التناقض فى مجال العقيدة عن طريق البحث العلمى السليم المعتمد على التوثيق.

ليس أمام الناس فى هذا العصر أصل كامل وسليم لرسالة من السماء سوى القرآن الكريم، فهو قد كتب كاملاً فى عصر الرسول، وحفظ فى الصدور جيلاً عن جيل بالعربية منذ عصر بلاغه إلى يومنا هذا، ولغته العربية حية لم تتبدل إلى اليوم، وهى مازالت لغة الملايين من الناس المعاصرين (والأصول الأولى المكتوبة هى مخطوطات محفوظة فى مصر وأوزبكستان وتركيا...).

ورسالات اللَّه لا تتناقض فيما بينها، وإنما التناقض يرجع إلى فعل الناس، لأن التدوين فى عصور بعيدة عن زمن البلاغ يدخل الخلط والإسقاط والتحريف على النصوص، ومراجعة ذلك يجب أن تكون على رسالة أصلية(*).

ولا يشق على الناس فى المجتمعات المعاصرة الاطلاع على الرسالة الإلهية الباقية محفوظة بأصلها كما أنزلت، وهى القرآن الكريم، سواء بقراءته بلغته العربية، أو بالاستعانة بترجمة جيدة لمعانيه، فقد تمت ترجمة معانى القرآن الكريم إلى لغات كثيرة، وأعمال الترجمة تنمو باطراد منذ أن تولى «مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف» بالمدينة المنورة، إعادة طباعة ونشر العديد من الترجمات الموجودة، وإصدار ترجمات جديدة. وندعو الله أن يأتى الوقت الذى تتوافر فيه ترجمات معانى القرآن الكريم وتفسيراتة إلى لغات شعوب الأرض كلها بلا استثناء، لأنه لا مجال لتفضيل لغة عن لغة ولا قوم عن قوم فى الدعوة إلى دين الله، فتحصيل العلم برسالة الله الخاتمة حق من حقوق الإنسان، وواجب على كل فرد ما استطاع إليه سبيلا. وإذا كان القرآن قد نزل بالعربية، فإن ذلك يلقى على المجتمع العربى عبءاً جسيما هووجوب بلاغ معانيه إلى مختلف الشعوب، لأنه الرسالة الخاتمة التى أنزلها الله للناس جميعاً: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

(٧٣) بيان: ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ [الآية: ١٤٥].

من المعلوم أن آيات الله سبحانه وتعالى متساوية فى الحسن، والأمر والنهى الوارد منه سبحانه وتعالى فى أى رسالة نزلت، متساو فى القدر والحسن. فقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [المزمل: ٢٠]. يتساوى مع النهى عن المحرمات ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]. فشرع الله بكامله إنما ينزل لصلاح الناس، فيحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث.

ومن ذلك نفهم أن أمر الله بأن يأخذوا بأحسن آياته ليس معناه أن الآيات لها أفضلية على بعضها فى ذاتها، وإنما يشير إلى الأفضلية للمجتمع وحاجاته وفقًا لأولويات التطبيق. فعلى سبيل المثال، إذا كان الله يحل للناس الطيبات من الطعام، فليس من المناسب زراعة جميع الأرض فواكه للتصدير، وترك المجتمع يستورد المحاصيل، لأن هذا الحال يجعل المجتمع عرضة لتحكم قوى خارجية، ويتهدد الفقراء فيه بالجوع القاسى والبؤس المستمر. وإنما الأحسن هو توزيع الزراعة وفقًا لأولويات المجتمع وحاجاته التى تسمح بنمو إمكانياته وتوجيهها وجهة ترضى الله وترضى الناس وتجعل العدل والأمن سائدين.

(*) راجع "لغات الرسل وأصول الرسالات" بقلم مجموعة من الباحثين، إصدارات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ ٢٠٠٢م.

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأٓخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ - سأترك العتاة من الظالمين يضلون عن التأمل فى آياتى. وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ - الضلال. يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ - بسبب أنهم. كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا - التى بيناها لهم خاصة. وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ - معرضين بالعناد، مع علمهم بصدقها.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ - لا يجزون فى الآخرة إلا جزاء ما كانوا يعملون فى الدنيا من شر وفساد، وقد بيّن اللّه لهم هذا الجزاء فى شريعته.

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ - الذهب والفضة والجواهر. عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ - له صوت يشبه صوت الثور (إذا ما هبت الريح تجاهه يصفر صفيراً يشبه الخوار بسبب فوهات للهواء من عمل صانع هذا التمثال).

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً - ألم يروا أن صوته (الخوار) ليس بكلام يهديهم إلى معان معقولة، ورغم ذلك اتخذوه معبودًا لهم. وَكَانُوا ظَالِمِينَ * وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ - ندموا بعد تبين خطأ ما فعلوه. وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

---

(٧٤) قضية: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الآية: ١٤٦].

إن الله لا يدفع بالظالمين دفعًا إلى الضلال، ولكن إصرار المتكبرين على عدم عبادة الله والإقرار له بالألوهية والوحدانية، يجعل ظلمات الجهل تتراكم فى أنفسهم، فيبعدون عن فطرة الميل إلى الحق ويسهل انقيادهم إلى الضلال. وعلى ذلك نفهم أن الحياة الدنيا تضع الإنسان فى محنة تقتضيه إعمال العقل والضمير باستمرار فيما يشاهد من حوله من آيات ومعجزات، مع العلم بأن باب وسوسة الشيطان مفتوح ، حتى عند المعجزات الخارقة يوسوس الشيطان للإنسان بأن هذا سحر أو من فعل الطبيعة كأن لم يكن فيه شيء يدعو إلى التعجب وذلك لكى يكفر فلا ينسب المعجزات إلى الخالق. وبذلك ينصرف الأحمق عن الهدى دون أن يكون الله قد زج به زجًا إلى الضلال. فالله عندما يقول سأصرف عن آياتى بمعنى سأتركهم ينصرفون، لأن الهدى يكون بتقريب الله عبده إليه بأن يرشد ضميره إلى التأمل والاتعاظ من الآيات.

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾

* وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِه غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي - بئس ما اتبعتم من ضلال الشرك بعبادتكم العجل. مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ - توبيخ معناه استعجلتم عقاب ربكم، وألقى ألواح التوراة، توبيخًا آخر لقومه، معناه أن آيات اللَّه هذه لا تستحقونها ولا أنتم أهل لها. وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ - أخوه : ابْنَ أُمَّ - يا أخي. إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي - عندما هممت بمنعهم عن ضلالة عبادة العجل. فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ * وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ * وَاخْتَارَ مُوسَىٰ - من. قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا - يستغفرون عن بقية قومهم. فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ - الزلزلة - دعا موسى ربه، فقال: رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ * وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ - اهتدينا إلى سبيلك. قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا - واسعة ومستمرة. لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ.

(٧٥) **قضية:** ﴿ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ ﴾ [الآية: ١٥٠].

تفيد هذه الآية فى الدلالة على أن الرسالات السماوية، كانت تدون أولاً بأول عن الرسل مباشرة، ومن لم يكن منهم أميًا مثل موسى كان يستعين بها، ويحملها معه كذاكرة. ومن كان منهم لا يقرأ من كتاب ولا يكتب، مثل محمد ﷺ كانت تدون عنه مباشرة أيضًا، وذلك نظرًا لأهمية الرسالة السماوية، وضرورة حفظها بالتدوين إلى جانب الحفظ فى الصدور(*).

(*) راجع القضية ٧٢.

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ (١٦٢) وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (١٦٣) ﴾

* الَّذينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ـ محمداً ﷺ. الَّذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا ـ مذكوراً وموصوفًا ومسمى. عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ـ سوف يأمر الناس. بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ـ ذنوبهم، بشفاعته عند الله لمن تبع هداه. وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ـ ويرفع عنهم ما كان من شدة فى الشرائع السابقة. فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ ـ يا محمد: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.

وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ ـ الناس. بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَقَطَّعْنَاهُمُ ـ قسمناهم. اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا ـ قبيلة. أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ـ لكل قبيلة عين. قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ ـ تظلهم السحب من حر الشمس وتسقيهم الماء. وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ ـ بلورات حلوة الطعم تتجمع على أوراق الشجر. وَالسَّلْوَىٰ ـ طيور لحومها شهية كطائر السمان. كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا ـ بعصيانهم. وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ ـ عبارة تدل على طلب المغفرة من الله. وَادْخُلُوا الْبَابَ ـ باب بيت المقدس. سُجَّدًا ـ منحنين. نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا ـ عقابًا. مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ * وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ـ ذلك لأنهم طلبوا من نبيهم يوما فى الأسبوع لا يعملون فيه، وإنما يتفرغون لعبادة الله، فحدد الله يوم السبت اختبارًا لهم على صدق نواياهم. والله عالم بها، وإنما الاختبار ليفتضحوا أمام أنفسهم.

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ ـ جماعة. مِّنْهُمْ ـ للذين يأمرون الناس بطاعة اللّه والامتناع عن الصيد يوم السبت. لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ـ لأنهم يعلمون أنهم إنما يخالفون أوامر الله. قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ـ قال الواعظون نفعل ذلك لنبرأ أمام اللّه الذى يشهد بأننا لم نقصر فى تقديم النصح إلى قومنا. وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ـ أى لعل بعضهم يفيق من غفلته ويستجيب لدعوة الله. فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ ـ لما عاندوا مرة أخرى فارتكبوا ما هو محظور عليهم. قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ.

وَإِذْ تَأَذَّنَ ـ عزم. رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ـ لمن تاب وآمن. وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ـ جماعات. مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم ـ امتحناهم. بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ ـ من بعد القوم الذين عاصروا الرسل. خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ـ الشريعة المبينة فى الكتاب الذى يخلفه الرسول. يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ ـ يتبعون الحياة الدنيا دون اكتراث بشريعة الله. وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ـ وكلما لاح لهم الحرام ارتكبوه. أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ـ وعلموا أن مغفرة اللّه مقرونة بالتوبة والاستغفار والندم، ولا تشمل الذنوب التى ترتكب بإصرار وعناد. وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ـ فيجتنبون المعاصى، وإن وقعوا فى بعضها يستغفرون، ولا يقولون على اللّه الكذب. أَفَلَا تَعْقِلُونَ.

---

(٧٦) قضية: الإصرار على المعاصى: ﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا . . . ﴾ [الآية: ١٦٩].

إن ارتكاب الذنب مع الإصرار، والعلم بأنه ذنب، يعنى تحديًا أو استهانة بقدر الله سبحانه وتعالى، والشيطان يدفع الإنسان إلى ذلك فيوسوس له بأن الله غفور رحيم ليدفعه قدمًا إلى ارتكاب الذنوب. وليتذكر المؤمن أمورًا هامة:

١ ـ إن الله غفور رحيم ورحمته وسعت كل شيء، وذلك يقتضى أن يكون الإنسان ذاكرا ربه مستغفرا عن ذنوبه، تائبا إليه من حين إلى حين، والتوبة عن الذنب تعنى الإقلاع عنه والعزم على ألا يعود إليه ، والله سبحانه وتعالى يكفر عن المؤمنين ذنوبهم بابتلائهم بمحن متنوعة وكثيرة، كالغنى والفقر والشبع والجوع والأمن والخوف... إلخ.

٢ ـ لا يعرف الإنسان متى أجله، فربما لا يلحق وقتًا للتوبة، فيموت فاسقًا فاجرًا مصرًا على العصيان.

٣ ـ إن الإصرار على الذنوب هو من الكبائر لأن فيه استهانة بقدر الله، وما يجب أن نكنه فى أنفسنا من توقيره وتعظيمه. وليتذكر المؤمن قول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥]، فالله يرانا ويعلم سرنا ونجوانا. ونسى هنا معناها نسى قدر الله فى نفسه أى لم يقدره حق قدره، فذهب عن نفسه العزم على طاعته، أما لو كان نسى نسيان الغفلة فالله لا يؤاخذه، لأن المسؤولية دائمًا مرتبطة بالوعى والإدراك.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾

* وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ * وَإِذْ نَتَقْنَا ـ رفعنا. الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ـ تلك آية أنذر الله بها أسلافهم ليريهم أنه شديد العقاب وهو على كل شيء قدير. خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ـ طبقوا دين الله بحزم وصدق. وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ـ من الصلاح. لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ـ أى أحضر الخلق جميعًا بين يديه. وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ـ قال فإياكم. أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.

---

(٧٧) قضية: حد أدنى من التأمل يكفى للوصول إلى الإيمان، وإنما الضلال عناد من النفس [الآيتان: ١٧٢ ـ ١٧٣].

ويذكر الله الناس بأنه أوقفهم جميعا بين يديه ليشهدوا على ألا يشركوا به شيئًا: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ومعنى ذلك أن الإنسان بالتأمل المحايد والضمير السليم يمكنه الاهتداء إلى الإيمان بالله ووحدانيته، وكل مشرك يستحق نار جهنم. والناس أصلاً ليسوا فى حاجة إلى رسالات تهديهم إلى سلامة العقيدة.

ولكن رحمة ربنا سبحانه وتعالى أوسع من ذلك، فقد أرسل اللّه الرسل، والناس فى الفترة بين الرسول والذى يليه يحرفون الدين، فترث أجيال ـ لا يد لها فى التحريف ولا علم لها بمصادره ـ مفاهيم الدين مشوهة، فيرحم الله هؤلاء، ويحاسبهم بما هو بين أيديهم من معرفة، وبما يقتضيه منطق الخير والشر والضمير السليم، فهو سبحانه وتعالى القائل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥] وهذه منة من الله تعالى على الناس.

سأل الصحابى الجليل سلمان الفارسى، رسول الله ﷺ عن أصحاب الدير ـ وقد كان معهم قبل أن يحل ببلد رسول الله، وهم الذين أرشدوه إلى بعثة النبى ـ فذكر صفة صلاتهم كذا وكذا، فأجاب رسول الله ﷺ بأنهم فى النار. قال سلمان رضى الله عنه : فأظلمت علىَّ الأرض، فنزلت الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. قال سلمان: فكأنما كشف عنى جبل (*).

إن مهمة الرسل هى البلاغ، ولما كانت الثقافات قديمًا شفاهية، فإن التدوين عن الرسل مباشرة كان بيد قلة من الناس، فكان العلم بأصول الرسالة مقتصرًا على قلة من العلماء، ومع الوقت يكون مضمون الدين عرضة للضياع والتحريف سواء بعمد أو بغير عمد، ولا مجال لتصحيح هذه الأوضاع مع فقدان الأصول المكتوبة للرسالة السماوية.

ولما بعث الله سبحانه وتعالى محمدًا خاتم الأنبياء والمرسلين، يسر تدوين القرآن وتداوله كتابة بالتوازى مع الحفظ فى الصدور. لقد كان رسول الله ﷺ يفرج عن الأسرى إذا ما علموا الناس القراءة والكتابة (**)، وقد نشطت خطى مجتمع المدينة على يديه الكريمتين نحو التعليم. ودأب المجتمع الإسلامى من بعده وحتى اليوم على مراجعة كتابة وطباعة القرآن الكريم بدقة بالغة على أصول محفوظة.

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [احجر: ٩]. ←

(*) راجع أسباب النزول، للنيسابورى، بهامش مختصر الطبرى. لباب النقول فى أسباب النزول، للسيوطى، بهامش تفسير الجلالين.

(**) راجع كتب السيرة النبوية، خاصة سيرة ابن هشام.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ ـ أخبرهـم. نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ـ أحـد علماء بنى إسرائيل (قيل هـو بلعم بن باعوراء). فَانسَلَخَ مِنْهَا ـ فلم يعمل بـهـا، ولم ينصح الناس باتباع شريعة اللّه. فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ـ الضالين. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ـ فلو عمل بها ونصح الناس باتباعها لرفع الله من شأنه. وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ ـ استكفى بالمنافع الدنيوية. وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ـ مثله فى طلب الحيـاة الدنيا وتمسكه بها كمـثل الكلب الظمآن إلى الماء. إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ـ لا يوقفه عن ذلك زجر ولا ردع حتى ينال ما يريد، فالدنيـا بالنسبة إلى الكافر كالماء للكلب الذى يلهث عطشا. ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ـ الذين عاندوا وتكبرواعن عبادة اللّه، فهم يعرضون أنفسهم لغواية الشيطان. فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.

➡ وما دام بين يدى البشرية رسالة سماوية محفوظة وأصولها مدونة واستنساخها يراجع، فإن الإنسانية لا تكون فى حاجة إلى رسول من بعد محمد ﷺ. وعليه فإن هذا القرآن الذى يمثل رسالة الله الخاتمة الموجـهة إلى الناس كافة يعتبـر حجة على من قرأه وأعـرض عن الإيمان بمـا فيه. ومن لم يكن يعلم العربية فهناك ترجـمات عديدة يستطيع الرجوع إليهـا، ويستطيع الرجوع إلى المسلمين الذين يتـحدثـون لغتـه، فمن سمـع بالرسالة الخاتـمة ولـم ينشـط إلى التعـرف عليها بقـدر استطاعتـه، فَهو يُعَدُّ من المعرضين.

وعلى المسلمين أن يُنَشِّطُوا الدعوة بأن يكرسوا لها أطرًا كافية، وعلى قدر عال من الكفاءة للتنوير بالإسلام فى كافة أنحاء العالم وبمـختلف اللغات. وعليـهم الاستفـادة من تقدم وسائل الاتصـال، مثل البثّ عن طريق الأنترنيت، والعـمل على عرض علوم الدين بالتنسيق الدقيق والمحكم.

(٧٨) قضية: ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [الآية: ١٧٦].

ضرب الله المـثال بالحـيوانات فى بعض أحوالـها، ليقـرب المفاهيم إلى أذهـان الناس، ويدفعهم إلى التـأمل، ولكن الله سبحانه وتعالى منزه عن أن يكون قد خلق مخلوقًا من مخلوقاته خصـيصًا للتحقير، فكل مخلوق قد خلقه اللّه لحكمة ووظائف يؤديها. وعلى المؤمن ألا ينظر إلى الحيوان على أنه مهان فى ذاته فيـتجرأ عليه ويؤذيه دون حق، وليتذكر أن رسول الله ﷺ قال: «بينا رجل يمشى فـاشتد عليـه العطش فنزل بئرًا فـشرب منها ثم خـرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثـرى (التراب الرطب) من العطش. فقال : لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى، فملأ خفه ـ بالماء ـ ثم أمسكه بفيه (بفمه) ثم رقى (صعد) فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له. قالوا : يا رسول الله، وإن لنا فى البهائم أجرًا ؟ قال : فى كل كبد رطبة أجر»(*).

وقال ﷺ: «عـذبت امرأة فى هرة (قطة) حـبسـتها حـتى ماتت جـوعًا، فدخلت فـيهـا النار. قال فقـال والله أعلم : لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستيها، ولا أنت أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض (حشرات الأرض وهوامها)»(**).

(*) البخارى، المساقاة ٢١٩٠. مسلم، السلام ٤١٦٢. أبو داود، الجهاد ٢١٨٧. أحمد، باقى مسند المكثرين ٨٥١٩ ـ ١٢٨١ ـ ١٠٣٣٤. مالك، الجامع ١٤٥٥.
(**) البخارى، المساقاة ٢١٩٢. مسلم، السلام ٤١٦٠، البر والصلة والآداب ٤٧٤٩ ـ ٤٧٥٠. الدارمى، الرقاق ٢٦٩٣.

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

* سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ * مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ـ لأن الأنعام فطرها اللـه على أن تسبح له: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤]. أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ـ يجادلون فى أسماء اللَّه وما إذا كان يختص بها وحده. سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ * أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ـ ليعلمـوا أن صاحبـهم ليس بمجنون. مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ـ فالناس يجهلون آجالهم، فلماذا لا يعتبر الكافرون بذلك؟. فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ * مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ـ فى أى موعد تكون. قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا ـ لا يظهرها فى وقتها. إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ ـ قدرها يثقل على. السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً ـ فجأة. يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ـ أى كأنك ينبغى أن تكون على علم بها. قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ.

* قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ ـ للكافرين والمنافقين. وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ـ آدم. وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ـ خرجت حواء من آدم. لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ـ يتزوجها. فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ ـ فاحتملته. فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا ـ ابنًا. صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

* فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا - فأحبا الولد مثل حبهما الله. فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ - تنزه قدر الله عن جميع ضروب الشرك. أَيُشْرِكُونَ - أيصل أمر الناس إلى أن يجعلوا لله شركاء. مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ - تدعون ما تشركون بالله، فلن يجيبوكم. سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ - مخلوقات خلقها اللّه كما خلقكم . فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ.

أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا - تلك الأصنام حجارة لا حول لها ولاقوة، تشكلونها بأيديكم ثم تعتبرون أنفسكم عبيدًا لها؟!. قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنظِرُونِ - تحدون ولا تمهلون. إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ - القرآن وغيره من الرسالات السابقة. وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ - لأنهم تماثيل.

خُذِ الْعَفْوَ - اقبل من الناس ما تيسر من عمل الخير والصدقات. وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ - المعروف الذى لا يخالف شرع الله. وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ - فينسيك بعضًا من واجباتك. فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ - عند تذكرك وصحوتك من النسيان. إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

---

(٧٩) قضية: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ [الآية: ١٩٠].

أى فلما رزق الله آدم وحواء الذرية، صار الحب مشتركًا بين الله والأولاد، وهذا فى طبيعة البشر، وهو نوع من الشرك العاطفى وليس شرك عبادة، والله يعفو عنه فى ذاته، ولكن يحذر من عواقبه، إذا زاد عن الحد، فيقول سبحانه: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن: ١٤]. والأزواج والأولاد عادة هم مجتمع التآلف والمحبة، فالمقصود بأنهم عدو، التنبيه إلى ما قد يؤدى إليه الحب المفرط بين الأزواج والآباء والأبناء من ضعف الرباط بين الفرد وربه، فينسى الفرد العبادة والتقرب إلى الله، ويصير بسبب انشغاله بأولاده، وغيرهم من المقربين، عرضة للضلال.

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٥]. فليتعظ الإنسان وينظر فيما حوله من ظروف الواقع، فيتأكد من صدق كلام الله، ولا يغضب إن لم يرزقه الله بالذرية، فقد يكون ذلك أصلح له، وليـنمى الأعمال التى تقربه من الله خالقه، ذلك هو الرضا ومنتهى السعادة.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

* إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ـ أما الكافرون فإن إخوانهم من الشياطين. يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ ـ لا ينفكون عن غيهم عند تبين الحق كما يفعل المؤمنون.

وإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ ـ مما يطلبونه. قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا ـ أى قالوا كنا سنؤمن بك لولا أنك تأتى بالآيات من تلقاء نفسك وليس بناء على طلبنا.

قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وهُدًى ورَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

* وإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ـ وبالدعاء وترتيل القرآن. وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ـ وسط بين الجهروالسر. بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ـ صبحًا ومساء. ولا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ.

* إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ـ فى رحابه يرجون رضاه هم الذين. لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ.

سورة الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾

❁ ١٣- بيان الآية ١:

الأصل أن تكون الأنفال، أى الغنائم كلها لله. ولكن الله تصدق على المجاهدين بأربعة أخماسها، وذلك حين نزلت الآية ٤١ من نفس السورة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ...﴾.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ - الغنائم. قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ - حق الله. وَالرَّسُولِ - يوجهها حسب ما يرى من صالح الأمة. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ - لا تكونوا مختلفين. وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ - يجادلونك فى قسمة الغنائم وكأنهم أعلم منك بمصالحهم، كما جادلوك من قبل حين. أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ - إلى غزوة بدر لتكسر شوكة كفار مكة. وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ - من خوف الهزيمة لقلة عددهم وكثرة أعدائهم. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ - لهم وعلموا أن الله ينصر المؤمنين ولوكانوا قلة. كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ - إما الظفر بالقافلة التى كان يقودها أبو سفيان، أو الانتصار على جند قريش، لو أفلتوا بقافلتهم. وَتَوَدُّونَ - بسبب ضعف بصيرتكم. أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ - أى تريدون الاستيلاء على القافلة، فلا قوة لها إلا بعض الحرس. وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ - باختياره المعركة لينصركم على جند الكافرين. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ * إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ - من خشية الهزيمة. فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ ـ وما وعده بإرسال الملائكة للقتال معكم. إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ ـ يستطيع أن ينصركم بـأى طريق شاء، فكل شيء بأمره. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ ـ قبل القتال. أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ـ وسوسته. وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ـ بالعزيمة والإقدام. وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ـ لا تخشوا القوم، فاضربوهم واضربوا كل كبير ممن يشار إليه بالبنان. ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ ـ يعادى. اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ ـ عقابًا فى الدنيا. وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ـ أيضًا فى الآخرة. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ـ فلا تفروا من المعركة. وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ـ إلا من يفر ليكر مرة أخرى بما تقتضيه مهارة القتال، ويثبت حتى نهاية المعركة. أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ـ ينسحب للانضمام إلى جناح آخر للجيش وفقًا لمقتضيات القتال، ومن يتقهقر فى غير تلك الأحوال(*). فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ـ لأن الأرواح مطلقًا ـ فى ساحة المعارك وخارجها ـ بيد اللَّه. وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ـ فقد قبض الرسول على حفنة من حصى ورمى بها فى مواجهة العدو، وقال: «شاهت الوجوه» فانتشرت بفضل الله فى أعين الكافرين. وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ ـ مضعف. كَيْدِ الْكَافِرِينَ.

* إِن تَسْتَفْتِحُوا ـ يا أهل مكة بدعائكم اللَّه أن ينصر أى الفريقين أحب إليه (وقد دعا بذلك أبو جهل). فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ـ حكم اللَّه بنصر محمد وأتباعه وهلاك أبى جهل وأعوانه. وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ.

(*) من العلماء من يرى أن هذه الآية خاصة بأهل غزوة بدر، وأقوى الأقوال إنها محكمة، ليست خاصة ولا منسوخة، ونحن نرى ذلك، لأنها تنهى عن الجبن والتخاذل والتقهقر. ويجدر بنا الإشارة إلى مفهوم ضمني، وهو وجوب طاعة أوامر القيادة العليا الأمينة على جيش الأمة، حتى ولو قضت بالانسحاب، فالحرب سجال.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ ـ لا تعرضوا عن اتباع أوامره واجتناب ما نهى عنه. وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا ـ أى علمنا بما هو واجب وما هو محظور. وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ـ لا يطيعون أوامر الله. إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ـ وذلك حال العاصين. وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ـ لعاونهم على التعقل والفهم. وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ـ وهم على حالهم من العناد والتعنت. لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ـ اتباع شرع اللَّه يحيى النفوس فتستقيم الحياة وينمو الخير وتستقر الأعراف الحسنة. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ـ فاتباع الشرع يتطلب مجاهدة النفس والهوى وإعمال العقل والبصيرة، وذلك ينتهى إلى سعادة الإنسان. وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ـ بل تعم الناس بسبب انتشار الفساد فى الغالبية منهم. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ ـ فبحكمة من اللَّه آواكم (بالهجرة إلى المدينة وإسلام أهلها). وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ـ تشغلكم عن ذكر اللَّه والآخرة. وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ.

(٨٠) بيان: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ **[الآية: ٢٥].**

الفتنة هى الظلم والفساد ومختلف أوجه الشر، والله رحيم بعباده، فهو يبادرهم بالخير والنعم، وكل ما يؤهلهم لاختيار الطريق الصالح. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣]. فالفساد يأتى من أعمال الناس وظلمهم.

وكلمة "قوم" معناها الجماعة، والجماعة توصف بحال أغلب أفرادها فإذا فسد أغلبها كانت فاسدة، فيعم الشر. مثل ذلك تمامًا مثل الفرد، فإن كانت أغلب أعماله صالحة عُدَّ من الصالحين، والعكس صحيح. عن زينب بنت جحش، رضى الله عنها، قالت: « ..فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال ﷺ: نعم، إذا كثر الخبث»(*).

ويجب على الفرد الصالح عدمُ الاستسلام إلى فساد الجماعة بأن يصير مثلهم ويتبع أعرافهم، وإلا أصبح من زمرة الفاسدين المفتونين، فإن يئس من إصلاح مجتمعه فعليه البحث عن مجتمع صالح يعيش فيه إذا أمكنه ذلك. وليتذكر قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٧].

(*) البخارى، أحاديث الأنبياء ٣٠٩٧.. مسلم، الفتن ٥١٢٨.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا - بصيرة تفرق بين الحق والباطل. وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ - تآمر الكافرون على النبى بمكة، بدار الندوة، فمنهم من رأى حبسه ومنهم من رأى قتله ومنهم من رأى نفيه. وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ - وقد أنقذ اللَّه نبيه وقدر له الهجرة إلى المدينة.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا - أى لو نشاء لأتينا بمثل القرآن. إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ - بالهلاك جملة. وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ - ومنهم من. يَسْتَغْفِرُونَ - ذلك أن منهم مسلمين يدعون ويستغفرون، ومنهم من هو سليم الطوية ومُضَلَّلٌ عن جهل وغفلة وليس عن عناد وتكبر، وسيأتيه يوم يؤمن فيه، وكان هذا حال أغلب أهل مكة إذ دخلوا الإسلام بعد الفتح ثم ناصروا الرسول فحسن إسلامهم. وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ - وهل هم بعيدون عن ألوان العذاب، بل هم يعذبون بالهزيمة والأسر والقتل لأنهم. يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ - وهم ليسوا بحاكمى مكة إلا مؤقتًا. إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ - بما سيحدث من تغيير الأمور والأحداث.

وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً - تصفيرًا وتصفيقًا (ابتدعها أسلافهم الذين حرفوا دين إبراهيم، عليه الصلاة والسلام). فَذُوقُوا الْعَذَابَ - الهزيمة أمام المؤمنين. بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ.

---

(٨١) **بيان:** ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الآية: ٢٩].

الرؤية العقلية بصيرة، فبالتأمل وتحكيم الضمير يُصَدِّقُ العاقل بوجود الله ووحدانيته، ثم إذا آمن الفرد، ولم يؤد فروض الله، فإن بصيرته تكون فى حيرة متأرجحة بين الانقياد إلى الهوى أو التخلق بالمثل العليا، فيميل إلى النزوات ويصعب عليه الاقتداء بالأخلاق السامية. أما المواظبة على العبادة فتؤدى إلى كمال البصيرة التى سماها الله فرقانًا، أى يفرق صاحبها بين الحق والباطل، وتنسجم نفسه مع الحق ولا يجد راحة نفسه إلا فى هذا الجانب.

ومن واقع العصر الحاضر، نرى أمة الإسلام ضعيفة إذا ما قورنت بأمم غير المسلمين الذين تقدموا فى العلوم والصناعة والتكنولوجيا. ولو أن المسلمين اتقوا الله بحق لجعل الله لهم فرقانًا تتغير معه أحوالهم، فتتجمع قواهم، وتتضافر جهودهم وخبراتهم، ويمكنهم التغلب على تأخرهم وضعفهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾

* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ـ في الدنيا حين يرون خسارتهم بالهزيمة. ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ـ وإنما فتنة الخلاف والحرب. لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ـ أي سنة اللَّه جرت من قبل بهلاك الكافرين. وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ـ وهو الذي ينصركم عليهم. نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ. وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ ـ أي للصالح العام. خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ـ فيه نصيب باعتباره قائدًا محاربًا، ينفق منه على ذوي. الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ـ واذكروا حين كنتم (في موقعة بدر). بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ـ المكان الأقرب من المدينة وأعداؤكم. بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ ـ القافلة. أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ـ ولو كنتم عازمين على قتال جيش مكة لاختلفتم فيما بينكم، ولكنكم كنتم ذاهبين للاستيلاء على القافلة. وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ـ وهو جعلكم تخوضون معركة وجهًا لوجه مع جيش مكة. لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ـ فمن نجا من الموت فقد نجا عن بينة من الله، إذ أنه يمهل كثيرًا من الناس لحكمة لا يعلمها إلا هو. وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ.

(٨٢) قضية: الغنائم [الآية: ٤١].

إن مبدأ تقسيم الغنائم كما أوضحه الله سبحانه وتعالى لا يثير مشكلة، فهو ملزم بأمر الله، فتقسم الغنائم باعتبار الخمس لله، أي للمصالح العامة وتدعيم الدين. ومن مال الغنيمة، أيضًا، نصيب للرسول باعتباره قائدًا محاربًا، ينفق منه على ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. وعلى ذلك يمكن القول بأن الغنائم خمسها يذهب للخزانة العامة، والأربعة أخماس الباقية توزع على الجيش، يستوي في ذلك الجند الذين خاضوا المعركة والذين لم يخوضوها، طالما كانوا على أهبة الاستعداد لتنفيذ الأوامر. ويعطى منها المدنيون الذين كرسوا أعمالاً وتضحيات لمساعدة الجيش. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

←

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾

* إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ - قبل المعركة. قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ - في الحقيقة واليقظة. فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً - من عدوكم. فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلاَ تَكُونُوا - كالكافرين الذين. خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَراً - تفاخرًا وتعاليًا. وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ.

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ - ليكونوا من المعتدين. وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ - يمنيهم غرورا. فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ - لم يوف بوعده. وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لاَ تَرَوْنَ - رأى الملائكة تنصر المؤمنين. إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ - وتذكروا. إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ - فخرجوا على قلتهم لمواجهة قافلة مكة وجندها. وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ - جزاء ما. قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ - من الكفر. وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ * كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

➡ ولكن القضية تكمن فى تطبيق المبدإ، أى فى كيفية حساب الخمس والأخماس الأربعة فى عصرنا الراهن.

كان من المجاهدين على عهد رسول الله ﷺ من يأتى بعدته العسكرية على نفقته، فيرعى خيله ويجمع سلاحه، ويضع رجاله على أهبة الاستعداد، فكان الرسول ﷺ يقسم نصيب الجند عليهم وفقًا لتضحيات كل مجاهد.

أما اليوم فإن العدة العسكرية ليست ملكًا للجنود، وأفراد الجيش لهم وظائف يتقاضون عليها أجرًا، ويتحصلون فى آخر الخدمة معاشًا...

لذلك فإن احتساب الغنائم ينبغى أن لا يكون إلا بعد إجراء مقاصة بين قيمة الغنائم وقيمة ما تكبده الجيش من نفقات وخسائر، فإذا بقى فائض، فيوزع خمسه على الملكية العامة للمسلمين، ولتنمية المجتمع بمعالجة مشكلات التشرد والفقر والأمية وغير ذلك، نقدًا وعينًا حسب الأحوال. والباقى يوزع نقدًا على الجند مع إعطاء الأولوية لأسر الشهداء.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ ـ إلى نقمة. حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ـ أى إذا أعرضوا عن شريعة الله، والعكس صحيح، فإذا اتجه الناس إلى شرع الله عاد إليهم الخير والرخاء وذهب عنهم غضب الله. وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ـ يتوقعون فيها أن يغلبوكم. وَهُمْ لا يَتَّقُونَ ـ الله ولا يحترمون عهودهم. فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ـ فاتبع الفلول المنسحبة وأذقهم بأس الحرب، لتستأصل شوكتهم. لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ.

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ ـ بينك وبينهم عهد. خِيَانَةً ـ بحدوث ما يدل على الغدر. فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ـ فافسخ العهد، وأعلمهم بذلك، ولا تفاجئهم بالقتال قبل إعلامهم بنبذ العهد. إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ * وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ـ من الذين نجوا بحياتهم في المعارك أنهم. سَبَقُوا ـ أى هربوا، وإنما يؤخر الله أجلهم لحكمة، وهو يتوفاهم بمشيئته وقت آجالهم. إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ * وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ـ من الذين تعلمونهم. وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ـ وهم المنافقون وكذلك الأعداء الذين سيأتون فى المستقبل. وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ.

---

(٨٣) قضية: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الآيات: ٦٠ ـ ٦٦].

إعداد القوة:

ـ **الوجه المادى:** وهو القوة العسكرية اللازمة لهيبة الدولة ومكانتها فى المجتمع العالمى، وتسليح الجيش ينبغى أن يكون من السلاح المعاصر. أما الخيل فكانت مثالاً للقوة فى مجتمع المؤمنين الأوائل، وقد يكون لسلاح الخيل أهمية فى بعض الحالات، فيعمل له حساب إلى جانب المعدات الحديثة.

ـ **أما الوجه المعنوى:** فيتمثل فى توطيد دعائم وركائز المجتمع المسلم، ونشر الوعى والمعرفة بالإسلام فى الأمم والشعوب غير المسلمة، فكلما اهتم المسلمون بواجب الدعوة وأعطوه حقه وإمكاناته، زاد انتشار الإسلام وسطع نوره، فتتحول الأمم من معاداة المسلمين إلى نصرة الإسلام أو على الأقل إلى الحياد وتجنب العداء.

استعمال القوة:

لا تستعمل القوة إلا فى جهاد مشروع، ومن أمثلة الجهاد المشروع ما يلى :

←

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

* وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ - يؤخذ فى الاعتبار إلى جانب ذلك الآية ﴿ فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ [محمد: ٣٥]. فقد يكون طلب السلم من جانب العدو خدعة. وإن يُرِيدُوا أن يَخْدَعُوكَ - بطلب السلم فلا تخف. فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ - قلوب المؤمنين. لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ * الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ.

➡ ١- قديمًا، كان الحكام يسيطرون على ثقافة مجتمعهم، فكان العلم بالإسلام لا يصل إلى الشعوب إلا إذا سمح ولاة الأمور بدخول دعاة الإسلام بلادهم. فالجهاد يهدف إلى كسر شوكة الحاكم الذى يعترض وصول العلم بدين الله الخاتم إلى الناس. ويعطينا تاريخ المسلمين مثالا لذلك فى موقفهم من الحبشة، فالنجاشى ترك دعاة المسلمين يؤدون واجبهم بالتبليغ، ووفر لهم الأمن. لذلك لم يتوجه الجهاد إلى الحبشة لا فى عهد النجاشى، ولا من بعده من الملوك. قال رسول الله ﷺ: «اتركوا الحبشة ما تركوكم..» (أبو داود، الملاحم ,٣٧٥٥. أحمد، باقى مسند الأنصار ٢٢٠٧٣) .

٢ ـ إن الدعوة وبث المعرفة بالإسلام يسهل فى عصرنا الراهن بالنشر الثقافى والإرشادى، لأن حكام الدول المعاصرة يفقدون السيطرة على ثقافة مجتمعهم، فالثقافات مفتوحة على بعضها رغمًا عن إرادة الحكومات، فالتبليغ بالرسالة الخاتمة أصبح أمرًا ميسورًا إذا كرس له المسلمون الإمكانات المناسبة، ببث المعرفة بالإسلام بالمطبوعات وعبر الإنترنيت والإعلام. لقد كان مستند الفتوحات قديمًا هو إتاحة المعرفة بالدين الخاتم للشعوب ـ حين كان للحكام سطوة قوية على الثقافة فى بلادهم ـ دون إجبار الفرد على اعتناق الإسلام، فلا إكراه فى الدين. وما على الرسل ولا على الدعاة إلا البلاغ الواضح الأمين.

٣ ـ جميع صور الدفاع عن الوطن وعن الإسلام والمسلمين تعتبر جهادًا مشروعًا.

قياس القوة:

لقد من الله على المسلمين برسول الله ﷺ حين كان فيهم، فكانوا بأمر الله يغلبون عدوًا يعادل عشرة أضعاف قوتهم. ثم خفف الله ذلك لعلمه بأن رهبة المعارك فى نفوس الجند ستتضاعف، فأمر بخوض المعارك عندما يتوفر المسلمون على نصف قوة عدوهم.

وعلى ذلك هناك مؤشرات يجب ترقبها لتحقيق النصر بإذن الله، أهمها ما يلى :

١ ـ عدالة القضية وتعلقها بالدين، بأن يكون الهدف الحقيقى منها الذود عن الدين والدفاع عن الإسلام والمسلمين.

٢ ـ توحد الأمة على الإيمان والصلاح، ولا ننسى أن أعداء الأمة لا يحبون لها ذلك فيعملون على بث الفرقة والفساد بين المسلمين.

٣ ـ التجهيز والتعبئة حتى تصل القوة على أقل تقدير إلى نصف قوة العدو بالحسابات الدقيقة، مع عدم إمكان حل النزاع سلمًا وعدلا.

٤ ـ قيام المسلمين بواجب التبليغ، كما ينبغى أن يكون، لأنه فرض كفاية مستمر، والإهمال فيه يعتبر ذنبًا كبيرًا على المسلمين.

وعلى ذلك يكون الجهاد الثقافى لنشر المعرفة الواضحة بالإسلام عملاً مستمرًا يجب أن تعبأ له الطاقات والأطر، وتسخر له الكفاءات البشرية والإمكانات المادية والاقتصادية. والنشاط فى هذا الجانب من شأنه تقوية مكانة الإسلام وتجنيب المسلمين مخاطر وأهوال كثيرة.

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾

مَا كَانَ لِنَبيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ ـ فيأخذ مقابلهم فداءً. حَتَّىٰ يُثْخِنَ ـ حتى يستتب له الأمر وتستقر دولته. فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ـ بقبولكم فداء الأسرى (فى غزوة بدر). وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ ـ باستقرار شريعته ودولة المؤمنين. وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ ـ بأن يغفر للمخطئ عن غير عمد. لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ ـ من فداء الأسرى. عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ ـ من غنيمة، وما أخذتم من فداء. حَلالاً طَيِّباً ـ فقد غفر الله لكم. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ ـ الذين أخذتم فيهم الفداء قبل إرسالهم. إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ـ أى اعرض عليهم الإسلام. وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ ـ بعد إطلاق سراحهم فيقاتلوك مرة أخرى. فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ ـ فَمَكَّنَكَ. مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا ـ من أهل مكة. وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا ـ وهم الأنصار، من قبيلتى الأوس والخزرج بالمدينة. أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ـ فقد آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار وكانوا يتوارثون فيما بينهم إلى أن نزلت الآية ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الآية: ٧٥]. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ـ فاحترموا الميثاق. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ ـ إن لم تحترموا هذه القواعد. تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ ـ من المؤمنين. بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

سورة التوبة

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّه وَرَسُوله إِلَى الَّذينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ـ إعلان براءة من عهود الهدنة مع المشركين الذين تكرر منهم نقض العهد. فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ـ احترموا الأشهر الحرم، التي يحرم فيها القتال: ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، رجب. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّه وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ ـ إعلان. مِّنَ اللَّه وَرَسُوله إِلَى النَّاس يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ ـ وهو الحج المفروض، سمي بالأكبر تمييزا له عن العمرة. أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ ـ أيها المشركون. فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّه وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا ـ فلم يخلفوا وعودهم. وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ـ احترموا العهد معهم بشروطه ومدته. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ـ الذين لم يحترموا عهودهم معكم. حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّه ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ـ المكان الآمن. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ.

(٨٤) **قضية:** ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّه ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ **[الآية: ٦]**.

هذه الآية فيها دلالة على أن أهم مبرر للجهاد هو البلاغ أي إيصال الدعوة وتوجيه التعريف بالإسلام إلى غير العالمين به، وإلى من كانت معرفتهم به مشوشة.

فالمجير يجب عليه إعلام المستجير بالدين الخاتم، ثم له الخيار لأنه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٦٥] ذلك لأنه من ﴿قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ وفى جميع الأحوال تقتضى الاستجارة أن يبلغ المجير المستجير مأمنه.

(*) سورة التوبة تسمى أيضاً سورة براءة: لماذا لا تظهر البسملة «بسم الله الرحمن الرحيم» عند بدايتها ؟
إن جمع القرآن وترتيب آياته وسوره كان بتوقيف من الوحى، فكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الشىء يدعو بعض من يكتبه عنده، يقول: «ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا...» (أحمد، مسند العشرة، ٣٧٦ ـ ٤٦٨. أبو داود، الصلاة، ٦٦٨). وتوفى خاتم المرسلين ﷺ تاركًا القرآن محفوظًا فى الصدور ومكتوبًا كاملاً ومرتبًا. ولما كانت الوثائق القرآنية الأولى خالية من البسملة عند بداية سورة براءة (التوبة)، فقد ظل الحال على ذلك فى كتابة المصاحف إلى ... وذلك من قبيل الأمانة فى النسخ والتوثيق، والبسملة لا تدخل فى عدّ آيات السور إلا فى سورتى الفاتحة: الآية ١، والنمل: الآية ٣٠.

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

* كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ ـ وقد تكرر منهم الغدر والخيانة. إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ـ فهؤلاء لم يخونوا العهد. فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ـ إن يغلبوكم لا يراعوا. فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً ـ قرابة ولا عهداً. يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ * اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ـ زائفًا هو زخارف الدنيا. فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ـ عن اتباع دين اللَّه. إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لا يَرْقُبُونَ ـ لا يراعون. فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ.

* فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ـ دين اللَّه مفتوح بابه لأى قوم، جماعات وآحاد، وإلى يوم القيامة. وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ ـ ذلك أن مقتضى العهد مع الكافرين أن يحترموا دين الإسلام ولا يطعنوا فيه، فإن لم يفعلوا. فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ * أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا ـ دون اختبار. وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ـ بطانة. وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ـ بالصلاة والدعاء وغير ذلك، وهم على حال شركهم باللَّه. شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ ـ بطلت. أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ * إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ.

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

* أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ـ (قال أحد الأسرى من الكفار فى موقعة بدر: إن كنتم تجاهدون في سبيل اللّه وعمل الخير، فنحن نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج ونفدى الأسير). كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ـ جمعتموها. وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ـ دخل من مكاسب تخشون انقطاعه. وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ـ حتى ترون نهاية العواقب. وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ.

* لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ـ مثل بدر والأحزاب (الخندق). وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ـ غزوة حنين. إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ـ قوتكم من حيث العدد والعدة. فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ـ حيث هجم الكفار مبادرين بالقتال من مكان عليّ فشقوا صفوف المسلمين.

ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ـ من الملائكة. وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ـ بالقتل والهزيمة والتشريد. وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ـ جاء المنهزمون إلى النبى ﷺ معلنين إسلامهم، فردّ عليهم ما أخذه المسلمون من غنائم. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ـ بعد عام الفتح، حيث هدمت أصنام الكعبة، فلا ينبغى أن يكون بيت اللّه الحرام إلا خالصًا لعبادة اللّه وحده. وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ـ نقصًا فى الأموال بقلة عدد القادمين إلى البيت. فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

* قَاتلُوا الَّذينَ لا يُؤْمنُونَ باللَّه وَلا بالْيَوْمِ الآخرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدينُونَ دينَ الْحَقِّ منَ الَّذينَ أُوتُوا الْكتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ ـ عن قدرة، فهى تسقط عن غير القادرين، من فقراء وعجائز.... وَهُمْ صَاغِرُونَ ـ طائعون : ليس المقصود بالصغر الذلة وإنما التأكيد على أنه لا تهاون فى هذا الالتزام.

وَقَالَت ـ فئة من. الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّه(*) وَقَالَت النَّصَارَى الْمَسيحُ ابْنُ اللَّه ذَلكَ قَوْلُهُم بأَفْوَاههِمْ يُضَاهئُونَ قَوْلَ الَّذينَ كَفَرُوا من قَبْلُ ـ يقلدون به أممًا سابقة قالت أقوالاً من الباطل شبيهة بما يقولون، مثل: الملائكة بنات اللّه.. قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مّن دُون اللَّه ـ أى قدسوا كلمة الأحبار والرهبان دون رجوع إلى كتب اللّه. وَالْمَسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ـ ادعوا أنه ابن اللّه. وَمَا أُمرُوا ـ فى جميع الشرائع التى نزلت من السماء. إلاَّ ليَعْبُدُوا إلَهًا وَاحدًا لاَّ إلَهَ إلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُريدُونَ أَن يُطْفئُوا نُورَ اللَّه بأَفْوَاههمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إلاَّ أَن يُتمَّ نُورَهُ ـ يظهر دينه ويجلى حجته. وَلَوْ كَرهَ الْكَافرُونَ * هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالْهُدَىٰ وَدين الْحَقّ ليُظْهرَهُ عَلَى الدّين كُلّه ـ بالحجة والبرهان فيما جاء فى هذا القرآن المحفوظ. وَلَوْ كَرهَ الْمُشْركُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إنَّ كَثيرًا مّنَ الأَحْبَار وَالرُّهْبَان لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاس بالْبَاطل ـ بتحريف الدين وتعقيد فهمه، حتى يكثر لجوء الناس إليهم لمعرفة أحكام الدين. وَيَصُدُّونَ عَن سَبيل اللَّه وَالَّذينَ يَكْنزُونَ الذَّهَبَ وَالْفضَّةَ وَلا يُنفقُونَهَا في سَبيل اللَّه فَبَشّرْهُم بعَذَابٍ أَليمٍ.

---

(٨٥) قضية: الجزية [الآية: ٢٩].

«إن الجزية فى حق المسلمين خلف (عوض) عن النصرة»(**).

«... لأن الذميين لما صاروا من أهل دار الإسلام بقبولهم عقد الذمة، ولهذه الدار دار معادية، وجب عليهم القيام بنصرتها، لأن من هو من أهل دار الإسلام يلزمه القيام بنصرة هذه الدار. ولما كانت أبدانهم لا تصلح لهذه النصرة، لأن الظاهر أنهم يميلون إلى أهل الدار المعادية لاتحادهم فى الاعتقاد أوجب الشرع عليهم الجزية لتؤخذ منهم، وتصرف على المقابلة من المسلمين فتكون خلفًا عن النصرة. ولهذا لا تؤخذ من الأعمى والشيخ الفانى والمقعد...»(***) وتسقط الجزية إذا لم تكن الدولة قادرة على حماية الذميين.

←

(*) قالت فئة من اليهود فيما سبق عزير ابن الله، ولكن ذلك الشرك لم تتوارثه الأجيال، فاليهود فى عصرنا هذا لا يقولون عزير ابن الله، ولكنهم مع ذلك ليسوا من عداد المؤمنين، لأن الإيمان يقتضى التصديق بجميع الأنبياء واتباع شريعة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

(**) المبسوط، للسرخسى، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٤هـ، ج١٠، ص ٧٨، ٨١.

(***) فتح القدير، لابن الهمام، مطبوع مع كتاب الهداية، للميرغينانى، بالمطبعة الأميرية الكبرى ببولاق بمصر، ١٣١٥ ـ ١٣١٨هـ، ج ٤، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

* يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا ـ يوقد فى كنوزهم. فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ * إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ـ محرم فيها القتال: ذو القعـدة وذو الحجة ومحرم (ثلاثة متوالية) ورجب (الفرد). ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ـ بالمبادرة بالقتال. وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ـ أى قاتلوا من يعاديكم بسبب الدين مطلقًا فـى كافـة الأشهر، كـما يقاتلونكم فى كل وقت، لعدم اعترافهم بالأشهـر الحرم (معاملة بالمثل). وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ.

← هذا حكم عادل، فيه رأفة بالذميين من عدة أوجه :

١ ـ الإسـلام لا يجبر مواطنًا على التـضحيـة بحياته دفاعـًا عـن عـقـيـدة هـو غير مؤمن بها، وقد كـانت الحروب قديمًا ذات طابع دينى.

٢ ـ الذمى يستفيـد كأى مواطن من المال العام فله حق فيمـا هو فى خزانة الدولة من أموال تنفق لدفع الفقر وإعانة الشيخوخة والعجز والمرض...إلخ، وهو لا يدفع الزكاة لأنها مفروضة فقط على المسلمين.

٣ ـ لا تعنى الآية ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ سوى تأكيد الالتزام بما فرضته الشريعة من حكم عادل، فيجب عليهم احترام هذا الحكم باعتباره القانون الواجب التطبيق، وهو أمر يستوى فيه المواطنون. فعندما امتنع مسلمون عن أداء الزكاة قاتلهم الخليفة أبو بكر الصديق حتى دفعوها.

إذا كانـت المجـتـمـعـات المـعـاصـرة تسوى بين المـواطنين فى أداء الضرائـب والخدمـة العسكرية، نظرًا لأن المنـازعات العسكرية لا تتخذ فى العصر الحاضر شكل الصراع الدينى (اللهم إلا فى بعض الأحوال الاستثنائية) بعد إقرار الإعلان العالمى لحقوق الإنسـان وحرية الأفراد فى الاعتـقاد. فإن الجزية تسـقط عن الذميين ليتـساووا مع غيرهم من المواطنـين فى أداء جميع أنواع الضرائب. وقد سلك ذلك المنهج عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، مع نصارى بنى تغلب بن وائل، وهم من العرب، من ربيعة، انتقلوا فى الجـاهلية إلى النصرانية، ولما جاء الإسلام، وفى خـلافة عمر، عَزَّ عليهم ألا يتسـاووا مع المسلمين، فأبوا دفع الجزيـة، فأشـار النعـمان بـن زرعة على عمر أن يـأخذ منهم الصدقة المفـروضة على المسلمين (الزكاة) بدلاً من الجـزية، فأقر عمر ذلك وصالحهم عليه(*).

(٨٦) قضية: الأشهر الحرم: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب [الآية: ٣٦].

الأشهر الحرم نظام عرفته الأمم السابقة من قديم الزمان فى الـشرائع السماوية، وظل باقيا عند العرب قبل الإسلام، فأقرهم القرآن عليه لما فيه من المـصالح الإنسانية، وهو يقضى بتحريم القتال فى أربعة أشـهر معلومة من السنة، هى عند العرب: ثلاثة متـتاليات : ذو القعـدة وذو الحجة ومحـرم، ثم الشهر الرابع منفـصل، وهو رجب. فإذا كانت الحـرب قائمة بين قبيلتين وجب إيقافها فـور دخـول الوقـت الحرام، وتعتبر المبادرة بالقتال فـى أحـد هـذه الأشهر مـن ضـروب الفجـور. وكان بين القبائل ←

(*) راجع كتاب الخراج، لأبى يوسف، مطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٥٢هـ ص ١٢٠.
للاستزادة، راجع عبد الكريم زيدان "أحكام الذميين والمسلمين فى دار الإسلام" ط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٤٣، ١٤٧.

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

* إِنَّمَا النَّسِيءُ ـ كانت بعض القبائل إذا أرادت الحرب فى الأوقات الحرام حاربت، فى مقابل تحريم أوقات أخرى ليست من الأشهر الحرم، وكانوا يسمونه النسيء أى التأجيل، وذلك المكر هو عند الله. زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ـ فى الجاهلية. يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ـ بالقتال. اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ـ بالمقارنة بالآخرة. إِلاَّ قَلِيلٌ ـ إن لم. تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

➡ فى الجاهلية "حلف الفضول" وكان هدفه نصرة الضعيف. وشهد رسول الله وهو صبى معركة قادتها قريش لردع قبيلة خرقت قدسية الأشهر الحرم. وبعد البعثة النبوية، أثنى رسول الله ﷺ على هذا الحلف، فقال : «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لى به حُمُر النعم، ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت»(*) ونزلت الآية: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾. وذلك يؤكد أن حرمة القتال فى هذه الأشهر كانت حكما إلهيا مفروضا على الأمم. ولكن كثيرا من أحكام الشرائع السابقة ضاع، وربما اندثرت المعرفة بالأشهر الحرم من الثقافة الدينية للأمم غير المسلمة بسبب تحول كثير من هذه المجتمعات من حساب السنة بالأشهر القمرية إلى حسابها بالتوقيت الشمسى أوالميلادى، وكذلك بسبب ضياع الأصول الأولى للرسالات قبل الإسلام.

أما العرف الدولى فلم يرق حتى اليوم إلى تحديد أشهر معلومة من السنة يحرم فيها القتال، فتكون فسحة للصلح وعودة العلاقات السلمية وإصلاح ما أفسدته الحرب وتنمية المجتمع من جديد. وذلك يبين أنه لا يصح اتهام الإسلام بالهمجية والعرب بالوحشية. ألا نرى المجتمعات المعاصرة تعارفت على يوم عالمى لمكافحة التدخين وفيه يتحرج المدخن من تدخين سيجارة، فلماذا لا تتعارف الأمم على أشهر معلومة للمهادنة الإجبارية، تفسح الوقت للصلح بين أمم متصارعة، ويتوقف فيها سفك الدماء.

والقرآن أوجب احترام الأشهر الحرم، ولا يكون ذلك إلا فى مواجهة عدو هو نفسه يحترم حرمة هذه الأشهر، لأنه كانت أمم من العرب تريد خرق حرمة هذه الأشهر، ولم تجد مخرجًا يبرر لها الاعتداء إلا حيلة تسمى بالنسيء، مضمونها التقديم أو التأخير فى إعلان دخول الشهر حتى يقبل الناس الانضمام إلى صفوف الجند. والغرض من ذلك مباغتة المؤمنين بالقتال بعد أن يكونوا آمنين بسبب حلول تلك الأشهر الحرم، لذلك جاءت تتمة الآية: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾.

ومن المنطق الطبيعى أن يكون العمل بهذه المبادئ فى ظل شعور مشترك بين المجتمعات على قدسيتها، وإلا كان من يعمل بها عرضة لتلقى ضربات من عدوه كان فى غنى عنها.

ويجب على أمة الإسلام العمل على احترام نصوص القرآن فى الأشهر الحرم وتعريف العالم بها، والسعى إلى إدراج أحكامها ضمن القانون الدولى العام، باعتبارها طريقًا حضاريًا نحو فض النزاعات الدولية بالسلم.

(*) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، حديث رسول الله ﷺ عن حلف الفضول.

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

ـ إن لم. تَنصُرُوهُ ـ النبى محمداً ﷺ. فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ـ من قبل، وسينصره فى كل حال، فتذكروا حين. أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ ـ هاجر محمد ﷺ ومعه أبو بكر رضى اللَّه عنه. إِذْ هُمَا ـ يدخلان. فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ـ وصرف أعين الكافرين عن الغار. وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ـ فى غزواته بعد الهجرة، مثل بدر وغيرها. وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا ـ لو كان ما تدعوهم إليه تجارة مكاسبها قريبة المنال فى الدنيا أو سفراً ليس فيه مشقة. لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ـ المسافة والمدة فى انتظار الآخرة. وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ، يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ـ بالنفاق والكذب. وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ـ لم قبلت أعذارهم فى التخلف عنك من غير تمحيص. حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ * لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ـ بل يطيعون أوامرك من فورهم. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ـ نزلت هذه الآية فى المنافقين، أما فيما يتعلق بالمؤمنين فالحاكم ينظر فى أحوالهم ﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ [النور: ٦٢].

إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ ـ فى التخلف عنك. الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ـ تشككوا فى نصرة الله للمؤمنين. فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ـ لم تظهر عليهم علامات العزم على الخروج معك للقتال، لذلك فإن أعذارهم واهية. وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ ـ لم يرض بخروجهم لأنهم منافقون. فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ـ لو خرجوا معكم سيضعفون صفوفكم بجميع ألوان الفتنة. وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ـ من ضعفاء الإيمان. وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ ـ أوقدوا كيدهم ومكرهم ضد دينك. حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي ـ حيث اعتذر أحد المنافقين عن الخروج مع الرسول بأنه يخشى أن يفتتن بنساء العدو. أَلا ـ تأكد من أن المنافقين. فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ـ أى أخذنا حيطتنا. وَيَتَوَلَّوْا وَّهُمْ فَرِحُونَ.

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

* قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ـ قل ماذا تنتظرون لنا من مصير؟ فلن يخرج مصيرنا عن أحد أمرين: إما الموت ـ وهو ما تتمنونه لنا ـ وهو شر فى نظركم، أما عند اللَّه فهو شهادة يدخلنا بها أعلى مراتب الجنة، وإما النصر وعودة الأحياء منا ظافرين، وكلا الأمرين خير. وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ـ بافتضاح أمركم ومؤامرتكم، فنتخذكم عدوًا وينصرنا اللَّه عليكم. فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ * قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ـ فى الآخرة طالما. إِنَّكُمْ كُنتُمْ ـ فى الدنيا. قَوْمًا فَاسِقِينَ ـ (قال أحد المنافقين للرسول ﷺ: هذا مالى أعينك به، فاتركنى). وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ.

فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ـ فيشقون بسببها. وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ ـ يموتون. وَهُمْ كَافِرُونَ * وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ـ من المؤمنين. وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ـ يخافون إظهار الكفر فيفرقون فى تعاملهم بين ظاهر يقولونه بألسنتهم بأنهم معكم، وباطن يضمرونه ضدكم. لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً ـ يأويهم منكم فيظهروا ما يخفون من الكفر. لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ـ لأسرعوا إليه كالخيل الجامحة. وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ـ يعيبك. فِي ـ توزيع. الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا ـ ما يطمعون فيه. رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا ـ لعدم أحقيتهم فيما يأملون. إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ـ (قال أحدهم للرسول ﷺ: اعدل يارسول اللَّه. فقال له: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل!). وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ـ لفتح اللَّه عليهم أبواب الخير والإيمان الصادق. إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ(*) لِلْفُقَرَاءِ ـ الذين لا يملكون شيئًا. وَالْمَسَاكِينِ ـ الذين لديهم ما لا يكفيهم من مال. وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ـ أجور العاملين على تحصيلها وصرفها فى أوجهها. وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ـ ليسلموا أو ليثبتوا على إسلامهم(**). وَفِي الرِّقَابِ(***) ـ تحرير العبيد. وَالْغَارِمِينَ ـ المعسرين من أصحاب الديون، طالما كانوا شرفاء يعملون فى الأنشطة المشروعة. وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ـ لأمور الجهاد. وَابْنِ السَّبِيلِ ـ الغريب عن الوطن. فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

(*) هذه الآية تشير إلى مصارف الزكاة. وارجع بالنسبة لمصادرها وأنواعها ومقاديرها إلى السنة النبوية وكتب الفقه.

(**) المؤلفة قلوبهم: فى صحيح مسلم من حديث أنس، رضى الله عنه، قال رسول الله ﷺ للأنصار: «فإنى أعطى رجالاً حديثى عهد بكفر أتألفهم ليسلموا...»، راجع تفصيلات مفيدة لدى فضيلة الشيخ محمد أنيس عبادة، عمر بن الخطاب فى الإسلام، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت. ص ١٠٤.

(***) وفى الرقاب: أحد مصارف الزكاة يكون فى تحرير العبيد. نهى رسول الله ﷺ عن الاسترقاق بالطرق المدنية، كالتجارة والدين. وظل الاسترقاق مباحًا فى الحروب بشرطى المعاملة بالمثل والمصلحة معًا. ونستخلص من ذلك أنه حتى ولو استرق بعض الناس فى الحرب معاملة بالمثل، فإن الله لا يسمح إلا أن يكون هذا الوضع مؤقتًا، لأن مجموع أموال الزكاة تكفى لإعتاقهم. راجع القضية ٣٩.

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

* وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ - يبادر إلى تصديق ما يسمع مما يقال له. قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ - ويصدق المؤمنين، والله يعلمه بكذب المنافقين. وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ - منكرين أنهم آذوا الرسول. لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ - يعادي. اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ * يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ - تفضح ما. فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ - في أي وقت يشاء. وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ - نمزح. قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ - بأن محمداً هو رسول الله بحق ويوحى إليه. إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ - يتركون النفاق فيتوبون توبة خالصة. نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ - ظلوا عتاة فى نفاقهم. الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ - يبخلون. نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ - سحب يد العون عنهم. إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ * كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ - بمتاعهم فى الدنيا. فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا - فيه من الضلال والخروج على الدين وعصيان الرسل. أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ - قرى قوم لوط. أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ - فأعرضوا عن اتباع دين الله. فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

* وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ ـ بشتى الطرق. وَالْمُنَافِقِينَ ـ باللسان والموعظة والتذكير بالله وقدرته، احترامًا لإسلامهم الظاهر. وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ـ واشتد عليهم بجهادك، حتى يكون ذلك عليهم حجة يوم القيامة. وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ـ فى حقك من سوء. وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ـ فيما بينهم. وَكَفَرُوا بَعْدَ ـ إعلان. إِسْلامِهِمْ ـ ظاهرًا. وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ـ من أمل الخلاص منك. وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ ـ بعد. أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ـ بعد أن وسع الله فى رزقهم وأعطاهم الرسول من الغنائم ما يغنيهم. فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ * وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا ـ ضنوا بالوفاء بما نذروه فلم يصدّقوا. وَتَوَلَّوْا ـ عن شرع الله. وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ ـ فدام النفاق فى قلوبهم. إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ـ فى الآخرة فيأخذهم. بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ـ يسخرون من المؤمنين فيقولون لمن يتصدق بالكثير: يتظاهر ويفتخر. ولمن يعطى القليل: ما أغنى الله عن قبول صدقته. وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ ـ متخلفين عن. رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا ـ بعضهم لبعض. لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً ـ بسخريتهم واستهزائهم. وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ـ يوم القيامة. جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ـ من أعمال قبيحة فى الدنيا.

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

فَإن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاستَئْذَنُوكَ للْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخرُجُوا معِيَ أَبَداً ولَن تُقَاتلوا معِي عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بالْقُعُود أَوَّلَ مرَّة فَاقْعُدُوا معَ الْخَالفين * ولا تُصلِّ علَىٰ أَحَد مِّنْهُم مَّات أَبداً ولا تقُمْ علَىٰ قَبْره إِنَّهُمْ كَفَرُوا باللَّه ورَسُوله ومَاتُوا وَهُمْ فَاسقُونَ * ولا تُعْجبْكَ أَمْوَالُهُمْ وأَولادهُمْ إِنَّمَا يُريدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بهَا فِي الدُّنْيَا ـ فتكون سبب شقائهم وتلهيهم عن اتباع طريق اللَّه. وتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وهُمْ كَافرُونَ * وإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمنُوا باللَّه وَجَاهدُوا مَعَ رَسُوله اسْتَئْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْل ـ أصحاب الغنى والجاه. منْهُمْ وقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعدينَ * رَضُوا بأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالف وطُبعَ علَىٰ قُلُوبهمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ـ لا يميزون بين الصالح والطالح من الأمور. لَكنِ الرَّسُولُ والَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بأَمْوَالهمْ وأَنفُسهمْ وأُوْلَئكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وأُوْلَئكَ هُمُ الْمُفْلحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّات تَجْري من تَحْتهَا الأَنْهَارُ خَالدينَ فيهَا ذَلكَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ * وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ ـ أصحاب الأعذار الصادقة. منَ الأَعْرَاب ليُؤْذَنَ لَهُمْ ـ فى القعود (عن غزوة تبوك). وقَعَدَ الَّذينَ كَذَبُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ ـ بدون اعتذار. سَيُصيبُ الَّذينَ كَفَرُوا منْهُمْ ـ وهم المنافقون، سواء تخلفوا بعذر وهمى أو بغير عذر. عَذَابٌ أَليمٌ * لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء ـ كالشيوخ والعاجزين. ولا عَلَى الْمَرْضَىٰ ولا عَلَى الَّذينَ لا يَجدُونَ مَا يُنفقُونَ ـ من أعباء الرحيل للجهاد بسبب الفقر. حَرَجٌ ـ إثم. إذَا نَصَحُوا للَّه ورَسُوله ـ قالوا قولاً حسنًا يرفع من معنويات القوم ولا يثبط عزائمهم. مَا عَلَى الْمُحْسنينَ من سَبيل واللَّهُ غَفُورٌ رَّحيمٌ * ولا عَلَى ـ ولا حرج أيضًا على. الَّذينَ إذَا مَا أَتَوْكَ لتَحْملَهُمْ ـ لتعطيهم دواب تحملهم حتى يسيروا معك فى الجهاد لعدم استطاعتهم اقتناء الركائب. قُلْتَ لا أَجدُ مَا أَحْملُكُمْ عَلَيْه تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفيضُ منَ الدَّمْع حَزَنًا أَلاَّ يَجدُوا مَا يُنفقُونَ ـ ما يشترون به الدواب التى تحملهم للخروج إلى الجهاد. إنَّمَا السَّبيلُ ـ العقاب. عَلَى الَّذينَ يَسْتَأْذنُونَكَ وَهُمْ أَغْنيَاءُ ـ لا عذر لهم. رَضُوا بأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالف وطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبهمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ.

﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

* يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ - منتصرين. قُل لاَّ تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ - لن نصدقكم. قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ - اللَّه. عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ - رجعتم. إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ - ولا تلومونهم. إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ - بألسنتهم. لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * الأَعْرَابُ - المنافقون من البدو. أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا - من نظرائهم من أهل الحضر والمدن. وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ - لعدم إقبالهم على القرآن. وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا - من يعتبر ما ينفق فى الصالح العام غرامة وخسارة. وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ - يتمنى لكم الهزيمة. عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ - أصحاب الرسول الذين آمنوا وهاجروا معه من مكة إلى المدينة. وَالأَنصَارِ - المؤمنون من أهل المدينة، كان أغلبهم من قبيلتى الأوس والخزرج. وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ - من الأجيال اللاحقة. رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ - كذلك أناس. مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ - اعتادوه وأتقنوه. لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ - مرة فى الدنيا بفضيحتهم، ودفعهم إلى قتال تنكسر فيه شوكتهم. ومرة أخرى فى قبورهم منذ الموت وحتى البعث. ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ - فى الآخرة. وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ - وندموا ثم تابوا عن النفاق بعدما فضح اللَّه أمرهم. خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا - اتجاههم إلى التوبة والندم. وَآخَرَ سَيِّئًا - أعمالهم قبل التوبة. عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ - يقبل توبتهم. إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ - على من مات منهم. سَكَنٌ لَّهُمْ - لأرواحهم. وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

* وَقُلِ اعْمَلُوا ـ الخيرات. فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(*) وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ ـ مؤجلة آجالهم. لأَمْرِ اللَّهِ ـ لحكمة من اللَّه، سيمتحن قلوبهم. إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ـ فيعذب من ظل على نفاقه، ويغفر لمن يتوب توبة صادقة. وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ـ بنى المنافقون مسجدًا ليستتروا فيه ويدبروا المكائد للمؤمنين وليفرقوا المؤمنين. وَإِرْصَادًا ـ ترقبًا. لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ـ بقصد توطيد الصلة بهم سرًا للإضرار بالمؤمنين. وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ـ بسبب النفاق. وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ ـ لو تركت بنيانهم قائما لظل الأمل يراودهم على تحقيق مآربهم الخبيثة. إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ـ إلا أن تقضى على آمالهم بهدم ذلك المسجد. وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ـ لأنهم. يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ـ لنصرة الرسول والجهاد فى سبيل اللَّه. وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ـ المتبعون لشرعه دون تهاون. وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ.

---

(٨٧) **قضية:** ﴿ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾ [الآية: ١١٢].

إن حدود الله هى شريعته، والحافظون لحدود الله هم الذين يفعلون ما أمر به الله ـ ورسوله ـ ويجتنبون ما نهى عنه.

وقد استخدم مصطلح "حد الله" فى المواضع المختلفة من الالتزامات: ففى سورة البقرة: الآيات ١٨٧ ـ ٢٢٩ ٢٣٠، وفى سورة النساء: الآيتان ١٣ ـ ١٤، وفى سورة التوبة: الآيات ٩٧ ـ ١١٢، وفى سورة المجادلة: الآية ٤، وفى سورة الطلاق: الآية ١. ⬅

(*) راجع القضايا: ١٦ ـ ٢١ ـ ١٥٨ ـ ١٦٠.

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

* مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ـ الذين ماتوا على شركهم بالله، بعدما وصلتهم دعوة الإسلام فجحدوها. وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ ـ ﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم: ٤٧]. إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ـ إلا عن وعد وعده أبو إبراهيم بأن يؤمن. فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ـ لإبراهيم ـ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ ـ بإصراره على الكفر. تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ـ يفصل لهم الأحكام حتى لا يقعوا فى الكفر مرة أخرى. إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ ـ يُصَرِّفُ لكم الأمور. وَلا نَصِيرٍ * لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ـ وإن فريقًا من المؤمنين لم يرسخ الإيمان فى قلوبهم إلا بعد فترة من إسلامهم. ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ـ بعدما استقر الإيمان فى قلوبهم. إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ـ من الغم والندم على تخلفهم. وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ـ فاتجهوا إليه مستغفرين عن تخلفهم. ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ـ لكى لا يعودوا إلى ذلك ثانية. إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

➡ أما المصطلح الفقهى المسمى بجرائم الحدود، فهو يتعلق بخرق حدود الله فى الجرائم الكبرى التى تهدد نظام المجتمع وأمنه مثل : الزنا ـ السرقة ـ الحرابة ـ القذف...إلخ. وهذا جزء خاص من حدود الله، بينت الشريعة له عقوبات، ووضع له الفقه قاعدة "درء الحدود بالشبهات" أى التخفيف بإسقاط العقوبة الأصلية، واستبدالها إن اقتضى الأمر بعقوبة تعزيرية.

ودرء الحدود بالشبهات قاعدة لها أصل فى السنة النبوية المطهرة : قال رسول الله ﷺ: «ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام إن يخطئ فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة» (الترمذى، الحدود ١٣٤٤) كما أن باب التعزير يعطى الحاكم كافة الصلاحيات لتنظيم القوانين التى تحمى المجتمع ومصالحه، بتجريم أفعال من شأنها الإضرار بالصالح العام، ولو لم يرد لها ذكر فى القرآن والسنة. وكذلك تفتح الشريعة للحاكم باب تنظيم كافة القوانين المدنية والاقتصادية والتجارية والسياسية...إلخ لتحقيق الصالح العام، ويسمى هذا الباب فى الفقه "السياسة الشرعية". ويجب أن يسلك الحاكم فى شأن ذلك كله منهج الشورى تحريًا للصواب نحو تحقيق المصالح العامة.

وقد آثرنا إعطاء القارئ فكرة موجزة عن هذه الأمور، لتعلقها بالمنظور التطبيقى لشريعة الإسلام، وليعلم القارئ أن جميع ما أمر الله به وما نهى عنه يلتزم المؤمن باحترامه، لأنه هو المفهوم الشامل للشريعة السماوية الخاتمة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾

* يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ * مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ - لا عطش ولا تعب ولا جوع وهم يجاهدون. فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ - عن الحسنة بأجر. أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً - لم يكتب الله على المؤمنين أن يخرجوا جميعهم مع الرسول. فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ - فلا بد وأن يبقى فى كل قرية أو مدينة جماعة يقومون على أمور الناس. مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ - بالإفتاء فى أمور حياتهم. إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ(*) لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ - ابدأوا بقتال أقرب عدو لكم وأخطره عليكم، ثم من يليه. وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ - على الرسول. فَمِنْهُم - من المنافقين من يسخر قائلاً. أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ - السورة. إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا - رسخت الإيمان فى قلوبهم. وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ - بيقين ما وعدهم الله من خير ورحمة. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ - من المنافقين والكفار. فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ * أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ - يفضح الله مؤامراتهم لرسوله أمام أعينهم بطريق الوحى، فلا يستطيعون تكذيبه. ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ - تفضح أعمالهم ومؤامراتهم. نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ - وهم فى الحشد حول الرسول، وقال بعضهم لبعض: هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ - فلنتسلل للخروج دون أن يشعر بنا الناس، فإننا المعنيون بهذه السورة التى يتلوها الرسول. ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم - عن الإيمان لأنهم. قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ - قل لهم أيها الرسول: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا - فإن أعرضوا بعد ذلك. فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

(*) التفقه فى علوم الدين عامة، هو فرض كفاية، بمعنى أن الأمة يجب عليها تكوين الأطر الخاصة لهذا الغرض، مراعية فى ذلك الكفاءة والكفاية. أما التفقه لمعرفة القدر المطلوب من المسلم أن يراعيه لطاعة الله بعبادته، ولإرضائه بأن تكون معاملاته وأخلاقه وفقًا للشريعة، فذلك فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وقد قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» أخرجه ابن ماجة، المقدمة، رقم ٢٢٠. وما عدا ذلك فليس بفرض، بل هو مندوب. ويكره للمسلم أن يبالغ فى التلهى بوسائل الترفيه المشروعة على حساب ما يمكنه من تحصيل العلوم النافعة، فعليه أن يوازن أموره وأحواله.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ۝٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ۝٤ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥ ﴾

الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ـ القرآن. الْحَكِيم * أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ـ محمد. أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ـ رد عليه. الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ * إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ـ من أيام الله، وهو أعلم بقدرها. ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ـ اللَّه أعلم بالعرش وبكيفية استوائه عليه. يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ ـ يشفع عنده. إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ـ يشفع للإنسان فى الدنيا استغفاره وتعبده، وفى الآخرة تشفع الملائكة والرسل للمؤمنين. وكل بإذن الله. وأثر الشفاعة لا يكون إلا من الله وحده: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨]. ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ـ بالبعث. لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ ـ فى نار جهنم. بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ.

---

(٨٨) **بيان:** ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ **[الآية: ٥].**

إن الناس ـ فى مجتمعات عديدة عربية وغير عربية ـ لا يفرقون فى عرفهم اللغوى بين الضوء والنور. لذلك لا يصح أن نقر ما ذهب إليه بعض الذين توهموا أنهم استخلصوا من الآية تمييزًا بين الضوء والنور، فقالوا: إن الضوء ذات أو مادة أو مصدر، لأن الله نسبه إلى الشمس، وهى جرم متوهج فى ذاته. بينما النور أثر من الضوء، لذلك نسبه الله إلى القمر الذى هو كوكب غير متوهج وإنما يعكس ضوء الشمس. لا نقر ذلك لقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥] ومحال أن يكون نور الله سبحانه وتعالى أثرًا منعكسا عن غير ذاته.

والحق أن سياق الآية جاء مميزا بين الشمس والقمر، وذكر الضوء والنور تبعًا لذلك. فالآية حين وصفت الشمس بالضياء والقمر بالنور أعطت كلاً منهما وصفًا مميزًا عن الآخر، وفى ذلك إعجاز بيانى، لأنها لو وحدت بينهما فى الصفة بأن كانت مثلاً (هو الذى جعل الشمس والقمر نورًا ـ أو ضياء) لقبلها الناس، ولكنها لا تكون مناسبة لفهم الإنسان فى كل العصور، لأنها ⬅

﴿ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١١ ﴾

* إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ - تواليهما وتناقض حالهما. وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ - من كواكب ونجوم وشموس. وَالأَرْضِ - من كائنات لا حصر لها، نافعة وضارة. لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ * إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا - دون أى اعتبار للآخرة. وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ - الجزاء فور الذنب. اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ - مثلما يحبون سرعة مكافأتهم على عمل الخير. لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ - لأهلكهم الله دون إمهال. فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا - غارقين فى آثار. طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ.

➡ لو جمعت بينهما بصفة واحدة لأوحى ذلك بأنهما من طبيعة واحدة، ولقال أهل عصرنا كيف يجمع الله مخلوقين بصفة واحدة بالرغم من كونهما مختلفين ؟ وبالرغم من أننا نعلم حقيقة علمية تميز بين الأشعة المنبعثة من الشمس (موجات كهرومغناطيسية حرارية تشمل الأشعتين الحمراء وتحت الحمراء، وغيرهما. ونسميها فى لغتنا العربية المعاصرة ضوءًا) وتلك المنعكسة عن القمر (موجات كهرومغناطيسية باردة تشمل أساسًا الأشعتين البنفسجية والزرقاء وغيرهما. ونسميها فى لغتنا العربية المعاصرة نورًا). وبالرغم من أن استعمال القرآن لكلمة الضوء فى عدة مواضع يمكن تأويله وفقًا لمصطلحاتنا العلمية مثل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] فنوره يكون بردًا وسلامًا ﴿وجعلنا الشمس ضياء﴾ فالضوء يحتوى على حرارة. إلا أننا نرى أن الآيات لا ترمى إلى بيان تمييز يفصل بين الضوء والنور فى الطبيعة، وذلك لأسباب منها :

١ - قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ...﴾ [النور: ٣٥] المصباح والمشكاة فى لغاتنا الأرضية يحتوى نارًا. والكوكب فى مفهومنا غير متقد وهو فى الآية يوقد، وذلك يعنى فى مفهومنا يُشْعَلُ وهو فى الآية ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ... يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥].

٢ - اللغة أقدم من المصطلحات العلمية المستحدثة، فالمصطلح هو تعارف وانتقاء من لغات موجودة ومستعملة (سواء عن اتفاق مسبق أو بمبادرة بعض العلماء إلى استعمال كلمات تلقى قبولاً واسعًا) فما من شىء كان يمنع من اختيار كلمة الضوء لتعريف الأشعة الباردة والنور لتعريف الأشعة المحتوية على الحرارة. وما من شىء كان يمنع من التعارف على جمع التعريفين تحت مصطلح واحد مثلما فى الإنجليزية نور (أو ضوء) ساخن: Hot light ونور (أو ضوء) بارد: Cool light.

إذن فالآية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ...﴾ [النور: ٣٥] تقرب إلى فهمنا تصور جمال نور الله دون أن ترمى إلى تعريف نور الله فى ذاته.

وكذلك الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] و﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٩] يمتنع علينا أن نأخذها بالمعنى العلمى للذرة Atome.

لذلك يجب التحرز عند التعرض للإعجاز القرآنى من القياس على مصطلحاتنا العلمية المستحدثة.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

وَإِذَا مَسَّ الإنسانَ الضُّرُّ ـ تضرع إلى الله فدعاه. لجَنْبِه أَوْ قَاعداً أَوْ قَائماً ـ استحضر الله باستمرار أثناء محنته. فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ـ من أعمال تلهيهم عن ذكر الله. وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ ـ الأمم. من قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَات وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خلائفَ في الأَرْضِ منْ بَعْدهمْ ـ وأعلمناكم بشرع اللّه. لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَات ـ واضحات. قَالَ الَّذِين لا يرْجُونَ لقاءَنَا ائت بقرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ـ غير أحكامه. قُلْ مَا يَكُونُ لي أَنْ أُبَدِّلَهُ من تلْقَاء نَفْسي إنْ أَتَّبعُ إلاَّ مَا يُوحَىٰ إلَيَّ إنِّي أَخَافُ إنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم به فَقَدْ لَبِثْتُ فيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْله ـ أقمت معكم طيلة أربعين سنة لم ينزل على فيهن وحى. أَفَلا تَعْقِلُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّه كَذباً أَوْ كَذَّبَ بآيَاته إنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ * وَيَعْبُدُونَ من دُون اللَّه مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عند اللَّه قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بما لا يَعْلَمُ في السَّمَوَات وَلا في الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَمَا كَانَ النَّاسُ إلاَّ أُمَّةً وَاحدَةً ـ على دين واحد. فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلمَةٌ سَبَقَتْ من رَّبِّكَ ـ بإمهال الناس، كل حتى أجله. لَقُضيَ بَيْنَهُمْ ـ فى الدنيا بالثواب للمؤمنين، والهلاك للكافرين جزاء على ما هم. فيه يَخْتَلفُونَ * وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْه آيَةٌ مِّن رَّبِّه ـ معجزة خارقة. فَقُلْ إنَّمَا الْغَيْبُ للَّه ـ العلم للّه ينزل المعجزات على من يشاء وكيف يشاء. فَانتَظرُوا إنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظرِين.

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْد ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ في آيَاتنَا ـ خبث فى تحريف الحق، كقولهم إنها سنة الطبيعة تتداول الأيام بين الشدة والفرج، والعسر واليسر، وليس هذا من قبيل اختبار الله للناس. قُل اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إنَّ رُسُلَنَا ـ ملائكتنا. يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ * هُوَ الَّذي يُسَيِّرُكُمْ في الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ في الْفُلْك وَجَرَيْنَ بهم بريحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ من كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلصينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا منْ هَذه لَنَكُونَنَّ منَ الشَّاكرِين.

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

* فَلَمَّا أَنجاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ـ بالظلم والفساد. يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ـ لكم. مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ـ كثيراً وقليلاً. ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ـ من كل نوع. مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ـ بنمو وازدهار ما أنبتت. وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ـ وظن الناس أن حصاد ذلك بأيديهم، وأن رخاء الأرض جاء بعملهم، دون مشيئة الله وقدرته. أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً ـ أمر اللَّه بالبعث يأتى على أهل الأرض فى وقت واحد. وحيث إن الأرض كروية، فمنهم من يكون فى الليل ومنهم من يكون فى النهار، فإن حسبت الأمـر بالنهار فهو صدق، وإن حسبته بالليل فهو صدق. فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً ـ حصد الله جميع ما عليها من كائنات. كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ـ كأن لم يكن فيها من قبل حيـاة ولا زينة ولا رخاء. كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ ـ دار النعيم بالآخرة. وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ـ فى النعيم بالنظر إلى وجه اللَّه الكريم. وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ ـ كآبة. وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

(٨٩) **قضية:** ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً ﴾ [الآية: ٢٤].

إن تحـديد الوقت بالليل والنهـار هو أمـر نسبى يتـعلق بالحـياة على الأرض الـتى تدور فى فلكهـا حول الشـمس. ولكن التوقيت عند الله لا يتعلق بهما، والله أعلم به.

وصياغة الآية تثير التعجب: لماذا ﴿ لَيْلاً أَوْ نَهَاراً ﴾؟ ويرتفع التعجب عندما نشرح الآية على الوجه التالى: أتاها أمرنا سواء كان المعنيون (الناس، وغـيرهم من المخلوقات) فى جانب الليل، أو فى جانب النهـار على الأرض، فمنهم من يكون وقت أمر الله بالقيامة فى الليل ومنهم من يكون فى النهار، وأمر الله واحد وموعده واحد بالنسبة للجميع.

وليتعظ كل شخـص من الحكمة التى تحملها هذه الآية إلينا فى الحياة الـدنيا قبل يوم القيامة، فالفـرد لا يعرف متى أجله، فإن كان فى قوة ونعمة فليتـذكر أنه إذا باغتته المنية، ولا يعلم أحد متى يكون أجله، فهى بداية القيامة بالنسـبة إليه، فبعد الموت يرتفع التكليف، وينعدم حساب الوقت بمعاييرنا الدنيوية. فالمتكبر من الناس خاسر، وغروره بقوته مثل غرور الناس الذين تأتى عليهم القيامة وقت أن يظنوا أنهم قادرون على الأرض. قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»(*).

يقول الله سبـحانه وتعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤].

(*) مسلم، الفتن وأشراط الساعة ٥٢٤٣. أحمد، مسند المكثرين من الصحابة ٣٥٤٨.

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩) ﴾

والَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُم مِنَ اللَّه مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُم قطعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * ويَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا ـ قفوا. مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ـ جعلناهم صفوفًا. وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ـ وإنما كنتم تعبدون أهواءكم. فَكَفَى بِاللَّه شَهِيدًا بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ـ لم نأمركم أو نوحى إليكم بعبادتنا. هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ورُدُّوا إِلَى اللَّه مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وضَلَّ ـ انصرف. عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ ـ بالأمطار. وَالأَرْضِ ـ بالثمار والنبات والحيوان... أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ(*) وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ؟ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ـ البعد عن. الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ـ كيف تنصرفون عن الإيمان بعدما جاءتكم آيات اللَّه؟. كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِين فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ـ وهو الله. أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى ـ وهم الذين ينسبهم الكافرون شركاء مع الله. فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ.

ومَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا ـ شكوكًا وإرهاصات. إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ ولَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ـ من شرائع سابقة، وتصحيحًا لما أصاب أحكام الدين من تحريف. وتَفْصِيلَ الْكِتَابِ ـ الشريعة الخاتمة والدين الحق الذى. لا رَيْبَ فِيهِ ـ والذى جاء. مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ـ نسبه كذبا إلى الله. قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ـ كذبوا بالقرآن من قبل أن يتدبروا آياته. كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ـ من الأمم السابقة حين نزل عليهم غضب اللَّه جزاء بما كذبوا بكتبه ورسله.

(*) راجع القضية ٣٠.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

وَمنهُم مَن يُؤْمنُ به وَمنْهُم مَن لاَ يؤْمنُ به وَربُّكَ أَعلَمُ بالمُفْسدينَ * وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَملي وَلَكُمْ عَملُكُمْ أَنتُم بريئُونَ ممَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مّمَّا تَعْمَلُونَ ـ أى لا مجال للتصالح والتوافق بين الحق والباطل. وَمنْهُم مَّن يَسْتَمعُونَ إلَيْكَ ـ يشاهدون ولا يعنيهم من الأمر شيئًا وكأنهم غير مخاطبين بالقرآن. أَفَأَنتَ تُسْمعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقلُونَ * وَمنْهُم مَّن يَنظُرُ إلَيْكَ ـ متعجبًا ويتساءل: لم يتكبد المتاعب فى سبيل الدين؟. أَفَأَنتَ تَهْدي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصرُونَ * إنَّ اللَّهَ لا يَظْلمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلمُونَ * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا ـ فى الدنيا. إلاَّ سَاعَةً مّنَ النَّهَار ـ إن ماضى الإنسان لا يعدو أن يكون حلمًا مهما طال العمر. يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسرَ الَّذينَ كَذَّبُوا بلقَاء اللَّه وَمَا كَانُوا مُهْتَدينَ * وَإمَّا نُريَنَّكَ بَعْضَ الَّذي نَعدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإلَيْنَا مَرْجعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ.

وَلكُلّ أُمَّة رَّسُولٌ ـ لكل عصر من العصور رسول أو داعية صادق يخلف الرسول. فَإذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ ـ الذى يحمل إليهم الرسالة، سواء الرسول نفسه أم الدعاة من بعده. قُضيَ بَيْنَهُم بالْقسْط وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إن كُنتُمْ صَادقينَ * قُل لاَّ أَمْلكُ لنَفْسي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ لكُلّ أُمَّة أَجَلٌ إذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدمُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا ـ ليلاً. أَوْ نَهَارًا ـ أيكون لكم بعد ذلك نجاة. مَّاذَا يَسْتَعْجلُ منْهُ الْمُجْرمُونَ ـ أيستعجلون اليقين أم العذاب أم غلق باب رحمة اللَّه ؟ فاللَّه يعطى الأنسان مهلة من العمر حتى يستفيد منها، عسى أن يحظى برحمة اللَّه إذا ما قادته هذه المهلة إلى الإيمان. أَثُمَّ إذَا مَا وَقَعَ ـ العذاب المهلك. آمَنتُم ـ بالله ودعوتموه أن يرفع العذاب عنكم. آلآنَ وَقَدْ كُنتُم به تَسْتَعْجلُونَ * ثُمَّ قيلَ للَّذينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْد هَلْ تُجْزَوْنَ إلاَّ بمَا كُنتُمْ تَكْسبُونَ * وَيَسْتَنْبئُونَكَ ـ يسألونك. أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إي وَرَبّي إنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بمُعْجزينَ * وَلَوْ أَنَّ لكُلّ نَفْس ظَلَمَتْ مَا في الأَرْض ـ من ثروات ومتاع. لافْتَدَتْ به ـ دون تردد، لهول يوم الحساب. وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضيَ بَيْنَهُم بالْقسْط وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ.

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

* ألا إنَّ للَّه مَا فِي السَّمَوَات وَالأَرْض ـ ينظم الكون كيف يشاء، ويدبر شرعه كما يريد. ألا إنَّ وَعْدَ اللَّه حَقٌّ وَلَكنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ * هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ ـ للمؤمنين. بفَضْلِ اللَّه وبرَحْمَته ـ آمنتم. فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * قُلْ ـ للكافرين. أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً ـ وفق أهوائكم. قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ.

(٩٠) قضية: ﴿ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً ﴾ [الآية: ٥٩].

الفرق بين الحرام والحلال، وبعض القواعد الشرعية مثل تقييد المباح، وإباحة المحظور للضرورة:

إن الآية تنهى عن تحريم الحلال وتحليل الحرام. والحلال والحرام تحددهما الشريعة، فالحلال ما ورد به نص: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

والحرام ما ورد به نص مثل: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]. والنصوص يجب أن تشمل فى التطبيق جميع جزئياتها. يقول رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام»(*)، ويقول: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»(**). لذلك فإن العلماء عندما يستعملون القياس لمعرفة الأحكام لا يضيفون إلى التحريم، وإنما هم يكشفون عنه بذلك القياس.

إن المخدر المسمى بالحشيشة حرام لأنه يخمر العقل، فيلحق متناوله جزاء شارب الخمر، كان فى عهد الرسول التعزير ضربًا، ثم فى عصر الصحابة الجلد ثمانين قياسًا على حد قذف المحصنات ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ [النور: ٤]. والمخدرات البيضاء أشد حرمة، فهى تذهب العقل وتركب على خلايا الدم والمخ، وذلك سبب من أسباب الموت والجنون والصرع... إلخ، لذلك فإن مروجه يجنى إثم القاتل، ويلحق متناوله إثمى الخمر والإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

إن العلماء عندما يقيسون هم فى الواقع يكشفون عن مواطن تطبيق نصوص الشريعة الإسلامية. وما لم يتم تحريمه فى الشريعة ولم يبين بصراحة النصوص أنه حلال، يدخل فى نطاق المباحات. وليس كل مباح يجوز الإقدام عليه لأن تنظيم المجتمع يقتضى تقييد بعض المباحات مراعاة لأولويات المصالح، ولدفع الأخطار، مثل حظر التجول وحظر البناء فى المناطق العسكرية لأمن الوطن. فالحاكم حين يفعل ذلك لا يعتبر أنه يحرم حلالاً وإنما هو يقيد المباح، وإذا أقدم الفرد على الحرام مضطرًا كأن أكل الميتة فى مجاعة فلا يكون قد أحل حرامًا، فالضرورات تبيح المحظورات دون أن تحلها، والمحظور يظل موصوفًا بالحرام ولكن يسقط الإثم عن فاعله للضرورة، فالحرام حرام إلى يوم الدين.

وكذلك يجب التفرقة بين الزهد فى الأشياء وتحريمها، فالزاهد فى أنواع معينة من الطعام، والمتقشف عن رغبة فى السمو بنفسه وروحه، لا يعتبر محرمًا لحلال، مادام لم يُفْتِ بذلك ولم يسع إلى إجبار الناس على اتباع مسلكه(***).

(*) البخارى، المغازى ٣٩٩٧. مسلم، الأشربة ٣٧٢٩. النسائى، الأشربة ٥٥٠١.
(**) الترمذى، الأشربة ١٧٨٨. أبو داود، الأشربة ٣١٩٦. ابن ماجة، الأشربة ٣٣٨٤.
(***) راجع القضية رقم ١٠١.

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾

وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّه الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - ماذا ينتظرون منه إلا العقاب. إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ - بتفصيله ما شرع من الدين، فاتباع دين الله هو الخير للفرد والمجتمع. وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ * وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ - حين تقومون به. وَمَا يَعْزُبُ - وما يغيب. عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ - فى سجل دقيق. أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّه لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ - هم. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا - يعيشون بطمأنينة الإيمان والرجاء فى ثواب الله. وَفِي الآخِرَةِ - فى نعيم الجنة. لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّه ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ - قول الكافرين. إِنَّ الْعِزَّةَ - القوة والمقدرة. لِلَّه جَمِيعًا - بجميع صورها وبمطلق صدقها. هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * أَلا إِنَّ لِلَّه مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّه شُرَكَاءَ - فالله ليس له شريك، سواء دعا الناس معه شريكًا أم لا، فإن المدعو ليس بشريك على أى حال، فهو لا يقدم ولا يؤخر فى الكون الذى يسير بمشيئة الله وحده. إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ - الأوهام الباطلة. وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ - يكذبون ويضللون. هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ - عن ذلك. لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا - هل عندكم بيان من الله بما تقولون؟ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّه مَا لا تَعْلَمُونَ - فالإنسان لا يعلم عن اللّه إلا ما يعلمه الله إياه. قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّه الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ.

مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا - كثيرًا وقليلاً. ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ - ثقل. عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّه - بدين الله. فَعَلَى اللَّه تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ - قواكم. وَشُرَكَاءَكُمْ - الذين تزعمون أنهم آلهة من دون الله. ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً - أى اظهروا كل ما عندكم من وسائل وإمكانات. ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ - ثم وجهوا كل ذلك ضدى فلا تمهلونى ولا ترحمونى.

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

* فَإِن تَوَلَّيْتُمْ - فإن لم تستطيعوا ذلك فاعلموا أن اللَّه يحميني. فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ - تذكروا أنني دعوتكم إلى طريق الحق دون مقابل (وذلك شأن الأنبياء، لايسألون أجرا على الهداية). إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّه وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلمينَ * فَكَذَّبُوهُ - استمروا فى تكذيبه وأعرضوا عن دين اللَّه. فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْك وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائفَ - فى الأرض مالكين لأمورهم. وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقبَةُ الْمُنذَرِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا منْ بَعْده رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمهِمْ - بعدما عاد كثير من الناس إلى الفساد. فَجَاءُوهُم بالْبَيِّنَات فَمَا كَانُوا ليُؤْمنُوا بمَا كَذَّبُوا به من قَبْلُ - فأصروا على الفساد. كَذَلكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوب الْمُعْتَدينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا منْ بَعْدهم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فرْعَوْنَ وَمَلئه بآيَاتنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ منْ عندنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسحْرٌ مُّبينٌ * قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ للْحَقّ لَمَّا جَاءَكُمْ - إنه سحر. وَلا يُفْلحُ السَّاحرُونَ * قَالُوا أَجئْتَنَا لتَلْفتَنَا - لتصرفنا. عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْه آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا - أنت وهارون. الْكبْريَاءُ - الرئاسة. في الأَرْض وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بمُؤْمنينَ * وَقَالَ فرْعَوْنُ ائْتُوني بكُلّ سَاحرٍ عَليمٍ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ - اعرضوا ما جئتم به من سحر. فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جئْتُم به - هو. السّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلحُ عَمَلَ الْمُفْسدينَ * وَيُحقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بكَلمَاته - بأمره ومعجزاته. وَلَوْ كَرهَ الْمُجْرمُونَ * فَمَا آمَنَ لمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مّن قَوْمه - لما رأوا الحق آمن له إسرائيليون ومصريون (فالناس على اختلاف أجناسهم، فى الموقع الذى يقوم فيه الرسول بالبلاغ، يعتبرون قومه). عَلَىٰ خَوْفٍ مّن فرْعَوْنَ وَمَلئهمْ أَن يَفْتنَهُمْ - أن يردهم عن اتباع الدين الحق. وَإِنَّ فرْعَوْنَ لَعَالٍ في الأَرْض وَإِنَّهُ لَمنَ الْمُسْرفينَ * وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْم إِن كُنتُمْ آمَنتُم باللَّه فَعَلَيْه تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلمينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّه تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فتْنَةً لّلْقَوْم الظَّالمينَ.

---

(٩١) **قضية:** ﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فتْنَةً لّلْقَوْم الظَّالمينَ ﴾ [الآية: ٨٥].

المؤمن يعلم أنه قد يصيبه ما يكره امتحانًا لإيمانه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَحَسبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢]. وما يصيب المؤمن من مكروه قد يكون للكافرين فتنة، إذ يقولون: ما كان أحوجه إلى الله أن يدفع عنه ذلك المكروه، فيزدادوا كفراً. ولذلك دعا المؤمنون الله بأن ينصرهم على الكافرين ويسلمهم من كل أذى فلا يكونون فتنة لفرعون وقومه، وذلك معنى الآية ﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فتْنَةً لّلْقَوْم الظَّالمينَ ﴾.

﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

* وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ـ اعبدوا الله فى بيوتكم ولا تخرجوا للمعابد لأن فرعون وملأه يتربصون بكم. وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ـ فلم يشكروك على هذه النعم، بل استعانوا بها. رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ ـ امسخها كى لا ينتفعوا بها. وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا ـ امضيا أنت وهارون ومن تبعكما فى طريق الله. وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ ـ بعد نفاد حيلك. وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ـ وأنت محاط بنعم الله. وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ـ نطهر بدنك بعد غرقك. لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ.

---

(٩٢) قضية: إجابة الدعاء [الآية: ٨٩].

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا ﴾ ـ أى امضيا فى طريقكما على الهدى ـ ﴿ وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

هذه الآية تهدينا إلى أمور:

١ ـ إجابة الدعاء: لا يلزم عن إجابة الدعاء تحقق الأمنية فى الحال، والله أعلم بالوقت المناسب لتحقيقها، لذلك يقول رسول الله محمد ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون الإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل»(*).

٢ ـ الاستقامة شرط تحقق الأمنيات الصالحة: إن أعلى الناس درجة فى الاستقامة على صراط الله المستقيم هم الرسل والأنبياء، يليهم الصحابة والأولياء، يليهم عامة المصدقين فى الله ووحدانيته ورسله وملائكته، وهم المؤمنون الذين سَمَّاهُمْ إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، المسلمين. وهؤلاء المسلمون منهم من يتبع شرع الله فى حياته، ومنهم من يتأرجح بين الطاعة والمعصية بالرغم من سلامة عقيدته.

وسرعة الإجابة تكون للرسل ثم من يليهم، حتى نأتى إلى الصنف الأخير من المسلمين الذين يتأرجحون بين الطاعة والمعصية، فقد لا يجدون إجابة للدعوات الصالحات إلا ما ندر، ذلك أنهم لا يتبعون شرع الله إلا قليلاً. فقد يكون لباسهم من حرام وطعامهم من حرام وشرابهم من حرام...

ولو أن مسلمى عصرنا يتمسكون بالإسلام وقيمه، لأجاب الله دعاءهم، ولرد إليهم العزة والكرامة التى كانوا فيها من قبل غالبين على كافة الأمم. ولكن كيف يرد الله كرامة أمم يحملون اسم الإسلام ولا يعملون به!

(*) الترمذى، الدعوات ٣٤٠١. أحمد، مسند المكثرين من الصحابة ٦٣٦٨.

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ـ منزل العـزة والكرامة لمـا آمنوا وأخلصوا فى الاسـتقامـة على شريعـة اللَّه. وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ـ لم يختلفـوا حول الآيات الواردة فى كتـبهم والتى تبشـر بخاتم الأنبياء والمرسلين، إلا عندمـا علموا بأنه محمد، صلى الله عليه وسلم، عربى وليس من بنى إسـرائيل، فذهبوا مذاهب شتى وضيـعوا تلك الآيات التى تتحـدث عن رسول آخر الزمان وتهـدى إلى أوصافه. إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ـ فاسأل الصادقين من العالمين بـالكتب السابقة، مثل عـبد اللَّه بن سلام. لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

➡ الامتحان وتعلقه بالأمانى :

ماذا يتمنى الفرد فى حياته الدنيا ؟

نستطيع أن نجمع أغلب أمنيـات الناس فى حياتهم الدنيا تحت باب الكرامـة بمفهومها الشـامل. خلق الله الإنسان مكرَّمًا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الإسراء: ٧٠]. لذلك تجد الكرامة فى فطرة الناس، فلا أحد يقبل الإهانة، وإن لم يصدر رد فعل ممن وجهت إليه إهانة لضعف منه أو لأدب، فليس معنى هذا أن نفسه لم يلحقها الأذى.

وهناك أشياء كـثيرة لا حصر لها تندرج تحت بـاب الكرامة، فقلة المال تورث الفقر وهـو يحط من الكرامة، والضعف من بعد قوة وعـزَّة ومنعة يحط من الكرامة. ومن مظاهر القوة الـجاه والمال والاستمـتاع بنعم الحياة الدنيـا، فإن بلغ الشخص أرذل العمر فهو ينزوى بلا قوة ولا ينفعه مال إلا فى القليل، ولا متع يحصل عليها إلا ما ندر.

وما يخرج عن باب الكرامـة، يخرج عن المألوف لدى الناس، فإن الناس يحتـقرون من لا عزة له، فاعتيـاد شخص ما على تقبل الإهانة يجعله حقيراً فيزدريه الآخرون. ومن ذلك أيضًا التنازل عن الكرامة فى سبيل المال والتقرب للسلطان، فهو من قبيل الفساد الذى بانتشاره يفشو الظلم والفساد وتنهار الحضارات.

وعلى ذلك فإن الامتـحان فى الحياة الدنيـا واقع على الناس كافة أفرادًا وجـماعات، ذكورًا وإناثًا... ولو كـانت كل أدعية المؤمنين مجابة وكل أمنيات الكافرين مرفوضة، لما كان محل للامتحان ولما عاش كافر على وجه الأرض.

لذلك فلا يغـتر العاقل إن وجد نفـسه فى عزة ومنعة وكـثرة مال، فهذا فى ذاتـه لا يدل على رضا الله عنه. وعلى الناس أن يراقبـوا أنفسـهم وأعمالهم على قـدر طاعتـهم لله، وليس على قدر مـا يتحقق لهم مـن أمانى. ولا يقنط المؤمن مـن الدعاء لله والتقرب منه حـتى وإن لم يستجب لبعض دعائه، فـالله تعالى يقول: ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦] والله ولى المؤمنين.

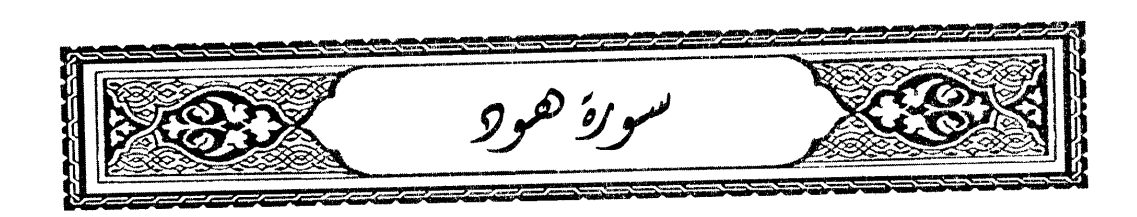
وليراقب المسلم نفسـه وحياتـه، لأن رسـول الله ﷺ ذكر: «أن الرجل يطيل السـفر أشعث أغبر، ثم يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِّىَ بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك»(*).

(*) أحمد، باقى مسند المكثرين ٧٩٩٨. مسلم، الزكاة ١٦٨٦. الترمذى، تفسير القرآن ٢٩١٥. الدارمى، الرقاق ٢٦٠١.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

* إنَّ الَّذينَ حقَّتْ عَليهمْ كَلمتُ ربِّكَ لا يُؤْمنُونَ * ولَوْ جاءَتْهُم كُلُّ آية حَتَّىٰ يرَوُا الْعذابَ الأَليمَ * فَلوْلا كانَتْ قرْيَةٌ آمنَتْ فنفعَهَا إيمانُهَا ـ فلو أن سنة الناس أن يؤمنوا عندما يرون علامات عذاب اللَّه، لأرسلنا إلى قومك هذه الأمارات، ولكن كثيراً من الناس عندما تأتيهم لا يتعظون فيحسبونها ظواهر طبيعية، ليظلوا على كفرهم حتى ينزل بهم العذاب، وما استفاد من هذه الأمارات إلا قوم يونس، لما رأوها آمنوا واستغفروا فرفعنا عنهم العذاب وتركناهم يتمتعون إلى آجالهم. ولَوْ شاءَ ربُّكَ لآمَنَ من في الأَرْضِ كُلُّهُم جَميعًا أفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يكُونُوا مُؤْمنينَ ـ لا تحزن على فئة من الناس قلوبهم قاسية لا يتعظون بالدعوة والتذكير. ومَا كانَ لنفْسٍ أن تُؤْمنَ إلاَّ بإذْن اللَّه ويَجْعلُ الرِّجْسَ علَى الَّذينَ لا يعْقلُون ـ اللَّه أعلم بأنفس الناس. قُل انظُرُوا ماذا في السَّمَوات والأَرْض ـ بلِّغ وأنذر وذكر الناس بقدرة اللَّه فى ملكوت السماوات والأرض. ومَا تُغْني الآيَاتُ والنُّذُرُ عنْ قوْمٍ لاَّ يُؤْمنُونَ * فَهلْ ينتظرُونَ إلاَّ مثْلَ أيَّام الَّذينَ خلَوْا من قَبْلهمْ ـ من الذين لا يؤمنون إلا عند نزول العذاب عليهم. قُلْ فَانتظرُوا إنِّي معَكُم منَ الْمُنتظرين * ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا والَّذينَ آمَنُوا كَذَلكَ حقًّا علَيْنا نُنجِ الْمُؤْمنينَ * قُلْ يا أيُّها النَّاسُ إن كُنتُمْ في شكٍّ من ديني فلا أعْبُدُ الَّذينَ تعْبُدُونَ من دُون اللَّه ولَكنْ أعْبُدُ اللَّهَ الَّذي يتوفَّاكُمْ وأُمرْتُ أنْ أكُونَ منَ الْمُؤْمنينَ.

وأَنْ أقمْ وجْهكَ للدِّين حنيفًا ولا تكُونَنَّ منَ الْمُشْركينَ * ولا تدْعُ من دُون اللَّه ما لا ينفعُكَ ولا يضُرُّكَ فإن فعَلْتَ فإنَّكَ إذًا مّنَ الظَّالمينَ * وإن يمْسَسْكَ اللَّهُ بضُرٍّ فلا كَاشفَ لَهُ إلاَّ هُوَ وإن يُردْكَ بخَيْرٍ فلا رادَّ لفضْله يُصيبُ به من يشاءُ منْ عباده وهُوَ الْغفُورُ الرَّحيمُ * قُلْ يا أيُّها النَّاسُ قدْ جاءَكُمُ الْحقُّ من رَّبِّكُمْ فمَن اهْتدَىٰ فإنَّمَا يهْتدي لنفْسه ومَن ضلَّ فإنَّما يضلُّ علَيْهَا ـ على نفسه. ومَا أنَا علَيْكُم بوكيل ـ لست ملزمًا إلا بإبلاغ رسالة اللَّه إليكم، وليس لى أن أرغمكم على الإيمان. واتَّبعْ ما يُوحىٰ إليْكَ واصْبرْ حتَّىٰ يحْكُمَ اللَّهُ وهُوَ خيْرُ الْحاكمينَ. أمر اللهُ رسوله أن يصبر فى مواضع الصبر، ويجاهد عند لزوم الجهاد: ﴿ يا أيُّها النَّبيُّ جاهد الْكُفَّار والْمُنافقين واغْلُظْ عليْهمْ ﴾ [التوبة: ٧٣].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٤) أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٥) ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٦) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٨) وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ (٩) ﴾

الٓر كِتَابٌ ـ القرآن. أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ـ نزلت آياته بحكمة من الله وفقا للأحداث. ثُمَّ فُصِّلَتْ ـ أعيد ترتيبها بالوحى فى سور لتكون كتابًا هاديًا للناس فى كل زمان ومكان. من لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ـ يلزمكم. أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي ـ أى الرسول. لَكُم مِّنْهُ ـ من الله. نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ـ ذلك متاع الدنيا. وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ـ كل مؤمن يعمل صالحًا يؤتيه الله فضله فى الدنيا والآخرة. وَإِن تَوَلَّوْا ـ وإن تعرضوا. فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ * إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلاَ إِنَّهُمْ ـ بعض الناس. يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ـ ينحنون بشدة. لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ـ من اللَّه (بعض الناس كان يفعل ذلك حياء من اللَّه عند قضاء الحاجة وعند جماع الزوجة) أو من رسول اللَّه (بعض المنافقين كان يغطى رأسه عندما يمر النبى لإخفاء شخصه)(*). أَلا ـ نعم. حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ـ إن اللَّه عالم بالإنسان وبكل خفاياه فى جميع الأحوال والأوقات. وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ـ من أيام اللَّه. وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ـ نؤمن بصدق ذلك دون تصورات وتخيلات، فعرشه ليس كالعروش التى نعرفها، وقد يكون الماء المذكور ليس هو الماء الذى نعرفه. لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ من بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ـ إلى أجل. لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ـ لماذا لم يأت بالعذاب الذى وعدنا به. أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ـ سيخلدون فيه. وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ.

(*) راجع أسباب النزول للنيسابورى، بهامش مختصر تفسير الطبرى. لباب النقول فى أسباب النزول، للسيوطى، بهامش تفسير الجلالين. البخارى، تفسير القرآن ٤٣١٥.

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

* وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ـ ذهب الشر عنى، ولم يشكر فى الحالين. إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ـ فهم يشكرون اللّه فى كل حال. أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ به صَدْرُكَ ـ مستثقل أن تواجههم ببعض ما يوحى إليك من القرآن، خشية. أَن يَقُولُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ـ بلغ أيها الرسول القرآن كما أنزل. إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِه مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا ـ لذلك. مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ * مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ ـ جزاء. أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ. ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا ـ فى الحياة الدنيا. وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَفَمَن كَانَ ـ يعيش. عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ـ من الفطرة السليمة التى أودعها الله فى ضمائر الناس منذ خلقهم، تلك الفطرة التى تدفعهم إلى الإيمان باللّه. وَيَتْلُوهُ ـ يعززه. شَاهِدٌ ـ من اللّه هو القرآن. وَمِن قَبْلِه كِتَابُ مُوسَىٰ ـ التوراة الأصلية. إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ ـ الذين هم على بينة من ربهم. يُؤْمِنُونَ به ـ بالقرآن. وَمَن يَكْفُرْ بِه ـ بالقرآن بعد علم به. مِنَ الأَحْزَابِ ـ أحزاب الكافرين من كل الفرق، منهم من يعبد الأوثان أو النار، ومنهم من يتخذ من الحيوان أو الشجر أو الناس شركاء لله. فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ـ يوم القيامة. وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ـ يبغون الحياة وفق ما تهوى وتشتهى أنفسهم. وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * أُوْلَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ـ اللّه يستطيع أن يعذبهم فى الحياة الدنيا. وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ـ فى الآخرة بقدر. مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ.

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

* لا جرَمَ ـ لا ظلم في. أَنَّهُمْ فِي الآخرةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا ـ أوكلوا أمرهم. إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ ـ فريق الكافرين. وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ـ فريق المؤمنين. هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ.

أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا ـ فلم لم يرسل الله مَلَكًا ؟!. وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ـ أغلب من اتبعوك هم الضعفاء والبسطاء والفقراء. بَادِيَ الرَّأْيِ ـ من البداءة، وهى الرأى بغير روية. وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ـ وما نراك أنت وأتباعك أفضل منا. بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ ـ النبوة والرسالة. فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ـ أنلزمكم شريعة الله كرهًا عنكم ؟!. وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ـ أى على دعوتكم للإيمان. مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ـ من الفقراء والبسطاء لإرضائكم. إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ـ ليس عندى ما أكافئكم به. وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ ـ من الفقراء والبسطاء الذين آمنوا. لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا ـ لو ادعيت الكذب. لَّمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ـ من العذاب. إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.

---

(٩٣) قضية: قياس الآخرة بمعايير الدنيا يعرض الإنسان للضلال ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [الآية: ٢٧].

من لم تتأثر نفسه بترهات الحياة الدنيا وترفها، غالبًا ما يسهل عليه اتباع طريق الحق. لذلك عادة ما نجد الإيمان فى بداية الدعوة، ينتشر سريعًا فى محيط البسطاء والفقراء، وقلة من الأغنياء. ليس لأن الفقراء ينتظرون شيئًا من وراء الرسل، ولكن لأن نفوسهم لم يتراكم عليها ما تراكم فى نفوس الأغنياء من شعور باستقرار الأوضاع وأنهم قادة المجتمع...، فيصعب عليهم التحول الفورى إلى الإيمان واتباع الرسل، فذلك يقتضى التضحيات.

ولكن بعد انتشار الإيمان بالحق وبلوغ الرسالة مداها، يكثر الإيمان فى الأغنياء ويكون لهم فضل فى دفع حياة مجتمع المؤمنين.

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

* قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم به اللَّهُ إن شَاءَ وَمَا أَنتُم بمُعْجزينَ * ولا ينفعُكُمْ نُصْحي إنْ أَردتُ أَنْ أَنصحَ لَكُمْ إن كَانَ اللَّهُ يُريدُ أن يُغْويَكُمْ - يضلكم لعلمه بعنت نفوسكم وخساسة أخلاقكم. هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْه تُرْجَعُونَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ - ابتدع الدين. قُلْ إن افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إجْرَامي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ.

وَأُوحيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمنَ من قَوْمكَ إلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئسْ بمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * واصْنَع الْفُلْكَ بأَعْيُننا وَوَحْينا ولا تُخَاطبْني في الَّذينَ ظَلَمُوا إنَّهُم مُّغْرَقُونَ - جزاء على كفرهم. ويَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْه مَلأٌ مِّن قَوْمه سَخرُوا منْهُ - استهزأوا به لأنه يبني سفينة كبيرة، فكيف سيدخلها البحر؟ قَالَ إن تَسْخَرُوا منَّا - الآن. فَإِنَّا نَسْخَرُ منكُمْ - فيما بعد. كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتيه عَذَابٌ يُخْزيه - في الدنيا. وَيَحلُّ عَلَيْه عَذَابٌ مُّقيمٌ - في الآخرة. حَتَّىٰ إذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ - وإشارته أن يفور الماء من فرن بمنزل رسول الله نوح، عليه الصلاة والسلام. قُلْنَا احْملْ فيهَا - في السفينة. من كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْه الْقَوْلُ - وكان من الكافرين. وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَليلٌ - حمل المؤمنين معه وهم قليل. وَقَالَ ارْكَبُوا فيهَا - في السفينة. بسْم اللَّه مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحيمٌ * وَهيَ تَجْري بهمْ في مَوْجٍ كَالْجبَال وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ في مَعْزلٍ - في منعة من الماء الذي لم يغزر بعد. يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافرينَ * قَالَ سَآوي إلَىٰ جَبَلٍ يَعْصمُني منَ الْمَاء قَالَ لا عَاصمَ الْيَوْمَ منْ أَمْر اللَّه إلاَّ مَن رَّحمَ - اللَّهُ. وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ - بعد هذا الحوار. فَكَانَ منَ الْمُغْرَقينَ * وَقيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعي مَاءَك وَيَا سَمَاءُ أَقْلعي - توقفي عن الإمطار. وَغيضَ الْمَاءُ وَقُضيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُوديّ - اسم جبل - وَقيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْم الظَّالمينَ * وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إنَّ ابْني منْ أَهْلي وَإنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ - وعدك بنجاتي وأهلي. وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكمينَ.

﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ ﴾

قالَ يا نُوحُ إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ـ ليس من أهل دينك. إنَّهُ ـ إن دعاءك له مع علمك بكفره. عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ ـ تصبح بسبب ذلك. مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ ـ وإن لم. تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ * قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ ـ من بعدهم. سَنُمَتِّعُهُمْ ـ فلا يشكرون بل يكفرون. ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِلَىٰ عَادٍ ـ أرسلنا. أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ـ كاذبون بدعائكم مع الله شركاء. يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ـ على إيمانكم ـ أَجْرًا، إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ * وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ـ يرسل المطر عليكم بكثرة فتكون حياتكم رخاءً. وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ * قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ـ لم تأتنا بحجة شافية. وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ـ بمرض أو جنون. قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنظِرُونِ ـ فتحدوني جميعًا ولا ترفقوا بى، بل اعملوا ضدى بكل ما لديكم من وسائل.. إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * فَإِن تَوَلَّوْا ـ فإن أعرضتم عن دين الله. فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ـ والله قادر على إهلاككم. وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ * وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ـ بنزول العقاب عليهم. نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ـ فى الدنيا. وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ـ فى الآخرة. وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ـ كل كافر عدو للحق. وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ـ نعم. إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ـ انكروا الله ووحدانيته. أَلا بُعْدًا لِّعَادٍ ـ هلاكًا لهم فهم فى الكفر سواء مع. قَوْمِ هُودٍ.

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

* وَإِلَىٰ ثَمُودَ ـ أرسلنا. أَخَاهُمْ ـ أي من قومهم. صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ـ خلقكم من تراب. وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ـ على عبادتكم شركاء من دونه. ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ـ يستجيب للتوبة. قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ـ كنت فى أعيننا من كبراء القوم، ثم تأتى لتنهانا عن. أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي ـ بآرائكم الفاسدة. غَيْرَ تَخْسِيرٍ ـ لو وافقتكم عليها. وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ـ (قالوا له: إن كنت نبيًا بحق أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة. فدعا اللّه أن يخرج ناقة من الصخرة فخرجت، فجعلها الله تمنح القرية من لبنها يومًا ثم تأكل وتشرب يومًا، وهكذا دواليك). فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ * فَعَقَرُوهَا ـ عصيانا وتحديا لنبيهم صالح. فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ.

وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ـ فماتوا من رجفتهم. فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ـ جحدوا وجوده أو أنكروا قدرته. أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ * وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا ـ ملائكتنا. إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ـ جاءوا فى صورة رجال فسلموا عليه، قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ـ مشوى، ليطعمهم تكريما لهم. فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ـ لا يأكلون منه. نَكِرَهُمْ ـ ضاق صدره من حالهم هذا. وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا ـ ملائكة لا نأكل طعامكم، وقد أرسلنا اللّه. إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ، وَامْرَأَتُهُ ـ امرأة إبراهيم ـ قَائِمَةٌ ـ تستمع إليهم. فَضَحِكَتْ ـ سرى عنها. فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ـ بأن ينجب إبراهيم منها إسحاق، ثم تعيش إلى أن ترى. مِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ ـ حفيدها. يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ ـ أخذ. يُجَادِلُنَا ـ يجادل الملائكة. فِي قَوْمِ لُوطٍ ـ يطلب تخفيف العذاب عنهم أو إمهالهم.

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾

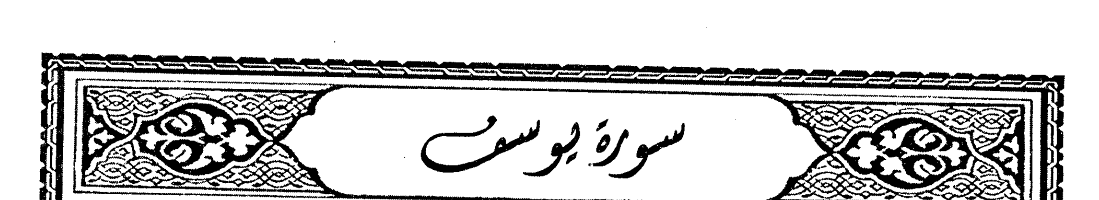
إنَّ إبْرَاهيمَ لَحَليمٌ أَوَّاهٌ مُّنيبٌ ـ قالت الملائكة. يَا إبْرَاهيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإنَّهُمْ آتيهمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُود * وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سيءَ بهمْ وَضَاقَ بهمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصيبٌ ـ جاءته الملائكة فى صورة رجال على قدر من الجمال فخاف عليهم من القوم، إذ أنهم يأتون الرجال شذوذًا. وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إلَيْه ـ يطلبون ضيوفه ليفعلوا بهم الفحشاء. وَمن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَات ـ إتيان الرجال. قَالَ يَا قَوْم هَؤُلاء بَنَاتي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ـ تزوجوهن. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُون في ضَيْفي أَلَيْسَ منكُمْ رَجُلٌ رَّشيدٌ ـ ذو عقل ومروءة. قَالُوا لَقَدْ عَلمْتَ مَا لَنَا في بَنَاتكَ منْ حَقّ وَإنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُريدُ * قَالَ لَوْ أَنَّ لي بكُمْ قُوَّةً ـ لأدافع عن ضيفى. أَوْ آوي ـ معهم. إلَىٰ رُكْنٍ شَديد ـ يمنعنا. قَالُوا ـ قالت الملائكة. يَا لُوطُ إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ـ ملائكته. لَن يَصلُوا إلَيْكَ ـ لن يستطيعوا الإضرار بك ولا بنا. فَأَسْر بأَهْلكَ بقطْعٍ ـ فى وقت معلوم. مّنَ اللَّيْل ـ وامضوا قدمًا. وَلا يَلْتَفتْ منكُمْ أَحَدٌ إلاَّ امْرَأَتَكَ ـ ستتخلف عنكم. إنَّهُ مُصيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إنَّ مَوْعدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بقَريب * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَاليَهَا سَافلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حجَارَةً مّن سجّيلٍ مَّنضُود * مُّسَوَّمَةً عندَ رَبِّكَ وَمَا هيَ منَ الظَّالمينَ ببَعيد ـ أى كل حجر مخصص لكافر منهم يسقط عليه فيهلكه ولا يخطئه. وَإلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مّنْ إلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنقُصُوا الْمكْيَالَ وَالْميزَانَ إنّي أَرَاكُم بخَيْرٍ وَإنّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحيط * وَيَا قَوْم أَوْفُوا الْمكْيَالَ وَالْميزَانَ بالْقسْط ـ كانت لهم مقاييس للكيل والميزان وفيرة يستعملونها إذا كانوا هم المشترين، وأخرى شحيحة يستعملونها إذا كانوا هم البائعين. وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا في الأَرْض مُفْسدينَ * بَقيَّتُ اللَّه ـ ما يبقى لكم من مكاسب بعد أن تعدلوا فى المكيال والميزان. خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُم مُّؤْمنينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بحَفيظ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ في أَمْوَالنَا مَا نَشَاءُ إنَّكَ لأَنتَ الْحَليمُ الرَّشيدُ * قَالَ يَا قَوْم أَرَأَيْتُمْ إن كُنتُ عَلَىٰ بَيّنَةٍ مّن رَّبّي وَرَزَقَني منْهُ رزْقًا حَسَنًا ـ بالعدل فى المعاملات. وَمَا أُريدُ أَنْ أُخَالفَكُمْ إلَىٰ ـ ويصعب عَلَيَّ أن أتركم تخوضون فى. مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إنْ أُريدُ إلاَّ الإصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفيقي إلاَّ باللَّه عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَإلَيْه أُنيبُ.

﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾

وَيا قَوْمِ - أخاف أن يؤدى تخلفكم عنى إلى. مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيد * وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا - فلا تتحدانا. وَلَوْلا رَهْطُكَ - عشيرتك. لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ - وحدك بغير رهطك. عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ - بقوى. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم - أقوى فى نظركم. مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا - كأنه ليس على علم بما نجادل فيه. إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ - على حالكم هذا من الغرور والعناد. إِنِّي عَامِلٌ - بمقتضى رسالة ربى. سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ * وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ - فرجفتهم رجفة شديدة. فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ - على ركبهم موتى من هول الصيحة. كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا - من قبل ذلك بحياة ورخاء. أَلا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ - برهان ومعجزات جلية. إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا - فاتبع الكافرون. أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيد * يَقْدُمُ قَوْمَهُ - من تبعه منهم. يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ * وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ - لعنة أكبر. بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ * ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ - بآثاره. و منها حَصِيدٌ - ما ذهب وليس له أثر. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ - فى الدنيا والآخرة. غَيْرَ تَتْبِيبٍ - تخسير. وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ - عقابه. إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ - للحساب. فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ - ومنهم. سَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَٰوَاتُ وَالأَرْضُ - أى ما دام الكون قائمًا. إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ - يستثنى من الخلود فى النار المسلمون الذين دخلوها لذنوبهم. إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ .

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ـ جميعًا. مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ ـ فيميز بينهم درجات فى مراتب النعيم. عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ـ غير منقطع. فلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ ـ فابعد الشك وكن على يقين من أن الباطل لصيق بما. يَعْبُدُ هَؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ ـ من العذاب. غَيْرَ مَنقُوصٍ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ـ التوراة. فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ـ بعدم إنزال العذاب على قوم فى الدنيا ما دام فيهم الصالحون. لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ـ لأهلكهم الله. وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ * وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا ـ ولا تتعدوا حدود الله وتغتروا بأنفسكم. إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ـ فتوكلوا إليهم أمركم أو تتصالحوا معهم على مخالفة شرع الله. فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ. وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ ـ خلال طرفى النهار أى ما بين الفجر والعصر، وقيل: ما بين الصبح والمغرب. وَزُلَفًا ـ وأوقاتًا. مِّنَ اللَّيْلِ ـ المغرب والعشاء، ونافلة قيام الليل. إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ ـ من بعض الأمم الذين ترون ذريتهم فى رخاء، كان منهم. أُولُوا بَقِيَّةٍ ـ جماعة من الصالحين. يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ ـ وهم دعاة الحق من أصحاب الرسل ومن المؤمنين من بعدهم الذين يدعون الناس إلى طريق الله، ورغم ذلك يصر كثير من الناس على اتباع طرق الفساد. إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ـ اتبعوا ملذات الحياة الدنيا. وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا ـ كلهم أو بعضهم. مُصْلِحُونَ * وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ـ بين مؤمن وكافر. إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ـ من أمم تنسجم أحوالها على نهج الإيمان بغير صراع. وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ـ خلق الناس ليضعهم فى امتحان يختارون فيه، إما الإيمان أو الكفر. وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ـ لا هوادة فى أمر الإيمان، ولو كفر أهل الأرض كلهم. لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ـ على الصبر والجهاد. وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ ـ فى تلك الرسالة. الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُل لِّلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ * وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ۝ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝ ﴾

الٓر تلْكَ آيَاتُ الْكتَاب الْمُبين * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقلُونَ ـ تفهمون ما فيه من هدىً ونور. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَص بمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ من قَبْله لَمنَ الْغَافلينَ * إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبيه يَا أَبت إِنِّي رَأَيْتُ ـ فى منامى. أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لي سَاجدينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتكَ فَيَكيدُوا لَكَ كَيْدًا ـ فيوسوس الشيطان فى أنفسهم ليكيدوا لك. إِنَّ الشَّيْطَانَ للإِنسَان عَدُوٌّ مُّبين * وَكَذَلكَ ـ تلك الرؤيا تعنى أن. يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ من تَأْويل الأَحَاديث وَيُتمُّ نعْمَتَهُ عَلَيْكَ ـ بالنبوة. وَعَلَىٰ آل يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ من قَبْلُ إِبْرَاهيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَليمٌ حَكيمٌ.

(٩٤) قضية: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقلُونَ﴾ [الآية:٢].

لا يتنافى كون القرآن نـزل بالعربية، مع مفهوم عالمية الإسلام، فهو كتاب الله الموجه إلى الناس كافة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

إن الله يختار رسله من الناس، وكل رسول يبلغ رسالة ربه بلغته ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]. فكل رسالة سماوية تنزل على الأرض بلغة من لغات الناس يفهمها قوم الرسول الذى اختاره الله للرسالة.

ثم إذا أريد للرسالة أن تنتشر فيكون عن طريق ترجمة نصوصها وتفسيراتها. وكذلك بلَّغَ رسول الله ﷺ الرسالة إلى الأمم من حوله مثل الروم والفرس والأحباش...

وعلى المسلمين فى كل عصر القيام بالدعوة وإعداد الترجمات ليتم تبليغ معانى القرآن والسنة وشروحهما بلغات مختلف الشعوب، إلى جانب نشر اللغة العربية فى المجتمعات الراغبة فى ذلك.

إن طبيعة الاتصال بين الأمم والشعوب تقتضى أن تبدأ صياغة الخطاب العالمى بلغة محددة، ثم بعد ذلك يترجم ذلك الخطاب إلى اللغات الأخرى. ومثال ذلك الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، والإصدارات التى تصدرها هيئة الأمم المتحدة... الخ.

إذًا فلا يتنافى نزول "القرآن" بالعربية مع كونه موجهًا إلى الناس كافة، إنما المهم أن تكون أحكامه وإرشاداته صالحة لكل زمان ومكان.

﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

* لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِه آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ ـ بنيامين. أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ـ جمع كبير. إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ ـ أى على خطأ. مُّبِينٍ ـ لتفضيلهما علينا. اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ـ انفوه. يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِه ـ من بعد الاستغفار عن هذا الذنب. قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ـ فى أعماق البئر عسى أن. يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ـ المسافرين. إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ـ لراعون. أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِه وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ـ ثلة أى كثرة. إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ.

فَلَمَّا ـ وافقهم على ذلك. ذَهَبُوا بِه وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ـ ظلمة جوف البئر: قهروه ونزعوا قميصه، ثم رموه فى البئر. وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ـ أوحى الله إليه أنه سينجو من هذا المأزق و. لَتُنَبِّئَنَّهُم ـ فيما بعد. بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِه بِدَمٍ كَذِبٍ ـ لطخوا قميصه بدم زائف. قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ـ مكيدة. فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ـ لا جزع فيه. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ * وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ ـ استبشر خيرًا بجمال وجه يوسف. هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ ـ أخفوا أمر عثورهم عليه، ليظهروا بأنهم يملكونه، فجعلوه عبدًا يباع. بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرَوْهُ ـ عرضوه للبيع. بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ـ ولم يرغبوا فى استبقائه وتربيته. وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِه أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ـ أحسنى تربيته ورعايته. عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ـ تفسير الرؤى والتفقه فى باطن الأمور. وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِه وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

* وَرَاوَدَتْهُ ـ صاحبة الدار زوجة العزيز. **الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ** ـ تهيأت لأجلك. قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي ـ إن زوجك الذى تريدين خيانته هو الذى ربانى و. أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ.

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ـ هرب يوسف نحو الباب، وهى تجرى خلفه لتمسك به. **وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ** ـ من شدة جذبتها له مع شدّة هرعه إلى الفرار منها. وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا ـ وجدا زوجها. **لَدَا الْبَابِ قَالَتْ** ـ متهمة يوسف. مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ـ وكأن يوسف هو الذى راودها عن نفسها. **إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** * قَالَ ـ الصديق يوسف، عليه الصلاة والسلام. **هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي** ـ فهممت بالفرار. وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ـ من أقاربها، كان مع زوجها (وقيل كان طفلا فى المهد) فقال. **إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ** ـ أى من الصدر فيكون هو الذى أقبل عليها فدفعته فقطعت صدر القميص. **فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**.

---

(٩٥) قضية: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ **[الآية: ٢٤].**

المؤمن يصدق فى نزاهة أنبياء الله ورسله أجمعين، لذلك تجد أغلب المفسرين يؤولون عبارة ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ إلى معان تتفق مع نزاهة نبى الله يوسف، فقد قيل إنه هم بنصحها عن التراجع، وهذا النظر يفيد تكراراً فى معانى الآيات، لأن الآية السابقة تذكر على لسان يوسف أنه نصحها بالتراجع: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾.

ولكننا نرى موقفا وسطا فى فهم هذه القضية الحساسة، ذلك أن إبعاد أية رائحة لنزوة الميل إلى امرأة العزيز عن موقف يوسف، عليه الصلاة والسلام، فيه تقليل من قدر ما عاناه من جلد وصبر، إذ أنه بشر تتحرك فيه الغرائز والميول النفسية، وهو قادر على ضبط نفسه بغية إرضاء الله سبحانه وتعالى. فإذا كانت غرائزه لا تتحرك أمام إلحاح امرأة جميلة تراوده، فإن هذا يعنى أنه خارج دائرة الامتحان الذى يتعرض له البشر، أى لا يتكلف أى عناء فى سيره على الصراط المستقيم، وفى ذلك تقليل من قدراته وصبره عند المحن.

لذلك نرى أن الآية ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ تشير إلى أن نفسه قد حدثته ، لأن العبارة مضافة إلى ما قبلها ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ فتكون همته شبيهة بهمتها، وإن اختلفت الهمتان فى القدر، إذ هى قد همت به نية وعملاً، أما هو فلم تتجاوز همته طويته، أى تحركت داخل نفسه آثار مراودتها، حتى ذَكَّره الله بأنه من المصطفين الأخيار: ﴿ لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ فأفاق عندئذ مما كان يمكن أن يدفعه إلى الإثم لو طال الإغراء وزاد ضغط امرأة العزيز عليه، ففر هاربًا نحو الباب. ولا يعيب ذلك يوسف لأن ما يضطرب فى خلجات المعتدى عليه من وساوس فى مثل ذلك الموقف لا يعد فى ذاته ذنبا ما بقى فى النفس ولم يجاوزها إلى الأفعال المادية، وحاشى لله أن يصل أمر يوسف الصديق، عليه الصلاة والسلام، إلى ذلك.

﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

* وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ ـ أى من الظهر فيكون هو الذى هَمَّ بالفرار منها فـجذبته من الخلف فَقُطعت ظهر قميصه. فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ـ انْسَ هذا الأمر ولا تتكلم فيه بعد ذلك. وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ ـ انحراف. مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ـ مجلس ضيافة. وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ـ لتقطيع الطعام وتقشير الفاكهـة، ثم تركتهن. وَقَالَتِ ـ ليوسف. اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ـ ذهبت عقولهن عند رؤية جمال يوسف فلم يشعرن إذ كنَّ يجرحن أيديهن بدلاً من الطعام. وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ ـ أميل. إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

ثُمَّ بَدَا لَهُم ـ لولاة الأمر. مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ ـ لما تثبتوا من إصرار امرأة العـزيز على استمالة يوسـف إليها. لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ـ حتى ينسى الناس تلك الفتنة. وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي ـ أرى نفسى فى المنام. أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ـ فى الرؤيا. إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ـ أى قبل أن يتحقق ذلك التأويل فـى الواقـع. ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ـ جـزاءً خـيرًا فـ. إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ ـ القـوم الذيـن تربى فيهم بمصر. لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ـ فـضـل الهـدايـة إلـى الإيمـان الـحـق. وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ـ يهملون عبادة الله وينسـون شكره على نعمه، فيضلون عن طريقه (بادرهما بالنصح والتـذكير بالإيمان بالله وبوحدانيته لمَّا علم بقرب أجل أحدهما).

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ (٤٤) وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩) وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٥١) ﴾

* يا صَاحبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * ما تَعْبُدُونَ من دُونه إلاَّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوهَا - سميتم بها الأصنام. أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا - بعبادتها. من سُلْطَانٍ - من أمر. إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للَّه أَمرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذلك الدينُ الْقَيِّمُ - القويم. ولَكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يعْلَمُونَ - لا يفكرون فى أمر الدين لانشغالهم بالدنيا. يا صَاحبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقي رَبَّهُ - سيده. خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ من رَّأْسه قُضِيَ الأَمْرُ الَّذي فيه تَسْتَفْتِيَانِ * وَقَالَ لِلَّذي ظَنَّ - علم. أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عند رَبِّكَ - سيدك وهو الملك. فَأَنساهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ - يوسف عند. ربِّه فَلَبِثَ - يوسف. فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين.

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ - فى المنام. سَبْعَ بقَرَاتٍ سِمَانٍ يأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عجَافٌ وَسَبْعَ سُنبلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يَابِسَاتٍ يا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنتُمْ للرُّءْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بعَالمِينَ * وَقَالَ الَّذي نَجَا منْهُمَا وادَّكَرَ - تذكر. بَعْدَ أُمَّةٍ - بعد فترة من الزمان. أَنَا أُنَبِّئُكُم بتَأْويله فَأَرْسِلُونِ - إلى السجن لأستفتى يوسف. يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بقَرَاتٍ سمَانٍ يأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وسَبْعِ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا - متواليات. فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِه - مدخرًا. إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي من بعْد ذَلك سَبْعٌ شِدَادٌ - سبع سنوات قحط. يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ - مما تدخرون. ثُمَّ يَأْتِي من بعْد ذَلك عامٌ فيه يُغَاثُ النَّاسُ - ينزل الغيث من السماء. وفيه يَعْصِرُونَ - يصنعون الخمر من فيض الرزق والرخاء. وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي به - بيوسف. فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ - سيدك الملك. فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ - ذلك عتاب على التقصير فى تحقيق العدل. قَالَ - الملك مخاطبًا النسوة اللاتى شهدن يوسف فى الحفل الذى أقامته من قبل زوجة العزيز: مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسه قُلْنَ حَاشَ للَّه مَا عَلِمْنَا عَلَيْه من سُوءٍ - أى لم يصدر منه السوء من قول أو فعل. قَالَت امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ - ظهر. الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمنَ الصَّادقِين.

﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

* ذَلكَ ليَعْلَمَ أَنِي لَمْ أَخُنْهُ بالْغَيْب ـ لم أشهد عليه شهادة زور فى غيابه. وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدي كَيْدَ الْخَائنينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسي ـ وما أبرى نفسى من ذنب يوسف. إنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بالسُّوء ـ تضعف أمام المغريات وتدفع إلى الذنوب. إلاَّ مَا رَحمَ رَبِّي ـ إلا أن يرحم ربى ويغفر. إنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحيمٌ.

* وَقَالَ الْمَلكُ ائْتُوني به أَسْتَخْلصْهُ لنَفْسي ـ لأمانته وحسن بصيرته. فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكينٌ أَمينٌ ـ ذو مكانة وأمانة أنت أهل لهما، فدبر لاجتياز محنة مصر وما جاورها من بلدان. قَالَ اجْعَلْني عَلَىٰ خَزَائن الأَرْض إنِّي حَفيظٌ عَليمٌ (*) ـ وكلنى على محاصيل أرض مصر والصوامع التى تختزن فيها الغلال فأنا بفضل من الله أمين وبصير. وَكَذَلكَ مَكَّنَّا ليُوسُفَ في الأَرْض يَتَبَوَّأُ منْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ـ يتنقل فيها كما يريد حاكمًا سيدًا وعزيزًا. نُصيبُ برَحْمَتنَا مَن نَّشَاءُ وَلا نُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسنينَ * وَلأَجْرُ الآخرَة خَيْرٌ لِّلَّذينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَجَاءَ إخْوَةُ يُوسُفَ ـ من الشام إلى مصر للميرة (المؤونة) وكان القحط عندهم أيضًا. فَدَخَلُوا عَلَيْه فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكرُونَ ـ وهم لم يعرفوا أنه أخوهم.

وَلَمَّا جَهَّزَهُم بجَهَازهمْ ـ بعد أن عرَّفوه بأنهم أبناء يعقوب، عليه الصلاة والسلام، وأنه يحتجز أخوهم خوفا عليه، ثم قال لهم ارجعوا المرة القادمة بأخيكم فأعطيكم مؤنته وأزيدكم إكرامًا لشرف عائلتكم. فَإن لَّمْ تَأْتُوني به فَلا كَيْلَ لَكُمْ عندي وَلا تَقْرَبُون * قَالُوا سَنُرَاودُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإنَّا لَفَاعلُونَ * وَقَالَ لفتْيَانه اجْعَلُوا بضَاعَتَهُمْ ـ التى جاؤوا بها عوضًا عما أخذوا من غلال. في رحَالهمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرفُونَهَا إذَا انقَلَبُوا إلَىٰ أَهْلهمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجعُونَ ـ بعد أن يعلموا بأن يوسف أعطاهم دون مقابل. فَلَمَّا رَجَعُوا إلَىٰ أَبيهمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنعَ منَّا الْكَيْلُ ـ لن نأخذ الميرة إلا إذا حضر معنا أخونا. فَأَرْسلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإنَّا لَهُ لَحَافظُونَ * قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْه إلاَّ كَمَا أَمنتُكُمْ عَلَىٰ أَخيه من قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحمينَ.

(*) مسألة طلب الإمارة والمسؤولية: تفيد الآية أن المسلم ما دام على ثقة من قدراته وكفاءته فى مجال معين، فله أن يطلب العمل فى هذا المجال. وليس فى ذلك غرور، ولا هو من الضروب المكروهة لتزكية النفس.

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

وَلَمَّا فتحُوا متاعهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ ـ ما أعطوه ليوسف مقابل ما أخذوه من الميرة. رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يا أَبَانَا ـ هذا مَا نَبْغِي ـ من طلبنا مرافقة أخينا، فالذى أعطانا الميرة كريم ودلالة ذلك أن. بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ـ وسوف. نَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ـ نصيب أخينا. قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ـ إلا إذا أحاطت بكم جميعًا مصيبة. فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ـ خشية الحسد أو أن يتربص بهم عدو أو لصوص. وَمَا أُغْنِي عَنكُم ـ بنصيحتى هذه. مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ـ ألقى الله فى نفس يعقوب أن يقول ذلك، ليتمكن يوسف من الانفراد بأخيه عند دخولهم مصر. وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ ـ لما نوحى إليه به. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ـ أكثرهم يجهلون أن حضور الله ملازم للإنسان فى كل لحظة، فهو قريب مجيب الدعاء. وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ ـ الإناء الذى يشرب فيه الملك، وكان ثمينًا. فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ ـ يا أصحاب العير. إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ * قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ ـ فى شرعكم. إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ.

---

(٩٦) **قضية:** ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ **[الآية: ٧٤].**

فما جزاء السارق فى بلادكم، حتى نطبقه على من تثبت السرقة فى حقه ؟

قالوا: جزاؤه أن يؤسر هو جزاء ما سرق.

هذه الآية تفيدنا فى بيان شرعية سلوك الدول المعاصرة فى العلاقات الدولية، عندما تسمح بتطبيق القانون الأجنبى على القضايا ذات الطابع الدولى، بمعرفة القضاء الوطنى حيث إن القضايا فى العلاقات الدولية الخاصة تشتمل على بعض عناصر أجنبية، ومن ثم يكون على القاضى أن ينظر إلى ما تمليه قواعد الإسناد فى قانون دولته. وهذه القواعد تشير بصفة مجردة إلى القانون الواجب التطبيق على النزاع. فتقول مثلاً:

←

﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٥ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ۝٧٦ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۝٧٧ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ۝٧٩ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨٠ ﴾

قَالُوا جَزَاؤُهُ ـ فى شرعنا. مَن وُجِدَ فِي رَحْلِه ـ من ثبتت فى حقه السرقة. فَهُوَ ـ نفسه. جَزَاؤُهُ ـ يعتقل فى مقابل جريمته. كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ـ السارقين فى بلادنا. فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ـ كى لا يشكوا فى علمه بمكان الشىء المسروق. ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا من وِعَاءِ أخيه كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ـ أوحينا إليه حيلة تحكيم قانون بلدة إخوته. مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ـ قانون. الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ـ فوفقًا لقانون مصر لا يؤخذ السارق فى مقابل جريمته، ولكن اللَّه قد دبر الأمر من عنده. نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ ـ من الناس. عَلِيمٌ ـ هو اللَّه الذى يعلم كل شىء، وهو الذى يُعَلِّمُ الناس. قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ـ قول شماتة فى بنيامين ويوسف (قيل إن يوسف سرق وهو صبى صنمًا، لما شاهد جده لأمه يسجد له). فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِه وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ـ بجريمتكم فى حق أخيكم يوسف وهو صغير. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ـ من أباطيل. قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ مَعَاذَ اللَّه أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ * فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ ـ لتعيدوا إليه أخاكم. وَمِن قَبْلُ ـ ذلك تذكروا. مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ـ فتسببتم فى حزن أبيكم حتى عمى من البكاء. فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ ـ لن أعود. حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي ـ عندما يعلم ببراءتى. أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ـ بالإفراج عن أخى. وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

➡ إذا كان النزاع متعلقًا بعقد بيع منقول، وكان أحد طرفى العقد أو كلاهما أجنبيًا، فالقانون الواجب التطبيق هو قانون الدولة التى ينتمى إليها البائع. وفى بيع العقارات يكون القانون الواجب التطبيق هو قانون الدولة التى يقع فيها العقار، وفى الشركات يكون هو قانون الدولة التى بها مركز الإدارة الرئيسى...إلخ.

ومما يزيد فى تأكيد شرعية هذا المسلك أن الدول المعاصرة تعارفت على استبعاد القانون الأجنبى الواجب التطبيق فى حالة ما إذا كان مخالفًا للنظام العام لدولة القاضى الذى ينظر النزاع. وبناء على ذلك لن تكون هناك مخاوف حيث يكون من واجب القاضى فى الدولة المسلمة أن يستبعد القانون الأجنبى إذا ما كان مخالفًا للشريعة الإسلامية.

قد يقال إن الآية تتعلق بمجال الجنايات بينما ما سقناه هو فى مجال العلاقات الدولية الخاصة، فنرد بأن المجال الجنائى أشد تعلقًا بالسيادة من مجال العلاقات الدولية الخاصة، فإذا كان الشرع يسمح بتطبيق جزاء جنائى مستعار من قانون أجنبى مراعاة لأوضاع الأجانب، فمن باب أولى يجوز تطبيق القوانين المدنية والتجارية الأجنبية ما لم تكن مخالفة للنظام العام للشريعة الإسلامية السمحة.

وكذلك أيضًا القانون الدولى العام، فهو لا تختص به دولة بعينها وإنما هو قانون مشترك بين الدول، يعود تطبيقه بالعدالة ويحقق المصلحة المشتركة لجميع تلك الدول.

﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾

* ارجعُوا إلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا ـ وقت أن عاهدناك. لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ـ بالمستقبل عالمين. وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ ـ الثلاثة. جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ ـ يا حسرتى. عَلَىٰ يُوسُفَ ـ تلك أكبر من حسرتى على بنيامين (يوسف مفقود ولا أعلم بحاله، أحى هو أم فارق الحياة؟ أما بنيامين فهو حى يرزق إلى حين الإفراج عنه). وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ـ يكتم الحزن فى أعماقه. قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ ـ ما زلت. تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ـ حتى يفسد عقلك. أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي ـ أشد آلامى. وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ـ من تأويل الرؤيا التى أراها اللَّه ليوسف وهو صغير بأن أباه وأمه وإخوته سوف يسجدون له تحية وسلامًا، فذلك دليل على أن يوسف مازال على قيد الحياة. يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا ـ ابحثوا عن يوسف واطلبوا أخاه بنيامين. وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ * فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ ـ على يوسف. قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ ـ زهيدة فى مقابل ما نحتاج إليه من الميرة. فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ـ بكرمك. وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ـ زدنا. إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ـ فلما رأى عدم اهتمامهم بأمر بنيامين وانشغالهم فقط بتحصيل الميرة، قال لهم معاتبًا. هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ ـ تحقق ما أوحى اللَّه إليه عندما ألقوه فى البئر وهو صغير: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾. وَأَخِيهِ ـ ذلك الذى تتخلون عنه الآن فى محنته. إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ـ باللقاء بعد فراق. إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ ـ فضلك. اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ـ وإنا لنادمون على خطئنا فى حقك. قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ـ لن ألومكم ولن أذكركم بذلك منذ اليوم، فقد صفحت عنكم جميعًا وأدعو، أن. يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

* اذْهَبُوا بقَميصي هَذَا فَأَلْقُوهُ علَىٰ وَجْه أَبي يَأْت بَصيراً وَأْتُوني بأَهْلكُمْ أَجْمَعين * ولَمَّا فَصلَت الْعيرُ ـ خرجت القافلة من مصر إلى الشام. قَالَ أَبُوهُمْ إنِّي لأَجدُ ريحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُون * قَالُوا تَاللَّه إنَّكَ لَفي ضَلالكَ الْقَديم.

فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشيرُ ـ حامل القميص. أَلْقَاهُ علَىٰ وَجْهه فَارْتَدَّ بَصيراً ـ بفضل اللَّه، وما القميص إلا بشارة. قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إنِّي أَعْلَمُ منَ اللَّه ما لا تَعْلَمُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إنَّا كُنَّا خَاطئين * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفرُ لَكُمْ رَبِّي إنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحيمُ * فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إلَيْه أَبَوَيْه وَقَالَ ادْخُلُوا مصْرَ إن شَاءَ اللَّهُ آمنين * وَرَفَعَ أَبَوَيْه علَى الْعَرْش ـ وهما اللذان رآهما فى الرؤيا شمسا وقمرا. وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً ـ إخوته وأبواه، سجدوا له سجود تحية، وقد رأى تلك الرؤيا حين كان صغيرًا : ﴿إنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لي ساجدين﴾ [الآية: ٤]. وقد كان سجود التحية فى عرف أمم كثيرة قبل الإسلام. وقَالَ ـ يوسف. يَا أَبت هَذَا تَأْويلُ رُءْيَايَ من قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بي إذْ أَخْرَجَني منَ السِّجْن وَجَاءَ بكُم مِّنَ الْبَدْو من بَعْد أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْني وَبَيْنَ إخْوَتي إنَّ رَبِّي لَطيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إنَّهُ هُوَ الْعَليمُ الْحَكيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَني منَ الْمُلْك وَعَلَّمْتَني من تَأْويل الأَحَاديث فَاطرَ السَّمَوَات وَالأَرْض أَنتَ وَليِّي في الدُّنْيَا وَالآخرَة تَوَفَّني مُسْلمًا وَأَلْحقْني بالصَّالحين * ذَلكَ منْ أَنبَاء الْغَيْب ـ الذى تجهله من ماضى الأمم. نُوحيه إلَيْكَ ـ يا محمد. وَمَا كُنتَ لَدَيْهمْ إذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ـ ولم تكن يا محمد حيًا وقت أحداث قصة يوسف وما دبروه له من مكر، سواء من جانب إخوته أم من امرأة العزيز، حتى تستطيع أن تقص ذلك للناس، وإنما هو وحى فيه دلالة على صدق نبوتك. وَمَا أَكْثَرُ النَّاس وَلَوْ حَرَصْتَ بمُؤْمنينَ ـ بالوحى. وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْه ـ على اتباع الهدى ـ منْ أَجْر إنْ هُوَ ـ القرآن. إلاَّ ذكْرٌ لِّلْعَالَمينَ ـ هداية لكل الناس. وَكَأَيِّن مِّنْ آيَة في السَّمَوَات وَالأَرْض يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرضُونَ * وَمَا يُؤْمنُ أَكْثَرُهُم باللَّه إلاَّ وَهُم مُّشْركُونَ ـ يضلل الشيطان كثيرًا من الناس، حتى بعد إيمانهم بوجود الله وقدرته، يدفعهم إلى الإشراك به ليستووا مع غيرهم من الكافرين.

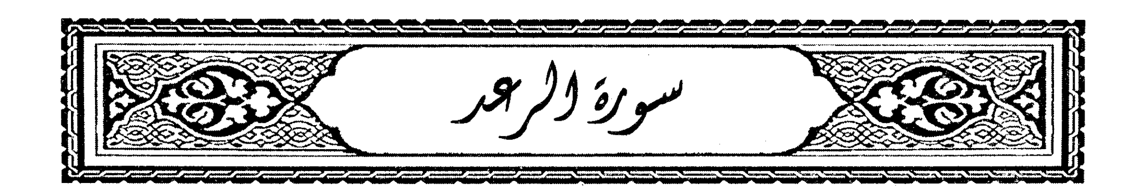
﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ ـ مصيبة عامة تغشاهم جميعًا. مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ـ أم أمنوا أن. تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ـ هل علموا لها موعدًا ؟! قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً ـ ليسوا بملائكة. نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ـ نختارهم من القوم المخاطبين بالرسالة ابتداءً. أَفَلَمْ يَسِيرُوا ـ الناس. فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ـ وفى كل عصر نجد مؤرخين يقصون الماضى السياسى والثقافى والدينى ...، فليتأمل الناس من خلال اطلاعهم على التاريخ والآثار، حتى يتعظوا ويفيقوا من غفلتهم. وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ * حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ(*) الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ـ اللَّه يمتحن رسله امتحانًا شديدًا لتدريبهم على الصبر وتحمل المشاق فى سبيل تبليغ رسالته، حتى إذا أوشك الرسول أن يتيقن من أن الناس سينفضون من حوله، فعندئذ ينصر الله الحق. جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا ـ عذابنا. عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ * لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ ـ قصص الأنبياء والرسل وتاريخ الأمم. عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ـ ما كان حديث القرآن ليكذب. وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

(*) معنى آخر يتبادر إلى الذهن :

إن كلمة يأس لا تتناسب مع الرسل، لأنهم أشد الناس تعلقًا بالله وأقربهم إليه، فهم الذين يحملون رسالات السماء. لذلك فإن الرسول لا ييأس، حتى يونس، عليه الصلاة والسلام، لم ييأس من رحمة الله وهو فى بطن الحوت، وروى أنه ترك قومه ليس عن يأس وإنما بخدعة من الشيطان.

وإذا كان اليأس ليس من شيمة الرسل، ولا من شيمة المؤمنين المخلصين، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، فإن الذى يتناسب مع طيلة صبر الرسل والمؤمنين هو الاستيئاس، وكلمة استيأس توحى بالافتعال أى أن الرسول ـ أو المؤمن ـ عندما يطول به انتظار تحقق ما وعده الله ـ بالوحى أو الرؤيا ـ يحتار عقله مع بقاء نفسه مصدقة بأن الله لا يخلف وعده، فينصرف عقله عن حساب التوقعات: متى وأين وكيف يحصل ما وعد به! ويظن أن عقله قد التبس عليه الأمر كله أو بعضه ﴿ وظنوا أنهم قد كذِّبوا ﴾ فكلمة كذبوا فى الآية مبنية للمجهول، ولا تعنى أنهم ظنوا أن الله قد كذبهم، لأن ذلك ضد الإيمان، فلا يصدر عن رسول ولا عن مؤمن، وإنما ظنهم يكون أنهم قد كذبوا من جانب عقولهم وأفهامهم، أى يعتقدون أنهم قد فهموا ما أوحى إليهم فهمًا خاطئًا.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾

الٓمٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ * اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّى ـ لوقت معلوم. يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرْضَ ـ بسط سطح الأرض. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ ـ جبالاً. وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ـ جعل اللَّه الذكر والأنثى فى الغالب الأعم من الأحياء، حتى فى النبات يتم اللقاح بين ذكر منه وأنثى، فبذور الثمرات فيها الذكر والأنثى. يُغْشِى ـ يدخل. اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِى الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ ـ مناطق متجاورة، ومع ذلك فهى مختلفة التضاريس والمناخ. وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ ـ من مختلف الأنواع والألوان. وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ ـ النخلتان الشريكتان فى أصل واحد من أسفلهما. وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ـ كل ذلك. يُسْقَىٰ بماءٍ وَاحدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ـ يتحدونك باستعجال العذاب بدلاً من أن يتمنوا الرحمة (قال بعض الكافرين : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم). وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ ـ وقد نزلت العقوبات على أمم سابقة. وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ ـ يمهلهم. عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ * وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ـ من تلك التى طلبناها نحن منه. إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ * اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ـ تنقص. الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ.

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾

* عَالِمُ الْغَيْبِ ـ كل مجهول للناس هو غيب. وَالشَّهَادَةِ ـ المعلوم للناس. الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ ـ ظاهر مثل الطير فى سربه. بِالنَّهَارِ ـ كل مخلوق. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ ـ ذلك. مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ـ ومن فضله على الناس جميعًا. إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ ـ لا يغيرنعمته، فيفقرهم. حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ـ حتى يهملوا منهج الإيمان. وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا ـ عقابًا. فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ.

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ ـ فيبث فى نفوسكم الخوف من الصواعق والطمع فى المطر ورخاء الزرع. وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ـ الكثيف. وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ـ تلك شواهد على قدرة الله. وَهُمْ ـ الكافرون. يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ـ شديد الكيد والبطش إذا غضب على قوم. لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ ـ بالدعاء. إِلَى الْمَاءِ ـ يريد أن يصعد الماء من تلقائه إلى فمه. لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ـ بهذه الصورة. وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ـ ضياع. وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * قُلْ ـ لهم. مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا ـ مخلوقات. كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ـ فاختلط عليهم ما كان الله خالقه بما كان من غير خلقه؟!. قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ـ الزبد هو ما يحمله السيل من غثاء ووسخ. وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ ـ أى الحديد والمعادن خلقها الله أيضًا (والمثال يحمل إلى خاطرنا أن العمر يجرى مجرى السيل، والانغماس فى النعم وجمع المال والذهب والثروات إذا أدى إلى إهمال شرع الله فهو يتنافى مع ما يجب أن يكون عليه الإنسان من خلق كريم، فيصير الإنسان كالأبله الذى ينظر إلى ما يحمله السيل من أشياء مختلطة عسى أن يلتقط شيئًا ثمينًا). زَبَدٌ مِّثْلُهُ ـ لا قيمة له عند الله. كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ ـ مثال. الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ـ وتظهر آثاره الحسنة على الأجيال. كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ * لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ ـ لقدّموه فداءً دون تردد يوم الحساب، لهول ذلك اليوم. أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ.

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾

* أَفَمَن يَعْلَمُ - أن ما. أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ الْحَقُّ - فيؤمن به. كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ - يغمض بصره حبًا فى الكفر فلا يعطى نفسه مجالاً للتأمل والتفكر. إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَاب - أصحاب العقول، وليس أولئك الذين يفرحون بأهوائهم ويغضون البصر عن نعمة العقل التى أنعم اللّه بها عليهم، إن أولى الألباب. الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّه وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِين يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ به أَن يُوصَلَ - من علاقات البر والخير والخلق الكريم بين الناس. وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَاب * وَالَّذِين صَبَرُوا ابْتغَاء وَجْه رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا ممَّا رَزَقْنَاهُمْ سرًّا وَعَلانيَةً وَيَدْرَءُون بالْحَسَنَة السَّيِّئَةَ - إذا وقعت منهم سيئة يندمون عليها ويبادرون بإصلاحها بإحسان. أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّار * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ - يلتقون فى الجنة بالصالحين المؤمنين من أقاربهم فى الدنيا. وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار * وَالَّذِين يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّه مِنْ بَعْد مِيثَاقه وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ به أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّار * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لمن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ * وَيَقُولُ الَّذِين كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْه آيَةٌ مِّن رَّبِّه - معجزة مادية. قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْه مَنْ أَنَابَ (وماذا تفيد المعجزة إلا فى استعجال عقاب اللّه على الناس إذا أصروا على الفساد بعدها). الَّذِين آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّه - هؤلاء يكفيهم مشاهدة معجزات اللّه فى خلقه من حولهم. أَلا بِذِكْرِ اللَّه تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآب * كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ من قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْه مَتَاب. وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا - كلام من الله. سُيِّرَتْ به الْجِبَالُ - تركت مقرها. أَوْ قُطِّعَتْ به الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ به الْمَوْتَىٰ - فبعثوا من بعد موتهم - ذلك ما يطلبون من آيات يا محمد. بَل لِّلَّه الأَمْرُ جَمِيعًا - وهو قادر على هذا كله، وهو قادر على أكثر مما يطلبون، ويقدر على هداية الناس جميعًا بأمره لو شاء، دون معجزات ولا براهين. وَلا يَزَالُ الَّذِين كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ - مصيبة. أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ - بلدهم، ورغم ذلك لا يؤمنون. حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّه - يوم الحساب. إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾

* وَلَقَد استُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ـ أمهلتهم. ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ـ بالعقاب. فَكَيْفَ كَانَ عقاب * أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ـ كمن لا يقدر على شيء مثل الأصنام أو المخلوقات التي يشركونها مع الله. وَجَعَلُوا للَّه شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ـ كما شئتم. أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ـ إدعاءات ظاهرة مبنية على الظن. بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ.

* لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ـ يكابد الإنسان فى الدنيا ويشقى، والمؤمن يتخفف من هذا الشقاء بحب اللَّه والأمل فى دار السعادة الحقيقية، أما الكافر فشقاؤه فى الدنيا يكون جافا، خاصة إذا ذاق الفقر أو الملل من الغنى، وإذا طال عمره فهو ييأس من كل شيء. وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّه مِن وَاقٍ.

* مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ـ آخرة. الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ * وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ـ أهل الكتب المنزلة من عند الله قبل القرآن، منهم النزهاء الذين. يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ـ فيؤمنون به لأنه مصدق لما بين أيديهم من علم. وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ ـ يودون تجزئة الدين، فيتبعون ما يروقهم ويتركون ما لا يوافق هواهم. قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَئَاب * وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم ـ ولو تصالحت معهم على التنازل عن التزام بعض ما جاء من عند اللَّه. بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّه مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ.

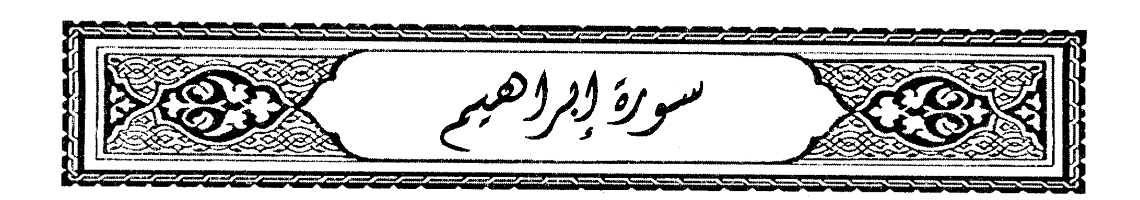
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ ـ من الناس. وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّه لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ـ لكل عصر رسالة حتى تأتى الرسالة الخاتمة وهى القرآن المحفوظ (الباقى إلى يوم الدين). يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ ـ من أحكام كانت فى رسالاته السابقة، وذلك هو النسخ فأحكام الرسالة الأحدث فى النزول هى الواجبة وتنسخ العمل بأحكام الرسالات السابقة، وكذلك يجرى النسخ فى أحكام الآيات فى الرسالة الواحدة، للتخفيف أو للتدرج بالناس نحو الالتزام. وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ * وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ـ من عذاب. أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ـ دون أن ترى عذابهم فى الدنيا. فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾

* أَوَلَمْ يرَوْا أَنَّا نَأْتي الأَرْضَ نَنقُصُهَا منْ أَطْرَافهَا ـ قد يراد به أن الأرض تنكمش، ومن العلماء من يقول بأن الأرض كانت قديما أكبر من حجمها الآن أضعافا مضاعفة. وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لحُكْمه وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَاب.

* وَقَدْ مَكَرَ الَّذينَ من قَبْلهِمْ ـ بكل ما لديهم من وسائل وحيل. فَللَّه الْمَكْرُ جَميعًا ـ جميع الأسباب والظروف للّه تعالى يسيرها كيف يشاء، ولا يصيب مكر الإنسان غرضه إلا إذا شاء اللّه. يَعْلَمُ مَا تَكْسبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لمَنْ ـ سيكون الخير فى. عُقْبَى الدَّار ـ أى الآخرة.

* وَيَقُولُ الَّذينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّه شَهيداً بَيْني وَبَيْنَكُمْ ـ وهو. مَنْ عندَهُ علْمُ الْكتَاب.



سورة إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠ ﴾

الٓر كتابٌ أنزلْناهُ إليْكَ لتُخرِجَ النَّاسَ منَ الظُّلُمات إلى النُّور بإذْن ربِّهمْ إلىٰ صراط الْعزيز الْحميد * اللهِ الَّذي لَهُ ما في السَّموات وما في الأرْض وويْلٌ للْكافرينَ منْ عذاب شديد * الَّذينَ يسْتحبُّونَ الْحياةَ الدُّنْيا على الآخرة ويصُدُّونَ عن سبيل الله ويبْغونها عوجًا ـ يريدون الحياة وفقا لأهوائهم. أُولئكَ في ضلال بعيد * وما أرْسلْنا منْ رسُول إلاَّ بلسان قوْمه ليُبيِّنَ لهُمْ فيُضلُّ اللهُ منْ يشاءُ ويهْدي منْ يشاءُ وهُو الْعزيزُ الْحكيمُ * ولقدْ أرْسلْنا مُوسىٰ بآياتنا أنْ أخْرجْ قوْمكَ ـ أي الناس الذين أرسلت إليهم مبشرا ونذيرا، وهم بنو إسرائيل والمصريون. منَ الظُّلُمات ـ ظلمات الكفر والشرك. إلى النُّور ـ نور الإيمان. وذكِّرْهُم بأيَّام الله ـ تاريخ الأمم السابقة، وما حاق بشعوب منها من غضب الله وعقابه. إنَّ في ذلكَ لآيات لكُلِّ صبَّار شكُور * وإذْ قال مُوسىٰ لقوْمه اذْكُرُوا نعْمةَ الله عليْكُمْ إذْ أنجاكُم مِّنْ آل فرْعوْنَ يسُومُونكُمْ سُوءَ الْعذاب ـ يسخرونكم في أشق الأعمال. ويُذبِّحُونَ أبْناءكُمْ ـ المواليد الذكور. ويسْتحْيُونَ نساءكُمْ ـ لخدمتهم. وفي ذلكُم بلاءٌ من ربِّكُمْ عظيمٌ * وإذْ تأذَّنَ ربُّكُمْ لئن شكرْتُمْ لأزيدنَّكُمْ ـ إنعامًا. ولئن كفرْتُمْ إنَّ عذابي لشديدٌ * وقال مُوسىٰ إن تكْفُرُوا أنتُمْ ومن في الأرْض جميعًا فإنَّ اللهَ لغنيٌّ حميدٌ * ألمْ يأْتكُمْ نبأُ الَّذين من قبْلكُمْ قوْم نوح وعاد وثمُود والَّذين منْ بعْدهمْ ـ وأقوام أخرى. لا يعْلمُهُمْ إلاَّ اللهُ جاءتْهُمْ رُسُلُهُم بالْبيِّنات فردُّوا أيْديهُمْ في أفْواههمْ ـ تعبيرًا عن الرفض والإعراض. وقالُوا إنَّا كفرْنا بما أُرْسلْتُم به وإنَّا لفي شكٍّ ممَّا تدْعُوننا إليْه مُريب * قالتْ رُسُلُهُمْ أفي الله شكٌّ فاطر السَّموات والأرْض يدْعُوكُمْ ليغْفر لكُم من ذُنُوبكُمْ ويُؤخِّركُمْ إلىٰ أجل مُسمًّى قالُوا إنْ أنتُم إلاَّ بشرٌ مثْلُنا تُريدُون أن تصُدُّونا عمَّا كان يعْبُدُ آباؤُنا فأْتُونا بسُلْطان مُّبين.

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ـ يصطفى من يشاء لحمل رسالته. وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ ـ شريعة من الله. إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ـ أنار لنا الطرق. وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ـ يا مؤمنين. الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ * وَاسْتَفْتَحُوا ـ اللَّه أن يهلك الظالمين. وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ـ خارت قواه وانهار جبروته أمام عقاب اللَّه. وَمِن وَرَائِهِ ـ ومن بعد هذا العذاب. جَهَنَّمُ ـ في الآخرة. وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ـ يتوالى دون انقطاع. مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ـ لا يقدرون على الإمساك بشيء من أعمالهم التى عملوها فى الدنيا، كما لا يستطيع الإنسان أن يجمع رمادا متناثرا والريح حوله شديدة. ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ * وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ـ يوم الحساب. فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ـ قال التابعون لزعمائهم: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ؟ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ـ ملجأ.

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ـ أضللتكم. وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ ـ وما كان لى من قوة إلا أن وسوست إليكم بالكفر. فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ـ فالله قد وهبكم عقلا لوزن الأمور. مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ـ بمنقذكم. وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً ـ كلمة الإيمان باللَّه الواحد الذى لا شريك له، وبجميع رسله وملائكته. كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ.

﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾

* تُؤْتي أُكُلَهَا كُلَّ حينٍ بإِذْنِ رَبِّهَا ـ يسر الناس الحفاظ عليها. وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ للنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ـ كلمة الكفر ومسالكه. كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ ـ قطعت. من فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا من قَرَارٍ ـ بمجرد أن تظهر وسط الزرع الطيب تُستأصل لضررها قبل أن تنمو وتستفحل. يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذين آمَنُوا بالْقَوْلِ الثَّابت في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالمين وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذين بَدَّلُوا نعْمَتَ اللَّه ـ التي يجب أن يشكروه عليها (وأهمها الإيمان). كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ـ يدخلونها. وَبِئْسَ الْقَرَارُ * وَجَعَلُوا للَّه أَندَادًا ـ شركاء. لِّيُضِلُّوا ـ قومهم. عَن سَبيله قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ.

قُل لِّعبَاديَ الَّذينَ آمَنُوا يُقيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفقُوا ممَّا رَزَقْنَاهُمْ سرًا وَعَلانيَةً مّن قَبْلِ أَن يَأْتيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فيه ـ لا يشترى الإنسان نفسه. وَلا خلالٌ ـ ولا شفاعة للكافرين. اللَّهُ الَّذي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ منَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ به منَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لتَجْرِيَ في الْبَحْرِ بأَمْرِه وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائبَينِ ـ متواليين. وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نعْمَتَ اللَّه لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمنًا وَاجْنُبْني وَبَنيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ ـ الأصنام. أَضْلَلْنَ كَثيرًا مّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَني فَإِنَّهُ منّي وَمَنْ عَصَاني فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحيمٌ * رَّبَّنَا إِنّي أَسْكَنتُ من ذُرِّيَّتي ـ من أدب إبراهيم مع اللَّه أن يقول إني أسكنت، ولا يقول إني تركت، إذ اعتبر المكان القفر الموحش بمثابة سكن مطمئن لولده إسماعيل وأمه هاجر، ثقة منه في رعاية اللَّه عز وجل لهما. بِوَادٍ غَيْرِ ذي زَرْعٍ عندَ بَيْتكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا ليُقيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئدَةً مّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ـ قرب إليهم الناس باللطف والمحبة والخير. وَارْزُقْهُم مّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفي وَمَا نُعْلنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّه من شَيْءٍ في الأَرْضِ وَلا في السَّمَاءِ * الْحَمْدُ للَّه الَّذي وَهَبَ لي عَلَى الْكبَرِ إِسْمَاعيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبّي لَسَميعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْني مُقيمَ الصَّلاةِ وَمن ذُرِّيَّتي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ.

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ * وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ـ شخوص البصر يعنى ألا تغمض العين طرفة، وذلك من هول يوم القيامة. مُهْطِعِينَ ـ مسرعين بهلع. مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ـ مادين رؤوسهم لا ينظر أحدهم لأحد. لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ـ أعينهم مفتوحة لا تطرف. وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ـ جوفاء من الخوف. وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ * وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ـ فأعرضتم ولم تعتبروا. وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ـ فى الدنيا. وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ـ فى ميزان الحساب. وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ـ لو اتُّهِمَتْ به الجبال لانهارت خوفًا وأسفًا. فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ـ مقيدين فى الأغلال أقرانًا من إنس وجن. سَرَابِيلُهُم ـ لباسهم. مِّن قَطِرَانٍ ـ محمى. وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ.

---

(٩٧) قضية: ﴿ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [الآية: ٤٤].

زال الشيء يزول زوالاً: فارق طريقته جانحًا عنه (مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني).

إن المعنى الذى يتبادر من هذه الآية، أن كل الظالمين دون استثناء سيقولون لله يوم الحساب ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل. فيرد عليهم الله بأن لو أجبتكم لهذا، لعدتم إلى نفس حالكم الذى أنتم عليه، فقد سبق أن مُدَّت لكم الآجال، وأُرسلت إليكم الرسل مبشرين برحمة الله ومنذرين ببأسه وعقابه. ومن قبل وقفتم بين يدى الله فأخذ عليكم المواثيق: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣]. هذا عهد أمام الله يعادل القسم، بل هو أقوى.

هل نسى الإنسان هذا العهد؟

إن الله سبحانه وتعالى لا يقول سوى الحق، فقد أخذ من بنى آدم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم، فأقسموا ألا يكونوا عن هذا غافلين. والوقوف بين يدى الله هو موقف رهيب، ولو بقى فى الذاكرة لما استطاع الإنسان أن يتقدم قيد أنملة ليمارس ⬅

← الأمـانـة التـى تحمّلهـا ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

إن غيـاب هذا الموقف الـرهيب من الذاكرة هو رحـمة من الله، ولكن ليس مـعنى ذلك أن الإنسان نـسى العهـد، بل صار العهد فى مكوناته، فهو يتجلّى فى الضمير الذى إذا حكّمَـهُ العاقل مع التأمل المحايد يصل دون وساطة، إلى الإيمان بوجود الله ووحدانيته وقدرته.

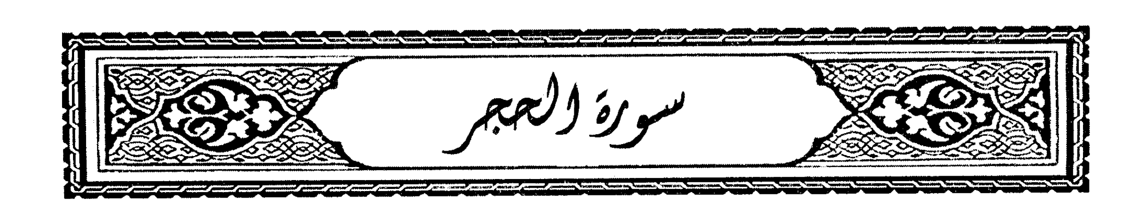
ولكن الله أرحم مما تتسع له تصوراتنا، إذ أنه أرسل الرسل ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترى ﴾ [المؤمنون: ٤٤] وعذر أهل الفترة بين الرسل، إذا توارثوا علـمًا مـحـرفًا دون دراية لـهم بالتحـريف ومـواطنه. وعـذر كذلـك من لم تصلهم الدعـوة إلى دين الله الصحيح، فيـحاسبهم حسابًا خـاصًا، ما دام جميع هؤلاء يؤمنون بوجود الله واليـوم الآخر. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢](*)، ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥].

ولا غرابة فى أن الإنسان ينسى الموقف، ويبقى أثره فى مكوناته وضميره.فإذا كنا جميعا لا نتذكر ما كان يدور فى رؤوسنا حيـن كنا أطفالا وصبيـة، لكننا نعلم تمـاما أننا كنا نفكر ونتـأمل ونستـغرب، وأن تـلك الأفكار والأحلام شـاركت فى تكويننا الفكرى والثقافى الذى نحن عليه الآن، ولوأن ذاكرتنا توقفت عند الطفولة لما أصبحنا اليوم أناسا أسوياء. هذه هى أطوار الحياة يصرفها الله كيف يشاء، فالنفس دائمًا تضمر الإقرار بوجود الله ووحدانيته، والإنسان يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه (حديث) وذلك يعنى أنه لو تربى مـولود فى أى بيئة كانت، دون أن يرث تراثًا ثقـافيًا من آبائه، فَتُرِكَ وشـأنه يفكر ويتأمل ويخلو إلى نفسه، للازم العهد، ولما كان له من زوال عن طريق الإيمان بالله ووحدانيته.

قال رسـول الله ﷺ: «كل إنسـان تلده أمه على الفطرة، وأبواه بـعد، يهـودانه أو ينصرانه أو يمـجسـانه، فإن كـانا مسلمين فمسلم»(**).

(*) ذكر فى سبب نزول الآية : أن سلمان الفارسى، رضى الله عنه، سـأل رسول الله ﷺ، عن أصحاب الدير (نصـارى، كانوا أصحابه قـبل أن يحل إلى موطن رسول الـله ﷺ) فقـال الرسول: هم فى النار. فنزلت الآية تبـين أوضاعـهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ... ﴾ فقـال سلمان: كـأن جبـلاً نزل من على صدرى. راجع أسباب النزول للنيسابورى، ولباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى.

(**) أبو داود، كتاب السنة، باب فى ذرارى المشركين (١٦٨٧/ ٤٧٠٧).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

الر تلكَ آياتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ * رُّبَمَا ـ إذا تفكروا وتأملوا. يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ـ ولكنهم لا يؤمنون حرصًا على مصالح وأمور دنيوية. ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَمَا أَهْلَكْنَا من قَرْيَةٍ ـ بعقاب على الكفر. إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ـ رسالة من اللَّه وشرع ومنهاج. مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ـ كل شيء مقدر بأمر اللَّه، ومن ذلك أعمار الناس ومصير الأمم. وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوْ مَا ـ لم لا. تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ ـ عندما تنزل الملائكة بالعذاب فلن تكون فرصة أمام الكافرين للنجاة. إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ـ القرآن. وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ـ من كل تحريف. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ ـ الأمم السابقة.

(٩٨) **قضية:** ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الآية:٩].

إن قول الله سبحانه وتعالى حق نافذ، ويشهد الزمان على صدقه بعد أكثر من ألف وربعمائة عام، فالقرآن باق دون تحريف بين أيدى المسلمين على اختلاف مذاهبهم. ويجب أن لا نفهم من الآية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ استحالة محاولات تحريف القرآن، فمحاولات المغرضين تقوم بين الحين والآخر، ولكن العناية الإلهية بحفظ القرآن الكريم تعنى استحالة أن تغلب تلك المحاولات وتطغى، فيظل القرآن صحيحا ويغلب انتشاره فى ساحة العلم والمعرفة.

ويتفرع عن حفظ القرآن قضية هامة وهى حفظ اللغة العربية، ذلك لأن الله لا يحفظ القرآن لذاته، وإنما يحفظه رسالة خاتمة وليصل إلى علم الناس ومداركهم. ولهذا يتحتم مع حفظ القرآن حفظ اللغة التى نزل بها وبقاؤها منتشرة فى الأرض واستحالة انقراضها أو تبدلها تبدلاً جذريًا، كما يحدث فى اللغات الأخرى.

ولعلنا نلمس هذه الحقيقة إذا رجعنا إلى مجتمع المسلمين وثقافتهم فوجدنا ذلك الرصيد المشترك، لغة القرآن والسنة وما يتفرع عنهما من علوم، يساند اللغة العربية ويحفظ لها قدرا من الثبات. فإنك تسأل عن السندس أو الإستبرق تجد المسلمين فى مصر وسوريا والمغرب... يعرفون المعنى لأنها كلمات مذكورة فى القرآن، بالرغم من أن الناس فى أغلب المجتمعات العربية إن لم يكن فى كلها، لا يستعملون تلك الكلمات فى معاملاتهم، بل يشترون اليوم نفس الأقمشة تحت مسميات أخرى. وفى التاريخ تشهد الأحداث لنبى الإسلام محمد ﷺ أنه الرسول الذى أعطى قدراً عظيمًا لتعليم الكتابة والتدوين إلى جانب القراءة. فمنذ عهده انطلقت الثقافة العربية المكتوبة فى نمو مطرد.

←

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ۝ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝ ﴾

وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ـ نترك العناد يسلك فى قلوب الكافرين. لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ـ مضت على ذلك مسيرة الأمم السابقة فكفر كثير من الناس وماتوا على كفرهم. وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ـ يصعدون حتى يروا فى السماوات ما يؤكد صدق الرسل. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ ـ عميت. أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ـ وإن ما نراه هو من أثر سحر فعلته الرسل. وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ.

إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ـ حاول التنصت. فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ـ يصيبه. وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ـ بسطنا سطحها. وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ـ جبالاً. وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ـ مقدَّر بحكمة اللَّه. وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ـ سبل الحياة من أكل وشرب وكساء ومأوى. وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ـ وكذلك أتحنا الحياة لكائنات لا تملكون رزقها، والله يرزق الجميع. وَإِن مِّن شَيْءٍ ـ من الخيرات والأرزاق. إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ ـ أى موجود بوفرة فى ملك الله وعلمه، فسبحان من يقول للشيء كن فيكون. وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ـ ولا تنال منه المخلوقات إلا بإذن الله وبالقدر الذى يقدره.

➡ إنه من الممكن ملاحظة أن اللغة العربية تضعف فى بعض المجتمعات، ولكن القدر المشترك الذى تحفظه المصاحف القرآنية وجوامع السنة وكتب الفقه والتراث فى ثقافة المجتمع الإسلامى يجعل اللغة العربية بمنأى عن التبدل الجذرى أو الاندثار.

وإذا كانت تلك الحقيقة تفرح المسلمين العرب، إلا أن الأجدر بهم أن يتنبهوا إلى أنها تلقى عليهم مسؤوليات كبيرة. لأن الله، كما أشرنا، يحفظ القرآن رسالةً خاتمة موجهة للناس كافة، ولن يرسل رسولاً لأن القرآن سيظل ـ بأمره ـ محفوظًا، وذلك يضع المسلمين العرب أمام مسؤولية جسيمة، ألا وهى الدعوة والتبليغ إلى الأمم الأخرى.

إن هذه المهمة هى فرض كفاية يقتضى تعاون العرب مع غيرهم لنقل معانى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وما يتفرع عنهما من تفاسير وشروح وعلوم فى مجال العقيدة والعبادات والفقه والمعاملات...إلخ، إلى لغات العالم.

وفرض الكفاية يعنى أن يسخر المسلمون لتحقيق هذا الهدف الإمكانات المادية والبشرية اللازمة لإيصال هذه المضامين واضحة إلى مختلف الأمم بشتى الطرق. فلا يقف هذا الالتزام عند نشر اللغة العربية، ذلك أن الله لم يفرض على الناس تعلم اللغة العربية حتى يسلموا. ولا يقف أيضًا هذا الواجب عند مجرد ترجمة معانى القرآن والسنة إلى بعض اللغات، وإنما كل وسيلة متاحة ومفيدة للدعوة إلى سبيل الله توجب على المسلمين عدم التردد فى استخدامها. والمهم أن يصل العلم بالدين واضحا ومتكاملا وسلسا إلى الناس، وذلك يتطلب إعداد مناهج معاصرة للدعوة الإسلامية وتعبئة إمكانات مادية وبشرية على قدر كبير من الكفاءة والكفاية.

لقد تقدمت فى عصرنا هذا تكنولوجيا الاتصال، وفتحت شبكة الأنترنيت للجميع، وعلى المسلمين استخدامها فى نشر علوم الإسلام بانضباط وإتقان، والاهتمام بالترجمات إلى اللغات العالمية. وإن لم يفعلوا فلن يكونوا يوم القيامة شهداء على الناس، بل سيكون الرسول ﷺ عليهم شهيدًا ـ وليس لهم ـ لأنهم لم يؤدوا كما ينبغى أمانة الله وهى تبليغ رسالته الخاتمة إلى الأمم.

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ - تدفع الهواء الندى الرطب فتتكون السحب وتتجمع أو تلقح السحب بما فيها من شحنات الطاقة. فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ - ولا تقدرون على اختزانه فى العيون والآبار والأنهار التى تتكون بأمر الله. وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ - يعلم الله كل الخلق منذ نشأته وحتى مصيره. وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ - يوم القيامة. إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ - طين أسود. وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ - النار التى لا دخان لها من شدتها. وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ - سجود تحية. فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي - أمهلنى. إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ.

---

(٩٩) قضية: حوار إبليس مع الله [الآيات: ٣٢-٤٣]:

﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) ﴾.

**** نستفيد من هذا الحوار فى فهم عدة قضايا :**

أولاً : الأدب مع الله - سبحانه تعالى - :

المخلوق له أن يناجى الله ويسأله ولكن دون أن يخرج عن حدود الأدب مع الله. ولقد سألت الملائكة الله فى حدود ذلك الأدب: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠]. سؤال الملائكة كان طلبًا للعلم وليس جدالاً حول الطاعة.

إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، سأل الله ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠] سؤال إبراهيم كان طلبًا لمشاهدة كيفية ما يتحقق بقدرة الله، ولم يكن جدالاً حول تلك القدرة.

والمؤمن له أن يدعو ربه ويسأله أن يفتح عليه بفهم الأمور المستغلقة، يقول تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦].

←

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ۝ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ ﴾

إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ـ يوم البعث. قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ـ واللّه لم يغوه، وإنما امتحنه. لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ـ وعد لا يخلف. إِنَّ عِبَادِي(*) لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ ـ برغبته واختياره. مِنَ الْغَاوِينَ ـ الضالين.

➡ الأدب مع الله : هو أن تعلم أن علمك كله إنما تحصلت عليه بفضل الله وتيسيره، فما من مخلوق ولد يعلم شيئًا. وأن تعلم أن علمك وعلم من فى الأرض كلهم جميعًا لا يساوى عند الله قطرة فى محيط ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧].

وإنك إذا آمنت بهذا لن تعطى نفسك قدرًا أمام الله أكثر مما هو لك، فالله سبحانه وتعالى هو العدل وهو العليم الخبير. وإذا أصابتك مصيبة فراجعت نفسك، وجدتها هينة بالقياس إلى ما ارتكبت فى حق الله من ذنوب. وإن لم تكن كذلك فاعلم أن الله يختبر عباده فى طريق الإيمان كيفما يشاء، حتى يميز الخبيث من الطيب. وإذا استغلق عليك فهم بعض الأمور وكانت من الغيبيات فاعلم أن الله أعطاك عقلاً له حدود، فلا تبحث فيما هو أبعد من حدود العقل وأوكل الغيبيات إلى الله سبحانه وتعالى. ذلك هو الأدب مع الله.

إن إبليس عندما عصى الله فأبى السجود، لم يكن مؤدبًا مع الله، لأن طاعة الله سبحانه وتعالى هى تكريم لله. بل إنه اغتر فادعى لنفسه فهما خاصا ودراية مميزة : ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) ﴾ من أين له العلم بأن الصلصال أقل قدرًا وأدنى درجة من النار ؟ لقد اغتر إبليس ووضع علم الله محلاً للتشكيك والجدال.

وإنك إذا تأدبت مع الله، فلن تطاوعك نفسك على احتقار مخلوق من مخلوقات رب العالمين، وستعلم أن من رحمته سبحانه وتعالى أن رخص لك فى قتل الحيوانات لاتخاذها طعامًا أو لدفع ضررها عن نفسك، وهى مخلوقات لها حق فى الحياة. لقد خلق الله سبحانه وتعالى كل شىء لحكمة، وأودع فى مخلوقاته الروح لحكمة، وينتزعها لحكمة، من أصغر المخلوقات لأعظمها. وكل تلك المخلوقات تسبح بحمده ليلاً ونهارًا ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ثانيًا : إنكار ما ثبت عن الله - سبحانه وتعالى - يعتبر كفرًا بينًا :

إذا آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، وخاتمهم محمد ﷺ، فاعلم أن إيمانك لا يكتمل إلا إذا صدّقت بكل ما جاء فى هذا القرآن الكريم، الثابت وروده عن الله سبحانه وتعالى. وربما يستغلق عليك فهم بعض المسائل، فاعلم أن علمك قاصر وعقلك محدود ومقيد، فصدّق الأمور كما جاءت فى هذا الكتاب الكريم، وادع الله أن يفتح عليك بالفهم ـ فى حدود الأدب معه ـ ولا تغرق فى التفكير فى الغيبيات بعقلك المحدود.

وإذا لم ينسجم حكم من أحكام الله مع ما تهواه نفسك، فخالف نفسك وسلّمْ الأمر إليه واقبله، فذلك خير لك. وتذكر موقف إبليس حين لم يأت أمر الله وفق هواه فاغتر وأساء الأدب مع خالقه العليم الحكيم.

(*) العباد هم الذين يعبدون الله ولا يشركون به شيئًا، ويؤمنون برسله وملائكته أجمعين. والكافرون لا يطلق عليهم «عباد» بل هم من زمرة العبيد، فكل الناس عبيد الله وليس كل الناس عباد لله بل العباد هم المخلصون له. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]. ﴿ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩]. راجع مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانى. وجاءت كلمة عباد فى الرق فى قوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ [النور: ٣٢]. والعبودية لغير الله مجازية. ولم يقل سبحانه وتعالى عبيدكم لأنه قرنها بالصلاح والمعنى يكون: والصالحين من عباد الله الذين تملكونهم. وقد جمع الله الكل ابتداء بكلمة عباد ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ لأن الناس جميعهم يولدون على فطرة الإيمان، ومن خرج عنها انسلخ من زمرة العباد وظل فى عداد العبيد.

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾

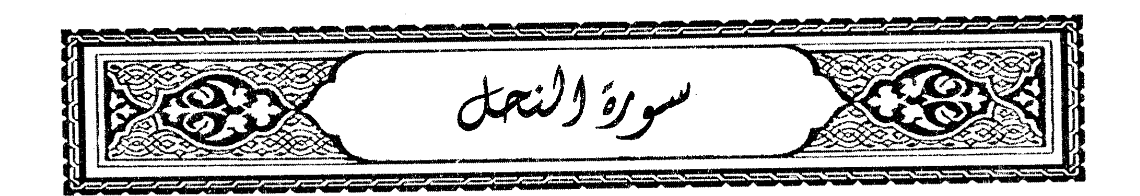
* وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ـ لموعد جميع هؤلاء الغاوين. لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ـ أقسام. لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ـ يدخل من كل باب قسم من الذين اتبعوا الشيطان. إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا ـ ادخلوا الجنة. بِسَلامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ـ شوائب النفس التى كانت تعكر صفوها فى الدنيا. إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ـ شقاء. وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ * نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ * وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ ـ عندما أعد لهم وليمة فامتنعوا عن تناول الطعام. إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ـ خائفون. قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا ـ رسل ربك. نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ـ أهل قريتى سادوم وعاموريا. إِلاَّ آلَ لُوطٍ ـ أفراد أسرته. إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ـ لإيمانهم. إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ـ فقد كانت فى نفسها تقر الكافرين على ما كانوا عليه.

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ـ فى صورة رجال. قَالَ ـ بعد أن استضافهم وشكَّ فى أمرهم: إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ـ جئناك بجزاء على شك القوم وكفرهم بصدق ما يتوعدهم الله من العذاب على لسانك يا لوط. وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ ـ جئنا بالعذاب الفاصل الذى لا يصيب إلا الكافر. وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ ـ أجلهم. مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ * وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ـ يبغون إتيان ضيف لوط. قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ * قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ـ ألم ننهك عن أن تجير أحدًا من الناس. قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي ـ تزوجوهن ذلك أكرم لكم عند الله. إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ـ فى الصباح الباكر. فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ـ المتأملين فى سنة اللَّه وتاريخ الشعوب وسيرة الأمم. وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ـ قائم بين قريش والشام يراها كل غاد ورائح.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ ـ (الغابة الكثيفة أى: الشجر الملتف) وهم قوم شعيب. لَظَالِمِينَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ـ وإن آثار القريتين، قوم لوط وقوم شعيب، على طريق رئيس واضح. وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ ـ أهل الوادى، وهم قوم ثمود. الْمُرْسَلِينَ ـ كان صالح رسولهم وقد أخبرهم بأخبار رسل وأمم من السابقين فكذبوه. وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ـ عامل قومك معاملة حسنة واصفح عن أذاهم صفحًا جميلاً (الصفح لايعنى التقاعس عن الجهاد فى قضية عادلة، أو التهاون فى صد العدوان أو استرداد حق مغصوب، وإلا كان ضعفًا. فالصفح لا يكون إلا من القوى القادر). إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ * وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ـ والمقصود سورة الفاتحة وهى سبع آيات، وسميت بالمثانى لأنها تكرر فى ركعات كل صلاة، ولأنها ثناء على ربّ العالمين (وفى تفسير السبع المثانى أقوال عديدة، فارجع إلى التفاسير المطولة). وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ـ تمنيًا واستغرابًا. إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ـ أسفًا على عدم إيمانهم. وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ * كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ـ من العضة وهى التفرقة (نزلت الآية فى الذين اشترطوا لإسلامهم أن تكون لهم الخيرة فى الأحكام فيتبعون ما يشاؤون منها ويتركون ما لا يروقهم، وكذلك فى الذين قالوا للرسول : نعبد إلهكم عامًا وتعبدون آلهتنا عامًا). فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ـ يوم القيامة. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ـ فى الدنيا. فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ـ امض فى رسالتك بعزم. وَأَعْرِضْ عَنِ ـ كلام. الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ـ شكرًا للّه. وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّه - حسم اللـه الأمر، وما حكم به سيقع، وإن لم تعلـموا أجله. فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُون * خَلَقَ السَّمَوَات وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُون * خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ - منى. فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ - تتخذون مـن جلودهـا وأوبارهـا الخيام والملابـس والأغطيـة. وَمَنَافِعُ - أخرى. وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ - كالخيل من أجمل الأنعام، وكـالغنم والأبقار والبغال والبعير، فهى الثـروة إذا كثرت، والثروة جاه وزينة. حِينَ تُرِيحُونَ - حين تجـمعونهـا فى المراح (مـأوى الأنعام). وَحِينَ تَسْرَحُونَ - بها للرعى. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ - فى السـفر. إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ - مشيـًا عـلـى الأقـدام - إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً - تلك أيضـًا دواب تدل إذا كثـرت على ثراء مالكهـا. وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ * وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ - سبيل الهداية والرشاد. وَمِنْهَا جَائِرٌ - والذى يخرج منهـا، أى من سبيل الله، فهـو ضال. وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ * هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ - به تنتفعون. يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ - خلق. لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا - السـمـك. وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا - اللؤلـؤ والمرجان. وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ - تشـق المـاء. فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ - الجـبال مثبات وقايـة مـن. أَن تَمِيدَ بِكُمْ - تنحرف وترتج بكم. وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً - جعلها لكم فى الأرض. لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ.

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ ۚ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

أَفَمَن يَخْلُقُ ـ وهو اللَّه. كَمَن لاَّ يَخْلُقُ ـ ممن تدعـون معه من شـركاء من أبناء وبنات وأصنام، وغـير ذلك. أَفَلا تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّه لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّه لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ـ مآلهم إلى الموت فـلا يخلدون فى الأرض، أو أموات بمعنى جـمادات وهى الأصنام. وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ ـ متى. يُبْعَثُونَ * إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ـ لعبادة اللَّه. وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ـ يأنفون من اتباع شرع اللَّه الذى لا يفرق بين الناس إلا بناء على التقوى. لا جرم أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ ـ ذنوبهم. كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ ويضاف إليـها ذنوب. الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ـ ما يحملون. قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ـ ومنهم من بنى صرحًا عاليًا ليرى الله فى السماء. فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ * ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ـ كنتم تخالفـون طريق الحق من أجلهم. قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ـ الهداية. إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ـ اسلموا الروح قائلين. مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ.

* وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا ـ أنزل. خَيْرًا ـ الهداية. لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ـ فاتبعوا دينه. حَسَنَةٌ ـ فضل من الله. وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ ـ أى الملائكة تـقول لهم. سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَلْ يَنظُرُونَ ـ هل ينتظر الكافرون. إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ ـ تتوفاهم فى آجالهم. أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ـ بالعذاب فـى الدنيا فيكـون هلاكهم. كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ـ بعنادهم وتحديهم للحق.

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بهم مَّا كَانُوا به يَسْتَهْزِءُونَ ـ من عذاب ووعيد. وَقَالَ الَّذينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا من دُونه من شَيْءٍ نَّحْنُ ولا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا من دُونه من شَيْءٍ ـ أي ينسبون آثامهم إلى مشيئة اللّـه، كأن لم تكن لديهم إرادة ولا اختيار. كَذَلكَ فَعَلَ الَّذينَ من قَبْلهم فَهَلْ عَلَى الرُّسُل إلاَّ الْبَلاغُ الْمُبينُ * وَلَقَدْ بَعَثْنَا في كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَن اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنبُوا الطَّاغُوتَ ـ طريق الشرك بالله. فَمنهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ ـ فاتبعوا شريعته. وَمنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْه الضَّلالَةُ ـ بكفرهم. فَسيرُوا في الأَرْض فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقبَةُ الْمُكَذّبينَ * إن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإنَّ اللَّهَ لا يَهْدي مَن يُضلُّ وَمَا لَهُم مّن نَّاصرينَ * وَأَقْسَمُوا بالله جَهْدَ أَيْمَانهمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْه حَقًّا ـ أن يبعث الموتى. وَلَكنَّ أَكْثَرَ النَّاس لا يَعْلَمُونَ.

لِيُبَيّنَ لَهُمُ الَّذي ـ كانوا. يَخْتَلفُونَ فيه وَليَعْلَمَ الَّذينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذبينَ * إنَّمَا قَوْلُنَا لشَيْءٍ إذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ(*) * وَالَّذينَ هَاجَرُوا في اللَّه منْ بَعْد مَا ظُلمُوا ـ هاجروا فـرارًا بدينهم وإيمانهم (أول هجرة كـانت لبعض المؤمنين إلى الحبـشة، ثم هجرة المؤمنين ومعـهم رسول الله ﷺ إلى المدينة). لَنُبَوّئَنَّهُمْ في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخرَة أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبّهمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ إلاَّ رجَالاً نُّوحي إلَيْهمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذّكْر ـ العالمين بالديـن والفقه وتاريخ الرسل. إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ـ أرسلنا الرسل السابقين. بالْبَيّنَات ـ بآيات اللّه المعجزة. وَالزُّبُر ـ والكتب السماوية. وَأَنزَلْنَا إلَيْكَ الذّكْرَ ـ القرآن. لتُبَيّنَ للنَّاس مَا نُزّلَ إلَيْهمْ ـ من شرع اللّه. وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ـ يتأملون فيؤمنوا. أَفَأَمنَ الَّذينَ مَكَرُوا السَّيّئَات ـ دبروا المكائد للرسل، وقد تآمر الكافرون على قتـل محمد، عليه الصلاة والسلام، هل أمنوا. أَن يَخْسفَ اللَّهُ بهمُ الأَرْضَ ـ من تحت أرجلهم فتبتلعهم. أَوْ يَأْتيَهُمُ الْعَذَابُ منْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ في تَقَلُّبهمْ ـ في سعيـهم في الحياة. فَمَا هُم بمُعْجزينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ـ يحاصرهم حتى يهلكوا. فَإنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحيمٌ ـ لأنه يمهل الناس.

(*) راجع القضية ٦٤.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

* أَولَمْ يروْا إِلىٰ ما خلقَ اللَّهُ من شيْءٍ يتفيَّأُ ظلالُهُ عنِ الْيمينِ والشَّمائِلِ سُجَّدًا للَّه وهُمْ داخرُونَ ـ ما من شيء يستطيع التحكم فى ظله الذى يدور معه مسخرًا بأمر اللَّه. وللَّه يسْجُدُ ما في السَّمواتِ ومَا فِي الأَرْضِ من دابَّةٍ ـ مسخرة بأمر اللَّه. والْملائكةُ وهُمْ لا يستكْبِرُونَ * يخافُونَ ربَّهُم مِّن فوْقهِمْ ويفْعلُون ما يؤْمرُون * وقالَ اللَّهُ لا تتَّخذُوا إِلهيْنِ اثْنيْن إِنَّما هُو إِلهٌ واحدٌ فإِيَّاي فارهبُونِ * ولهُ ما في السَّموات والأَرْضِ ولهُ الدِّينُ ـ الحكم. واصبًا ـ دائمًا. أَفغيْر اللَّه تتَّقُونَ.

ومَا بكُم مِّن نِّعْمةٍ فمِنَ اللَّه ـ أفتنكرون. ثُمَّ إِذا مسَّكُمُ الضُّرُّ فإِليْه تجْأَرُونَ ـ تتوسلون. ثُمَّ إِذا كشف الضُّرَّ عنكُمْ إِذا فريقٌ مِّنكُم بربِّهمْ يُشْركُونَ * ليكْفُرُوا بما آتيْناهُمْ ـ من نعم. فتمتَّعُوا فسوْف تعْلمُونَ * ويجْعلُونَ لما لا يعْلمُونَ نصيبًا مِّمَّا رزقْناهُم ـ يدعون بأن لأصنامهم قرابين واجبة من هذه النعم. تاللَّه ـ قسم. لتُسْأَلُنَّ عمَّا كُنتُمْ تفْترُونَ * ويجْعلُونَ للَّه الْبنات ـ فيقولون: الملائكة بنات اللَّه وهم يزدرون الأنثى. سُبْحانهُ ولهُم ـ وينسبون لهم. مَّا يشْتهُونَ ـ من البنين الذكور يتفاخرون بهم. وإِذا بُشِّر أحدُهُم بالأُنثىٰ ظلَّ وجْهُهُ مُسْودًّا وهُو كظيمٌ * يتوارىٰ من الْقوْم من سُوء ما بُشِّر به أَيُمْسكُهُ علىٰ هُونٍ ـ على خجل وهوان. أمْ يدُسُّهُ ـ يئدها أى يدفنها حية ـ في التُّراب ألا ساء ما يحْكُمُونَ * للَّذين لا يُؤْمنُونَ بالآخرة مثلُ ـ صفة. السَّوْء وللَّه الْمثلُ الأَعْلىٰ وهُو الْعزيزُ الْحكيمُ * ولوْ يُؤاخذُ اللَّهُ النَّاس بظُلْمهم مَّا ترك عليْها ـ على الأرض. من دابَّةٍ ـ لا الإنسان ولا غيره من الحيوان، لأن بقية الأحياء غير الإنسان إنما وجدت لخدمته أو لمحنته. ولكن يُؤخّرُهُمْ إِلىٰ أجلٍ مُّسمًّى فإِذا جاء أجلُهُمْ لا يسْتأْخرُون ساعةً ولا يسْتقْدمُون * ويجْعلُون للَّه ما يكْرهُون ـ ينسبون إليه الأشياء والصفات التى يستنكفون منها. وتصفُ أَلْسنتُهُمُ الْكذب أنَّ لهُمُ الْحُسْنىٰ ـ الجزاء الحسن من اللَّه. لا جرم أنَّ لهُمُ النَّار وأنَّهُم مُّفْرطُونَ ـ ساقطون فيها. تاللَّه ـ قسم. لقدْ أرْسلْنا ـ رسلاً. إِلىٰ أُممٍ مِّن قبْلك ـ يا محمد. فزيَّن لهُمُ الشَّيْطانُ أعْمالهُمْ ـ عصيانهم. فهُو ـ الشيطان. وليُّهُمُ الْيوْم ـ ولى الكافرين. ولهُمْ عذابٌ أليمٌ ـ فى الآخرة. وما أنزلْنا عليْك الْكتاب إِلاَّ لتُبيِّن لهُمُ الَّذي اخْتلفُوا فيه وهُدًى ورحْمةً لِّقوْمٍ يُؤْمنُون.

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

❀ ١٤ـ بيان الآية ٦٧ :

﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ لم يصفه الله بالحسن لأنه حرَّم الخمـر، بل وصف بالحسن الرزق الذى يتخذ من النخيل والأعناب غير الخمر، كالعـجوة والرطب والزبيب... وقد ورد تحريم الخمر فى الآية ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩]. والتحريم بصيـغة أشد جاء فى الآية ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة: ٩٠].

وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ ـ فى جوف كل نوع منها. مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ـ من البطن وعروق الدم. لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ * وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ـ شرابًا مسكرًا (وهو غـير حسن). وَرِزْقًا حَسَنًا ـ من أكل وشراب غير المسكر. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ـ أى أودع فيها أمـره وقت أن خلقها. أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ ـ كذلك. وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ـ ممـا يعرش الناس من عشش لتـربية النحل. ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ ـ العسل. مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ـ يختلف لونـه وطعمه باخـتلاف المناطق والمـواسم. فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ـ من العديـد من الأمراض. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا ـ بالغنى والسيادة. بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ـ لا يقبل سيد أن يشـاركه عبده ثروته شطرًا بشطر وندًا لند، حتى ولو كان الأسياد والعبيد يعـيشون عيشة مشتركة. أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ـ أفينكرون بعد ذلك وحـدانية اللَّه ويدعـون له شركـاء فى خلق هذا الكون وتسـيـيره. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ * وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ.

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

فلا تَضْرِبُوا للَّه الأَمْثَالَ ـ العلل والمبررات. إنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ منَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ للَّه بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ ـ عالة. عَلَىٰ مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لا يَأْت بِخَيْرٍ ـ لا يفلح لجهله. هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَللَّه غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ ـ البعث. إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ـ فكل ما تتحصلون من علم هو مكتسب، لم يكن لكم منه شئ وقت مولدكم، بل اكتسبتموه بفضل الله الذى أودع فيكم العقل. وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا ـ خيامًا. تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ـ تحملونها خفيفة عند سفركم، وعند. إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا ـ تصنعون. أَثَاثًا ـ لمنازلكم، كسوة الأرائك والبسط. وَمَتَاعًا ـ من لباس وأغطية. إِلَىٰ حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً ـ الأشجار. وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ـ ملاجئ، مثل الكهوف والمغارات. وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ ـ ملابس. تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ـ دروعًا تلبسونها فى الحرب. كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ـ وقد جعل لكم عقلاً مميزًا عن سائر الأحياء. لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ * يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّه ـ يعترفون بأن اللّه هو المنعم. ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ـ بشركهم بالله. وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ـ أكثرهم يفعل ذلك وهو مدرك ظلمه، وليس عن جهل أو التباس. وَيَوْمَ ـ القيامة. نَبْعَثُ من كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ـ الرسول والدعاة المبلغين. ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ـ أى لا يفرج عنهم. وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ.

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

* وإذا رأى الَّذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الَّذين كنَّا ندعو من دونك - فهم الذين أضلونا. فألقوا إليهم القول - فأجابوهم. إنكم لكاذبون * وألقوا إلى اللَّه يومئذ السَّلَم - الإسلام له. وضلَّ - ذهب. عنهم مَّا كانوا يفترون * الَّذين كفروا وصدُّوا عن سبيل اللَّه زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون * ويوم نبعث في كلِّ أمَّة شهيداً - رسولاً. عليهم مِّن أنفسهم وجئنا بك شهيداً علىٰ هؤلاء ونزَّلنا عليك الكتاب تبيانًا لِّكلِّ شيء - للمنهج الذى تستقيم معه الحياة. وهدًى ورحمة وبشرىٰ للمسلمين * إنَّ اللَّه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلَّكم تذكَّرون * وأوفوا بعهد اللَّه إذا عاهدتُّم ولا تنقضوا الأيمان - العهد والقسم. بعد توكيدها وقد جعلتم اللَّه عليكم كفيلاً - شاهداً حاكمًا وقت العهد. إنَّ اللَّه يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالَّتي نقضت غزلها من بعد قوَّة أنكاثًا - (مثل امرأة فى مكة كانت تغزل، وكلما انتهت ولم تجد ما تغزله تنقض غزلها لتغزله من جديد - وهذا مثل يحذر اللَّه به الناس من كثرة الوعد والأيمان ثم نقض ذلك دون مبرر). تتَّخذون أيمانكم دخلاً بينكم - تدخلون فيها ما يفسدها، أى تنقضونها حين ترون أنفسكم أكثر قوة ممن عاهدتموهم. أن تكون أمَّةٌ هي أربىٰ من أمَّة إنَّما يبلوكم اللَّه به - يمتحنكم اللَّه. وليبيِّننَّ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون - ثم يحكم بحكمه الفاصل العادل.

ولو شاء اللَّه لجعلكم أمَّة واحدة ولكن يضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألنَّ عمَّا كنتم تعملون * ولا تتَّخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزلَّ قدمٌ بعد ثبوتها وتذوقوا السُّوء بما صددتُّم عن سبيل اللَّه - بعدم احترامكم العهود. ولكم عذابٌ عظيمٌ * ولا تشتروا بعهد اللَّه - العهود التى أشهدتم اللَّه عليها (ولله الشهادة على جميع العهود، سواء ذكر فيها اسمه أم لم يذكر). ثمنًا قليلاً - من عروض الدنيا وأطماعها. إنَّما عند اللَّه هو خيرٌ لَّكم - أفضل مما تتحصلون عليه بالغدر والخيانة. إن كنتم تعلمون * ما عندكم ينفد وما عند اللَّه باقٍ ولنجزينَّ الَّذين صبروا - على الوفاء بعهودهم ولم تغرهم الأمانى والأطماع. أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون - أى يضع لهم ثواب أعمالهم فى درجة عالية، فيكون أصغرها مضاعفًا فى الميزان فيُحْسَبُ بقدر أحسنها.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

* مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ـ الذين يسعون إلى المغريات الرخيصة. وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ * وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ـ إذا نسخنا حكم آية بحكم أخرى. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ـ والله يفعل ذلك لحكمة، كأن يريد التدرج بالناس نحو التيسير أو نحو الشدة. قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ـ كاذب بسبب النسخ. بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ ـ جبريل. مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ ـ الذى يدعون بأنه يلقن محمدًا القرآن. أَعْجَمِيٌّ ـ غير عربى. وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ـ ألفاظ القرآن التى يبلغها الرسول ـ ألفاظ عربية واضحة صريحة ـ. إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ ـ التضليل عن دين الله. الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ـ ومنهم. مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ ـ المرتد. إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ـ عدا من نطق بالكفر وأظهر الردة كرها عنه من رهبة التعذيب أو شدته. وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ ـ فى الدنيا والآخرة. وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ـ لن ينفعهم يوم القيامة أنهم آمنوا بعض أيام عمرهم، طالما ماتوا كافرين.

---

(١٠٠) قضية: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ [الآية: ١٠٦].

إن العقيدة إيمان مستقر فى النفس ويظهر فى القول والفعل. وإذا وقع الإكراه على المؤمن فكفر بعد إيمان، فالأمر فيه تفصيل:

١ ـ أن ينطق بالكفر لاتقاء الإكراه، ولا يتعدى الأمر سوى النطق بألفاظ الكفر، مع بقاء العقيدة السليمة مستقرة فى نفسه. وهذا هو ما تشير إليه الآية.

٢ ـ أن ينطق بالكفر، مع بقاء العقيدة السليمة مستقرة فى نفسه، ويمتد الإكراه إلى إجباره على أن يجارى الكافرين فى أعمالهم، فيقتل ويزنى ويسرق، ويخرب مقدسات الإسلام.

إن الله أرحم بالعباد أن يصل بهم الإكراه إلى هذا الحد، فليست نفس القاتل بأحق من نفس المقتول، والله أرحم من أن يبتلى الناس بأن تخرب مقدساته بأيدى المؤمنين، فإن وجد المكره مفرًا لجأ إليه وإن لم يجد فعليه بالجلد والصبر. وتقبل وقوع ما يتهدده من عذاب يجعل الله قريبًا منه، ولو وصل الأمر إلى الموت فهو عند الله شهيد، وكل نفس ذائقة الموت. ⬅

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٠٧) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (١٠٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٠) ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ (١١٣) فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٥) وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧) وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨) ﴾

ذلكَ بأَنَّهُمُ استَحبُّوا الْحيَاةَ الدُّنْيَا علَى الآخرَة وأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدي الْقَوْمَ الْكَافرِينَ * أُولْئكَ الَّذين طبَعَ اللَّهُ علَىٰ قُلُوبهمْ وسمْعهمْ وأَبْصارهمْ وأُولْئكَ هُمُ الْغَافلُونَ * لا جرَمَ أَنَّهُمْ في الآخرَة هُمُ الْخَاسرُونَ * ثُمَّ إِنَّ ربَّكَ للَّذين هاجرُوا منْ بعْد ما فُتنُوا - الذين تابوا ثم هموا بالهجرة والفرار بدينهم. ثُمَّ جاهدُوا وصبرُوا إِنَّ ربَّك من بعْدها لغفُورٌ رَّحيمٌ * يومْ - الحساب. تأْتي كُلُّ نفْسٍ تُجادلُ عن نَّفْسهَا - تسأل عما كانت تفعل فتجيب. وتُوفَّىٰ كُلُّ نفْسٍ مَّا عملتْ وهُمْ لا يُظْلمُون * وضرب اللَّهُ مثلاً قرْيةً - مكة. كانتْ آمنةً مُّطْمئنَّةً يأْتيها رزْقُها رغداً من كُلِّ مكانٍ فكفرتْ بأَنْعُم اللَّه فأَذاقها اللَّهُ لباس الْجُوع - القحط. والْخوْف - جزاءً. بما كانُوا يصْنعُونَ * ولقدْ جاءهُمْ رسُولٌ منْهُمْ - محمد ﷺ. فكذَّبُوهُ فأَخذهُمُ الْعذابُ - هزموا أمامه. وهُمْ ظالمُونَ * فكُلُوا ممَّا رزقكُمُ اللَّهُ حلالاً طيِّباً واشْكُرُوا نعْمت اللَّه إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تعْبُدُونَ * إِنَّما حرَّمَ عليْكُمُ الْميْتةَ والدَّمَ ولحْمَ الْخنزير وما أُهلَّ لغيْر اللَّه به فمن اضْطُرَّ غيْر باغٍ ولا عادٍ فإِنَّ اللَّهَ غفُورٌ رَّحيمٌ.

ولا تقُولُوا لما تصفُ أَلْسنتُكُمُ الْكذبَ هذا حلالٌ وهذا حرامٌ - دون دليل من شرع اللَّه. لِّتفْترُوا على اللَّه الْكذب إِنَّ الَّذين يفْترُونَ على اللَّه الْكذبَ لا يُفْلحُونَ * متاعٌ قليلٌ ولهُمْ عذابٌ أَليمٌ * وعلى الَّذين هادُوا حرَّمْنا ما قصصْنا عليْكَ من قبْلُ وما ظلمْناهُمْ ولكن كانُوا أَنفُسهُمْ يظْلمُونَ - بالمعاصى.

➡ ويشترط حتى يعذر من نطق بالكفر أو أتى أفعالاً أكره عليها، أن يكون الإكراه على درجة عالية من الخطورة لا يحتمله المكره. فإن كان محتملاً كأن يكون مهدداً بفقدان وظيفته، فالأرزاق على الله، ولا يُعَدُّ ذلك مبرراً للتلفظ بالكفر وإتيان أفعاله.

ويشترط كذلك أن يكون الإكراه محقق الوقوع، وليس تخمينًا بالظن. فمن يسبق الأحداث بأن يتظاهر بالكفر قبل أن يقربه الإكراه فذلك وجه من أوجه النفاق، فالمنافق يبطن الكفر ويظهر الإيمان، وهذا يبطن التصديق ويتظاهر بالكفر من قبل أن يجبره أحد على سلوك مسلك الكفر، فهو فى مصاف الكافرين الذين، مع علمهم بصدق شرع الله ورسوله، يفضلون الإعراض عن الدين، ومثل هؤلاء كمثل الذى اهتزت عقيدته وتراجعت فارتد بالفعل أمام الإكراه بأن ﴿ شرَحَ بالْكُفْر صدْرًا ﴾.

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ـ من الكفر وعناد الرسول وإيذائه وإخراج المؤمنين الأوائل من ديارهم. ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ـ الذى ينتسب إليه الأنبياء من بنى إسرائيل، وبنى إسماعيل حتى محمد، عليهم الصلاة والسلام. كَانَ أُمَّةً ـ كان فى عبادته وطاعته يساوى أمة، أى جماعة. قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

(١٠١) قضية: التفرقة بين مفاهيم: الحلال والحرام والمباح [الآية: ١١٦].

﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴾.

هذه الآية واضحة فى بيان إثم من يدعى حكمًا لشىء على خلاف ما حكم الله به.

ويجدر بنا فى هذا الصدد إيضاح مفاهيم الحلال والحرام وما يتعلق بهما من ظروف وأحوال :

أولا: الحرام : ويعنى مخالفة الالتزامات التى فرضها الشارع ورتب الإثم على عدم الوفاء بهـا، ومنه : اقتراف ما نهى الله عنه كالزنا والسرقة وشرب الخمر... والامتناع عن أداء ما أوجبه الله من فـروض فى شريعته الغراء، كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهد...إلخ.

والعبرة فى تقصى الأمور الشرعية تكون بالمعانى وليست بالألفاظ، فكل ما يتوافر فيه سبب التحريم (العلة) يدخل بالقياس فى عداد المحرمات ولو كـان معروفا فى الحياة الاجتماعـية بمسميات غير التى وردت فى نصـوص القرآن والسنة، فالمخدرات تذهب بالعقل وتضر بالبدن فهى كالخمور، ومنها ما هو أشد حرمة من الخمر كالسموم البيضاء، فهى الموت البطىء.

ثانيا: ما هو غيـر محرم، يمكن أن يكون : حلالا: مثل ما جـاء فى قوله تعالى: ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [الحج: ٣٠]. أو مكروها: وهو فعل ما نهى الله عنه نهيا غير جـازم، أو ترك ما أمر الله به لا على سبيل الجزم، كالامتناع عن أداء الصدقـات التطوعية، والنوافل فى الصلوات... أو مبـاحا: الأمور التى لا تدخل فى التـصنيف السابق تعد من المبـاحات، وهى التى يخيرفيها الفرد بين الفعل والترك.

ثالثا: الظروف التى تؤثر فى تطبيق أحكام القرآن والسنة على الواقع:

مفهوم الضرورة:

لا يحل لمسلم تغيير الأوصاف التى أعطاها الشارع للأحكام، فالحرام يـبقى حرامًا دائمًا والحلال يبـقى حلالاً دائمًا، فإذا تعلق بتطبيق الأحكام حرج ومشقة، فالتيسير ورفع المشقة أمر واجب ومطلوب. فقد قال تعالى : ﴿ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وقد قال الفقهاء: «الضرورات تبيح المحظورات» ولم يقولوا: الضرورات تحل المحظورات.

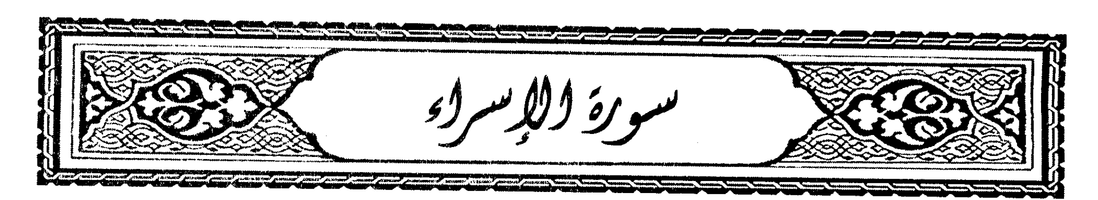
﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

* إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ ـ يومًا مفروضًا للعبادة. عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فيه ـ على الذين جادلوا رسولهم فيه، فقالوا له اجعل لنا يومًا نتفرغ فيه للعبادة، ثم شق عليهم ذلك من بعد ما فرض الله عليهم العبادة يوم السبت. وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيه يَخْتَلِفُونَ * ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ـ بالتذكير والموعظة والبينات والحجج. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِه وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِه وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ ـ يا محمد. وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّه وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ.

← لذلك يبقى وصف الحرام قائمًا، ولكن يرتفع الإثم عمن اقترفه للضرورة. وكذلك الحلال يبقى حلالاً ولو تم حظره للضرورة، كأن ينتشر المرض فى طعام معين فيحظر الحاكم تداوله، أو يمنع الحاكم زراعة بعض المحاصيل كالشاى والبن لاحتياج المجتمع إلى التوسع فى زراعة المحاصيل الغذائية الرئيسية.

تنظيم المجتمع:

إن المباح إطاره واسع، وكلما تقدم المجتمع كان الناس فى حاجة إلى القوانين التى تنظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وذلك يفرض على الدولة التدخل فى دائرة المباحات لتترك منها ما تترك وتحظر منها ما ترى حظره محققا للمصالح الوطنية، كأن تمنع السكن فى منطقة معينة لمقتضيات الأمن والدفاع العسكرى. ومن ذلك تبدو أهمية تنظيم المجتمع المعاصر بالقوانين، فلاعمل بقاعدة الأصل فى الأشياء الإباحة إلا بعد الرجوع إلى أحكام القرآن والسنة والإجماع والقياس والأعراف الصحيحة والقوانين الحاكمة، وتلك هى معايير الشرعية الإسلامية.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾

سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَىٰ بعَبْده لَيْلاً مّنَ الْمَسْجد الْحَرَام إلَى الْمَسْجد الأَقْصَا الَّذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لنُرِيَهُ منْ آيَاتنَا إنَّهُ هُوَ السَّميعُ الْبَصيرُ * وآتَيْنَا مُوسَى الْكتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لّبَني إسْرائيلَ أَلاَّ تَتَّخذُوا من دُوني وَكيلاً * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً * وَقَضَيْنَا إلَىٰ بَني إسْرَائيلَ في الْكتَاب لَتُفْسدُنَّ في الأَرْض ـ المقدسة. مَرَّتَيْن وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبيراً * فَإذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عبَاداً لَّنَا أُولي بَأْسٍ شَديد فَجَاسُوا خلالَ الدّيَار وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ ـ القوة. عَلَيْهمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بأَمْوَالٍ وَبَنينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفيراً * إنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسكُمْ وَإنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإذَا جَاءَ وَعْدُ الآخرَة ـ الثانية. ليَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَليَدْخُلُوا الْمَسْجدَ ـ الأقصى. كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ـ يدمروا. مَا عَلَوْا تَتْبيراً * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإنْ عُدتُّمْ ـ للإفساد. عُدْنَا ـ لإذلالكم. وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ للْكَافرينَ حَصيراً ـ فراشًا للجلوس فى الآخرة. إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدي ـ للسبيل التى. هيَ أَقْوَمُ وَيُبَشّرُ الْمُؤْمنينَ الَّذينَ يَعْمَلُونَ الصَّالحَات أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبيراً.

---

(١٠٢) قضية: الإسراء والمعراج [الآية: ١].

أسرى برسول الله محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلاً. قيل: كان ذلك فى السنة التى أكرمه الله فيها بالنبوة، وقيل: كان بعد بعثته بخمس سنين. وقيل كان فى ٢٧ رجب فى السنة العاشرة من النبوة.

ويرد الشيخ صفى الرحمن المباركفورى ـ فى كتابه « الرحيق المختوم» هذه الأقوال بحجة قوية، وهى أن السيدة خديجة، رضى الله عنها، توفيت فى رمضان سنة عشر من النبوة، قبل أن تفرض الصلوات الخمس. ولا خلاف فى أن الصلوات الخمس فرضت ليلة الإسراء.

←

﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا ۝ ﴾

وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ ـ فيها. عَذَابًا أَليمًا * وَيَدْعُ الإنسَانُ بالشَّرِّ ـ حقدًا عند الخصام. دُعَاءَهُ بالْخَيْرِ ـ لنفسه. وكَانَ الإنسَانُ عَجُولاً ـ فى تمنيه الشر لإخوة له فى الإنسانية، فقد ينقلب الخصم بعد المعاملة الحسنة وتغير الظروف صديقًا حميمًا. وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ـ إن الظروف من صنع اللَّه فاتعظوا، ولا تكونوا فى عجلة من أمركم.

← وهناك أقوال أخرى بأن الإسراء والمعراج كانا فى سنة ١٢ أو ١٣ من النبوة. والشيخ المباركفورى يرجح أنه كان متأخرًا عن ذلك التاريخ. والإسراء برسول الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم المعراج، أى الصعود إلى السماوات السبع حتى سدرة المنتهى كان روحًا وجسدًا، على البراق (دابة بيضاء دون البغل وفوق الحمار) بصحبة جبريل، عليهما الصلاة والسلام. وقد تم ذلك فى ليلة واحدة، ثم أصبح رسول الله فى قومه وأخبرهم بما رأى فكذبوه، فأخبرهم عن قافلتهم التى رآها عائدة فى الطريق، وأعلمهم بوقت عودتها، وغير ذلك من الإمارات. فانفض عنه أناس وبقى معه من صدقه من أمثال أبى بكر، الذى سمى صديقًا، لتصديقه هذه الواقعة حين كذبها الناس. وقد صدق بها أبو بكر بتأمل عقلى، فرأى أن المنطق الذى يصدق بالآخرة وحياة الخلود، وقدرات الله اللامحدودة وسيطرته على مخلوقاته، يقتضى تصديق تلك الواقعة التى تعتبر، على ما فيها من إعجاز، صغيرة بالقياس إلى ما أخبر به الرسول عن البعث والحساب والجنة والنار والخلود... إلخ(*).

ما هو الزمن ؟

ليس للزمن وجود مادى، وإنما هو حساب نراقب به الحركة، فالكون كله فى حركة، والأشياء من حولنا كلها تتحرك. وإذا رأينا أشياء ثابتة فهى تبدو كذلك بمقارنتها مع أشياء أخرى تجاورها، والكل فى حركة دائمة فالجماد هو فى حركة دائمة لأنه قائم على كرة تدور وتسبح فى الفضاء، وهو فى ذاته مكوّن من ذرات تدور بسرعة هائلة، وفناؤه يعنى تحلله إلى مواد جديدة هى أيضا متحركة.

إذًا فالزمن هو ذلك العدّ الذى يساعد الإنسان على مراقبة الحركة والسكون والتطور، تلك المظاهر التى تصيب الإنسان نفسه وتصيب الأشياء من حوله. وقد اعتمد الإنسان على الشمس والقمر، وعلى آلات رقمية فقسم السنة إلى أشهر واليوم إلى ساعات ودقائق وثوان، ويمكنه تقسيم وحدات العدّ إلى أصغر من الثانية كلما تمكن من مضاعفة قدرته على ملاحقة الأشياء الأكثر سرعة. وقد أثبت العالم المصرى أحمد زويل إمكانية اعتماد ما سماه بالفيمتوثانية ــ كَسْرٌمن الثانية ــ فيكون بإمكان آلة تصوير دقيقة ملاحقة دوران الذرات المكونة للأشياء، وقد حصل باكتشافه هذا على جائزة نوبل للعلوم.

أما معيار العدّ فى الآخرة فهو فى علم الله، فمنه العد المتسع، كما يقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: ٤٧]، ومنه الحصر الدقيق: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

ونسأل أنفسنا فى النهاية: أليس الله هو محرك الأشياء! ألم يجعل للضوء سرعة هائلة! فلماذا لا نصدق واقعة الإسراء والمعراج!

إن أى جسم يسخن عند طيرانه بسرعة عالية نظرًا لاحتكاكه بالغلاف الجوى المرتبط بالجاذبية الأرضية، ولتفادى تلك الحرارة العالية يركب رواد الفضاء مركبة جدرانها مصنعة من مواد خاصة كى لا تحترق. أما عند الوصول إلى الفضاء الخارجى حيث تنعدم الجاذبية أو تتعادل بين الأجرام السماوية، فإن مضاعفة سرعة المركبة لا يؤدى إلى احتراقها وذلك لضعف الاحتكاك، فتستطيع أن تقطع مسافات بعيدة جدًا فى زمن وجيز دون أن تتعرض لخطر الانصهار.

وهكذا يظهر للعلماء كل يوم الجديد من المعرفة بالخواص التى تمكن من مضاعفة سرعة التنقل، وذلك يفرض سؤالا: من الذى خلق خواص الطبيعة ؟ ألا يستطيع من خلقها أن يحقق الإسراء والمعراج برسوله روحًا وجسدًا !

(*) راجع التفاصيل فى السيرة النبوية، لابن هشام. والرحيق المختوم، لصفى الرحمن المباركفورى.

﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾

وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ـ كل إنسان يتعلق به عمله كالسلسلة المحيطة بالعنق. وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَة كتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ـ مفصلاً بحسناته وسيئاته ـ. ـ ونقول له يومئذ. اقْرَأْ كتَابَكَ كَفَىٰ بنَفْسكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسيبًا * مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدي لنَفْسه وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزرُ وَازرَةٌ وزْرَ أُخْرَىٰ ـ لا تتحمل نفس بذنوب نفس أخرى. وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً * وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ـ أنذرنا زعماء القوم فيها. فَفَسَقُوا فيهَا ـ هم وقومهم، بعد أن أُنذروا. فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْميرًا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا منَ الْقُرُون منْ بَعْد نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوب عبَاده خَبِيرًا بَصيرًا * مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجلَةَ ـ من كان همه الدنيا فقط. عَجَّلْنَا لَهُ فيهَا مَا نَشَاءُ ـ من الرزق بالقليل أو الكثير. لمَن نُّرِيدُ ـ له التمتع بها. ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ـ مبلسًا من رحمة اللَّه. وَمَنْ أَرَادَ الآخرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمنٌ فَأُولَٰئكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلاًّ ـ من سعة الرزق وضيقه. نُّمدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء ـ نعطى المؤمنين والكافرين. منْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ـ منقطعًا. انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ـ فى القوة والأرزاق. وَلَلآخرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَات وَأَكْبَرُ تَفْضيلاً.

لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّه إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عندَكَ ـ في حياتك. الْكبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ـ باللطف والوداعة والتواضع أمامهما، وذلك. منَ الرَّحْمَة وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَاني صَغيرًا ـ أما إذا كان الأبوان كافرين، فلا يجوز الترحم عليهما، عملاً بالآية: ﴿ مَا كَانَ للنَّبِيِّ وَالَّذينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفرُوا للْمُشْركينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلي قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة: ١١٣]. رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسكُمْ إِن تَكُونُوا صَالحينَ فَإِنَّهُ كَانَ للأَوَّابِينَ غَفُورًا * وَآت ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ـ من المال إن كان فى كفالتك، وبالصلات الطيبة الحميمة. وَالْمسْكينَ ـ الفقير المحتاج: بالصدقة والمعونة. وَابْنَ السَّبيل ـ الغريب المنقطع: أكرمه وأستضيفه وأعنه. وَلا تُبَذِّرْ تَبْذيرًا ـ كن عدلاً وسطا فى الإنفاق فى الأوجه المشروعة من البر والكرم. إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ ـ المتعدين لحدود الوسطية والمنفقين فى غير طاعة اللَّه هم. إِخْوَانَ الشَّيَاطين وَكَانَ الشَّيْطَانُ لرَبِّه كَفُورًا.

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴿٣٦﴾ ﴾

* وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ـ عن هؤلاء المحتاجين لعدم كفاية ما معك لإعطائهم وأنت راجيًا من عند الله أن يعطيك لتعطيهم. ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ـ قولاً لطيفًا ليّنًا يصبرهم على انتظار عطاء الله. وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ـ بالبخل. وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ـ بالإسراف أو العطاء الزائد عن الحد. فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ ـ خوفًا من الفقر. نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ـ ذنبًا عظيمًا، وعدم ثقة في الله. وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ـ لا تقدموا على ما يوقعكم في الزنى. إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً * وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ـ كأن يكون قصاصًا أو عقوبة قضى بها القضاء. وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ـ بأن يسعى لقتل غير القاتل. إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ـ بالقصاص العادل. وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ـ كأن يكون المال أصولاً أو عروضًا تجارية فتديرونها لصالح اليتيم، وتأخذون أجرا على إدارتها. حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ ـ قدّروه بإنصاف. إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ ـ قيسوا المقادير والموازين والمساحات...إلخ بالعدل. الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * وَلا تَقْفُ ـ ولا تتبع بناء على الظن والتخمين فتحكم بـ. مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ ـ الإنسان. عَنْهُ مَسْؤُولاً.

---

(١٠٣) قضية: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ **[الآية: ٣٣].**

الأمثلة على قتل النفس بالحق عديدة، ويكون ذلك في الجرائم التي تقتضي الإعدام، ولا يكون إلا عن طريق أجهزة الدولة وبالاستناد إلى حكم قضائي.

والقصاص نظام محكم ومنضبط، ينظر القضاء الدعاوى المتعلقة به، ولا يتم تنفيذ القصاص إلا بعد صدور حكم نهائي وبات.

أما الثأر فهو عمل عشوائي ووحشي، ذلك لأن الأفراد الذين يمارسونه لا دراية لهم بتحقيق الوقائع ونسبة الأعمال إلى مقترفيها، ولا بالظروف المخففة أو المشددة، فالعلم بالقواعد الجنائية وتحقيق القضايا والتثبت من الأفعال والجرائم، كل ذلك منوط بالقضاء الرسمي، وليس لأي فرد أن يمارسه خارج ساحة القضاء، حتى ولو كان من أهل الخبرة في العلوم الجنائية. فالقضاء ولاية رسمية تجمع بين خبرة الممارسة التراكمية والعلم النظري(*).

(*) راجع القضية ١٩.

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾

* وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا ـ مغرورا تتعالى على الناس، فمهما بلغت قوتك فلا وزن لها أمام قدرة اللّه، وشاهد ذلك فيما أنت عليه من أرض وما حولك من جبال. إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ ـ الذى ينصحك الله بتجنبه هو. كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا * ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا * أَفَأَصْفَاكُمْ ـ أيها المشركون. رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا ـ ؟! ـ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ـ الآيات. لِيَذَّكَّرُوا ـ ويتعظوا. وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا * قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ـ مع اللّه. آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ـ لينازعوه الملك. سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا * تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا * وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ـ مانعًا خفيًا يمنعك منهم ويحفظك من شرورهم بفضل اللّه. وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ـ أغطية فلا. يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ـ صممًا فلا يستمعون سماع العقلاء ذلك لأنهم يعادون اللّه ورسوله حبًا فى الدنيا وشغفًا بها. وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ ـ آيات التوحيد. وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ به ـ الله خبير بخفايا نفوسهم حين يسمعون آيات القرآن. وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ ـ يسخرون من هدى القرآن. إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا * انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ ـ مثلوك بالمسحور ومثلوا القرآن بالسحر. فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ـ لا يهتدون إلى نور الإيمان. وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ـ !. قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ـ ولو كنتم فى قوة الحجر والحديد. أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ـ فهل تصمدون أمام الموت الذى يصيب جميع الأحياء. فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ـ أحياء بعد الموت. قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ـ ساخرين. وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ـ يوم البعث. قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا * يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم ـ فى الدنيا. إِلاَّ قَلِيلاً ـ كصحوة من نومة.

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾

وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ـ فلا يغلظوا القول إذا ما دعوا الناس إلى الإيمان. إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ـ يوقع العداوة بين الناس من غلظة الخطاب. إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا * رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً * وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ ـ من آلهة غير اللَّه. فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ـ من دون اللَّه من أصنام أو شجر أو حيوان، أو ناس كالمسيح ابن مريم. يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ـ يرجون رضاء ربّهم ويعبدونه، وكذلك لا تدعوا. أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ـ عند اللَّه من الناس كالملائكة، فهؤلاء يدعونه. وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ـ وما ـ مِّن قَرْيَةٍ ـ أمة من الناس. إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ـ بموت أفرادها كل فى أجله. أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ـ أو ندمرها عقابًا فى الدنيا على كفر أهلها. كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ ـ السجل. مَسْطُورًا * وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ ـ علامات العذاب التى طلبها أهل مكة، إلا لأننا حين نرسل الآيات لا نمهلهم بعدها، تلك سنة، وشاهدها أننا آتينا قوم. ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ـ آية جلية من عند الله. وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا * وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ـ بقدرته عليهم فى الدنيا والآخرة وعلمه بأعمالهم ونفوسهم وتحركاتهم. وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا ـ رؤية الشهادة. الَّتِي أَرَيْنَاكَ ـ إياها، بالإسراء بك ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عروجك منه إلى السماء، معجزة من اللَّه. إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ـ امتحانًا للذين من حولك، ليرتد منهم من لم يكن مؤمنًا بحق. وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ـ أيضًا جعلناها فتنة للناس، وهى شجرة الزقوم (إذ كفر بعض الناس متعجبًا كيف تنبت شجرة فى جهنم دون أن تأكلها النار!). وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي ـ كرمته علىّ، إذ تأمرنى بأن أسجد له (سجود تحية وتكريم). لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ـ لأحكم قبضتى على. ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً * قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا.

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾

* وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ـ بوَسْوَسَتِكَ له ليعـرض عن سبيل اللّه. وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ـ أى بكل ما لديك من وسائل. وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ ـ بإدخال الحرام فيما يكسبون. وَالأَوْلادِ ـ بإفساد الذرية. وَعِدْهُمْ ـ بالأمانى الزائفة. وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي ـ المقبلين على طاعتى. لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً * رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ ـ يحفظ وييسر لكم السفن. فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُوراً.

أَفَأَمِنتُمْ ـ بعد استجابة ربكم لدعائكم حين نجاكم من محنة البحر. أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ ـ بالزلازل. أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ـ إعصاراً مدمراً. ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ـ من دون اللّه يدفع عنكم غضبه. أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ ـ فى البحر. تَارَةً أُخْرَىٰ ـ هل أمنتم أن لن تلح عليكم الظروف، وكلها من تدبير الله، فتضطرون إلى البحر مرة أخرى. فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ـ بالعقل والبصيرة. وَحَمَلْنَاهُمْ ـ محفوظين بأمرنا. فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً * يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ـ رسول عصرهم الذى بلغهم شريعة اللّه، والدعاة من بعده أو بكتابهم الذى أنزل على نبيهم بالتشريع، أو بكتاب أعمالهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً * وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ ـ الدنيا. أَعْمَىٰ ـ معرضًا عما جاءه من هدى شريعة الله. فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ ـ ضالاً عن النجاة. وَأَضَلُّ ـ حالاً مما كان عليه فى الدنيا. وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ـ حاولوا بكل ما يمكنهم التصالح معك على كتمان بعض ما ينزله اللّه من أحكام، فى مقابل أن يسلموا. وَإِذًا ـ ولو وافقتهم. لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ـ قيل لرسول اللّه ﷺ كرِّم آلهتنا ثم ندخل فى دينك، وكان قلبه يحب للناس أن يدخلوا الإسلام، ولكن اللّه ثبته على الإيمان الصادق والخالص له وحده. إِذًا ـ لو أطعتهم. لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ ـ بما فيها من فتنة. وَضِعْفَ ـ عذاب. الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً * وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ ـ يستنفرونك. مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ـ ليتاح لهم القضاء عليك. وَإِذًا ـ لو حدث ذلك. لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ ـ بعدك. إِلاَّ قَلِيلاً ـ أى لأفناهم الله من بعدك دون إمهال.

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ الْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلاً ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٣﴾ ﴾

* سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ـ إذا قتل القوم رسولهم دمرهم الله تدميراً. ولا تَجِدُ لسُنَّتنا تَحْوِيلاً * أَقِم الصَّلاةَ لدُلُوك الشَّمْسِ ـ حتى تميل الشمس عن وسط السماء إلى جهة الغرب. إِلَىٰ غَسَق ـ ظلمة. اللَّيْل ـ فروضًا ونوافل. وَقُرْآنَ ـ الإكثار من قراءة القرآن عند. الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ به نَافلَةً لَّكَ ـ عبادة لله خاصة بك، وغير مفروضة على الناس. عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً.

وَقُل رَّبِّ أَدْخلْني ـ في طاعتك. مُدْخَلَ صدْقٍ وَأَخْرِجْني ـ من الحياة وقت أن تتوفاني. مُخْرَجَ صدْقٍ ـ بالإيمان. وَاجْعَل لِّي من لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصيراً ـ (نزلت وقت أن أمر اللّه الرسول بالهجرة من مكة إلى المدينة). وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا * وَنُنَزِّلُ منَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمنينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالمينَ إِلاَّ خَسَاراً * وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ ـ عن اتباع شريعة اللّه. وَنَأَىٰ بجَانبه ـ عن طريق الإيمان. وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا * قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكلَته ـ طريقته. فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً * وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ به عَلَيْنَا وَكِيلاً ـ (تأكيد عليه بألا يبلغ إلا ما يوحى إليه). إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ـ بأن وهبك إيمانًا خالصًا. إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً * قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بمثله وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لبَعْضٍ ظَهِيراً ـ معينًا. وَلَقَدْ صَرَّفْنَا للنَّاسِ في هَذَا الْقُرْآنِ من كُلِّ مَثَلٍ ـ وبرهان مقنع بالإيمان. فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً * وَقَالُوا لَن نُّؤْمنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا منَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخيلٍ وَعنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خلالَهَا تَفْجيراً * أَوْ تُسْقطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كسَفًا ـ قطعًا. أَوْ تَأْتيَ باللَّه وَالْمَلائكَة قَبِيلاً ـ يقفون أمامنا فنراهم. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ـ قصر مهيب. أَوْ تَرْقَىٰ ـ تصعد. في السَّمَاءِ ـ أمام أعيننا. وَلَن نُّؤْمنَ لرُقيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً.

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوا ـ جادلوا. أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ـ لماذا لم يبعث الله ملائكة!. قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ـ لو أن الله فطر الملائكة للعيش على الأرض كما يعيش الناس. لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً * قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا ـ من هول ما يرون. وَبُكْمًا ـ من شدة ذهولهم. وَصُمًّا ـ من هول ما يسمعون. مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا * ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ ـ كل إنسان موقن بأنه سيموت حتمًا. فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا.

---

(١٠٤) **قضية:** ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً﴾ **[الآية: ٩٥].**

فى هذه الآية ردٌّ على ما يقوله الكافرون: لماذا لم يرسل الله رسولاً من الملائكة ؟

أوضحت الآية أمرًا هامًا وهو أن الله لم يخلق الملائكة لتسعى وتعيش على الأرض كما يعيش الناس، والرسول يجب أن يعيش ويمكث بين الناس حتى يتم بلاغ رسالة الله. فكلمة ﴿يَمْشُونَ﴾ فى هذه الآية تعنى يعيشون، ولا تقف عند المعنى الحرفى وهو التنقل، ذلك أن الله سبحانه وتعالى أرسل إلى إبراهيم ولوط، عليهما الصلاة والسلام، ملائكة فى هيئة رجال يتنقلون ويجلسون. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٦٩، ٧٠]. ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ... قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ...﴾ [هود، الآيتان: ٧٧، ٨١].

نحن بصدد رسالتين مختلفتين:

الأولى: رسالة لهداية البشر: رسل من الناس:

١ ـ لم يفطر الله الملائكة للعيش على الأرض كما يعيش الناس، والرسول الذى يبعث للهداية يجب أن يعيش مع الناس ويكون من جنسهم. لأن الناس بدورهم لم يفطرهم الله على رؤية الملائكة فى هيئتها، لذلك كانت الملائكة تنزل على الرسل فى أغلب الأحوال فى صورة رجال (عدا ما يتعلق بكرامات النبوة، مثل رؤية النبى الوحى فى بعض الأحوال على هيئته الأصلية. وربما يرى المحتضر وهو فى النزع الأخير ملك الموت على صورته).

←

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

* قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ ـ لضننتم بالرحمة على بقية خلق الله. وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً ـ بخيلاً. وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ ـ اسألهم عن رسالة موسى إلى فرعون. فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُوراً * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ ـ أى الآيات البينات. إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ ـ براهين صادقة جلية. وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً ـ ضالاً. فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ ـ فهمَّ فرعون بأن يفزعهم من الأرض ليقضى عليهم. فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا * وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ ـ آمنين. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا.

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ ـ القرآن. وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ـ وما جاء فيه هو الصدق من عند الله. وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ ـ جزأناه فى النزول على فترات من الوقت. لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ـ بروية حتى يتدبروه. وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً.

← ٢ ـ لاشك أن الله قادر على أن يرسل لهداية الناس ملائكة، ولكنه سبحانه وتعالى وضع الإنسان أمام الاختيار الحر، ليعمل عقله وضميره ويجاهد التأثر بأهوائه ونوازع نفسه ووسوسة الشيطان، فلو أرسل ملائكة ليقوموا على هداية الناس لما كان هناك مجال للاختيار بين الحق والباطل، ولما كان هناك معنى للرسالة فتكون تحصيل حاصل، فالكل سيكون منساقًا وراء الملائكة. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩].

٣ ـ لاشك كذلك أن الله قادر على أن يرسل ملائكة فى صورة رجال ويفطرهم على العيش مع الناس. يقول الله جل شأنه: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٩].

ولكن ما فائدة ذلك، فالناس إما أن يعرفوا أن رسولهم مَلَكٌ، فمنهم من يؤمن ويطيع، ومنهم من يعصى ويقول إن الرسول قادر على الانضباط وفقًا لأحكام الدين لأنه ملك، أما أنا فلست بملك.

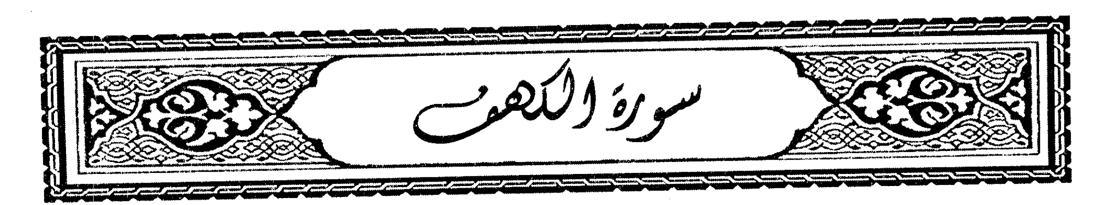
إذًا، لا فائدة ترجى للإنسان، ما بقى مكلفًا مختارًا، من أن يغير الله فطرة الملائكة لتعيش معه، أو يغير فطرة الناس فيؤهلهم لاستقبال الملائكة فى هيئتها.

الثانية: رسالة للعقاب: رسل ملائكة:

ينزل الله رسلاً ملائكة لمهمة محددة وموقوتة، فيمشون ويتنقلون، وإذا التقوا بالناس قابلوهم فى صورة بشرية ولكن لا يعيشون مع الناس ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ... ﴾ [هود: ٧٠] لا يأكلون من طعامهم، وينفذون ما أمرهم الله به من إنزال العقاب والسخط على الكافرين.

﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾

* قُلْ آمنُوا به أَوْ لا تُؤْمنُوا - فـذلك لن يزيد أو ينـقص من ملك اللّه شـيـئًـا. إنَّ الَّذينَ أُوتُوا الْعلْمَ من قَبْله - من الصادقين من أهل الرسالات السـابقة، الذين عاصروا الإسلام. إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ - القرآن. يَخرُّونَ للأَذْقَان سُجَّدًا - إيمانًا منهم باللّه والرسول. ويَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً - ما وعد الله فى الكتب السـابقة الأصلية التى لم ينلها التحريف بأنـه سبحانه وتعالى سيبعـث نبيّا ورسولاً خاتمًا، الحمـد لله أن ذلك الوعد قد تحقق. ويَخرُّونَ للأَذْقَان يَبْكُونَ ويَزِيدُهُمْ - سماع القرآن. خُشُوعًا * قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ - ادعوا الله باسمه أو بصفته. أَيًّا مَّا تَدْعُوا - فهو يقبل منكم. فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ - الصفات الحسنى. ولا تَجْهَرْ بصَلاتكَ - أى بدعائك بصـوت عـال (المعـروف مـن كلام العرب أن الصلاة : الدعاء). ولا تُخَافتْ بهَا - بصوت منخفض غيـر مسموع. وابْتَغِ بَيْنَ ذَلكَ سَبيلاً * وَقُلِ الْحَمْدُ للَّه الَّذي لَمْ يَتَّخذْ وَلَدًا ولَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ولَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) ﴾

الْحَمْدُ لله الَّذي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْده الْكتَاب وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عوجًا ـ قصورًا أو تناقضًا. قَيِّمًا لِّيُنذر بَأْسًا ـ عذابًا. شَديدًا مِّن لَّدُنْهُ ـ على من يكفر به. وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمنينَ الَّذين يَعْمَلُونَ الصَّالحَات أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكثين فيه أَبَدًا * وَيُنذرَ الَّذينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُم به منْ علْمٍ وَلا لآبَائهمْ كَبُرَتْ كَلمَةً تَخْرُجُ منْ أَفْوَاههمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذبًا * فَلَعَلَّكَ بَاخعٌ نَّفْسَكَ ـ مهلك نفسك حزنًا وأسفًا. عَلَىٰ آثَارهمْ إِن لَّمْ يُؤْمنُوا بهَذَا الْحَديث أَسَفًا ـ حسرة عليهم. إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْض زينَةً لَّهَا لنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً * وَإِنَّا لَجَاعلُونَ ـ كل. مَا عَلَيْهَا صَعيدًا جُرُزًا ـ ترابًا كالصعيد يوم القيامة. أَمْ حَسبْتَ ـ عندما سألك السائلون. أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْف وَالرَّقيم كَانُوا ـ هم فحسب. منْ آيَاتنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفتْيَةُ ـ لجأوا. إِلَى الْكَهْف فَقَالُوا رَبَّنَا آتنَا من لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا منْ أَمْرنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانهمْ ـ أنزلنا عليهم النوم. في الْكَهْف سنينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لنَعْلَمَ ـ لنظهر علمنا لمن ينشغلون بأمرهم. أَيُّ الْحزْبَيْن أَحْصَىٰ لمَا لَبثُوا أَمَدًا ـ أى الفريقين المختلفين بشأن أهل الكهف على دراية بمدة مكوثهم فى كهفهم. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بالْحَقّ إِنَّهُمْ فتْيَةٌ آمَنُوا بربّهم وَزدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبهمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَات وَالأَرْض لَن نَّدْعُوَ من دُونه إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا من دُونه آلهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهم بسُلْطَان بَيِّنٍ ـ وليس ذلك من شرع اللّه. فَمَنْ أَظْلَمُ ممَّن افْتَرَىٰ عَلَى اللَّه كَذبًا * وَإِذ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ ـ وألهمنا أهل الكهف أن اعتزلوا قومكم ما داموا على كفرهم ولا تعبدوا. إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْف يَنشُرْ ـ ييسر. لَكُمْ رَبُّكُم مّنْ رَّحْمَته وَيُهَيِّئْ لَكُم مّنْ أَمْركُم مّرْفَقًا ـ إصلاحًا لحالكم.

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾

* وترى الشمس إذا طلعت تزاور - تميل فتحجب ضوءها. عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم - تتجاوز عنهم. ذات الشمال وهم في فجوة منه - ينامون تجاه فتحة من الكهف. ذلك من آيات الله - المعجزات. من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا * وتحسبهم - إن رأيتهم. أيقاظًا وهم رقود - فى نوم عميق. ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال - نبدل أوضاعهم وهم نائمون. وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد - بمدخل الكهف. لو اطلعت عليهم - لو نظرت إليهم عن قرب وتفحصت حالهم. لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا * وكذلك بعثناهم - أيقظناهم على هذه الحال. ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم - شكوا فى واقع أمرهم. فابعثوا أحدكم بورقكم هذه - عملة فضية. إلى المدينة فلينظر - أطيب الطعام. فليأتكم برزق منه وليتلطف - وليحذر فى معاملة الناس. ولا يشعرن بكم أحدًا * إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذًا أبدًا * وكذلك أعثرنا عليهم - كشفنا لقومهم عن حقيقة أمرهم والمعجزة التى اجتازوها. ليعلموا - ليعلم الناس. أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم - تنازع الناس فى أمر أهل الكهف بعد موتهم (لما علم أهل الكهف أنهم بعثوا فى غير زمانهم دعوا الله أن يتوفاهم، فاستجاب لهم). فقالوا - بعض الناس. ابنوا عليهم بنيانًا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا علىٰ أمرهم لنتخذن عليهم مسجدًا * سيقولون - أى الذين سألوا رسول الله عن قصة أهل الكهف. ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار - تجادل. فيهم إلا مراء ظاهرًا ولا تستفت فيهم منهم أحدًا * ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدًا * إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت - فقل إن شاء الله. وقل عسىٰ أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدًا * ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعًا.

﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ به وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونه من وَلِيٍ وَلا يُشْرِكُ في حُكْمه أَحَدًا * وَاتْلُ مَا أُوحيَ إلَيْكَ من كتَاب رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لكَلمَاته وَلَن تَجدَ من دُونه مُلْتَحَدًا * وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بالْغَدَاة وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ - لا تزهد فى مجالستهم إرضاء لبعض الكافرين (طلب أعيان القوم من محمد، صلى الله عليه وسلم، إقصاء الفقراء عن مجلسه حتى يدخلوا فى دينه). تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاة الدُّنْيَا وَلا تُطعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا * وَقُلِ الْحَقُّ من رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالمينَ نَارًا أَحَاطَ بهمْ سُرَادقُهَا وَإن يَسْتَغيثُوا يُغَاثُوا بمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا * إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات إنَّا لا نُضيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُوْلَئكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي من تَحْتهمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فيهَا منْ أَسَاوِرَ من ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإسْتَبْرَقٍ - حرير رقيق وحرير سميك. مُّتَّكئينَ فيهَا عَلَى الأَرَائك نعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا * وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْن جَعَلْنَا لأَحَدهمَا جَنَّتَيْن منْ أَعْنَاب وَحَفَفْنَاهُمَا بنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا - كان الخير يعمهما من كل ناحية. كلْتَا الْجَنَّتَيْن آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلم مِّنْهُ شَيْئًا - كان طرحهما على أحسن ما يكون. وَفَجَّرْنَا خلالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لصَاحبه وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ منكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالمٌ لِّنَفْسه قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبيدَ - تفنى. هَذه أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائمَةً وَلَئن رُّددتُّ إلَىٰ رَبِّي - يشك فيقول: إن كان الله سيبعث الناس. لأَجدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا - لأجد أفضل من الدنيا. مُنقَلَبًا - ظنا منه أن المقامات فى الآخرة تقوم على معايير التفاضل الدنيوية. قَالَ لَهُ صَاحبُهُ وَهُوَ يُحَاورُهُ أَكَفَرْتَ بالَّذي خَلَقَكَ من تُرَاب ثُمَّ من نُّطْفَة ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَّكنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ برَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلا إذْ - كلام عتاب، أى لماذا لم تقل حين. دَخَلْتَ جَنَّتَكَ: مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إلاَّ باللَّه إن تَرَن أَنَا أَقَلَّ منكَ مَالاً وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتيَني خَيْرًا مِّن جَنَّتكَ وَيُرْسلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا - صواعق. مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبحَ صَعيدًا - ترابًا رفيعًا. زَلَقًا - لا يرتوى، وإنما ينزلق الماء عليه فلا ينبت زرعًا.

﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا ـ أو تبلع الأرض نبع الماء الذى يروى الحديقة. فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ـ وقع الأمران اللذان حذره منهما صاحبه. فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ـ نـدم على كفره حين رأى عذاب اللّٰه. وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ـ ولم تدفع عنه أمر اللّٰه عزوته ولا قوته. هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ـ للّٰه الأمر كله. هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا * وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ـ فازدهر، ثم أصبح بعد زمن يابسًا مـهشّمًا كالتبن. تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ـ من الأعمال النافعة هى. خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا * وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ـ يوم القيـامـة. وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ ـ لـم نتـرك. مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ـ عندئذ يندم الكافرون على كفرهم وقت الحساب. بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا * وَوُضِعَ الْكِتَابُ ـ عُرض كل سـجل للأعمال أمام صـاحبه. فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ـ مجسمًا أمام أعينهم دفعة واحدة. وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

---

(١٠٥) **قضية:** ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الآية: ٤٩].

إذا تـأمل القـارئ هـذه الآية علم أن سجل الأعمال ليس كأى كتـاب. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾.

لم يقل اللّٰه ووجدوا مـا عملوا مذكـورًا أو مسجلاً، فـيتوهم البـعض أن الكتاب مثل دفـاتر الدنيا أو ذاكرة المـعلومات أو الأفلام التى تعـرض الأحداث على التوالى. إن عـبارة ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ تعنى بكل وضوح أن أعـمال المجـرمين ستحضر أمام أعينهم فيرونها كاملة دفعـة واحدة وليس على التوالى، لأن التوالى يعنى رؤية البعض وغياب الباقى، وما تم رؤيته يغيب ثم يأتى ما بعده، وهكذا. ولكن الخطاب جامع لجميع ما عمله المجرمون وحاله أنه حاضر. فإذا كان الإنسان فى الدنيا لا يرى بعينيه فى المرة سوى جزئية واحدة مباشرة من المشاهد التى أمامه ثم ينتقل بعينيه ليرى غيرها، وهكذا، إلا أنه يوم الحساب سيجعله اللّٰه يرى كل أعـماله دفعة واحدة، وكأن له أعينًا بعدد أعـماله فى الدنيا، ترى كل عين منها عملا من الأعـمال باستقلال عن غيره، فيرى كل أعماله فى نفس الحين.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾

* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائكَة اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيس كَانَ مِنَ الْجِنّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبّه أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ من دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمين بَدلاً * مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوات والأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ـ لم يُشهد أحدًا أحداث الخَلْق. وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلّين عَضُدًا ـ أعوانًا. وَيَوْمَ يَقُولُ ـ اللَّه للكافرين. نَادُوا شُرَكَائي الَّذين زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ـ مَهْلَكًا (قيل: واد من نار). وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّار فَظَنُّوا ـ أيقنوا. أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ من كُلِّ مَثَلٍ ـ يُقَرِّبُ إلى العاقل الإيمان باللَّه. وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ـ القرآن. وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ـ اللَّه فى. الأَوَّلِين ـ فقد أهلك الله أممًا من الظالمين فى الدنيا. أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً ـ أمامهم فى الآخرة. وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِين وَيُجَادِلُ الَّذِين كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِه الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَات رَبِّه فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِي مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ـ من ظلم. إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ـ فى الدنيا بإهلاكهم فيها، ثم يعذبهم فى الآخرة. بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ ـ يوم الحساب. لَّن يَجِدُوا من دُونِه مَوْئِلاً ـ ملجأ. وَتِلْكَ الْقُرَىٰ ـ التى مضى عليها الزمان وذكرنا قصصها فى القرآن. أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا ـ حددنا مسبقًا. لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ ـ سأظل فى السفر. حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ـ فترات من الزمن حتى أجده (كناية عن العزم والإصرار). فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ـ بين البحرين. نَسِيَا حُوتَهُمَا ـ خلدا إلى الراحة ونسيا الأكل، فاتخذ الحوت. سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ـ فلما عاودا السير وجاوزا المكان، قال موسى لفتاه يوشع بن نون: آتنا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا من سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ـ تعبًا.

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾

* قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ - لنستريح. فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ - تركته من يدى. وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ - أنسانى الشيطان أن أذكر لك ما رأيت من شأنه، إنه. اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ - أى هذه أمارة من الله على المكان الذى نريده. فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا - هو الخضر، عليه السلام. آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا - ما لم تعرف الحكمة الكامنة خلفه. قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا - أى إن الخضر، عليه السلام، هو الذى يحدد متى يبين حكمة تصرفاته. فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا - الخضرُ. قَالَ - موسى: أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ - موسى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ - موسى: إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا - كانوا بخلاء. فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا - لماذا تتكرم عليهم فلا تطالبهم بأجرك وقد كانوا بخلاء علينا؟. قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ(*) سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ - سليمة. غَصْبًا - أما المعطلة فلن يأخذها الملك، ثم إن إصلاح الثقب الذى فعله الخضر بها أمر يسير.

(*) إن قول الخضر لموسى، عليهما الصلاة والسلام: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ ليس تقريعًا أو خروجًا عن حدود اللياقة والأدب، إذ أن موسى هو الذى أذن له من قبل فى ذلك: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.

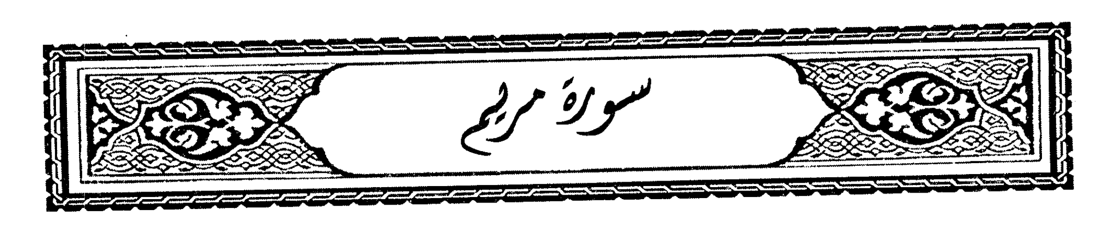
﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾

* وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ - وكانت نوازعه على خلاف فطرة الإيمان. فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً - طهارة نفس. وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا - كان مؤمنًا مستجاب الدعاء عند اللّه. فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا - تحقيقًا لأمل أبيهما. رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا - هذا تعليل ما لم تتحمل نفسك قبول ظاهره. وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ - يبتغيه سببًا أى علمًا للوصول إليه. فَأَتْبَعَ سَبَبًا - أى طريقًا - راح يتفقد أحوال الناس. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ - وقت الغروب. وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ - تبدو غاربة فى عين عكرة غير صافية، فأدرك ذلك المكان. وَوَجَدَ عِندَهَا - ناحية العين. قَوْمًا - كافرين. قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ - تأخذهم بالقوة. وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا - أو تدعوهم باللطف واللين. قَالَ - سندعوهم إلى الحق. أَمَّا مَن ظَلَمَ - بعد علمه بشرع الله. فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ - وسنجعل. لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا.

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا - اتخذ طريقًا آخر - حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ - وقت الفجر. وَجَدَهَا تَطْلُعُ - تشرق. عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا - عراة يحيون حياة بدائية. كَذَلِكَ - كان الأمر ولا غرابة. وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا - علمًا. ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ - الجبلين. وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً - لهم لغة خاصة غير معروفة. قَالُوا - أعلموه بما يريدون، ربما بالإيماء كحديث البكم. يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ - فقد كان له صيت فى جميع البلاد. إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا - عطاءً. عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ - مما تعرضون عليّ من عطاء. فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ - ساعدونى بالعمل. أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ - قطع. الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ - حتى سوى بين جانبى الجبل بذلك الردم، ثم أشعل النار على سطحه و. قَالَ انفُخُوا، حَتَّىٰ إِذَا - توهجت النار. قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ - أصبُّ. عَلَيْهِ قِطْرًا - النحاس المنصهر.

﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾

فَمَا اسْطَاعُوا ـ لم يتمكن قوم يأجوج ومأجوج. أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ـ خسف بالسد الأرض إذنًا منه بخروج يأجوج ومأجوج، وذلك قبل قيام الساعة. وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ـ إذنًا بالبعث. فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا * وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ـ الذين كانوا يعرضون عن دين الله ولا يستجيبون للحق. أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا * قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا * قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا ـ حبرًا مسخرًا. لِّكَلِمَاتِ رَبِّي ـ لكتابتها. لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ كٓهيعٓصٓ (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا (٩) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥) وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) ﴾

كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا - كناية عن كبر السن. وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا - يائسًا. وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي - لا أثق فى أحد يتولى أمر الدعوة من بعد موتى. وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي - يخلفنى. وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ - يرث النبوة التى ظلت فى نسل يعقوب. وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ - سميناه يحيى. لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا - لا تنجب. وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا - بلغت من الشيخوخة أمدا. قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ - يسير. وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً - ليسكن قلبى. قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا - متتاليات. فَخَرَجَ عَلَىٰ - المؤمنين من. قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ - بالإشارة. أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا - (حمداً للَّه على بقاء النبوة فيهم). - ثم ولد يحيى. يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ - مسؤولية الرسالة. بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ - النبوة. صَبِيًّا * وَحَنَانًا - رحمة. مِّن لَّدُنَّا - للناس. وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا * وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا - الملك. فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا - رجلاً حسن الخلقة. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ - فهلا انصرف. إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي - لم يتزوجنى. بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا.

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

* قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ - من فورها. فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ - وهى عند. جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَاهَا - عيسى، عليه الصلاة والسلام. مِن تَحْتِهَا - عند ولادته. أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا - جعل فى متناولك خيرًا وبركة. وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ - فتهتز بإذن ربّك. تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي - من الثمر. وَاشْرَبِي - من الماء القريب منك. وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي - بالإشارة. إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا - عن الكلام. فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ - يا مثيلة هارون (رجل من بنى إسرائيل) فى صلاحه وعفته. مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا(*) * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ - إلى وليدها عيسى أن اسألوه. قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ - عيسى. إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ - الرسالة. وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ - شأن رسول الله. عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - وهو القول الحق من الله. الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ - يرتابون. مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ - واحد لا شريك له. فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ * أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا - فى الآخرة. لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ - يوم القيامة والحساب. إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ.

(*) قد يفهم من الآية أن الصفات الأخلاقية قد تتوارث، ويؤثر فيها المحيط الأسرى الذى نشأ الشخص فى ظله. ولكن هذا وإن كان صحيحًا وفقًا لغالب الأحوال وظاهرها إلا أنه ليس بمطلق، فالفرد مختبر فى الدنيا ولو كان فى بيئة صالحة. فابن نوح لم يوفق إلى الإيمان بالرغم من أن أباه كان رسولاً نبيًا. وعكس ذلك إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، كان أبوه كافرًا. فالآية هى فى سياق الاستغراب أو التعجب أو اللوم.

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ـ النبوة والرسالة. مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ـ مطلقًا. قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ـ بارًا كريمًا. وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي ـ الواحد. عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ـ دعا الله أن يعينه على الاستمرار فى طاعته. فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا * وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ ـ الجبل. الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ـ يؤازره. وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا * وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا * فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ـ تركوا الدين. وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا * جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ ـ المؤمنين المصدقين. بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا.

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾

* وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ـ وما ينزل جبريل عليك يا محمد إلا فى أوقات يقدرها الله (سأل رسول الله محمد ﷺ جبريل أن يكثر من النزول عليه). لَهُ ـ لله. مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ ـ الزم الصبر والعزيمة. لعِبَادَتِه هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ـ هل تعلم للرب مثلاً وشبيهًا، أو هل هناك من يسمو إلى مكانته! وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَلا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا * فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ـ جاثين على رُكَبِهِمْ. ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ـ أيهم كان أشد الناس كفرًا بالله وتحديًا للرسل. ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا ـ بجهنم. صِلِيًّا * وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ـ كل الناس يردون على جهنم ليروها. كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ـ نبعدهم عنها. وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ ـ يدخلون. فِيهَا جِثِيًّا * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ـ على الناس. آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ـ أى الفريقين أقوى وأشد مجتمعًا فى الدنيا، فلا تجيبوا الرسل وأقبلوا على عز الدنيا. وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ـ من الظالمين الذين كانوا. هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ـ أكثر مالاً وأحسن جاهًا. قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ ـ عن كبر وتعمد. فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ ـ مطلقًا فى الدنيا والآخرة. وَإِمَّا السَّاعَةَ ـ عذاب الآخرة دون عذاب الدنيا للذين نمهلهم. فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا * وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ـ بالإيمان الصادق. وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ـ مما يعمل المؤمنون بقصد التقرب إلى الله. خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا * أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ـ فى الآخرة (كافر قال لدائنيه: سأوفيكم ما لكم فى الآخرة، ألستم تزعمون أن الجنة فيها الذهب والفضة؟). أَطَّلَعَ الْغَيْبَ ـ هل عرف مصيره وحسابه قبل أن يحين موعده. أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا * وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا ـ يوم الحساب. فَرْدًا * وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ ـ المعبودون من دون الله سيكفرون بالضالين الذين عبدوهم. وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ـ يشهدون ضد الكافرين بأنهم لم يأمروهم بعبادتهم.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾ ﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا * فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ ـ الأيام. عَدًّا * يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا * لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ـ بالإيمان الخالص. وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ـ ذنبًا عظيمًا. تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ ـ يتشققن. مِنْهُ ـ من هذا القول. وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ـ للحساب. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ـ لطفًا ومحبة. فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ـ أناس عداوتهم للدين وللمؤمنين شديدة. وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ـ أمم. هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ـ صوتًا أو دبيبًا.

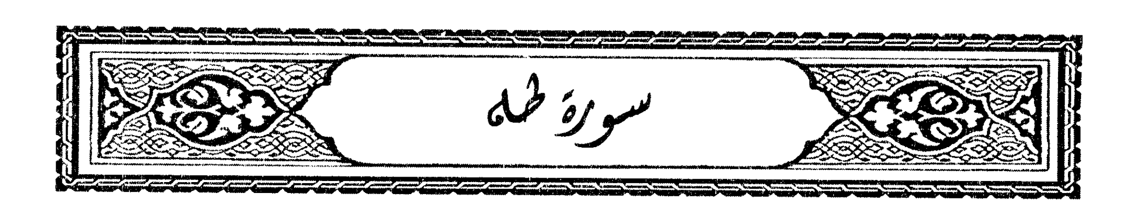
(١٠٦) قضية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [الآية: ٨٣].

يقال: القِدْرُ أَزّت عندما يشتد غليانها(*).

والمعنى أن الشياطين توسوس فى صدور الكافرين فتملؤها غلاً وحقدًا على المؤمنين.

لا يرسل الله الشياطين على الناس ليحجب عنهم طريق الإيمان، وإنما الكافر هو الذى يجحد الإيمان ابتداء، بالرغم من وضوحه فى وعيه وإدراكه، وعند الإصرار المستمر من الكافرين على جحود الإيمان، ترتفع يد الله عن معونتهم فى المحنة التى يمتحن بها كل إنسان منذ آدم عليه السلام. فقد أمهل الله إبليس وأعوانه من الشياطين منذ البداية. يقول تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٤ ـ ١٨]، وهذه هى محنة الإنسان، والله دائمًا إلى جانب من كان ضميره سليمًا يساند الحق كلما لاح له، فمثل هذا يساعده الله على دفع وساوس الشياطين. أما المكابر المعاند فالله يرفع يد العون عنه، ذلك أن الله لا يَزجُّ بأحد إلى الكفر، وهو سبحانه وتعالى الذى يدعو الناس إلى الإيمان، فكما يمتحن الله الناس بالشياطين توسوس لهم بالشر، فهو يوكل إليهم ملائكة توحى إليهم فعل الخيرات والابتعاد عن سبل الضلال.

(*) راجع مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانى.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ طه ۞ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۞ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۞ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۞ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۞ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۞ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۞ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۞ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۞ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۞ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۞ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۞ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۞ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۞ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۞ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۞ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۞ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۞ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۞ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۞ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۞ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۞ يَفْقَهُواْ قَوْلِى ۞ ﴾

طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ـ (نزلت بمناسبة قول الكافرين : لقد شقي هذا الرجل بدينه. ويقولون ذلك في كل عصر، خاصة عندما يرون ضعفًا يحل بالمؤمنين) . إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ * تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ـ ما في باطن الأرض. وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ ـ ظنًا بأن ذلك أفضل عند اللَّه، فاعلم أنه. يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ * وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ـ رأيت. نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ـ بشعلة. أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ـ مرشدًا يرشدنا إلى طريق سفرنا. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ ـ اصطفيتك للرسالة. فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ـ أي إنها اقتربت. لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلا يَصُدَّنَّكَ ـ عن الإيمان. مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ـ فتهلك. وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ـ ؟ . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ * قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَىٰ * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ـ جنبك. تَخْرُجْ بَيْضَاءَ ـ منيرة. مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى * اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي.

﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَٰرُونَ أَخِي (٣٠) ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ (٣٦) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ (٣٨) أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ (٣٩) إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ (٤٠) وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨) قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣) كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ (٥٤) ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥) ﴾

* واجعل لي وزيراً من أهلي * هرون أخي * اشدد به أزري * وأشركه في أمري * كي نسبحك - نمجدك. كثيراً.

* ونذكرك كثيراً * إنك كنت بنا بصيراً * قال قد أوتيت سؤلك يا موسى * ولقد مننا عليك مرة أخرى * إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى * أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له - هو فرعون، إذ كان عدواً لبنى إسرائيل، يأمر بقتل الذكور من مواليدهم. ولكن إرادة الله شاءت أن يصرف كيده عن موسى الرضيع، فأخذه ليربيه. وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني - ولتربى على هدايتى. إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله - فقد كان يرفض لبن المرضعات. فرجعناك إلى أمك - دلتهم أخته عليها، كأنها إحدى المرضعات، فقبل لبنها. كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفساً - قتل مصريًا كان فى شجار مع إسرائيلى. فنجيناك من الغم - من خوفك من القوم الذين يريدون قتلك. وفتناك فتونا - أخرى. فلبثت سنين في أهل مدين - بعد فرارك من مصر خوفًا من جزاء قتل المصرى. ثم جئت - هنا الآن. على قدر - بتوقيت محكم بعناية الله. يا موسى * واصطنعتك لنفسي - واصطفيتك لرسالتى. اذهب أنت وأخوك - للدعوة لدين الله وسأدعمكما. بآياتي ولا تنيا في ذكري - ولا تهملا عبادتى. اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولاً ليناً - بالحكمة واللطف. لعله يتذكر أو يخشى * قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا - يبطش بنا. أو أن يطغى * قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى * فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى * إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى * قال - فرعون. فمن ربكما يا موسى * قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه - هيأته ونماءه. ثم هدى - كل مخلوق إلى سبيل حياته. قال فما بال القرون الأولى - الأمم السابقة. قال علمها عند ربي في كتاب - محفوظ. لا يضل ربي - عنها. ولا ينسى * الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى * كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى - أصحاب الحكمة والبصيرة. منها - من الأرض. خلقناكم وفيها نعيدكم - بعد الموت. ومنها نخرجكم تارة أخرى.

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتَنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ * قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا - وتستولي عليها. بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى - مناسبًا. قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ - يوم عيد لهم. وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ - وقت الضحى. فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ - انصرف عنهما. فَجَمَعَ كَيْدَهُ - استدعى أعتى الناس خبرة بالسحر. ثُمَّ أَتَىٰ - اللقاء. قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ * فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ - في شأن موسى وهارون. وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ - أخفوا تدبيرهم عن موسى وهارون. قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ - بسُنَّتكم السامية. فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا - متضامنين. وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ - إلى موسى. مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا - حين رأوا معجزة اللَّه على يد موسى وعلموا أنها ليست بسحر. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ * قَالَ - فرعون: آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ - إنكم والیتموه سرًا، ثم تظاهرتم أمامي بتحديه فهو. الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ - وأثبت. قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ - لن نقدِّمك. عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا - هو اللَّه. فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا.

﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ ﴾

إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ـ سبحانه له الدوام. إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ـ تطهر. وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ ـ بعصاك الماء تشق. لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ ـ من فرعون. دَرَكًا ـ لحاقًا بك. وَلا تَخْشَىٰ ـ غرقًا فى البحر. فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ـ فأغرقوا. وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ * يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ـ فرعون وجنوده. وَوَاعَدْنَاكُمْ ـ بإنزال كتاب الله (التوراة) على نبيكم موسى عند. جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ـ فى التيه. الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ـ المن: قيل إنه كان حلوى تتبلور على أوراق الشجر، والسلوى: طائر كالسمان، وهو طائر طرى اللحم شهى الطعم، مفضل مذاقه على بقية اللحوم. كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ ـ واجتنبوا الظلم فى معاشكم. فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ـ سقط. وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ * وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ـ ترك موسى قومه متعجلاً للقاء ربّه. قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ـ بنعمة الله فنسيتم المنعم؟! أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ـ فتخلفتم عن المجئ فى أثرى.

(١٠٧) قضية: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [الآية: ٨٤].

إن طاعة الله عبادة، فإذا فرض الله وقتًا لأداء ما أمر به، صار احترام الوقت جزءًا من طاعة الله، فلا يجوز التقديم أو التأخير. لذلك قال الله سبحانه وتعالى، ردًا على موسى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ وذلك لبيان أن المواقيت لا تهاون فيها، حتى ولو كان دافع المرء حبه لله، فليس له أن يقدم أو يؤخر إلا بإذن الله، وإلا فتح أبوابًا للفتنة، لأنه لا يعلم الحكمة من التوقيت سوى من شرّعه، وهو الله سبحانه وتعالى.

ومن باب رحمة الله بعباده أن جعل فى هذه الشريعة الخاتمة إلى جانب فروض العبادات النوافل، وذلك ليجد من يحب الله بابًا واسعا لعبادته كلما رغب فى ذلك. وجعل أوقاتًا موسعة للصلوات المفروضة ليسهل على الناس تأخير بعض الفروض فى حدود ما وسع الله فى وقت أدائها.

﴿ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ـ بإرادتنا. وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا ـ بمعنى أمانات. مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ ـ كانت نساء بنى إسرائيل قد اقترضن الحلى والزينة من المصريات ليشعرن بأن سبب تجمعهم هو عيد يحتفلون به، وليس عزمهم على الفرار من مصر. فَقَذَفْنَاهَا ـ فى النار. فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ـ ألقى السامرىُّ سِحْرَهُ فى تلك الحلى المنصهرة. فَأَخْرَجَ لَهُمْ ـ شكّل من الحلى المنصهرة. عِجْلاً جَسَدًا ـ تمثال.لَّهُ خُوَارٌ ـ يحدث صوتًا عندما يصطدم به الهواء يشبه خوار البقر. فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ـ فقد يكون موسى نسى أنه سيأتيه هنا. أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًا وَلا نَفْعًا * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ * قَالَ ـ موسى عندما عاد. يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا بْنَؤُمَّ ـ (يا ابن أمى). لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ ـ خفت أن آخذهم بالشدة فينفضوا من حولى، فتقول. فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي * قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً ـ من الأرض. مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ـ فألقيتها فى الحلى المذابة. فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي * قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ ـ عقوبة فى الدنيا بألا يخاطب الناس ولا يخالطهم ولا يؤاكلهم ولا يمسه أحد (قيل إنه إذا مسَّ أحد الناس أو مسَّهُ أحد حُمِيَ الاثنان). وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا ـ يوم الحساب. لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ ـ تمثال العجل. الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ـ تعبده. لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ـ ندمره ثم نلقى حطامه فى الماء. إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا * كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ـ القرآن. مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ـ عن التصديق بالقرآن والعمل بما فيه من أحكام. فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ـ ذنبًا عظيمًا. خَالِدِينَ فِيهِ ـ فى عاقبة هذا الذنب. وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً * يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ـ النفير. وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ـ لونهم أزرق من شدة الخوف والحسرة. يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ ـ قائلين. إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا ـ عشر ليال.

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ـ أكثرهم فطنة. إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا ـ لأن الماضى كله كالحلم لا حساب له إلا كيوم البارحة. وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ـ ومصيرها يوم القيامة. فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ـ يسويها بالأرض التى أسفلها. لا تَرَىٰ فِيهَا ـ فى الأرض التى كانت عليها الجبال. عِوَجًا وَلا أَمْتًا ـ بروزًا أو نتوءًا. يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ـ وهو الملَكُ إسرافيل الذى ينفخ فى الصور. لا عِوَجَ لَهُ ـ لا انحراف عن اتباعه. وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ـ صوت الحركة الخفيفة. يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ـ وهو قول الإيمان الصادق. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا * وَعَنَتِ ـ خشعت. الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ـ لا وزن لأعمال الخير يوم القيامة إن لم تكن مقرونة فى الدنيا بالإيمان الصادق. فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا * وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ـ الإنذار والتهديد. لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ـ عظة واعتبارًا. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ـ فتبلغ ما ينزل عليك منه. مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ـ قبل أن يتم جبريل ما يطبعه فى قلبك من آيات. وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا * وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ ـ وارتكب المعصية. وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ـ على دوام الصبر والطاعة.

(١٠٨) قضية: ضروب النسيان. ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [الآية: ١١٥].

من المعلوم أن الله عهد إلى آدم أن يتبع أوامره ويتجنب نواهيه، فموضوع العهد هو التزام أوامر الله، فلا عهد بدون شرع، ولا شرع بدون قيد.

والسؤال: ماذا نسى آدم ومتى وكيف نسى؟

نسيان آدم:

إن الناسى والمخطئ عن غير قصد والمستكره، لا تنعقد مسؤوليتهم كاملة فى جميع الشرائع، سماوية كانت أم وضعية، وإن كان الإسلام باعتباره الرسالة الخاتمة، أكثر تخفيفا وتيسيرا على هؤلاء. يقول رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»(*).

لو كان آدم ارتكب خطيئته وهو ناس أن ما أقدم عليه محظور، لدخل نسيانه فى إطار الخطأ الذى يغفره الله ولما طرد من الجنة، ولكنه فى الواقع ارتكب المحظور متعمدًا وهو عالم أنه محظور(**).

⬅

(*) ابن ماجة، الطلاق ٢٠٣٣ ـ ٢٠٣٥.

(**) راجع سورة الأعراف، الآية ٢٠. وسورة طه، الآية ١٢٠.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ * إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ ـ ولا تشعر بالحر أو تـضيع فلا تجد المأوى. فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ * فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ـ عوراتهما، ولم تكن من قبل ظاهرة. وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ ـ يضعان. عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ـ ضل. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ـ إن المتأمل يرى أن شقاء الدنيا يـصاحب كل من يعيش فيها، فالفقير يشـقى بالحاجة والعوز، والغنى تشقى نفسه بجمع المـال وتملٌّ من الإغراق فى الملذات، ومن يعرض عن ذكر الله فلا أمل له فى الآخرة. وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ـ ضالاً لا يرى نور اللَّه. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ ـ فى الدنيا. بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ـ أى أعرضت عنها. وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ـ تترك فى ظلمتك. وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ـ فكان من المعرضـين عن الدين والإيمان باللَّه ووحدانيتـه والتفكر فى الآخرة. وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ.

➡ يقول الله سبـحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ... ﴾ أى إن آدم وقت العهد كان عالـمًا بقدر ذلك العهد ومقدراً لتبعاته، ثم بعد ذلك، مع مـرور الوقت والاستمتاع بنعـيم الجنة، نسى قدر ذلك العهد، أى تخـففت نفسه من هيـبة حد الله، دون أن تذهب الدراية من ذاكرته. فـالنسيان هنا إعراض، بمـعنى ضعف الإرادة والعزيمة على احـترام حكم الشرع ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ فلما صارت نفسه مهيأة لارتكاب الذنب، أقدم عليه واعيا بأنه ذنب، ونفس الكلام يقال عن حواء.

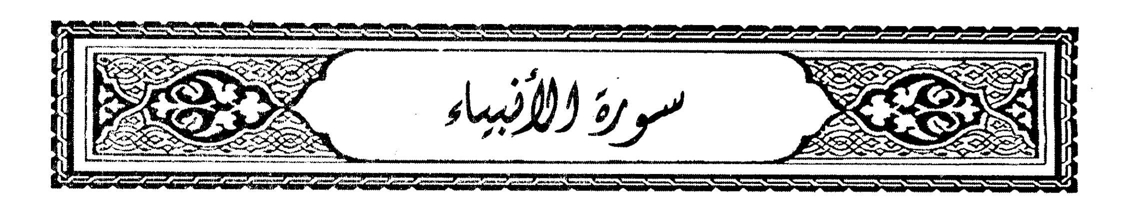
إن الذى يداوم على الصلوات فى وقتها، لا شىء عليه إن نسى صلاة ففات وقـتها، فهو يصليها ولا ذنب عليه لأنه صاحب عزم وإرادة على مـداومة الصلاة: عن أنس بن مـالك عن النبى ﷺ قال: «من نسى صلاة فليـصل إذا ذكرها لاكفـارة لها إلا ذلك ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾» [طه: ١٤] »(*).. أما الذى يعرض عن الصلاة، فهو غيـر ناس أن الصلاة مفروضة عليه، ولكن تهاونه فى أدائها جاء نتـيجة ضعف العزم على الالتزام العـملى بشرع الله، وسبب هذا الضعف أن نفسـه قد تخففت من الشعور بـهيبة الشرع الإلهى وسـمو ما ينهـجه للناس من سلوك ومـا يحملهم به من مسـؤوليات. إن هذا الشخص لو رأيناه يـصلى بين الحين والحين لا نقول عنـه إنه من المصلِّين، وإذا لم يحضر صلاة الـجمعة مثـلاً، لا نقول إنه قد نسيهـا، وإنما تركها، ولو قلنا نسـيها فعلى سبيل المجاز، أى أعرض عنها.

إذًا فالنسيان فى قضيتنا هذه هو نسيان إعراض أى استهانة بقدر العهد وهيبة شرع الله سبحانه وتعالى.

(*) البخارى، مواقيت الصلاة ٥٦٢. مسلم، المساجد ومواضع الصلاة ١١٠٢، أبو داود، الصلاة ٣٧٤.

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾

* أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ - يرون آثار مدنهم القديمة، منها ما دمرته الزلازل ومنها ما انقلب رأسًا على عقب (مثل قصر التيه عند بحيرة قارون بالفيوم بمصر). إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ - أولى البصيرة. وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ - بتأجيل عذاب الأمم إلى الآخرة ما دام فيهم بعض المؤمنين. لَكَانَ لِزَامًا - أن تكون أمتك من الهالكين. وَأَجَلٌ مُّسَمًّى - أجل الدنيا محدود. فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ - أوقات. اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ * وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ - مستغربًا. إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ - بالمال والجاه بالرغم من كفرهم إنها. زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ - فيما متعناهم به فى الدنيا. وَرِزْقُ رَبِّكَ - للمؤمنين. خَيْرٌ - فى الدنيا. وَأَبْقَىٰ - دائم فى الآخرة. وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا - أجرًا على ذلك. نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ * وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ - كالإنجيل والتوراة وفيهما الآيات التى تنبئ برسالة اللَّه الخاتمة وبمجيئك رسولاً إلى البشرية. وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ - من قبل أن نرسلك بالقرآن. لَقَالُوا - يوم القيامة. رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ * قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝١١ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ۝١٣ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝١٤ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ۝١٥ ﴾

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ـ كلما نزلت آيات من القرآن أو سورة من سوره (نزل القرآن منجما) وتليت عليهم. إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ـ تبادلوا الحديث. الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ ـ أفتتبعون ما جاء به ليغيركم كالسحر. وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ ـ ما جاء به هو أوهام وليس وحيًا من السماء. بل افتراه ـ نسبه إلى اللّه زورًا. بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ ـ معجزة مادية. كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ـ كما جاء موسى وعيسى وغيرهم بالمعجزات. مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ـ كذَّبت أمم سابقة بمعجزات الرسل. أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ـ لو جئتهم بمثل هذه المعجزات! . وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ـ أهل العلم بالكتب السماوية. إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ـ وما جعلنا الرسل فى غنى عن رزق الله. وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ـ بل هم بشر ولكن اصطفيناهم. ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ ـ من المؤمنين الذين اتبعوهم وذريتهم. وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ * لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ـ فى اتباعه رفعة شأنكم. أَفَلا تَعْقِلُونَ * وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا ـ عذابنا. إِذَا هُم مِّنْهَا ـ من قريتهم. يَرْكُضُونَ * لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ (٢٣) أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٤) وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ (٢٥) وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ (٢٨) ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٩) ﴾

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعبين * لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَخذَ لَهْواً ـ من ملذات وشهوات. لأَتَّخَذْنَاهُ من لَدُنَّا إن كُنَا فَاعلين * بَلْ نَقْذفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ـ فيبطله ويمحوه. فإذا هُوَ ـ الباطل. زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ ممَّا تَصفُونَ * وَلَهُ من في السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ ـ من ملائكة. لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا ـ المشركون. آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ ـ من أصنام يصنعونها، أو من بشر يعبدونهم من دون اللَّه، هل هم يخلقون أم يبعثون الموتى مرة أخرى إلى الحياة ؟!. لَوْ كَانَ فِيهِمَا ـ السماء والأرض. آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصفُونَ * لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ـ لا يملك الإنسان أمام أمر اللَّه شيئًا. وَهُمْ يُسْأَلُونَ ـ والناس يسألون أمام الله عما كانوا يعملون. أَمِ اتَّخَذُوا من دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ، هَذَا ـ قرآن فيه. ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ من قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ من رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ * وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ـ النصارى قالوا المسيح ابن الله، وفرق من اليهود قديما قالوا عُزَيْر ابن الله، وغيرهم قالوا الملائكة بنات اللَّه. سُبْحَانَهُ ـ ليس له ولد، وما كان هؤلاء الذين اتخذتموهم شركاء إلا من ذوى الفضل والكرامات بتقواهم وعبوديتهم للَّه. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ـ كانوا ينتظرون أوامر اللَّه ولا يبادرون بسؤاله، إيمانًا منهم بأنه عالم بأحوالهم. وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ ـ بالدعاء الصالح. إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ـ الله من عباده الصالحين. وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ـ يتقون الله ويعلمون أنه. مَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ـ كانتا كتلة واحدة. فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ ـ الجبال، لنمنعها من. أَن تَمِيدَ ـ تضطرب. بِهِمْ ـ بالناس. وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ـ طرقًا ممهدة. سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ.

(١٠٩) **بيان علمى:** ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ **[الآية: ٣٠].**

ذلك البيان يعنى أن الأرض والسماء كانتا جسمًا واحدًا ثم انفصلتا، والعلم إن لم يكن اكتشف تلك الحقيقة فسيتعرف عليها فى الغد القريب. وقد ثبت بالعلم المعاصر وقوع انفجار شديد فى الكون خرجت فى إثره المجرات وتفرقت. ولم يتمكن العلم على وجه الدقة تحديد موقع ذلك الانفجار، ولكن المجرة التى نحيا فى أرضها هى أبعد المجرات عن مكان الانفجار، لذلك فهى تتسم بالبرودة. وثبت كذلك أن الكون يتسع، فالمجرات تتباعد عن بعضها وتكبر مساحة الفضاء الفاصل بينها، وذلك يتسق مع قول الله عز وجل: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧].

(١١٠) **بيان علمى:** ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ **[الآية: ٣٠].**

حقيقة ثابتة فى العلوم أن كل مخلوق فيه روح وحياة يدخل الماء فى تكوينه، سواء كان من الحيوانات أو الطيور أو الحشرات أو الهوام أو الميكروبات... إلخ. إن هذه الآية مع شقها السابق تشير إلى حقيقة أساس فى خلق السماوات والأرض والكائنات، بما لا يدع لدى العاقل شكًا فى صدق ربانية ذلك الخطاب السامى الجليل.

(١١١) **بيان علمى:** ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ **[الآية: ٣١].**

الميد: اضطراب الشىء العظيم، كاضطراب الأرض (مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهانى).

لقد سَمَّى الله الجبال رواسى لأنها مراكز ثقل تعطى الأرض استقرارًا فى دورانها. وقد أثبت العلم الحديث أن الجسم الدائرى أو الكروى إذا دار بسرعة عالية يرتجف، لذلك حرص رجال الصناعة والتكنولوجيا على ابتكار أجهزة لوضع ثقالات من رصاص فى أماكن معينة من إطارات السيارات لتعطيها استقرارًا مع سرعة سيرها، حتى الإطارات الجديدة تحتاج إلى الترصيص بالرغم من دقة استدارتها. فما بالك بالأرض وهى كرة منبعجة تدور بسرعة هائلة، ماذا لو لم يكن بها رواسى، أو زالت الجبال من على سطحها ؟ إذًا لكانت الاضطرابات والزلازل بصورة لا تسمح باستمرار الحياة.

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

* وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ. * وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ـ فلا تحزن على عناد قومك. أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ـ أفإن توفاك الله قبلهم وتركهم على حالهم من الكفر والتكبر، هل تظن أنهم سيخلدون فى الدنيا وينجون من الآخرة ؟ كلا. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ـ امتحانًا لكم حتى تعلم كل نفس ما تستحق من جزاء على عملها (والله فهو عالم بالنفوس دون حاجة لامتحانها). وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ـ للحساب عما اقترفتم فى الدنيا. وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ـ اتخذوا دعوتك إلى الله هزوًا فيقولون. أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ـ بالسوء. وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ * خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ـ العجلة تكمن فى فطرة الناس، والإيمان يعلم الإنسان الروية والصبر. سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ـ بالآخرة. حِينَ لا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَن ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِم ـ الساعة. بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنظَرُونَ * وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم ـ يحفظكم. بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ * أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ـ يجارون.

(١١٢) تأمل: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ [الآية: ٣٢].

إذا عبر الله عن السماء بأنها سقف محفوظ، فإن ذلك يعنى أنها مادة. ولكن ما هى طبيعة هذه المادة ؟

يقول علماء الطبيعة إن ما نراه من لون أزرق فى الأفق ينتج عن تراكم طبقات الجو. ومعلوم أن طبقات الجو تتكون من عناصر الهواء والماء (ذرات أكسيجين، وثانى أوكسيد الكربون، وهيدروجين يكثر فى الطبقات العليا...) ولا يزال علم الإنسان عاجزًا إلى اليوم عن الوصول إلى السماء لبعدها. ولكننا نرى أن وجود هذه التحليلات العلمية، بالرغم من كونها غير جازمة فى تعريف السماء، يجعل معنى حديث رسول الله ﷺ ليس بغريب: «قال رجل: يا رسول الله ما هذه السماء؟ قال: هذه موج مكفوف عنكم». وأخرج ابن أبى حاتم عن حبة العوفى، قال : «سمعت عليًا ذات يوم يحلف: والذى خلق السماء من دخان وماء»(*). فإذا كان الهيدروجين تكثر ذراته فى الطبقات العليا فمعنى ذلك أن الطبقات البعيدة يمكن أن تحمل الماء ماءً سائلاً كموج الأنهار والبحار.

(*) راجع تفسير الآية فى "الدر المنثور فى التفسير بالمأثور" للسيوطى، ط. دار الفكر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. الترمذى، تفسير القرآن، ٣٢٢٠. أحمد، باقى مسند المكثرين، ٨٤٧٢.

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

* بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ـ طال رسوخ حضاراتهم فى الأرض. أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ ـ التى تحملهم وتحمل أبنيتهم ومدنهم. نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ـ فأين ترسو تلك الحضارات حين يبلغ انتقاص الأرض منتهاه؟!. أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ * قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ ـ الكافرون، فهم مثل الصم بالنسبة للدعاء. إِذَا مَا يُنذَرُونَ * وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ـ يسيرة. مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ـ سيفيقون عندئذ من غفلتهم. وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ـ كتاب اللّه الذى يفرق بين الحق والباطل. وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ـ يخافون القيامة ويعملون لها حسابها. وَهَذَا ـ القرآن الذى أنزلناه عليك هو. ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ـ للناس جميعًا (كل منهم يحاسب وفق ما يصله من علم برسالة التوحيد). أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ـ بالعبادة. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ.

---

(١١٣) **بيان علمى:** ﴿ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ **[الآية: ٤٤].**

كان العلماء حتى عهد قريب يرون أن كل ما يخرج من الأرض يعود إليها فلا يقل وزنها ولا ينقص حجمها، لأن الجمادات التى تتآكل بعوامل التعرية إنما تتحول إلى غبار ومواد أخرى، والماء الذى يتبخر يعود إلى الأرض بالأمطار، وجميع الكائنات الحية تكون نهايتها التحول بعد الموت إلى تراب يعود إلى الأرض. وحتى ما تستهلكه هذه الكائنات من مواد غذائية وما تتنفسه من هواء وتشربه من ماء، كل ذلك يعود إلى الأرض بدفع الفضلات وتبخر السوائل وصعود بخارها إلى السحب ليتجمع مع ما يتبخر من ماء البحار والأنهار، ثم ينزل كل ذلك مطراً. فكل الأرض وما حولها من هواء وسحب ما هى إلا دائرة واحدة تحافظ على سلامة الأرض من حيث الحجم والوزن.

غير أن العلم أثبت حديثًا أن الأرض (وغيرها من الكواكب والنجوم) ينكمش حجمها بالرغم من أن ما يخرج منها يعود إليها، وهذا يبيّن إعجاز هذه الآية وأنها تخاطب الناس الذين يعيشون فى عصر تقدم العلوم، لأنها لا تكون مفهومة تمام الفهم من قوم سابقين على قرننا هذا، إذ أنهم لم يبلغوا من العلوم التجريبية ما بلغه علماء عصرنا، وإن كان المؤمنون فى كل عصر يسلمون بصدق ما تحمله آيات اللّه وأنه الحق من ربهم.

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٦ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ۝٧١ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝٧٢ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ۝٧٣ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ۝٧٤ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٧٥ ﴾

قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم - أي لأكيدنكم فى أصنامكم. بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا - كسرهم قطعًا. إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ - ترك أكبر الأصنام ليبقى حجة على أن الأصنام لا ترى ولا تسمع ولا تنطق. قَالُوا - عند عودتهم. مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ - يقول إنه يدبر أمرًا لهم. يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ - حسابه على ما فعل. قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ - إلى رشدهم. فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ - أنتم على ضلال وإبراهيم على حق فالأصنام لا تنطق ولا حول لها ولا قوة. ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ - ارتدوا إلى كفرهم، ولاموا إبراهيم على فعله فقالوا: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا - ابن أخيه من بلاد الظالمين. إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ - الشام وبيت المقدس.

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ - إبنًا له ونبيًا. وَيَعْقُوبَ - حفيدًا مباركًا ونبيًا، ومددنا له فى العمر. نَافِلَةً - أي زيادة ليرى أحفاده. وَكُلاًّ - جعلناهم. صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ * وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ - كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء. إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ.

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

* وَنُوحًا ـ رسول الله. إِذْ نَادَىٰ ـ دعا الله للمؤمنين بالنجاة وعلى الكافرين بالعذاب فى الدنيا والآخرة. مِن قَبْلُ ـ هؤلاء الرسل. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ـ ابنه. إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ـ يسمع تسبيحها ويفهمه وهى تعى تسبيحه. وَالطَّيْرَ ـ كذلك ـ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ـ كان يصنع من الحديد دروع الحرب. لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ ـ لتحميكم من عدوكم. فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ـ وسخرنا لسليمان الريح تطيعه، فتنقل له ما يشاء ويسلطها على من يشاء. وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ * وَمِنَ الشَّيَاطِينِ ـ الجان. مَن يَغُوصُونَ لَهُ ـ فى البحار لأغراض نافعة يريدها. وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ ـ ولهم قدرات أخرى. وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ.

---

(١١٤) **قضية:** ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ [الآية: ٧٨].

هذه الآية تشير إلى إمكان تعدد أوجه الصواب، لأن الله شهد للحكمين معًا.

وتشير أيضًا إلى أن داود وسليمان كانا يشركان معهما آخرين، فلم يكن كل منهما منفردًا بالرأى والحكم، فلو كان كذلك لجاء سياق الآية : وكنا لحكمهما شاهدين. ويفيد ذلك أن الشورى فى القضاء أمر مطلوب وواجب. قال تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨].

ما روى فى هذه القضية: أن أحد طرفيها كان له غنم اجتاحت أرض خصمه، فأكلت ما فيها من أعناب، وأهلكت الكرم، فحكم فيها داود بالتعويض المالى، ثم بعد ذلك استشار ابنه سليمان فأشار بحكم آخر، وهو أن يأخذ صاحب الزرع الهالك الغنم، فيكون نتاجها من لبن وصوف وما تلد ملكًا خالصًا له، ويقوم الطرف الآخر بإعادة زراعة الكرم فى الأرض ويعتنى به إلى أن يثمر، عندئذ يسترد من الطرف الآخر غنمه التى دفعها إليه، دون ما أنتجت خلال تلك المدة.

(١١٥) **قضية:** ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ [الآية: ٧٩].

تشير هذه القضية إلى أن الاجتهاد الإنسانى، وإن كان الله سبحانه وتعالى يجيزه ويثيب المجتهد عليه ما دام قد بذل ما فى وسعه من تدبر الأمر واستشارة أهل الخبرة والرأى، إلا أن ما يحكم به الله ويمليه هو العدالة الحقة بعينها: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾.

ونعلق على ما روى فى هذه القضية بأن: حكم داود بالتعويض المالى دفعة واحدة بالقدر الذى يصلح الأرض، ويعوض صاحبها بقيمة ما تنتجه حتى يعود الزرع إلى طرح ثماره هو حكم عادل من وجهة النظر الإنسانية، ولكن رأى الإنسان يشوبه القصور مهما بذل من جهد وتفكير. وبيان ذلك أن الإنسان لا يعلم الغيب، فالذى يأخذ التعويض على تقدير ما تنتجه الأرض خلال ثلاث سنوات مستقبلة، لا يدرى فى الواقع ما إذا كان الزرع خلال هذه السنوات ستصيبه بركة من السماء فيتضاعف، أم سيخسر، فالعدالة بالقسطاس هى التى أفهمها الله سليمان على الوجه السابق بيانه.

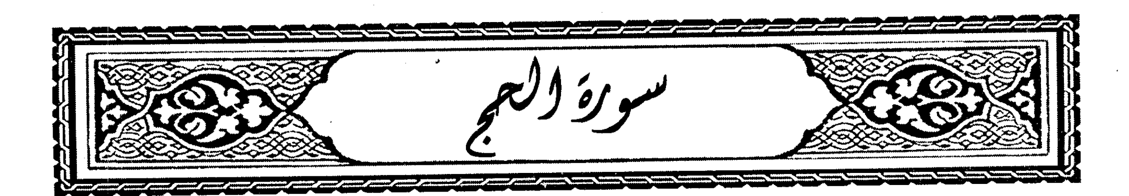
﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ـ بعد صبر طويل. أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ ـ الذين كان قد فقدهم من قبل. وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ ـ ابن إبراهيم والجد الأكبر لمحمد، عليهم الصلاة والسلام. وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَذَا النُّونِ ـ يونس بن متى. إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا ـ ترك قومه غاضبًا على كفرهم بالله من قبل أن يأذن الله له فى ذلك. فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ ـ مستغفرًا. فِي الظُّلُمَاتِ ـ ظلمة النفس وقت الندم، وظلمة المكان وهو فى بطن الحوت الذى ابتلعه، وغير ذلك من ضروب الغم. أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ * وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ـ حائرًا لا أجد من يصلح لحمل الرسالة بعد موتى. وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ ـ ابنًا ونبيًا. وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ـ هيأها الله للإنجاب بعد أن كبرت. إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا ـ فى رضانا. وَرَهَبًا ـ خوفًا من بأسنا. وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ـ متقين. وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ـ مريم بنت عمران. فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ـ عيسى، عليهما الصلاة والسلام. آيَةً لِّلْعَالَمِينَ * إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم ـ تفرق الناس فى أمر الدين فيما. بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ * فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ ـ إنكار. لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ـ حسن المآب فى الآخرة. وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا ـ اقتربت الساعة. فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ـ (الذين حبسهم بإذن الله ذو القرنين بأن أقام سدًا بين الجبلين وكانوا يقيمون فى واديهما : سورة الكهف، ٩٣ ـ ٩٧) وهم عندئذ. مِّن كُلِّ حَدَبٍ ـ بروز فى الأرض. يَنسِلُونَ ـ يخرجون مسرعين. وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ـ أعرضنا عما كان المرسلون ينذروننا به من قبل. بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ـ بجحودنا وإنكارنا. إِنَّكُمْ ـ أيها الكافرون. وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ـ والعذاب للظالمين من الناس كفرعون ومن كان يُقِرُّ له بالألوهية، أما الأصنام فجمادات غير مكلفة ولا عذاب لها، وذلك وقود. جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ.

﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

* لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ - أنين وصراخ عذاب. وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ - لشدة صوت النار. إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ - الأتقياء من الذين اتخذهم الناس شركاء لله وهم أبرياء من تلك الأباطيل ، كالعُزَيْر وعيسى ومريم. أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ - فى الجنة. خَالِدُونَ * لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ - هول يوم الحساب. وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ - عند خروجهم من القبور. هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ - فأنتم الفائزون. يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ * وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ - يرثونها فى الآخرة مع الجنة فالأرض والسماوات تكون حينئذ جزءًا من الجنة - ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وتكون حالها واتساعها ليس كحالها واتساعها فى الدنيا - ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، يقول سبحانه وتعالى عن المؤمنين فى الجنة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧ - ١٠٨]، فللسماوات والأرض الخلود والدوام بخلود الجنة ودوامها ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]، ويستقيم هذا المعنى، مع حديث رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»(*) ومع حال الدنيا فى كل زمان فمناطق الأرض منقسمة بين أمم مؤمنة وأمم كافرة، فكيف إذن يرثها فى الدنيا القوم الصالحون؟ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ - أعلمتكم بكل ما نزل من الوحى. وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ - ولا أدرى ما إذا كان الله يعجل لكم عذابا فى الدنيا. أَمْ بَعِيدٌ - مؤجل إلى الآخرة. مَّا تُوعَدُونَ - من عذاب. إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ * وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ - لعل الله يؤخر عذابكم إلى الآخرة فتنة لكم فى الدنيا. وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ رَبِّ احْكُم - افصل بيننا وبين الكافرين. بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا - جميعًا هو الرحمن وهو. الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ.

(*) مسلم، الفتن وأشراط الساعة ٥٢٤٣. أحمد، مسند المكثرين من الصحابة ٣٥٤٨. ابن ماجة، الفتن ٤٠٢٩.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٖ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلٗا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجِۭ بَهِيجٖ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلْعَبِيدِ ۝ ﴾

يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ - يجادل بالظن وبما يمليه عليه هواه. وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ * يا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم - خلقنا أصلكم الأول آدم. مِّن تُرَابٍ ثُمَّ - تناسل بنو آدم. مِن نُّطْفَةٍ - منى الذكر والأنثى. ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ - الدم المتماسك المتجمد. ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ - قطعة لحم صغيرة. مُّخَلَّقَةٍ - أودع الله فيها مكونات الخلقة. وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ - لكنها غير واضحة المعالم فى مبتداها. لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ - من ذكر أو أنثى أو توءم... إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى - إلى وقت الوضع. ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا - بسبب الكبر وضعف الذاكرة والشيخوخة. وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً - يابسة. فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ - حسن الشكل. ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ - يوم القيامة. آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ - متكبرًا لاويًا عنقه مصعرًا خده للناس. لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ - ولخزى الدنيا ألوان عديدة. وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾

* وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ـ على شك أو على طرف أو على وجه. فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ به وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ـ إن اختبره الله بمكروه. انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِه ـ كَفَرَ. خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ * يَدْعُو ـ يلجأ بالدعاء. لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِه ـ كأن يدعو الأصنام، أو يظن أن مصيره بيد الناس. لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ * إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات جَنَّات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ * مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ـ من ظن أن الله لن ينصر محمداً. فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ـ فليلتمس من الأسباب ما يشاء، هل يصل إلى خلاف ما يريده اللَّه من نصرة محمد؟ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ـ ثم لينتظر ليرى هل أثرت الأسباب التى لجأ إليها فى محمد ومن تبعه من المؤمنين؟ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ـ هل أذهب عنه فعله الحقد والغيظ؟. وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَات بَيِّنَات وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ـ المؤمنين. وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ـ وهم الكافرون. وَمَن يُهِنِ اللَّهُ ـ ومن يُذِلُّهُ اللَّهُ. فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * هَذَانِ خَصْمَانِ ـ فريقان ضدان. اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِه مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ ـ يُقْمعون بها. مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ ـ من العذاب. أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات جَنَّات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَب وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ـ بحمد اللـه وتوحيده. وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ـ طريق اللَّه المؤدى إلى الخلود فى نعيم الجنة.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ - يصدون محمدًا وأصحابه عن ذلك المسجد. الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ - منسكًا. سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ - المقيم فى مكة . وَالْبَادِ - العابر. وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ - بارتكاب معصية متعمدًا. نُذِقْهُ - شيئًا. مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ - عقوبة له على ذلك.

وَإِذْ بَوَّأْنَا - مَكَّنَّا. لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ - يشيد بناءه وأوحينا إليه. أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا - مشيًا على أرجلهم. وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ - على الدواب الآتية من بعيد، وسميت ضوامر لأنها تصل نحيفة هزيلة من طول رحلة الحج. يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ - من كل طريق بعيد. لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ - ليمارسوا تجارة لهم ويقيموا مناسكهم. وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ - يسبحوه ويمجدوه. عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ - ويذبحوا الهدى من الأنعام باسمه فى يوم العيد. فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ - ينظفوا أبدانهم ويقصون أظافرهم وشعرهم. وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ - بذبح الذبائح للَّه. وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ - الكعبة. ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ - إلا ما يُذْكَر أنه محرم، كالخنزير والميتة. فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ - عبادة. الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ - وكونوا حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ - تنهشه الطيور الجارحة. أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ * ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ - فى الحج بتقديم الهدى من أفضلها ووفقًا لاستطاعته. فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا - فى الأنعام. مَنَافِعُ - بركوبها وشرب لبنها. إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى - إلى وقت ذبحها. ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ - الحرم المكى حيث تذبح وتوزع على الفقراء. وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ - خشعت. قُلُوبُهُمْ - تضرعًا للَّه. وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ.

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ ﴾

وَالْبُدْنَ - الإبل. جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا - حين ذبحها. صَوَافَّ - تعقل منها رِجْلٌ واحدة وهي قائمة على الثلاثة الباقية (وهي طريقة ذبح الإبل) وقيل صوافي: أي اذبحوها صافية لوجه الله ذاكرين اسم الله عليها. فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا - تم نحرها فخارت على الأرض. فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ - الفقير الذي لا يسأل الناس. وَالْمُعْتَرَّ - السائل. كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ - تلك الأيام نداولها بين الناس. لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا - أي لاختل التوازن الذي وضعه الله لحياة الأمم على الأرض. وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ * وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ - أمم. قَبْلَهُمْ - أنبياءهم. قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ - أمهلتهم. ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ.

فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ - بعد ذلك. خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ - ليس فيها حياة وحركة. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ - لينظروا آثار الأمم من قبلهم. فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ - فبصر المؤمن والكافر سواء في مشاهدة آيات الله. وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ - قلوب الكافرين لا تخشى ولا تتعظ. وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ - فإن العذاب آتيهم، ولكن موعده ليس رهن إرادتهم هم، وإنما يحدد الله موعده كيف يشاء. وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ(*) * وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا - أمهلتها إلى حين. وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ.

(*) راجع مفهوم الزمن، قضية رقم ١٠٢.

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾

* قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ـ يبحثـون فى آيات الله عن قصور وحجج ابتغاء نقـضها. أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ ـ لقومه أن يؤمنوا. أَلْقَى الشَّيْطَانُ ـ وسوس. فِي أُمْنِيَّتِهِ ـ ليدفعه إلى إرضاء قومه، كأن يعفـيهم من بعض فروض الدين، بغيـر وحى ينزل عليه بذلك. فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ـ فى نفس الرسول من أمل عاجل. ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ـ ينزل الآيات لتنسخ ما صـدر من الرسول من قول أو تصرف وفـقًا للأمانى. وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ـ من المنافقـين والكفار يتذرعـون بما نسخه الله للإعراض عن الدين. وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ـ تصحيح ما وقع فيـه الرسول من التـمنى. فَيُؤْمِنُوا بِهِ ـ بحقـيقة مـا حدث. فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ـ شك إنكار. حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ * الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

---

(١١٦) قضية: الأمانى [الآية: ٥٢].

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ﴾ إن الأمنية دعاء، والرسل والأنبياء لهم قلب كبير، فيتمنون دائمًا الهداية للأمم التى أرسلوا فيها ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ وسوس الشيطان فى أمنية الرسول أو النبى، ليشوش عليه حتى تكون أمنيته ـ الدعاء ـ على غير ما يتقبله الله العلى القدير.

فإذا نجح الشيطان فى إدخال الاضطراب على أمنية الرسول، فـبادر بقول أو عمل غير منسجم مع عموم الشـرع، نبه الله رسوله، فيتبين الرسول الأمر ويميز بين ما بدر منه باعتباره بشرًا فيرجع عنه، ثم يفـصح عـن حقيقة الإرادة الإلهية. ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ فالنسخ هنا بمعنى إصلاح الأمر: ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ ينقح آياته فيخرج ما اخـتلط بها من قول البشر، أى قول الرسول حين تمنى، لتكون نصًا صافيًا صادرًا عن الله سبحانه وتعالى.

من ذلك نستفـيد أن النسخ فى هذه الآية لم يكن نسخًا لحكم قرآنى، وإنمـا هو تنقيح لنص القرآن مما دخل عليـه من غير طبيعته، فهو ليس نسخ حكم ولا يدخل فى إطار النسخ المقصود به التدرج فى إلزام الناس بالأحكام أو التخفيف عنهم.

لذلك نجد هذا النوع من النسخ «تنقيـة النصوص»، لا يرد فيه ذكر ما نسخ، أما نسخ حكم قرآنى لحكم آخـر، فتجد النص الذى يحمل الحكم المنسوخ باقيًا، ولكن لا يعمل به، أو يعمل به فى حدود معينة بعد أن كان من قبل مطلقًا.

←

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

وَالَّذينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بآياتنا فأُولَئكَ لَهُمْ عَذابٌ مُّهينٌ * وَالَّذينَ هَاجَرُوا في سَبيلِ اللَّه ـ مثل الذين هاجروا مع الرسول من مكة إلى المدينة، ومثل من يهاجر فى سبيل اللَّه فى كل زمان طلبًا للعلم، أو فرارًا بدينه من فساد وظلم، أو من هاجر جهادًا فى سبيل اللَّه ودعوة للناس إلى طريق الهداية. ثُمَّ قُتلُوا ـ شهداء. أَوْ مَاتُوا ـ قضوا أجلهم. لَيرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رزْقًا حسنًا وَإنَّ اللَّهَ لَهوَ خَيْرُ الرَّازقين * لَيُدْخلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرضَوْنَهُ وَإنَّ اللَّهَ لَعَليمٌ حَليمٌ * ذَلكَ وَمَنْ عَاقَبَ بمثْلِ مَا عُوقبَ به ـ من كان عادلاً فى اقتضائه حقوقه. ثُمَّ بُغيَ عَلَيْه ـ ظلم بسسبب ذلك. لَينصُرَنَّهُ اللَّهُ إنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ * ذَلكَ بأَنَّ اللَّهَ يُولجُ اللَّيْلَ في النَّهَار وَيُولجُ النَّهَارَ في اللَّيْلِ ـ إذا ترك الله الظلم جولةً لحكمة منه فى ذلك، فإنه يتبعه بتغيير الأحوال، مثلما يدخل الليل فى النهار والنهار فى الليل. وَأَنَّ اللَّهَ سَميعٌ بَصيرٌ * ذَلكَ بأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ من دُونه هُوَ الْبَاطلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَليُّ الْكَبيرُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ منَ السَّمَاء مَاءً فَتُصْبحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إنَّ اللَّهَ لَطيفٌ خَبيرٌ * لَهُ مَا في السَّمَوَات وَمَا في الأَرْض وَإنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنيُّ الْحَميدُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا في الأَرْض وَالْفُلْكَ تَجْري في الْبَحْر بأَمْره وَيُمْسكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْض إلاَّ بإذْنه إنَّ اللَّهَ بالنَّاس لَرَءُوفٌ رَّحيمٌ * وَهُوَ الَّذي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُميتُكُمْ ثُمَّ يُحْييكُمْ ـ مرة أخرى يوم البعث. إنَّ الإنسَانَ لَكَفُورٌ * لِكُلِّ أُمَّةٍ ـ أرسلنا لها رسولاً. جَعَلْنَا ـ لهم. مَنْسَكًا هُمْ نَاسكُوهُ ـ شعائر يتبعونها. فَلا يُنَازِعُنَّكَ في الأَمْر وَادْعُ إلَىٰ رَبّكَ إنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقيم * وَإن جَادَلُوكَ فَقُل اللَّهُ أَعْلَمُ بمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقيَامَة فيمَا كُنتُمْ فيه تَخْتَلفُونَ.

➡ ونستفيد أيضًا مما سبق أن الإنسان يجب أن يتحرى فى أمنياته ودعواته ما يرضى الله سبحانه وتعالى، فتكون أمنياته وفقًا للشرع، فلا يدفعه هواه إلى دعاء نهى الشارع عنه أو بين كراهته، ولو كانت الغاية منه تبدو فى ظاهرها نبيلة، لأن ما يخالف شرع الله لا يصل إلى غاية نبيلة، وإنما قد تبدو الغايات جميلة فى ظاهرها بوسوسة الشيطان وتضليله، وهى فى حقيقتها على عكس ذلك.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾

* أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ـ هو اللوح المحفوظ. إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ـ ما لم يرد فى شرع الله. وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ ـ يبطشون. بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ ـ بأعظم من ذلك الغيظ الذى فى نفوسكم. النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ(*) وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ـ فى سبيل نصرة دينه كما ينبغى أن يكون الجهاد من مؤمن مخلص. هُوَ اجْتَبَاكُمْ ـ فضلكم بإيمانكم. وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ـ مشقة. مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ـ يوم القيامة. وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ـ على الكافرين الذين أبلغتموهم الدعوة فى الدنيا بعد وفاة الرسول. فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

---

(١١٧) قضية: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ **[الآية: ٧٥].**

طبيعة رسالة الملائكة أنهم يوحون بأمر الله إلى أنبيائه، ولا تمتد رسالتهم إلى مخاطبة عامة الناس.

ولهم رسالات أخرى كتسجيل الحسنات والسيئات، وإلهام الصالحين بعمل الخير. وقد يكلفهم الله بإنزال عذابه بإهلاك قوم بعينهم، مثلما فعل بقوم لوط وعاد وثمود. وقبض الأرواح مكلف به ملك الموت... إلخ.

وطبيعة رسالة الأنبياء أنهم يوحى إليهم فيبلغون ما تلقوا من شرع الله إلى الناس مباشرة، يدعونهم إلى الهدى والرشاد، فالرسول الإنسان لا يخرج عن طبيعته البشرية، وهو بشير للصالحين من الناس الذين يؤمنون بالله ورسله، ونذير للعتاة الذين يجحدون فضل الله عليهم(**).

(*) راجع القضية رقم ٦٤. وراجع حوار إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، مع الذى ادعى أنه يحيى ويميت [سورة البقرة: ٢٥٨].
(**) راجع القضية رقم ١٠٤.

سورة المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ۝ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ ﴾

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ - ما لا يفيد ولا يثمر من حديث. مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ - فاقترف الفواحش. فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ - أصله الأول. مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ - يتناسل من. نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ - إنسانًا مكتملاً تدب فيه الروح والحياة. فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ - وهى السماوات، قيل هى طرق للملائكة ولمرور الناس يوم الحساب. وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ * وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ - فى الأنهار والبحار والآبار. وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ - قادرون على إحداث الجفاف بالأرض.

فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ - بالماء. جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ - جبل. سَيْنَاءَ - شجرة الزيتون. تَنبُتُ بِالدُّهْنِ - الزيت. وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ - أى الزيت يخلط مع الطعام للأكل. وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً - لآية تعتبرون بها على وجود الله وقدرته. نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا - لبنًا طيبًا بالرغم من أن جوفها كريه الرائحة، وإنكم حين تذبحونها لا تستطيعون استخلاص اللبن من جوفها. وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا - من لحومها. تَأْكُلُونَ.

﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

* وَعَلَيْهَا وعلى الْفُلْك تُحْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِه فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰه غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ * فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِه مَا هَٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ - إليكم رسلاً. ملائكةً(*) مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِه جِنَّةٌ - جنون. فَتَرَبَّصُوا بِه حَتَّىٰ حِين * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَيْه أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا - وعلامته أن. فَارَ التَّنُّورُ - (الفرن) فيخرج منه الماء. فَاسْلُكْ فِيهَا - احمل فى الفلك. مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْه الْقَوْلُ مِنْهُمْ - من سبق عليه حكم الله بالهلاك. وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا - وهم الكافرون. إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْك فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَات وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ - لمستمرين فى امتحان الناس. ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا - قومًا. آخَرِينَ * فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ - هو هود، عليه الصلاة والسلام. أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰه غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ * وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِه - قوم عاد. الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَة وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا - جيلاً بعد جيل. وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّه كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيل لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ - صيحة أهلكتهم. فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً - كالقش اليابس الهش. فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

(*) راجع القضية رقم ١٠٤.

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ (٤٨) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩) وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ (٦٠) أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ (٦٣) حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ (٦٤) لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥) ﴾

* ثُمَّ أَنشَأْنَا من بَعْدهمْ قُرُونًا آخرينَ * مَا تَسْبقُ منْ أُمَّة أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخرُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ـ متتابعين. كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا ـ والينا الأمم التى كذبت رسلها بالعذاب. وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَاديثَ ـ يتحادث الناس بأخبارهم. فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بآيَاتنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فرْعَوْنَ وَمَلَئه فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالينَ ـ متكبرين. فَقَالُوا أَنُؤْمنُ لبَشَرَيْنِ مثْلنَا وَقَوْمُهُمَا ـ هم بنو إسرائيل، ذرية نبى الله يعقوب. لَنَا عَابدُونَ ـ مسخرون لنا عبيدًا. فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا منَ الْمُهْلَكينَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكتَابَ ـ التوراة. لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَة ذَات قَرَارٍ وَمَعينٍ * يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا منَ الطَّيِّبَات ـ خذوا من الدنيا ما قدرنا لكم من أرزاق. وَاعْمَلُوا صَالحًا إِنِّي بمَا تَعْمَلُونَ عَليمٌ * وَإِنَّ هَذه أُمَّتُكُمْ ـ أمة الإنسانية كلها. أُمَّةً وَاحدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ ـ الواحد الأحد. فَاتَّقُون * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم ـ تنازع الناس أمر الإيمان بالله وحده. بَيْنَهُمْ زُبُرًا ـ تفرقًا. كُلُّ حزْبٍ بمَا لَدَيْهِمْ ـ من بدع. فَرحُونَ * فَذَرْهُمْ في غَمْرَتهمْ ـ غفلتهم. حَتَّىٰ حينٍ * أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمدُّهُم به من مَّالٍ وَبَنينَ ـ دليل رضا عنهم ؟. ـ كلا وإنما. نُسَارعُ لَهُمْ في الْخَيْرَات ـ فتنة. بَل لاَّ يَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذينَ هُم مِّنْ خَشْيَة رَبِّهِم مُّشْفقُونَ * وَالَّذينَ هُم بآيَات رَبِّهمْ يُؤْمنُونَ * وَالَّذينَ هُم بِرَبِّهمْ لاَ يُشْرِكُونَ * وَالَّذينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا ـ يعطون مما رزقهم الله من الخير ويعملون الأعمال الصالحات. وَّقُلُوبُهُمْ وَجلَةٌ ـ خاشعة لتيقنهم. أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجعُونَ * أُوْلَئكَ يُسَارعُونَ في الْخَيْرَات ـ بحق. وَهُمْ لَهَا ـ للجنة. سَابقُونَ * وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كتَابٌ ـ سجل الأعمال. يَنطقُ بالْحَقِّ ـ يوم القيامة. وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ * بَلْ قُلُوبُهُمْ في غَمْرَةٍ ـ قلوب الكافرين فى غفلة. مِّنْ هَذَا ـ من أمر الدين وعبادة الله وحده. وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُون ذَلكَ ـ تشغلهم عن الإيمان. هُمْ لَهَا عَاملُونَ * حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفيهِم ـ قدوتهم. بالْعَذَاب إِذَا هُمْ ـ كل القوم. يَجْأَرُونَ ـ يتضرعون إلى الله ولا يفعلون ذلك إلا عند رؤية العذاب. لاَ تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لاَ تُنصَرُونَ.

﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

* قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ـ تعرضون مستهزئين. مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ـ مستكبرين على المؤمنين بقيامكم على المسجد الحرام، وحقيقة قيامكم عليه أنكم كنتم تتسامرون حول الكعبة وتهجرون عبادة اللَّه. سَامِرًا تَهْجُرُونَ * أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ـ آيات القرآن. أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ـ بقرآن أنزلناه هدى وتذكرة لهم. فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا ـ أجرًا. فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ـ ضالون. وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ـ قحط وجوع وصراع على الحياة. لَّلَجُّوا ـ لزادوا. فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ـ عقاب حاسم. إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ـ آيسون من رحمة اللَّه. وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ـ لا تحمدون اللَّه على هذه النعم، بل تستعملونها فى المنكرات. وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ ـ خلقكم. فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ ـ أمر. اخْتِلَافُ ـ توالى. اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ـ فكيف يتراءى لكم ما لا يوافق العقل وكأنكم تسحرون. بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ.

﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ - من عذاب وذل في الدنيا، وقد رأيت ذلك بانتصارك عليهم في المعارك. رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ - من عذاب أكبر في الآخرة. لَقَادِرُونَ * ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ - وقت تيقنه من قبض روحه. رَبِّ ارْجِعُونِ - للحياة مرة أخرى. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا - ليست كلمة حق، فلو عاد إلى الدنيا لنسى وكفر مرة أخرى. وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ - من بعد الموت، حياة القبر كالبرزخ الممتد. إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ - ينسى الأقرباء بعضهم بعضًا فلا تفيد يومئذ الأنساب. وَلا يَتَسَاءَلُونَ - من ذهولهم. فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ - بأعمال الخير وهو مؤمن. فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ - مفحمون. أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا - غلب علينا شقاؤنا بسبب ما تلهينا به من أمور الدنيا. وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ - أنستكم السخرية منهم. ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ * قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ - مهما طال العمر فالماضي لا يعدو أن يكون يومًا أو بعض يوم، فالإنسان يعيش لحظة بلحظة، وعند الموت يتوقف الوعي بحساب الزمن. قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ * وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ.

سورة النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي - الزنا هو المباشرة الجنسية التامة بين رجل وامرأة لا تربطهما علاقة زواج أو ملك يمين(*). فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * الزَّانِي لا يَنكِحُ - لا يتزوج. إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ - (الغالب أن المقصود من الآية التنفير من نكاح الزانيات، وقيل فى سبب نزولها أقوال غير ذلك).

---

(١١٨) إيضاح: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ **[الآية:٢].**

- الجلد مائة جلدة للزانية والزانى من الأحرار.

- أضيف: التغريب عام لغير المحصن (أى الذى لم يتزوج) بعد الجلد، والرجم للمحصن بعد الجلد. وهى أحكام أوحى الله بها إلى الرسول بعد نزول الآية التى تقضى بحبس الزانيات المحصنات حتى الموت ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ١٥]. فأعلن الرسول تلك الأحكام فى حديثه: «خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم»(**). وبين الرسول المساواة فى هذه الأحكام بين الرجال والنساء الأحرار.

أما العبيد فلا رجم عليهم، وعليهم نصف ما على الأحرار من عقوبة الجلد أو النفى، فيجلد الزانى، عبداً أو أمة، خمسين جلدة ثم يغرب ستة أشهر. ﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [النساء: ٢٥].

(١١٩) قضية: ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ **[الآية:٣].**

اختلفت الأقوال، فذهب البعض إلى أن من زنى وأقيم عليه الحد لا يتزوج إلا زانية سبق وأن أقيم عليها الحد، أو مشركة، وكذلك حكم الزانية.

وهذا يعتمد على ظاهر الآية، ويدحضه أمران:

←

(*) وملك اليمين فيه تفصيل إذ أن الرجل له أن يضاجع أمته، أما العبد فليس له أن يضاجع سيدته وإلا فهو زنا فى حق الاثنين.

(**) مسلم، الحدود ٣١٩٩. الترمذى، الحدود ١٣٥٤. أبو داود، الحدود ٣٨٣٤. ابن ماجة، الحدود ٢٥٤٠. أحمد، با قى مسند الأنصار ٢١٦١٤ - ٢١٦٤٥ - ٢١٦٥٦ - ٢١٦٧١ - ٢١٧١٥. الدارمى، الحدود ٢٢٢٤. أما عقوبة الزناة من العبيد، فارجع إلى بيانها فى ص٨٩ بالهامش.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝ ﴾

* وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ـ العفيفات. ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ـ عيان، يرون فعل الزنا محققًا. فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ـ فتقبل شهادتهم ويعفوا من العقاب إذا رجعوا إلى الحق قبل إدانتهم، وكان لهم مبرر قوى دفعهم إلى ما اقترفوه. فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ ـ الزوج. أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ(*) * وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ـ فإن فعلت فيسقط عنها العقاب. وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ـ بالستر وعدم التعجيل بإفضاح أمر الزناة إمهالاً لهم حتى يتوبوا. وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ ـ إشاعة الكذب على السيدة عائشة أم المؤمنين، رضى اللَّه عنها، مستغلين مروءة رجل كريم وجدها قد تخلفت عن ركب المسلمين لتبحث عن عقد سقط منها، وكان الركب قد بعد، فأعطاها راحلته ومشى فى حراستها حتى لحقت بالركب، فأشاع المنافقون سوء الظنون فى حق السيدة عائشة، رضى الله عنها، و ذلك الرجل الشهم. هؤلاء. عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ـ إذ أن المؤمنين الصادقين لا يسيئون الظن بآل بيت رسول اللَّه ﷺ ولا بالمسلمين والمسلمات، فالمؤمن يعرف ما يجب أن تكون عليه الأخلاق فى المجتمع الإسلامى، فيبعد عن الشائعات التى تمس أعراض الناس. لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم ـ من المنافقين الذين أشاعوا حديث الإفك عن أم المؤمنين عائشة، رضى اللَّه عنها. مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ ـ الذى أصاب أكبر قدر من الذنب منهم (وهو عبد اللَّه بن سلول). لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

➡ الأول: الزنا لا دخل له بالعقيدة، فلا أحد يقول إن الزانى أو الزانية المسلمة صارت مشركة بعد الزنا حتى يكون لها الزواج بمشرك (الحد يطهر من الذنب) وليس للمسلمة التزوج بغير مسلم، وإن فعلت فهو زواج باطل حكمه حكم الزنا.

الثانى: لو كانت الآية تحمل حكمًا مضافًا إلى جلد الزانية والزانى المبين بالآية السابقة، لأخذت صياغتها نفس الترتيب فبدأت بالزانية ثم الزانى، ولكن ترتيبها عكس ما فى الأولى.

وأُرجِّح أن أحسن ما روى فى هذه الآية: أن امرأة يقال لها أم مهزول، كانت بأجياد وكانت تسافح، فأراد رجل من المسلمين أن يتزوجها، فأنزل الله تعالى الآية، فهى على سبيل النهى عن السعى إلى التزوج ممن يمارسون حرفة الدعارة وما شابهها من فساد خلقى(**).

(*) هل للزوجة إذا رأت زوجها يزنى فى بيتها أن تبادره باللعان، أم أن هذا الحكم يخص الرجال دون النساء؟ إن قلنا إنه خاص بالرجال، فإن اشتكت زوجها وقد رأته يزنى إلى القاضى، فسيقام عليها الحد. والذى يميل إليه نظرنا هو عدم إقامة الحد عليها وتحليفها الأيمان الخمس.

(**) راجع الناسخ والمنسوخ، لأبى جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٩٢ـ١٩٣.

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾

* لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ ـ من كلام صدر عن سذاجه وليس عن خبث ومكيدة. عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً ـ ما طهرت نفس أحد منكم. وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَلا يَأْتَلِ ـ ولا يحلف بالإمساك عن الإنفاق (إذ أن أبا بكر حلف أن يقطع ما ينفقه على مسطح ـ وهو من المهاجريـن الفقراء ـ حين صدر منه كلام مكروه فى حديث الإفك السابق). أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ـ (رجع أبو بكر عن قسمه السابق بعد نزول هذه الآية وواصل ما كـان ينفقه على مسطح وقـال: واللّه لا أنزعـهـا منه أبـدًا). إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ ـ الحسـاب. تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ـ جزاءهم المقدر. وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ.

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

* الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ـ وفى المثل: الطيور على أشكالها تقع. وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ـ أبرياء مما يشيعه الناس عليهم من شبهات، يُبرِّؤُهم الله فى الدنيا والآخرة. لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا ـ تستأذنوا. وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا ـ لم يؤذن لكم بالدخول. فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ.

(١٢٠) قضية: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ . . . وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾ [الآية: ٢٦].

والتقدير فى ذلك لله، فقد يكون خبث المرء فى جانب غير الذى فى زوجته، والذى فى زوجته غير الذى فيه، ولكن الميزان الإجمالى لصفاتهما يتعادل على العموم. ويصدق الكلام على روابط الصداقة، فلا يلومن المرء الظروف التى أوقعته على شريك يراه سيئًا، إذ قد يكون فى نفسه من العيوب بقدرما فى شريكه. ويدخل فى الميزان الإجمالى حساب الزمان، أى التغيرات التى تطرأ على سلوك الفرد ونواياه، فكلما عمل الإنسان على تطهير نفسه من الخبث والعيوب المشينة اهتداءً بدين الله، فرَّقَ اللَّه من حوله رفقاء السوء، ووفقه إلى أهل الخير والصلاح، وقد يكون هو نفسه مؤثرا بالنصح والوعظ على رفقائه فيرشدهم إلى الصلاح.

وعلى أى حال لا يدخل فى عداد الطيبين هؤلاء الذين تربط بينهم معاشرة على خلاف شرع الله، فأولئك يبغضهم الله سبحانه وتعالى، فهو لا يحب الظالمين، إلا أن يتوبوا ويصلحوا فإن الله غفور رحيم.

هذا عن الغالب من الظروف، ويخرج منها إرادة الله إذا ما شاء أن يبتلى رجلا أو امرأة طيبة برفقاء سوء، كما يبدو واضحا من قول الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحريم: ١٠ ـ ١١].

(١٢١) قضية: ﴿ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ [الآية: ٢٦].

إن الله يدافع عن الذين آمنوا، ويبرؤهم مما يحوم حولهم من الشبهات. وتكفير الذنوب يقع فى الدنيا للمؤمنين، ومنه أن تحيط الشبهات ببرىء فيحكم عليه ظلمًا، فإذا راجع أعماله علم أن محنته كانت تكفيرا عن ذنوب ارتكبها كان لها قدر من الإثم مساويا أو أشد مما ابتلى به من مكروه. والله يمتحن عباده كيف يشاء، فربما تكون البلية على سبيل الامتحان دون تكفير عن ذنوب سابقة، كمحنة يوسف، عليه الصلاة والسلام، مع امرأة العزيز. ذلك ومن يصبر على الابتلاء مع قوة إيمانه بالله، يخرج من محنته مرفوع الرأس، سالم السمعة والشرف. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ - أى التى لا يسكنها أناس معروفون، كالبيوت المبنية بالطرق لإيواء التائهين، والفنادق (أما بيوت الناس المتروكة خاوية فلا تدخل إلا بإذن أصحابها، عدا حالات الضرورة لاتقاء البرد أو الحر أو المطر، وليس بغرض السكنى الدائمة، وإلا كان اغتصابًا، وذلك من الكبائر). فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ - منفعة لكم بالراحة والإقامة. وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ * قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا - بحكم الضرورة من الوجه والكفين، والقدمين أيضا عند البعض. وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ - على صدورهن لستر العنق. وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ - التى هى وراء ذلك. إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ - النساء من المؤمنات مثلهن. أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ - كالقائمين على الخدمة بالمنازل. غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ - الذين لا ميل لهم إلى النساء كالشيخ الهرم أو الصبى الصغير أو المعتوه. أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ - يضربن الخلاخيل ببعضها فى الرجلين لإحداث رنة تجذب إليهن الأنظار، وما يقاس على ذلك. لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ - من لا زوجة له ومن لا زوج لها. مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا - لا يستطيعون الزواج. حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا - يكتب العبد ورقة لسيده بأن يدفع له مالاً مؤجلاً أو مقسطا مقابل عتقه. وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ - إمائكم (الأمة أو العبد). عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ - يغفر للأمة (أو العبد) دون السيد الذى أكرهها.

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾

وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَات مُّبَيِّنَات ـ للحق. وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِين خَلَوْا من قَبْلكُمْ وَمَوْعظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * اللَّهُ نُور السَّمَوَات وَالأَرْض ـ بنوره يهتدى المؤمنون. مَثَلُ نُوره كَمشْكَاة فِيهَا مصْبَاحٌ الْمصْبَاحُ فِي زُجَاجَة الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ من شَجَرَة مُّبَارَكَة زَيْتُونَة لاَّ شَرْقيَّة وَلا غَرْبيَّة يَكَادُ زَيْتُهَا يُضيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُور يَهْدي اللَّهُ لنُوره من يَشَاءُ وَيَضْربُ اللَّهُ الأَمْثَالَ للنَّاس وَاللَّهُ بكُلِّ شَيْء عَليمٌ ـ نوره. فِي بُيُوت أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ ـ يرتفع قدرها كالمساجد. وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ ـ المؤمنون. لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَال ـ فى معظم أوقات اليوم. رِجَالٌ ـ لهم أعمالهم الدنيوية أيضًا، فهم لا يعيشون عالة على الناس، ولكن. لاَّ تُلْهِيهِمْ تجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذكْر اللَّه وَإِقَام الصَّلاة وَإِيتَاء الزَّكَاة يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فيه الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * ليَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ـ يؤجرون على كل عمل صالح بثواب أحسن ما عملوا. وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْله ـ وتضاعف أجورهم أضعافًا مضاعفة، ففضل الله لا ينتهى. وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بغَيْر حسَاب * وَالَّذين كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَاب بقِيعَة ـ كسراب منبسط على أرض صحراء. يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ـ كل أعمال الكافر فى الحياة الدنيا ولو كانت فى الخير هى كالسراب، يلتمسها يوم الحساب فلايجدها شيئًا. حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ ـ ميزانه يوم الحساب. لَمْ يَجدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عندَهُ فَوَفَّاهُ حسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحسَاب * أَوْ كَظُلُمَات فِي بَحْر لُّجِّيٍّ ـ ومثل الكافر الذى يعيش الدهر يحارب المؤمنين ويسعى إلى الإفساد فى الأرض، فأعماله يوم الحساب كأنها بحر مظلم. يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقه مَوْجٌ مِّن فَوْقه سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْض إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَل اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ من نُّور * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَات وَالأَرْض وَالطَّيْرُ ـ تسبح فى الهواء. صَافَّات كُلٌّ قَدْ عَلمَ صَلاتَهُ وَتَسْبيحَهُ وَاللَّهُ عَليمٌ بمَا يَفْعَلُونَ.

وَللَّه مُلْكُ السَّمَوَات وَالأَرْض وَإِلَى اللَّه الْمَصيرُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجي ـ يبث بالتدريج. سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ـ كثيفًا متلاحمًا. فَتَرَى الْوَدْقَ ـ المطر. يَخْرُجُ منْ خلاله وَيُنَزِّلُ منَ السَّمَاء من جبَال ـ سحب كبيرة كالجبال. فيهَا من بَرَد ـ ثلج. فَيُصيبُ به مَن يَشَاءُ وَيَصْرفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا ـ نور. بَرْقه يَذْهَبُ بالأَبْصَار.

﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾

* يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ * وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِه ـ الزواحف. وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ـ الإنسان. وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ـ البهائم. يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُوْلَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ـ حين يأتى الحق على غير ما تهواه أنفسهم. وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ ـ إن جاء الحق بما يحبون. يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ـ طائعين. أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ـ يجور. اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا ـ فالطاعة. طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ـ بأنها النصرة والمؤازرة، لا انتظار معها لأن يأمركم النبى وأنتم ترونه يخرج للجهاد. إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ ـ على الرسول. مَا حُمِّلَ ـ من أمانة تبليغ ما يوحى إليه من ربه. وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ـ من أمانة الإخلاص فى الطاعة. وَإِن تُطِيعُوهُ ـ بإخلاص. تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ـ لأنهم. يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ ـ العهد. فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ـ إن اللَّه قادر عليهم. وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

* يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا ليَسْتَأْذنكُمُ الَّذينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ـ عبيد وإماء. وَالَّذين لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ ـ الصبيان. منكُمْ ثَلاثَ مَرَّات ـ إذا كانت لهم حاجة عندكم. مّن قَبْلِ صَلاة الْفَجْرِ ـ وهو وقت النوم. وَحينَ تَضَعُونَ ثيَابَكُم مّنَ الظَّهِيرَة ـ وقت القيلولة. وَمنْ بَعْد صَلاة الْعشَاء ـ وقت النوم. ثَلاثُ عَوْرَات لَّكُمْ ـ هذا ستر لعـوراتكم فأدبوهم على هذا السلوك حتى يعتـادوا ذلك فلا يطلعـوا على عوراتكم. لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ـ ليس عليكم إلزامـهم بالاستئذان ولا عليهم إلتزامـه فى غير هذه الأحوال، وإنما ذلك يربيهم على إكـبار قدركم واحترامكم فى كل وقت، وتبقى الألفـة فيما بينكم.طَوَّافُونَ عَلَيْكُم ـ يطـوف. بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ـ دون عـناء وتكلـف. كَذَلكَ يُبَيّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَات وَاللَّهُ عَليمٌ حَكيمٌ * وَإذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ منكُمُ ـ أولادكـم. الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذنُوا ـ فـى الأوقـات الـثـلاثـة. كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذينَ مـن قَبْلهـمْ ـ السابق ذكرهم. كَذَلكَ يُبَيّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاته وَاللَّهُ عَليمٌ حَكيمٌ.

وَالْقَوَاعدُ منَ النّسَاء ـ كبيرات السن. اللاَّتي لا يَرْجُونَ نكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثيَابَهُنَّ ـ يتخففن بوضع بعض الثياب كحـجاب الرأس وهن فى بيوتهن. غَيْرَ مُتَبَرّجَات بزينَةٍ ـ خارج البيوت. وَأَن يَسْتَعْففْنَ ـ بالتزام كامل ثيابهن كما لو كن شابات. خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَميعٌ عَليمٌ.

* لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَىٰ أَنفُسكُمْ أَن تَأْكُلُوا منْ بُيُوتكُمْ أَوْ بُيُوت آبَائكُمْ أَوْ بُيُوت أُمَّهَاتكُمْ أَوْ بُيُوت إخْوَانكُمْ أَوْ بُيُوت أَخَوَاتكُمْ أَوْ بُيُوت أَعْمَامكُمْ أَوْ بُيُوت عَمَّاتكُمْ أَوْ بُيُوت أَخْوَالكُمْ أَوْ بُيُوت خَالاتكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتحَهُ ـ أى ما تحـوزونه من البيـوت كغـرفة الفندق أو منزل مـستـعار. أَوْ صَديقكُمْ ـ بيوت أصدقائكم. لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَميعًا أَوْ أَشْتَاتًا ـ جماعة وفرادى. فَإذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلّمُوا عَلَىٰ أَنفُسكُمْ تَحيَّةً مّنْ عند اللَّه مُبَارَكَةً طَيّبَةً كَذَلكَ يُبَيّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَات لَعَلَّكُمْ تعْقلُونَ.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾ ﴾

* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ ـ يحتاج إلى وجودهم أو معرفة رأيهم. لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ـ نادوه بما يليق بمقامه بينكم، فقولوا: يا رسول اللَّه أو يا نبي اللَّه ـ إن اللَّه يعلم. الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ـ يخرجون مستترين من بين الجمع دون استئذان. فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ـ عن أمر اللَّه. أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ـ مصيبة. أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ـ إنه. يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ـ من أحوال وأفعال. وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا (١) ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا (٢) وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا (٣) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٦) وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (٨) ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩) تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا (١٠) بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤) قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا (١٥) ﴾

تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْده ليَكُونَ للْعَالَمين نَذيراً * الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّموَات وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَريكٌ فِي الْمُلْك وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْديراً * وَاتَّخَذُوا من دُونه آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلكُونَ لأَنفُسهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً - ولا بعثًا من بعد الموت. وَقَالَ الَّذِين كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ - بأن نسب القرآن إلى اللَّه كذبًا. وَأَعَانَهُ عَلَيْه - على تأليفه. قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا - هؤلاء الكافرون. ظُلْمًا وَزُوراً * وَقَالُوا أَسَاطيرُ الأَوَّلين اكْتَتَبَهَا - نسخها من الكتب السابقة. فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْه بُكْرَةً وَأَصيلاً * قُلْ أَنزَلَهُ الَّذي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّموَات وَالأَرْضِ - هو اللَّه. إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحيمًا * وَقَالُوا ما لهَذَا الرَّسُول يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشي في الأَسْوَاق لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْه مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذيراً * أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْه كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا - فى رفاهة من العيش. وَقَالَ - هؤلاء. الظَّالِمُونَ - لمن آمنوا: إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً * انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ - التافهة. فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطيعُونَ سَبيلاً - إلى هدم دين الله. تَبَارَكَ الَّذي إِن شَاءَ - وقد شاء بفضله. جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مّن ذَلكَ جَنَّات تَجْري من تَحْتهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُوراً * بَلْ كَذَّبُوا بالسَّاعَة وَأَعْتَدْنَا لمَن كَذَّبَ بالسَّاعَة سَعيراً * إِذَا رَأَتْهُم - جهنم. مّن مَّكَان بَعيدٍ سَمعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفيراً * وَإِذَا أُلْقُوا منْهَا مَكَانًا ضَيّقًا مُّقَرَّنِينَ - متلاصقين. دَعَوْا هُنَالكَ ثُبُوراً - ندمًا على هلاكهم فى جهنم. لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثيراً - اندموا ندمًا مضاعفًا. قُلْ أَذَلكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْد الَّتي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصيراً.

﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾

* لَهُمْ فيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالدين كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولاً * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ من دُون الله فَيَقُولُ - للمعبودين من دون الله. أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عبَادي هَٰؤُلاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبيلَ * قَالُوا - المعبودون فى الدنيا من دون الله بغير إرادتهم. سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغي لَنَا أَن نَّتَّخذَ من دُونكَ منْ أَوْليَاءَ وَلَكن مَّتَّعْتَهُمْ - يا الله. وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا - فاسدين. فَقَدْ كَذَّبُوكُم بمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطيعُونَ صَرْفًا وَلا نَصْرًا وَمَن يَظْلم مّنكُمْ - ومن يكفر منكم أو يشرك بالله. نُذقْهُ عَذَابًا كَبيرًا * وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ منَ الْمُرْسَلينَ إلاَّ إنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ في الأَسْوَاق وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لبَعْضٍ فتْنَةً - اختباراً. أَتَصْبرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصيراً - بعباده، والله يمتحن الناس لكى يعلم كل واحد منهم قدره فلا يكون له على الله حجة إن كفر أو أشرك. وَقَالَ الَّذينَ لا يَرْجُونَ لقَاءَنَا لَوْلا أُنزلَ عَلَيْنَا الْمَلائكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَد اسْتَكْبَرُوا في أَنفُسهمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبيراً * يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائكَةَ - عند الموت. لا بُشْرَىٰ يَوْمَئذ لّلْمُجْرمينَ - وإنما هو يوم شؤمهم. وَيَقُولُونَ حجْراً مَّحْجُوراً * وَقَدمْنَا إلَىٰ مَا عَملُوا منْ عَمَلٍ - خير فى الدنيا. فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً - لا قيمة له. أَصْحَابُ الْجَنَّة يَوْمَئذ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقيلاً * وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بالْغَمَام وَنُزِّلَ الْمَلائكَةُ - من السماوات. تَنزيلاً - وذلك هو يوم الحساب. الْمُلْكُ يَوْمَئذ الْحَقُّ للرَّحْمَن وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافرينَ عَسيراً * وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالمُ عَلَىٰ يَدَيْه يَقُولُ يَا لَيْتَني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُول سَبيلاً * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَني لَمْ أَتَّخذْ فُلانًا خَليلاً * لَقَدْ أَضَلَّني عَن الذّكْر بَعْدَ إذْ جَاءَني وَكَانَ الشَّيْطَانُ للإنسَان خَذُولاً * وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبّ إنَّ قَوْمي - أهل قريش (وغيرهم ممن وصلتهم الدعوة). اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً - أعرضوا عنه. وَكَذَٰلكَ جَعَلْنَا لكُلّ نَبيٍّ عَدُوًّا مّنَ الْمُجْرمينَ وَكَفَىٰ بربّكَ هَاديًا وَنَصيراً - للأنبياء ومن معهم من المؤمنين.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ ﴾

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ـ فقد نزل القرآن مُنَجَّمًا(*). كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً * وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً * الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيراً * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ـ فرعون وأتباعه من الكافرين. فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً * وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً * وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ـ قوم نبى الله شعيب، وقيل غيرهم. وَقُرُوناً ـ أممًا. بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً * وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ ـ للموعظة والاعتبار. وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً ـ دمرنا تدميرًا. وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ـ شاهدوا آثار. الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ـ مطر العقاب المهلك، وهى موطن قوم نبى الله لوط. أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ـ فى حياتهم الدنيا قبل مثولهم أمام الله يوم الحساب. بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً ـ يتمنون ألا يكون بعد الموت بعث ولا حساب. وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً * إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا ـ من الأصنام، وغير ذلك مما يشركون بالله. لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ـ تمسكنا بعبادتها معاندين. وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً * أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً * أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ـ يتوجه ويمتد بتوجهها. ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً ـ متدرجًا غير محسوس. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً ـ ساترًا. وَالنَّوْمَ سُبَاتاً ـ راحة. وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً ـ ظهورًا للأشياء ووضوحًا. وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً ـ مبشرة بقدوم المطر. بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ـ الطَّهُورُ هو الطاهر المطهر لغيره أى الماء النقى الذى لم يستعمل. لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً * وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً * وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً.

(*) نزل القرآن منجمًا، أى متفرقًا وفقًا لمناسبات النزول، ثم أعيد ترتيبه بالوحى (جبريل) على ما هو عليه الآن بين أيدينا فى السنة الأخيرة من حياة الرسول ﷺ.

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ۝ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۝ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ۝ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ ﴾

فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ ـ بالقرآن. جِهَادًا كَبِيرًا * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ ـ وصَلَ. الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ـ النهر. وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ـ البحر. وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ـ حدًا يفصل ماء النهر العذب عن ماء البحر المالح. وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ـ لا يختلط أحدهما بالآخر. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا * وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ـ مظاهرًا بعدائه لله. وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ ـ هداية. مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ـ من أيام الله وهو أعلم بقدرها بالمقارنة بأيام الدنيا. ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ـ هو. الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا * تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ـ الأبراج السماوية التي عرفها الناس منذ القدم. وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا ـ الشمس. وَقَمَرًا مُّنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ـ متواليين. لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ـ يتأمل في قدرة الله. أَوْ أَرَادَ شُكُورًا * وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ـ إذا تحرش بهم الجاهلون تسلموا منهم. وذلك إذا اقتضى المقام الصفح، والصفح في كثير من الأحوال قوة. أما كرامة المؤمنين فلا تفريط فيها، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]. وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا ـ في أوجه الخير. لَمْ يُسْرِفُوا ـ لم يبذروا. وَلَمْ يَقْتُرُوا ـ ولم يبخلوا. وَكَانَ ـ إنفاقهم. بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ـ وسطًا معتدلاً. وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ـ كأن يكون قصاصًا، أو عقابًا على جريمة. وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ـ من يرتكب تلك الذنوب. يَلْقَ أَثَامًا.

﴿ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ۝٧١ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا ۝٧٢ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمًّا وَعُمۡيَانًا ۝٧٣ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٍ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٧٦ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ۝٧٧ ﴾

* يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ ـ الفتن التى دفعتهم إلى. سَيِّئَاتِهِمْ ـ بظروف تؤدى إلى. حَسَنَاتٍ ـ (السيئات فى ذاتها لا تتبدل إلى حسنات، ولكنها بعد التوبة تندرج فى الذكريات فيساعد تذكرها على الرسوخ فى طريق الصلاح والرشاد، فكلما يتذكرها التائب يستحيى من الله. وحذار أن يتوهم المرء أنه يكتسب خبرة وتجربة باقتراف الآثام والمنكرات، بل إنه يجنى الخسارة المريرة، ولا يشعر بها إلا بعد التوبة الصادقة، فليس هناك فشل وضياع أكثر من التجرؤ على حدود الله). وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ـ لم يفعلوا مثل السفهاء فيغرقون فى لغو الحديث إلى حد الخروج عن اللياقة والأدب. وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا ـ لم يقفوا تجاهها. صُمًّا وَعُمْيَانًا ـ بل تأملوا فيها وتدبروها. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ـ قدوة للخير. أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ ـ الدرجة العالية فى الجنة. بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ ـ لا يكترث بكم إلا بتوجهكم إليه بالصلاة والدعاء، مؤمنين به موحدين غير مشركين. فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ـ أيها الكافرون. فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ـ سيقع عليكم حتما العقاب.

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝١٥ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٧ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢١ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٢٢ ﴾

طسَمَ * تلْكَ آيَاتُ الْكتَاب الْمُبين * لَعَلَّكَ بَاخعٌ نَّفْسَكَ ـ محزن نفسك حزنًا عميقًا أسفًا على قومك. أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمنينَ * إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً ـ معجزة تقهرهم على الإيمان. فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضعينَ ـ قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٩٩]. وَمَا يَأْتيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَث ـ كلما نزل شيء من القرآن (نزل القرآن منجمًا). إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ ـ يوم القيامة. أَنْبَاءُ مَا كَانُوا به يَسْتَهْزِءُونَ ـ من آيات القرآن. أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالمينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ ـ اسألهم. أَلا يَتَّقُونَ ـ أي بلغهم رسالة الله. قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ ـ يؤازرني. وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ ـ فقد قتل (بغير عمد) موسى مصريًا. فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلاَّ ـ لن يقتلوك. فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ـ كان فرعون يستعبدهم. قَالَ ـ فرعون لموسى. أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ـ تربى موسى في قصر فرعون. وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ـ حتى بلغت قواك. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ ـ قتل المصري. وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ـ بنا وبفضلنا عليك. قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا ـ كنت. مِنَ الضَّالِّينَ ـ عن خطأ. فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ـ النبوة وحمل الرسالة. وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ ـ ربيتني بينما. عَبَّدتَّ ـ استعبدت قومي. بَنِي إِسْرَائِيلَ.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

* قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ ـ موسى. رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ * قَالَ ـ فرعون. إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ ـ موسى: إلهكم. رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ ـ فرعون. لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ـ آية قاطعة على وجود الله وقدرته. قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ ـ منيرة. لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ـ أمهله هو وهارون. وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ * فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا ـ عطاءً. إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ـ من السحر. فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ـ ما يوهمون الناس به من أعمال السحر. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَرُونَ * قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ ـ يقصد موسى. لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ـ وقد قمتم بتحديه أمامي لتضللوني، ولكنكم في الحقيقة أنصاره وأتباعه. فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ـ فافعل بنا ما شئت. إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ـ يجمعون الجند. إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ ـ نفر. قَلِيلُونَ.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ - متأهبون لعقابهم. فَأَخْرَجْنَاهُم - استدرجناهم. مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ - ليطاردوا موسى ومن معه من المؤمنين. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ - نحو الشرق، أو وقت شروق الشمس. فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ - اقتربا. قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ - موسى - كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ - انشطر ماؤه فأسفر عن طريق يابس فمشى فيه موسى وقومه. فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ - شطر. كَالطَّوْدِ - الجبل. الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ - وأدخلنا هنالك الآخرين، فرعون وجنوده. وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ - بعبورهم جميعًا البحر. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ - بإغلاق الماء عليهم قبل خروجهم إلى البر. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي - هؤلاء الذين تعبدونهم. إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي - هو. خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ - فى الآخرة. وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * وَأُزْلِفَتِ - قُرِّبَتْ وَقُدِّمَتْ. الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ - لأنفسهم. فَكُبْكِبُوا - فانكبوا. فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ - الذين أضلوهم. وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا - فى جهنم. يَخْتَصِمُونَ - مع من كانوا يعبدونهم، كفرعون وأمثاله.

﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٩٨) وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٢) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٤) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠٩) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١١٥) قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ (١١٧) فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٢) كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ (١٣٦) ﴾

* تَاللَّه إن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ ـ هم الذين جعلونا نعبدكم ونشرككم مع الله. فما لنا من شافعين ـ عند الله. ولا صديقٍ حميمٍ ـ كما كان لنا عـزوة فى الدنيا من أهل وأعوان. فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ـ رجعة أخـرى إلى الدنيا. فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ـ الضعفاء من الفقراء والبسطاء. قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ (*) ـ أجرهم. إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ـ لو تعلمون بما يبذلون من تضحية فى طريق الإيمان. وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ـ لفقرهم. إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ـ فاحكم بينى وبينهم فى هذه الحيـاة الدنيا. وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ـ تبنون بكل مكان عـال قصـورا تتفـاخرون بهـا. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ـ قلاعًـا وحصـونًا. لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ـ ظالمين. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ـ من النعم التى بين أيديكم. أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ـ فإنا من الكافرين برسالتك.

(*) الخير المقدم من الفقير له قدره عند الله، وربما يكون ثوابه أكبر من المقدم من الغنى، إذ أن الفقير الذى يكسب بالكاد قوت يومه ويأكل من أدنى أصناف الطعام، إذا أغاث جائعًا أو أكرم ضيفًا، فقد يبيت نصف جائع، فى حين أن الغنى حين يبذل ماله هنا وهناك فى أوجه الخير، وإن كان بلا شك يجازى خيرًا عند ربه، إلا أن وجباته لا تنقص فلا يعرف للجوع أثرًا. والله يقدر كل هذه الاعتبارات فى موازينه بالعدل والقسطاس المستقيم.

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾

* إنْ هذا - الذى نحن عليه. إلاَّ خُلُقُ الأوَّلين * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إنَّ في ذلكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمنينَ * وإنَّ ربَّكَ لَهُوَ الْعزيزُ الرَّحيمُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلينَ * إذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالحٌ أَلا تَتَّقُونَ * إنّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطيعُون * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه منْ أَجْر إنْ أَجْريَ إلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمين * أَتُتْرَكُونَ في مَا هَاهُنَا آمنينَ - أتتركم بالرغم من كفركم بالله تنعمون. في جَنَّات وَعُيُون * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضيمٌ * وَتَنْحتُونَ منَ الْجبَال بيُوتًا فَارهينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطيعُون * وَلا تُطيعُوا أَمْرَ الْمُسْرفينَ * الَّذينَ يُفْسدُونَ في الأَرْض وَلا يُصْلحُونَ * قَالُوا إنَّمَا أَنتَ منَ الْمُسَحَّرينَ - إن دعوتك هذه هى من أثر سحر أصابك. مَا أَنتَ إلاَّ بَشَرٌ مّثْلُنَا - لا فرق بينك وبيننا، فإن كان ما جئت به من رسالة من السماء حقًا. فَأْت بآيَة - معجزة. إن كُنتَ منَ الصَّادقينَ - قيل هم الذين طلبوا منه أن يخرج لهم ناقة من صخرة. قَالَ هَذه نَاقَةٌ لَّهَا شرْبٌ - تشرب من ماء البئر يومًا ثم يكون الشرب لكم من البئر يوما. وَلَكُمْ شرْبُ - لبنها. يَوْمٍ مَّعْلُومٍ - فى اليوم التالى، وهكذا دواليك. وَلا تَمَسُّوهَا بسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادمينَ - ندموا وقت لا ينفع الندم. فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إنَّ في ذَلكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمنينَ * وَإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزيزُ الرَّحيمُ * كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوط الْمُرْسَلينَ * إذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ * إنّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطيعُون * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه منْ أَجْرٍ إنْ أَجْريَ إلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ منَ الْعَالَمينَ - أتأتون الرجال من الناس. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مّنْ أَزْوَاجكُم - من النساء. بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ * قَالُوا لَئن لَّمْ تَنتَه يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ منَ الْمُخْرَجينَ * قَالَ إنّي لعَمَلكُم مّنَ الْقَالينَ - من المنكرين. رَبّ نَجّني وَأَهْلي ممَّا يَعْمَلُونَ * فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعينَ * إلاَّ عَجُوزًا في الْغَابرينَ - هى امرأته وكانت كافرة. ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهم مَّطَرًا - عقابًا لهم، حجارة من سجيل. فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرينَ.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾

* إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ ـ الغابة. الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ـ كانت لهم مكاييل واسعة وموازين ثقيلة يستعملونها حين يشترون البضاعة من غيرهم، وأخرى ضيقة وخفيفة يستعملونها حين يبيعون. وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ ـ البشر. الأَوَّلِينَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا ـ قطعًا. مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ـ السحابة التى أظلتهم فى حر يوم شديد، فأمطرت عليهم نارًا أحرقت الكافرين جميعًا. إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ـ الملك جبريل، عليه الصلاة والسلام. عَلَىٰ قَلْبِكَ ـ يا محمد. لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ(*) * وَإِنَّهُ ـ ذكر الرسالة الخاتمة. لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ـ فى الكتب الأصلية التى نزلت من قبل من عند الله.

(١٢٢) قضية: عالمية الإسلام ونزول القرآن ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الآية: ١٩٥].

إن أى رسالة تنزل من السماء تفترض عدة علاقات:

الأولى: العلاقة بين الرسول وربه:

ـ إن الله يعلم أين يضع رسالته، فهو يختار رسله فيوحي إليهم، ويكلم بعضهم، مثلما كلم موسى دون وساطة وحى، ولكن من وراء حجاب: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

(*) تنبيه: القرآن معجز، لا يستطيع أحد أن يأتى بمثله، وكونه نزل باللغة العربية ليس معناه أن نتحجرًا على ربنا فنبحث فى لغة يتكلم بها الله سبحانه وتعالى، فجميع اللغات الأرضية وسيلة للحوار والتفاهم والله غنى عن الوسائل. واللغات سواء كانت توقيفية أم كانت من ابتداع الناس تعتبر من مخلوقات الله، والله غنى عن ما خلق. والقرآن نزل بالعربية لأن المخاطب الأول الذى اختاره الله للرسالة عربى، وهو محمد ﷺ. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧ ، الدخان: ٥٨].

﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾

أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ـ العلماء الصادقون مثل عبد الله بن سلام، وكان عالمًا بالتوراة والإنجيل وما فيهما من التبشير بالرسول الخاتم. وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ ـ أى القرآن. عَلَىٰ بَعْضِ الأَعْجَمِينَ ـ غير العرب. فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم ـ فأعلمهم بما فيه بلغتهم العربية، كمعجزة. مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ـ استكبارًا منهم. كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ ـ تركنا الكفر يسلك. فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لا يُؤْمِنُونَ بِهِ ـ بالقرآن. حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ * فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ـ ممهلون. أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ـ أيهزؤون بالحق ويقولون للرسول استعجل لنا العذاب. أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ـ طويلة. ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ـ من العذاب. مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ـ ماذا تفيدهم حياتهم الدنيا ولو طالت، وماذا يعنى ماض فى نعيم أمام عذاب الله المستمر الخالد؟

➡ الثانية: العلاقة بين الرسول والناس (التبليغ):

ـ بعد تلقى الرسول الآيات من ربه يبلغها إلى مجتمعه. والتبليغ لا يكون فى هذه المرحلة إلا بلغة محددة هى لغة مجتمع الرسول.

ـ ومن الرسل من أمره الله بتبليغ رسالته للناس كافة كما هو شأن خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ [سبأ: ٢٨]. فهنا يلزم نقل الخطاب من لغة الرسول (العربية) إلى اللغات الأخرى، يستوى أن تكون الترجمة بفعل المرسل أو المرسل إليه. وقد أرسل الرسول، صلى الله عليه وسلم، فى حياته إلى الأمم من حوله.

الثالثة: علاقة الناس بعضهم ببعض:

لا تتوقف الرسالة بموت الرسول، وإنما إحياء الدين يفرض على المؤمنين مواصلة الجهود لإيصال العلم برسالة الله وشريعته إلى غيرهم من الأمم، وذلك إذا كانت الرسالة عالمية مثل الإسلام.

ولكن المجتمعات البشرية دائمة الصلة ببعضها، وقليل منها ما يكون منغلقًا. لذلك نجد رسالات لم تكن عالمية، وإنما انتقلت ثقافتها إلى مجتمعات عديدة فآمن بها الناس وصارت عالمية الانتشار.

ولا بأس من أن نرى العالم فى عصرنا مجتمعًا واحدًا كبيرًا تنتقل عبره الثقافات الدينية المختلفة، فهذا أمر واقع، وإنما الأمر الهام هو أن على الإنسان أن يعلم أن المطلوب منه هو التصديق بجميع الرسل والأنبياء، مع العمل وفقًا لأحدث شريعة من حيث تاريخ النزول، تمامًا كما هو منطق الناس فى الخضوع لأحدث القوانين (من حيث التاريخ) الصادرة عن حكوماتهم. وذلك هو منطق عالمية الإسلام(*).

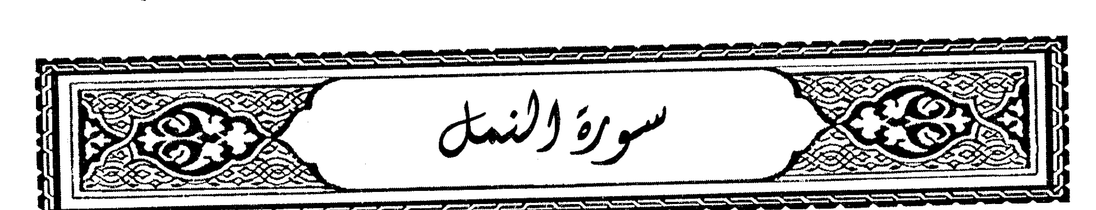
(*) راجع : لغات الرسل وأصول الرسالات، لمجموعة من المؤلفين، ط. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ الرباط ٢٠٠٢م.

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٢٠٩) وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢) فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ (٢١٣) وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (٢١٧) ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٢٢٠) هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ (٢٢٣) وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾

وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ ـ أو كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥]. ذِكْرَىٰ ـ للاعتبار والموعظة. وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ * وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ـ ولم يأت القرآن من شياطين من الجن حتى يصح اتهام الكفار لمحمد بأنه ساحر أو مسحور. وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ ـ للشياطين أن يأتوا بالقرآن. وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ـ الإتيان به أو بمثله. إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ ـ التنصت على الوحى. لَمَعْزُولُونَ ـ لمبعدون. أما استماع الجن للقرآن حين تلاوته فهو أمر قائم، فقد استمعوا للنبى ﷺ، كما أخبر الله تعالى: ﴿ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ١]. فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ * وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ـ ابدأ بدعوة الأقرب ثم من يليه ثم الأبعد حتى يتم إنذار الناس، وعلى ذلك ينبغى أن يحرص الدعاة فى كل زمان. وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ـ ويرى. وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ـ حين تعبده وتصلى له. إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ـ على كل كذاب من الكهنة. يُلْقُونَ السَّمْعَ ـ يلقون أكاذيبهم فى ضمائر الناس. وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ـ أهل الغى والهوى. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ ـ فى كل مكان وكل مجال ـ يَهِيمُونَ ـ مبالغين فيما يجول بخيالهم وما تلفظه ألسنتهم ـ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (*) ـ مثل حسان بن ثابت، شاعر الرسول، وكل من اهتم بالشعر الدينى. وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ـ فى أشعارهم. وَانتَصَرُوا ـ بهجاء الكفار. مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ـ مع جملة المؤمنين. وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ـ الكافرون. أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ.

(*) وقفة لبيان موقف الإسلام من الشعر:

يقول البعض إن الشعر العربى ضَعُف بسبب مجىء الإسلام، لأن مبادئ الإسلام تنهى عن الشعر، ويستندون فى ذلك إلى هذه الآيات: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴾. إن الإسلام ينهى عن الشعر الخليع الذى يهدف إلى إثارة الغرائز والفتن. أما كل أدب رفيع، ومن ذلك الشعر، فالإسلام لا ينهى عنه. وقد كان للشعر والأدب الدينى نهضته الكبرى بفضل الإسلام. ولا ننسى فى هذا المقام ذكر حسان بن ثابت، رضى الله عنه، شاعر الرسول ﷺ.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝ ﴾

طسٓ تلْكَ آيَاتُ الْقُرآن وكتاب مُّبينٍ * هُدًى وَبُشْرَىٰ للْمُؤْمنينَ * الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بالآخرَة هُمْ يُوقنُونَ * إنَّ الَّذينَ لا يُؤْمنُونَ بالآخرَة زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ - فى الدنيا فاستحسنوها دون تمييز بين الطيب والخبيث. فَهُمْ يَعْمَهُونَ - يتخبطون فى تقديرهم لها ولآثارها.

---

(١٢٣) **قضية:** ﴿ إنَّ الَّذينَ لا يُؤْمنُونَ بالآخرَة زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ **[الآية: ٤].**

نحن نعيش فى عصر أعرض فيه رواد التقدم العلمى والتكنولوجى عن المفاهيم الدينية، فانتشرت الأوبئة والأمراض والمجاعات، ويتهدد العالم دمار الحرب التى لو قامت بين دول تمتلك الأسلحة النووية، فلن تبقى ولن تذر، لن ترحم ضعيفًا ولا شيخًا ولا امرأة، وكل يوم يمتد زحف السلاح والتجارب النووية، ودول جديدة تدخل هذا المجال، وهكذا يتقدم الخراب وتلوث البيئة، وكل ذلك يجرف المجتمعات إلى مستقبل سيء. والانهيار الأخلاقى والفجور أدى إلى انتشار وباء الإيدز فى المجتمعات.

إن الدول التى تدعى التقدم هى فى الحقيقة فى عَمَى كما يقول الحق سبحانه وتعالى، فرحة بالزينة التى حققتها بالمخترعات، والناس فيها يهزؤون بمن يقدم لهم النصيحة.

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩]. أى يودع فيكم، بفضل التقوى، ما يجعلكم تفرقون بين الحق والباطل، فترون الحق حقًا والباطل باطلاً، وترون الخير خيرًا والشر شرًا، فلا يغويكم الشيطان فترون الأمور وآثارها على غير حقيقتها.

وينبغى العلم أن التقدم فى الحقيقة لابد وأن يكون متوازنًا فى جميع المجالات، فالتقدم فى الحياة المادية إن صاحبه فساد الخلق وتدهور العلاقات الاجتماعية والبعد عن القيم، فلا محالة سينتج عنه انجراف الإمكانات المادية المتطورة نحو الفساد بمختلف صوره، من تجبر واستغلال واحتكار وابتزاز... وذلك شر يتهدد المجتمعات وينذر بالخراب.

وبالرغم من أننا نرى كثيرا من محاسن التقدم العلمى والمخترعات التكنولوجية، إلا أنه بات من الواضح أن بُعد هذا التقدم عن الأخلاق يدخل الإنسانية إلى ظلمات المخاطر، ونذكر مثلين فى هذا الصدد :

أولا: الأسلحة النووية والبيولوجية: بالرغم من حرص الدول على تجنب استعمال تلك الأسلحة التى تؤدى إلى الدمار الشامل، إلا أنه من المسلم به أن وجود هذه الأسلحة بدون استعمال يعتبر كالألغام، وإننا نرى كم تعانى الدول من الألغام المزروعة فى الأرض منذ الحربين الأولى والثانية، فما بالنا بهذا النوع المرعب من القنابل والصواريخ النووية والهيدروجينية، وماذا عن لجوء الدول المتقدمة إلى عقد اتفاقات سرية مع دول فقيرة ومتخلفة لدفن النفايات الذرية فى أراضيها، وما ينتج عن ذلك من أمراض فتاكة بالبشر. هذا مثال واضح من واقع الصراع والتنافس الحربى المعاصر.

⬅

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ۝ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ۝ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ۝ ﴾

* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ * وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ - فتذكر من كان قبلك من المرسلين. إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا - أى من عند من يوقدها. بِخَبَرٍ - بإرشاد إلى الطريق. أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ - تستدفئون. فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ - من فى أثر النار أى فى ضوئهـا، وهو موسى. وَمَنْ حَوْلَهَا - من الملائكة وأهل مـوسى الذين ينتظرونه. وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - هنالك كَـلَّمَ الله موسى. يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ - فألقاهـا. فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ - قال الله: يَا مُوسَىٰ لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ - منيرة. مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ - أنكروها بألسنتهم، أما أنفسـهم فصدَّقت أنهـا يقين من عند الله. ظُلْماً - منهـم وتكبراً عـلى موسـى وهـارون. وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ - لـغــة الطـيـور. وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ - أسـبابـًا مـن الـعـلـم والعـمل والقدرة بإذن الله. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ - يتحركون جيوشًا جرارة.

➡ **ثانيا:** أما فى مجال المخترعات المدنية : فإن العـجب كله ينتاب العقل حين يرى كيف يؤدى استعمال آلية "الروبوت" إلى الاستغناء عن الأيدى العاملة، وبذلك يتم إلغاء قيمة عريقـة من القيم الإنسانية وهى العمل لكسب العيش ! لقد انتشرت البطالة ويزداد كل يوم معدل تصـاعدها فى مختلف المجـتمعات. ويسعى إنسـان هذا العصر إلى ولوج مرحلة جديدة من التـصنيع غير التقليدى، وهى الصناعة بالتركيب الذرى! والتطور يجرى بسرعة مذهلة ودون رُشد.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ـ سليمان. ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ * وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ـ بعذر قوى يبـرر غيابه. فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ـ وقف الهدهد عندما عاد بالقرب من نبى الله سليمان. فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ـ فسوّل لهم. أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ـ الذى يملك كل ما فى السماوات، ومنه مطر وكل ما هو فى جوف الأرض. وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنظُرُ ـ سنتحقق من قولك. أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ـ فلما قرأت الملكة الرسالة التى ألقاها الهدهد. قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ.

---

(١٢٤) قضية: انفتاح الرسالات السماوية: ﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ... ﴾ [الآية: ٢٨].

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحج: ٧٨]. ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

ونوح من قبل إبراهيم يقول لقومه، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

الإسلام يعنى التوحيد، أى الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، وعبادته وحده دون شريك.

هذا هو أساس الدين منذ خلق آدم إلى يومنا هذا، وقـد أرسل الله الرسل لضبط مفاهيم العـقيدة عند انحرافهـا عن المسار الصحيح وهو التوحيد.

←

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾

إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ ـ مفتتح. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ ـ تتكبروا عليّ. وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ.

وتختلف الشرائع السماوية فيما بينها فى الأحكام التكليفية العملية، ولكنها لا تختلف فى جوهرها العقدى. ويجب العمل بالشريعة الأحدث فى زمان النزول لأن النسخ يجرى بين الشرائع كما يجرى بين قوانين وأعراف البشر.

قال رسول الله ﷺ: «وكان النبىُّ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»(*). ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وجاءت الرسالة الخاتمة التى حملها محمد للناس كافة، يسيرة فى أحكامها العملية حتى لا يكون فى الدين حرج ومشقة مع اختلاف ظروف الزمان والمكان. وقد حفظ الله القرآن من التحريف ليبقى فى يد الإنسانية مرجعًا للدين إلى يوم القيامة.

سؤال: إذا كان النبىُّ قبل محمد ﷺ يبعث إلى أمته خاصة، فلماذا أرسل سليمان لملكة سبأ يدعوها وقومها إلى الإيمان؟

ليس معنى أن كل رسول كان يبعث إلى أمته خاصة أنه يسكت إذا رأى أممًا أخرى يكفرون بالله ويشركون به. والرسول قبل محمد كان لا يتعدى اختصاصه المكانى (قومه) ما دام فى البلاد الأخرى رسول آخر، وكان ذلك موقف إبراهيم: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣١ ـ ٣٢]. كان إبراهيم يعلم بفساد هؤلاء القوم لكنه كان يعلم أن فيها لوطًا نبى الله ورسوله، وعلى ذلك نفهم أن قوم سبإ لم يكن فيهم نبى، لذلك أرسل لهم سليمان: ﴿ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣١].

ثانيًا: إن أمة سليمان كانت أمة كبيرة فهو الذى دعا ربه قائلاً، كما جاء فى الآية: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ [ص: ٣٥]. لذلك نفهم أنه أرسل لملكة سبأ لأنها داخلة فى أمته. ولو كان سليمان قد ملك العالم كله، فإنه لم يبعث إلى الناس إلا لزمن محدود بحياته، وبقيت رسالته حية بعد موته إلى أمد علمه عند الله، ثم صار الناس أممًا لرسل جدد. أما الأجيال منذ البعثة المحمدية فلا تعد أممًا لرسول غير محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو الذى يشهد عليهم يوم القيامة بمن فيهم من نصارى يدعون الانتساب إلى عيسى ويهود يدعون الانتساب إلى موسى، وغيرهم. ويعذر الله من لم يصله علم بالإسلام. هذه هى عالمية الإسلام من حيث المكان والزمان. والدين عند الله الإسلام منذ آدم وإلى القيامة.

(١٢٥) قضية: الشورى تنقذ المجتمع: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [الآية: ٣٢].

لقد صوَّر القرآن ملكة سبأ صورة غاية فى التكريم:

ـ خاطبت ملأها (قومها أو وزراءها) بخطاب صريح ولطيف: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾، صرحت برأيها فى الخطاب إنه كتاب كريم، ولم تخف شيئًا مما جاء فيه.

(*) البخارى، التيمم ٣٢٣، الصلاة ٤١٩. مسلم، المساجد ومواضع الصلاة ٨١٠. أحمد، باقى مسند المكثرين ١٣٧٤٥. النَّسائى، الغسل والتيمم ٤٢٩. الدارمى، الصلاة ١٣٥٣.

﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

* قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ـ خربوها. وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ ـ هؤلاء. يَفْعَلُونَ ـ لو كان إمامهم سليمان ملكًا وليس رسولاً لله. وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ـ فلو أن سليمان نبى فسيرفض هذه الهدية التى تحمل معنى المساومة على دين الله. فَلَمَّا جَاءَ ـ السفير بالهدية إلى. سُلَيْمَانَ قَالَ ـ سليمان: أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ ـ سليمان لأعوانه. يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ـ قبل أن تنفض هذا المجلس. وَإِنِّي عَلَيْهِ ـ على حمله وحفظه. لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ـ أحد الصديقين الأولياء (قيل اسمه آصف بن برخيا). أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ـ أى فى مدى طرفة عين ـ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا ـ غيروا من مظهره وفرشه. نَنظُرْ أَتَهْتَدِي ـ إلى معرفته. أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ.

➡ ـ إنها امرأة لا تستبد برأيها بل تلجأ إلى الشورى ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾، فردوا الأمر إليها ثقة فى ذكائها وحكمتها. وأبدوا استعدادهم لأى قرار تتخذه حتى ولو كانت الحرب ﴿ نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾. وتلك الإحالة جاءت نتيجة التشاور، ثم استمرت تطلعهم على رأيها.

ـ ذكاء الحاكم: تختبر حال سليمان أهو ملك كبقية الملوك حتى تحاربه وتدافع عن مملكتها ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ أم هو نبى ورسول فتؤمن به هى وقومها آمنين على ملكهم ومملكتهم، ذلك أن الله لا يبخس الناس أشياءهم، كذلك قال هود لقومه ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٢].

ثم انتهت إلى التيقن بأن سليمان ليس ملكًا فحسب، وإنما هو نبى ورسول كريم فأسلمت هى وقومها. ولقد اهتدوا إلى الإيمان لأن فكرهم كان موضوعيًا وضمائرهم كانت محايدة وهم يبحثون المشكلة ويسعون إلى معالجتها.

﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ـ فعرفته وعرفت أنهم نكّروه. قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ـ أي مثله تمامًا، حتى لا تعطيهم جوابًا جازمًا مما ينم عن عمق بصيرتها، لأنها ما زالت تتعامل مع أضداد لها ـ وقال سليمان في نفسه لقد. وَأُوتِينَا الْعِلْمَ ـ بالله وقدرته. من قَبْلِهَا ـ فهي قد علمت الآن فقط بصدق ما ندعوها إليه. وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ من دُونِ اللَّهِ ـ التراث الذي اتبعته عن سلفها. إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ـ ظنت أنه من الماء من صفائه. وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ـ كي تخوض فيه. قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِير ـ من زجاج مصنوع بإذن الله رب العالمين. قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ـ في أمره بين مؤمن وكافر، وقال الكافرون ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين. قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ـ لم تدعون على أنفسكم بالعذاب بدلاً من أن تطلبوا رحمة الله آية لكم. لَوْلا ـ هلا. تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ ـ عن دعائكم أن يأتيكم بالعذاب. لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ ـ تشاءمنا بك. وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ ـ تشاؤمكم ستجازون عليه من. عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ـ تضلون بسبب حماقتكم. وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ـ تسعة زعماء والقوم منقسمون تحت إمرتهم. يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ ـ لنقتلنه. وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ـ فأنجينا صالحًا وأهله. فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ـ لا مكان لهم بيننا. فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

* وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا - من حجارة من سجيل تهلك الكافرين. فَسَاءَ مَطَرُ - عقاب. الْمُنذَرِينَ * قُلِ الْحَمْدُ للَّه وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ - يجعلون مع الله شركاء يعدلون قدرهم بقدره عز وجل. أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا - استقرارًا للأشياء بجاذبيتها فلا تطير الأجسام من فوقها. وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ - جبال وهي مثاقيل. وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا - غير مرئي وهو البرزخ، يلتقي عنده ماء النهر الحلو بماء البحر المالح فلا يختلطان. أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ * أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ - في الضيق والشدة. إِذَا دَعَاهُ - هو الله. وَيَكْشِفُ السُّوءَ - الضرر والمكروه. وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ * أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا - مبشرة بالمطر. بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ - يبعثه بعد الموت. وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ - بالأمطار. وَالأَرْضِ - بالنبات والحيوان. أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ - متى. يُبْعَثُونَ * بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ - تلاحقت ظنونهم وتكهناتهم. فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ * وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ - ربما يكون قد عُجِّلَ. لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ - من عذاب ومصائب. وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ.

﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

* وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ - وما من شيء يخفى على الملائكة والناس والجان. فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ - لقد أحصى الله كل شيء فى اللوح المحفوظ. إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ - الجلى الواضح. إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ - الكافرين. عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ - جاءهم موعدهم. أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ - فتقول: هذا مؤمن وهذا كافر، وعندئذ لا رجعة ولا توبة. أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا - من رؤساء الكافرين الذين كانوا يكذبون بآياتنا، ثم نجمع بين كل رئيس وتابعيه. مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ - الله لهم: أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا - بالرغم من وضوحها فى رسالاتى وجلائها فى طبيعة الأرض والكون من حولكم. أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ - لا يجدون دفاعًا عن أنفسهم بالمجادلة، كما كانوا يفعلون فى الدنيا بالاستهزاء بالرسل. أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ - ارتجف رعبًا. مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ - أى المؤمنين، فلا يرجفون يومئذ، وإنما يلقى الله فى نفوسهم السكينة. وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ - خاضعين. وآية من الله أنك. تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً - ثابتة فى مكانها. وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ - فهى ملتصقة بالأرض تسبح معها فى الفضاء مثلها مثل السحاب. صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ.

---

(١٣٦) **بيان علمى:** ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [الآية: ٨٨].

هذه الآية منفصلة عن سابقتها فى المجال، إذ أن الآية ٨٧ تتكلم عن يوم القيامة، يوم ينفخ فى الصور. أما هذه الآية فإن الله يدعو فيها الناس للتأمل فى المخلوقات من حولهم فى الحياة الدنيا، لذلك جاءت تتمتها ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾.

←

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

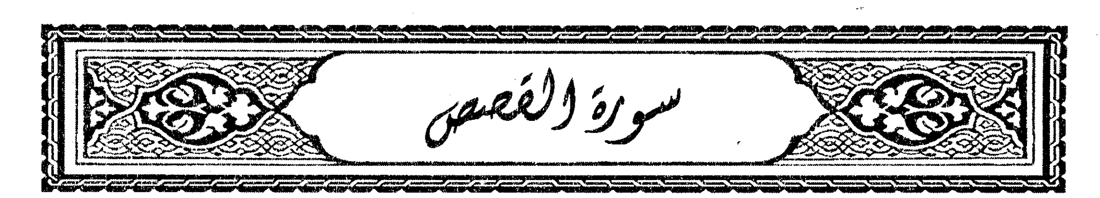
* مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ـ وهو مؤمن. فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ـ إن أعظم الحسنات التى يبذلها الإنسان فى الدنيا لا تساوى شيئًا فى مقابل دوام الإقامة فى جنة الله، فالإنسان يعطى بقدر استطاعته والله يعطى بقدر كرمه. وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ـ وأعظمها الكفر، فهو يذهب بكل الأعمال هباء. فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ ـ مكة. الَّذِي حَرَّمَهَا ـ جعلها حرمًا آمنًا. وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ ـ له. إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.

➡ والدلالة العلمية فى هذه الآية ظاهرة، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ـ أى لا حركة لها ـ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ ـ لأن الأرض فى دورانها تمر مرَّ السحاب، وكذلك كل ما على سطحها.

ومن ذلك يتبين أن القرآن معجز، فالخطاب فيه من الآيات ما يناسب كل زمان. فهذه الآية لم يكن يفهمها من عاش قبل أن يكتشف الناس أن الأرض كروية تدور حول نفسها فى الفضاء، وإشارة القرآن إلى أن ما هو ثابت عليها يدور معها ويمر مر السحاب فيها دلالة عن صدق رسول الله ﷺ، الذى حمل الرسالة إلى البشرية.

إن القرآن رسالة إلى الناس كافة، ويجد القارئ فيه ما ينسجم مع منطق الإنسان فى كل عصر. فالمؤمنون من السلف الكرام آمنوا لأن معانى آيات كثيرة صدَّقها فكرهم وآمنت بها ضمائرهم، ولم يتوقفوا عند الآيات التى كانت مغلقة الفهم عليهم ـ مثل هذه الآية وغيرها ـ لأنهم آمنوا بأن الله صادق وقوله الحق، وأن رسوله محمدا، صلى الله عليه وسلم، أمين فى تبليغ ما يوحى إليه.

ونحن نكتشف فى عصرنا هذا انطباق معان عديدة للآيات القرآنية على حقائق اكتشفها العلم، وما زالت بعض الآيات مغلقة الفهم علينا، ولكن إذا آمنا بالله نصدقه فى كل ما جاء به من آيات القرآن. مثل يأجوج ومأجوج والنفخ فى الصور وما إلى ذلك.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾

طسٓمٓ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ من نَبَأ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ علا في الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شيعًا ـ فرقًا. يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ ـ هم بنو إسرائيل. يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ـ الأطفال الذكور. وَيَسْتَحْيِي ـ يستعبد. نسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ـ يرشدون الناس إلى الخير. وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم ـ من هؤلاء الضعفاء. مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ـ كانوا يخشون ما تنبأ به الكهنة من ميلاد إسرائيلى يخرج فرعون من ملكه عندما يبلغ أشده.

* وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ـ من أن يقتله فرعون كما يقتل الأطفال الذكور من بنى إسرائيل. فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ـ على خلاف ما كانوا يتوقعون. إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ـ حين ظنوا أنهم يفلتون من قدر الله بقتلهم أطفال بنى إسرائيل، لأن الله إذا أراد شيئًا فلا رادَّ له ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]. وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ـ أنه هو الذى قدر الله له أن يكون عدوا لفرعون. وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ـ فرغ قلبها من كل شىء عدا هَمِّ ابنها الذى خافت عليه عندما علمت بوقوعه بين يدى فرعون. إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ـ تظهر حقيقة أمره وتقول إنه ابنها. لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ ـ ترقبيه. فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ ـ فى ناحية من القوم. وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ.

﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

* وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ - فرفض الرضاعة. فَقَالَتْ - أخته. هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ - حافظون. فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ - أكثر الناس. لَا يَعْلَمُونَ.

* وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ - بلغ أربعين سنة. آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا - اصطفيناه للرسالة. وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ - العاصمة (قيل هى منف). عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ - من بنى إسرائيل. وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ - من المصريين. فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ - موسى عندما رأى الرجل قد هلك. هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ - ذلك أن موسى لم يتعمد قتله، وإنما قصد دفعه عن خصمه. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ - بالمغفرة. فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ - فى اليوم التالى. فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ - يتقصى هل علم القوم بواقعة القتل. فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ - يتعارك ثانية مع مصرى آخر ويستغيث بموسى. قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا - المصرى. قَالَ - الإسرائيلى ظانًا أن موسى قادم ليقضى عليه، بعدما سبه. يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ - تقتل من تشاء. وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ - وبذلك افتضح أمر موسى. وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ - لينصح موسى. قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ - كان يقصد «مدين» هاربًا من مصر. قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ - البئر. وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً - جماعة. مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ - ماشيتهم وأنعامهم. وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ - تحجزان أغنامهما عن الاقتراب من الماء. قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ - حتى ينصرف الرعاة بمواشيهم وتخلو البئر لنا. وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ - لا يستطيع مزاحمة الناس ليسقى الأغنام.

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

* فَسَقَىٰ لَهُمَا - الأغنام. ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ - تحت شجرة. فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ - أحتاج الآن مما قدرت لى من رزق فى الدنيا ما يسد جوعى. فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ - قصة قتله المصرى وهروبه من مصر وأخبار فرعون وقومه. قَالَ - الشيخ. لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ (*) * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي - فى مقابل ذلك. ثَمَانِيَ حِجَجٍ - ثمانى سنوات تعمل فيها برعى الغنم. فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ.

(١٢٧) قضية: الدعاء من جملة القضاء ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [الآية: ٢٤].

إذا كان كل شيء مقدراً من الله سبحانه وتعالى، فلماذا الدعاء؟ وهل يرد الدعاء القضاء؟

الجواب: قال العلماء: «نعم، لأن الدعاء من جملة القضاء».

أى إن حال الإنسان إجمالاً بدون الدعاء، غير حاله إجمالاً بالدعاء. فالله سبحانه وتعالى يقدر كل شيء وقضاؤه لا يرد، ولكنه يعلم منذ الأزل بأحوال مخلوقاته، فيسير الظروف ويقدر الأحوال وفقًا لعلمه المسبق، ومن ضمن الظروف والأحوال توزيعه سبحانه وتعالى إجابات الأدعية: فى وقت كذا يدعونى عبدى بكذا فأجيبه، فلا يقع ما يخشاه، ولو لم يكن وقتئذ يدعنى لقدّرت وقوع ما يكرهه. فالقضاء هنا هو عدم وقوع ما دُفِعَ بالدعاء. وإذا دعا بحدوث خير فاستجاب له ربه، فالقضاء هو وقوع ما طلب بالدعاء، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

ولذلك دعا موسى ﷺ ربه، ولم يصمت اعتمادا على أن الله عالم بحاله. بل إن الله يحب أن يسمع دعاء عبده. ومن صور الدعاء ما كان خفيًا دون تلفظ ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ [مريم: ٢ - ٣] وقد يصل حال المرء إلى أن تكون أمنيته دعاء، مثلما جاء فى قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

ولا تعجب إن لم يستجب الله لدعائك فى الحال لأن الله يعلم بالظروف والأحوال مسبقًا، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]. ولعلك تلاحظ فى حياتك أنك تنسخ بنفسك أمنياتك. فأمانيك اليوم غيرها بالأمس، وستغيرها فى الغد، فما بالك لو أجيبت دعوتك على الفور ثم ضاق صدرك بها غداً، وإنك تذوق من هذا وذاك وعسى التجارب أن تجعل ضميرك يميل إلى تصديق آيات الله، فلا تعرض عن خالقك.

(*) القوة والأمانة أساس النجاح فى المسؤولية :

من أهم مقومات النجاح القوة والأمانة، وقد أشارت إليهما الآية. والقوة لا تقف عند صورة محددة، وإنما لها العديد من المظاهر المتنوعة: منها القوة البدنية، والقوة العقلية، والقوة الإرادية، وقوة الإيمان والعزم... والله يوزع من صفاتها على الناس كيف يشاء.

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

* قَالَ ـ موسى: ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ـ فى المستقبل. فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ ـ فلا إثم عليّ. وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ـ يهدينا إلى الطريق. أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ـ تستدفئون. فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ ـ الذى على يمين موسى. فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ ـ الوادى المقدس. مِنَ ـ عند. الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ـ فألقاها. فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ـ فرَّ من الخوف. يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ ـ عد. وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ ـ مضيئة. مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ـ واضمم يدك مرة أخرى تعود كما كانت. فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا ـ عونًا. يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ـ لا يمسوكما بسوء. بِآيَاتِنَا ـ بفضل آياتنا وقدرتنا. أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ـ بالآيات المعجزات (تسع آيات). قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ * وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ـ الآخرة. إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ ـ اصنع لى الطوب المحروق بالنار الذى يتحمل عُلُوَّ البنيان. فَاجْعَل لِّي صَرْحًا ـ برجًا عاليًا. لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ.

فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ـ فتركناهم فى الماء غرقى. فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ ـ فى الدنيا بأعمالهم. أَئِمَّةً ـ رؤساء جهلاء. يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ.

﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

* وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً - بالغرق. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ - الذين قبحهم الله بكفرهم. وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ - التوراة. مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَىٰ - الأمم السابقة. بَصَائِرَ لِلنَّاسِ - نوراً للمؤمنين. وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وما كُنت بجانب الْغَرْبِيِّ - الجانب الغربى من الجبل وهو الوادى. إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ - ولبناه أمر الرسالة. وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ - ولم تكن من الحاضرين، ذلك ليعلم الناس أنك يوحى إليك من ربك. وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا - أممًا بعد موسى. فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ - فنسوا أحكام الله ومسخوا الكتب بالتحريف والتبديل. وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا - وما كنت يا محمد مقيمًا فى أهل مدين حتى تعلم بأخبار موسى وقومه، فيكون ما تتلو من آياتنا علماً تعلمته من هناك. وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ - أنت ومن سبق من الرسل. وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا - موسى. وَلَكِن - أعلمناك بكل هذا. رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ.

* وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ - فيحاسبون على ذلك. فَيَقُولُوا - يقول الظالمون من الناس عند عقابهم. رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا - لماذا لم ترسل لنا. رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ - الرسول. مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ * قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا - أفضل من القرآن ومن التوراة. أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ.

فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ - أبلغناهم القرآن. لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ - المخلصون من أهل الكتاب. هُم بِهِ - بالقرآن. يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ - مؤمنين بالله مسلمين الأمر إليه.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ ﴾

* أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ـ يتصدقون (من أمثال هؤلاء فى عهد الرسول: الصحابى الجليل عبد الله بن سلام، ومن تبعه، كان أكبر أحبار اليهود فأسلم وتبع دين محمد. ومن الصحابة من لم يكن من العرب، مثل سلمان الفارسى، تكبد المشاق والأسفار حتى يَسَّرَ الله له الالتقاء برسول الله والدخول فى الإسلام). وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ ـ السخرية والاستهزاء الصادر عن الكافرين. أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي ـ الانقياد إلى. الْجَاهِلِينَ * إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ـ كان قلب رسول الله ﷺ يتمنى لقومه، حتى الذين آذوه منهم، أن يؤمنوا. وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ـ نضعف فيطمع فينا الأعداء ويخرجونا من أرضنا. أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ـ حرم مكة آمن بفضل الله ويأتى فيه الحجاج بالخير الكثير. رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ـ تزايد فيها الغنى والقوة إلى حد البطر والطغيان والغرور. فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ.

(١٢٨) قضية: القوة والضعف والرزق ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ [الآية: ٥٧].

القوة تكمن فى الإيمان بالله و اتباع الحق والعمل الصالح. والضعف يدب مع كل خطوة يبتعد فيها الناس عن شرع الله الحكيم، ويصدق ذلك على الأفراد والأمم، فالأمة هى مجموع الأفراد، فإن كان أغلبها من الصالحين كانت أمة قوية، وإن غلب الفاسقون تضعف الأمة. وضعف الأمة يعم كل أفرادها، الفاسق منهم والصالح، فينتشر الظلم ويعم الفساد والخوف والجوع والمرض...إلخ.

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ـ أى إذا دعاكم لاتباع شرع الله ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ـ أى إن الشرع لا يترك الناس لأهوائهم ونزواتهم وإنما ينظم علاقاتهم بحكمة ووسطية ـ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ـ أى تعم الجميع ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٤ ـ ٢٩].

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَـٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

* وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا ـ في وسطها. رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ـ بالكفر والشرك. وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلا تَعْقِلُونَ.

وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا ـ بالخير في الدنيا والآخرة لإيمانه بالله. فَهُوَ لاقِيهِ ـ سوف يناله. كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ـ فقط لكفره. ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ـ للحساب العسير والعذاب المقيم. وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ـ الله. فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ـ أئمة الكفر. رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ـ من أتباعنا. أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ـ نحن من قبلهم. تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ـ منهم مستغفرين إياك من ذنب. مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ * وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ـ الذين عبدتموهم أنتم وهم. فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ ـ ليتهم. كَانُوا يَهْتَدُونَ * وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ـ هل استجبتم في الدنيا لرسل الله الذين جاؤوكم بالحق. فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ ـ خرست ألسنتهم عن الجواب لانعدام الحجة. فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ * فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ ـ قول الله عسى يعني الوجوب[راجع مختصر الطبري] أي فوجب. أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ * وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ـ بإرادته وحده. وَيَخْتَارُ ـ من يشاء من الرسل. مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ـ فيما يعمله الله. سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

---

(١٢٩) قضية: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [الآية: ٥٩].

أشد العذاب هو ما ينزله الله على الناس من عقاب في الدنيا ثم يعاقبهم مرة أخرى في الآخرة، ولا يحيط هذا العذاب الدنيوي إلا بأمة فسدت كلها.

فإذا كانت الأمة تضعف والفتن تعم حين يكون المؤمنون قلة والغالبية العظمى تحيا حياة الفسق والفجور، فإن الفساد يتسع مجاله، والانزلاق إلى الرذائل يستمر ويسرع، حتى إذا ما صار المؤمنون ندرة، أنزل الله عقابه في الدنيا على سائر الكافرين ونجى المؤمنين، كما حدث مع قوم لوط حين لم يستطع رسولهم حيالهم شيئًا، فنجى الله لوطا وأهله ـ إلا امرأته ـ فأخرجهم من القرية ثم دمرها تدميرًا.

سؤال: لماذا لا نرى ذلك بوضوح في عامة الأمم المعاصرة؟

الجواب: نحن نرى الفتن والهرج والقتل والإرهاب، والحروب وأهوالها، ولكن عذاب الله بأن يهلك القرى لأن أهلها ظالمون لا نراه بوضوح في عصرنا، ذلك لوجود أهل الخير والصلاح، ولو كانوا قلة في كل مجتمع. وقد كان هلاك القرى قديمًا كعذاب في الدنيا سببه تكذيب الناس للرسل، وكل رسول من رسل الله كان بمثابة أمة، أي إن وجوده في القوم فيه الكفاية لإيصال دعوة الإيمان. أما اليوم فلا نستطيع القول بأن الدعاة فيهم الكفاية والكفاءة لحمل دين الله بوضوح إلى الأمم كافة.

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾

* وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا - مؤبدًا. إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ - هل أصنامكم تقدر على إنارة الدنيا من حولكم؟ أَفَلا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ * وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ - لتبحثوا عن الأرزاق فى النهار. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ - جماعة أو شعب. شَهِيدًا - رسولاً يشهد أنه بلغ الرسالة لقومه، ودعاة من بعد عصر الرسول يشهدون أنهم أوصلوا الرسالة إلى هؤلاء القوم، وهكذا. فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ - هاتوا حجة على تكذيب ما وصلكم من رسالة الله التى تلزمكم، أو عذرًا على مخالفتكم أحكامها. فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم - ذهب عنهم. مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ - على الله من شركاء له، من إنس أو جان أو أصنام. إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ - كان من المؤمنين بالله ورسوله موسى. فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ - خرج عن جماعة المؤمنين وتعالى عليهم. وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ - بلغ ماله من الذهب والفضة أن مفاتيح خزائنه لا يقدر على حملها عصبة قوية من الرجال. إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ - لا تغتر ولا تتبختر. إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ - المغرورين المتعالين. وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا - خذ من نعيم الدنيا، بما يرضى الله. وَأَحْسِن - فى عملك وسعيك وفى معاملة الضعفاء من الناس. كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ - بالعطاء الجزيل من الثروات. وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ - المال. عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي - أنكر تيسير الله إليه سبل جمع هذا المال. أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ - فى الآخرة. فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ - موكبه. قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ـ من الدين. وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّه خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا ـ ولا يحظى بها أى بجنة الله فى الآخرة. إِلاَّ الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا به وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ من فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ من دُونِ اللَّه وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ ـ الذين قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون. يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ـ أى الحق اليقين أن. االلَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ـ يتحكم الله فى الأرزاق كيف يشاء. لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ـ بالإيمان (عرفوا أن الإيمان بالله، حتى مع الفقر والضعف، هُوَ مِنَّةٌ حقيقية على العباد). لَخَسَفَ بِنَا ـ الأرض. وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا ـ طغيانًا وتكبرًا. في الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ـ فى الدنيا. فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ـ فى الدنيا والآخرة (وأى شىء يعدل جنة الله ونعيمها الأبدى). وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ـ تبليغ. الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ـ لموعدك يوم الحساب. قُل ـ للكافرين المكذبين: رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ ـ وأن القرآن قد نزل عليك. رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا ـ مؤازرًا. لِّلْكَافِرِينَ * وَلا يَصُدُّنَّكَ ـ ولا يصرفنك أمر مهما بلغ. عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ـ فبلغ دون إبطاء. وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ ـ كل شىء يفنى ويتغير ويتحول، فالتغير والتحول معناه هلاك القديم وقيام الحديث، والفناء يصيب كل شىء. إِلاَّ وَجْهَهُ ـ إلا الله سبحانه وتعالى، فهو بذاته وهيئته بمنأى عن الفناء أو التغير أو التبديل. لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۞ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۞ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۞ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ ﴾

الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ـ كل الناس على اختلاف مشاربهم معرضون للفتنة. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ـ يفرون بأنفسهم من العقاب. سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَمَن جَاهَدَ ـ فى سبيل الله. فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ـ الله لا يفتقر إلى نفع يعود عليه من مخلوقاته.

---

(١٣٠) قضية: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [الآية:٣].

علم الله بالصادقين المخلصين والكاذبين المخادعين أزلى وسابق الأحداث. ولكن الفتن والاختبارات هى أسباب سَيَّرَها الله لتسجيل الأعمال والمواقف فى جانب الخير والشر، فإذا ما وقعت تحقق الإنسان من مسؤوليته، وعلم أن الله سبحانه وتعالى لا يجازيه على غير ذنب، فالله هو العدل ذو القوة المتين. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: ١٠].

(١٣١) قضية: الجهاد فى سبيل الله، صوره وآثاره:

﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية:٦].

لم تكن المجتمعات القديمة منفتحة على بعضها مثل مجتمعاتنا المعاصرة، ومن المعلوم أن العلم برسالة الله الخاتمة حق من حقوق الإنسان وواجب عليه أن يسعى إلى معرفة الدين الحق ما استطاع إلى ذلك سبيلا. والدعوة فرض كفاية على المسلمين. ولم يكن التبليغ فى المجتمعات القديمة متاحًا إلا بإذن الحاكم، فإذا أعطى الحاكم الأمان للمبلغين ـ كما فعل النجاشى ملك الحبشة فى عهد رسول الله محمد ﷺ ـ كان ذلك سلامًا مع أمة الإسلام. وإن رفض الحاكم الدعوة فقد وقف حائلاً دون حق الناس فى العلم بالإسلام، ويحق عندئذ الجهاد حتى يصل إلى الناس العلم بالإسلام.

وللجهاد صور عديدة، وفى مجتمعاتنا المعاصرة أولى الطرق للجهاد هو نشر العلم والتعريف بالإسلام، بتحلى المسلم بالمبادئ الإسلامية فلا يسرق ولا يزنى ولا يخرب... إلخ، وباستعمال وسائل الاتصال الحديثة للتعريف بالشرع الحنيف وأحكامه، فالمجتمعات اليوم مفتوحة على بعضها. ولا تستطيع الحكومات أن تحول دون حق الإنسان فى المعرفة والعلم، خاصة ونحن فى عصر الإنترنت.

←

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ﴾

* وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ـ فى الدنيا بابتلاءات تمحى بها الذنوب. وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ـ ولنحسب لهم جزاء كل عمل من أعمال الخير بقدر أعلى الأعمال درجة. وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ ـ يجعل تعذيب الناس إياه ليرجع عن طريق الله. كَعَذَابِ اللَّهِ ـ فيرتد عن الهدى. وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ ـ للمؤمنين الصابرين. لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ـ فى طريق الإيمان. أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ.

➡ قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(*) فإذا أحببت لنفسك الإيمان فعليك أن تحب للناس العلم والمعرفة بالإسلام، فجاهد وتعاون مع غيرك لعرض الإسلام بصورة منسقة لا التباس فيها حتى يفهمه غير المسلمين، فربما تتغير الأحوال. والتاريخ يشهد على أمم مثل المغول والتتار أنهم ارتكبوا أبشع المجازر فى حق المسلمين ثم صاروا هم أنفسهم من المسلمين، بل أصبحوا قلاعًا تدافع عن الإسلام. فلا عليك إن كان كثير من المسلمين اليوم لا يصلحون عنوانًا للإسلام. فإنك إن ميزت بين المؤمن بحق والمسلم الذى لا يتعدى إسلامه مجرد الشهادة بالله ورسوله دون أن يتحلى ببقية مبادئ الإسلام، فقد ميزت بين هذا وذاك لتوفرك على حصيلة معرفية مكنتك من ذلك. فأوصل إلى غيرك ما تعلمه وجاهد فى سبيل الله، ربما يؤمن أخ لك فى الإنسانية، ويكون باعه فى الإصلاح أكبر من باعك، وجهدك على جهده وجهد الآخرين يصلح المجتمعات.

(١٣٢) قضية: طاعة الآباء لا تلغى العقل، واحترام السلف لا يغنى عن الاجتهاد:

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الآية:٨].

إن الإنسان يميز بين الحق والباطل بضميره، وإن الضمير السليم يرفض الشرك لأن ليس له دليل من عقل ولا من كتاب من السماء، إنما الذى يشرك اتباعًا لدين آبائه فذلك هو التعصب للتراث الموروث، ولهوية السلف الدينية والثقافية... إلخ. وهذا كتاب الله ملىء بالحكمة والموعظة، والإرشاد إلى ما يوافق العقل وفطرة الضمير الذى يميل إلى الحق ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلاَّ غُرُورًا ﴾ [فاطر: ٤٠]. ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١١ ـ ١٣].

(*) البخارى، الإيمان ١٢. مسلم، الإيمان ٦٤ ـ ٦٥. الترمذى، صفة القيامة والرقائق والورع ٢٤٣٩. النسائى، الإيمان وشرائعه ٤٩٣٠ ـ ٤٩٣١. ابن ماجة، المقدمة ٦٥. أحمد، باقى مسند المكثرين ١٢٣٣٨ ـ ١٢٦٧١ ـ ١٣١٣٨ ـ ١٣٣٧١. الدارمى، الرقائق ٢٦٢٣.

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ۝ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ۝ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۝ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾

* وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ـ يوم القيامة، ذلك ليحثوهم على الكفر. وَمَا هُم بِحَامِلِينَ ـ عن التابعين. مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ـ ذنوبهم وذنوب أتباعهم دون أن ينقص ذلك شيئًا عن عاتق التابعين. وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ـ بإشاعة الباطل وادعاءات الزور.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا ـ يدعو قومه إلى سبيل الرشاد والفلاح. فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ـ كافرون. فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ـ وهم المؤمنون الذين اتبعوه. وَجَعَلْنَاهَا ـ السفينة ومن فيها. آيَةً لِّلْعَالَمِينَ * وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ـ تصنعون أصنامًا تدعون ألوهيتها كذبًا. إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ ـ وحده لا شريك له. الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِن تُكَذِّبُوا ـ رسالة الله إليكم. فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ * أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ـ ينشئ المخلوقات ثم يميتها. ثُمَّ يُعِيدُهُ ـ ثم يعيد أمثال ما خلق دون انقطاع. إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ـ كيف تبدأ المخلوقات من جنين فى رحم، وكسر فى بيضة، وبرعم فى نبتة، وبذرة تنفلق لتنمو منها شجرة، ونواة من لهب ينمو منها نجما.... ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ ـ ببعث الموتى للحساب. إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ * وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ـ لا يعجز الله عن محاسبتكم وعقابكم، سواء فى الدنيا أو فى الآخرة أوفى الاثنين معا. وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ـ حتى ماتوا على كفرهم. أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا ـ تصلون بها علاقات ترابط و. مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ * فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ـ هو ابن أخى إبراهيم. وَقَالَ ـ إبراهيم. إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ـ ولداً. وَيَعْقُوبَ ـ حفيداً يراه فى حياته. وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ـ تقطعون الطرق على المسافرين. وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ـ علنًا. الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا ـ ملائكة فى هيئة رجال. إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ ـ يبشرونه بالذرية. قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ـ قوم لوط. إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ـ خوفًا من وصول قومه إليهم. وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا ـ عذابًا. مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً ـ آثاراً واضحة. لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ ـ أرسلنا. أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ـ الزلزلة. فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ ـ موتى. جَاثِمِينَ ـ راكعين على ركبهم. وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم ـ ما حلّ بهم. مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ـ من آثارها الباقية ومعالمها القديمة. وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ـ أعطاهم الله البصيرة ولكنهم خالفوا ضمائرهم. وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ـ فارين بالنجاة.

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

* فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِه فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْه حَاصِبًا ـ ريحًا تحمل الحصى والحجارة. وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ـ المميتة. وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا به الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا من دُونِ اللَّه أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ـ مأوى هشًا لا يسترها، بمعنى أن عمل المشرك حين يعبد غير الله يكون مكشوفًا أمام ضميره، كما يُرى الشيء من وراء شبكة العنكبوت. وَإِنَّ أَوْهَنَ ـ أضعف. الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ـ إن هدم الباطل ونصرة الحق سهلة. لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ـ لو كانوا يتفكرون ويحكمون ضمائرهم. إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ ـ يشركون به. مِن دُونِه مِن شَيْءٍ ـ أيًا ما كان ذلك الشيء، صنمـا أو حيوانا أو إنسانا. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ * خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ * اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّه أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ـ باللين والرحمة. إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ـ بأن ناصبوكم العداء، فعاملوهم بالمثل. وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا ـ القرآن. وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ـ التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السماوية الأصلية التى لم ينالها تحريف ولا مسخ، مؤكدين على الإسلام بقولكم: وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

(١٣٣) قضية: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الآية: ٤٦].

إن الجدال بالتى هى أحسن أمر حضارى يحث عليه الإسلام، وإن دعوة أى قوم للإسلام، سواء كانوا أهل كتاب أم لم يكونوا، لا تكون فى بدايتها إلا فى هذا السياق الإنسانى الحضارى.

فذكر أهل الكتاب فى الآية جاء على سبيل المثال، ولأن مناسبة النزول اقتضته حيث كانت الأمم قديمًا من حول العرب مؤمنة بوجود الله، وإن كان إيمانها يشوبه النقص والتحريف.

لذلك فإن دعوة أى قوم للإسلام، ولو كانوا غير مؤمنين بوجود الله، لا تكون إلا بالتى هى أحسن، لأن المسألة تتعلق ابتداء بالعقيدة وهى أمر باطن فى النفس، فلا يشفع فيها إلا الإقناع بالحجج والبراهين. وإذا قام الدعاة بالدعوة إلى الدين بالتى هى أحسن، ولكن الناس أصروا على معاداة الإسلام والمسلمين، فيكون على المسلمين مجاهدتهم.

ولعلك تلاحظ على السلوك الإنسانى المتحضر أنه فيما يتعلق بالنوايا والمقاصد لا يستند إلا إلى الجدال العقلانى الحر، لأن الإنسان إذا كان يمكن إكراهه على أفعال معينة يؤديها، إلا أن اقتناعه النفسى بجدواها لا يكون إلا عن رضا حر، والرضا الحر لا يكون إلا بالجدال والإقناع.

←

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

* وكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ - القرآن. فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ - كتابًا من الله من قبلكم. يُؤْمِنُونَ به - بالقرآن مثل عبد الله بن سلام والذين اتبعوه فى عصر الرسول، وكل من أسلم من أهل الكتاب بعد عصر الرسول حتى اليوم. وَمِنْ هَؤُلاءِ مَن يُؤْمِنُ به وَمَا يَجْحَدُ بآيَاتنَا إلاَّ الْكَافِرُونَ * وَمَا كُنتَ تَتْلُو من قَبْله من كتَاب - لم تكن تقرأ من كتاب من قبل أن ينزل عليك القرآن. ولا تَخُطُّهُ بيَمينكَ - ولم تكن تكتب بيدك. إذًا لارْتَابَ الْمُبْطلُونَ - ولو كان الأمر غير ذلك بأن كنت قارئًا وكاتبًا، لسهل على الكافرين التشكيك باتهامك بأنك تنقل من كتب اليهود والنصارى. بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ في صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا الْعلْمَ - وهم المؤمنون الذين يحفظونه فى صدورهم، ويحكمونه فى سعيهم فى الحياة الدنيا. وَمَا يَجْحَدُ بآيَاتنَا إلاَّ الظَّالمُونَ * وَقَالُوا - الكافرون بمكة. لَوْلا أُنزلَ عَلَيْه آيَاتٌ مّن رَّبّه - هل نزلت عليه معجزة من ربه. قُلْ إنَّمَا الآيَاتُ عندَ اللَّه - ينزل منها مايشاء. وَإِنَّمَا أَنَا نَذيرٌ مُّبينٌ * أَوَ لَمْ يَكْفهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكتَابَ - محكمًا لا يأتى بمثله بشر. يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ - دون عوج بلسان نبى أمى. إنَّ في ذَلكَ لَرَحْمَةً وَذكْرَىٰ لقَوْمٍ يُؤْمنُونَ * قُلْ كَفَىٰ باللَّه بَيْني وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا في السَّمَوَات وَالأَرْضِ وَالَّذينَ آمَنُوا بالْبَاطل وَكَفَرُوا باللَّه أُوْلَئكَ هُمُ الْخَاسرُونَ * وَيَسْتَعْجلُونَكَ بالْعَذَاب - يتحدَّونك بأن تأتيهم بعذاب الله فى الدنيا. وَلَوْلا أَجَلٌ مُّسَمًّى - قدره الله لعذابهم. لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتيَنَّهُم - العذاب فى وقته. بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * يَسْتَعْجلُونَكَ بالْعَذَاب وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحيطَةٌ بالْكَافرينَ * يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ من فَوْقهِمْ وَمن تَحْت أَرْجُلهِمْ وَيَقُولُ - الله لهم: ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا عبَاديَ الَّذينَ آمَنُوا إنَّ أَرْضي وَاسعَةٌ - أقبل منكم العبادة فى أى مكان كنتم. فَإيَّايَ فَاعْبُدُون - ولا تتبعوا الظالمين فى كفرهم ولو أدى بكم هذا إلى هجر أوطانكم، إلى مواطن تأمنون فيها على دينكم، فكل البقاع هى أرض الله.

➜ ولا يستساغ أن يتقاعس المسلمون عن واجب التبليغ لجميع الأمم - من أهل الكتاب ومن غيرهم - فى حدود اللياقة والجدال بالتى هى أحسن، فى حين أن القوى المناوئة للدين تعمل على جلب قناعة الناس ورضائهم سلمًا، لينجذبوا إلى زينة الحياة الدنيا وزيفها وترفها، دون وازع من ضمير، ودون أدنى انتباه للحياة الآخرة وما ينتظر الناس فيها من حساب كبير.

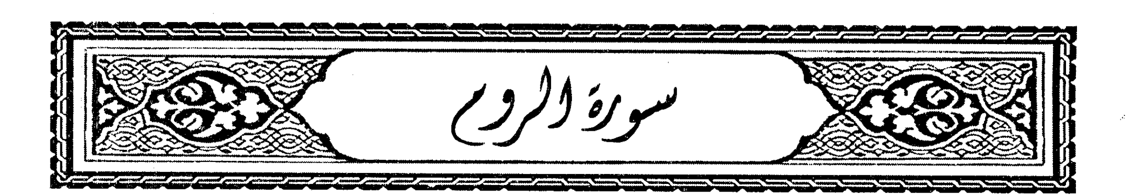
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ - ما من مصيبة أكبر من الموت فاصبروا. ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا - منازل عالية. تَجْرِي من تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا - لا تبالى بادخار رزق لغدها. اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ - كيف تنصرفون عن عبادته وتوحيده. اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ - يزيده. لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ - لهى الحياة الحقيقية. لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا - لهم. حَرَمًا آمِنًا - مكة وما حولها من القرى آمنة فى الصحراء العريضة. وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ - وتسقط أمم من الناس بالرغم من إقامتهم فى مدن محصنة. أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا - بالشرك بالله أو إنكار وجوده. أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ - كذب بالقرآن الذى نزله الله هداية للناس. أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ * وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا - فى سبيل الله. لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ.

(١٣٤) **قضية:** ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [الآية: ٦٤].

إن الدنيا لا قيمة لها تذكر لأن الناس على حد سواء، مؤمنهم وكافرهم، لا يعيشون إلا حاضرهم، فما وقع بالأمس يدخل فى عداد الذكرى وكأنه حلم مضى، ولا يستطيع الإنسان أن يعيش غده قبل أن يأتى ذلك الغد. فالمستقبل يقع فى دائرة الاحتمال والتوقعات والآمال. وهكذا يتنقل الإنسان بين لحظات الوجود الحاضر الملموس، وما يجده من أوقات سعيدة أو تعيسة يقضى عليها مرور الزمان فتفتر أو تقع فى طى النسيان. وكل إنسان يذوق من كل ألوان الشعور، وأسعد الناس من جعل الدنيا وزخارفها لا تؤثر على ضميره، وعمل للآخرة التى سوف يخلد فيها، إما فى نعيم دائم لا يدخله الفتور والملل أو فى جحيم متصل ليس فيه هوادة(*).

(*) راجع القضية رقم ٦٠.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝ ﴾

الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ ـ أقرب أرض الروم إلى أرض فارس من الجزيرة العربية، وقيل المقصود بأدنى الأرض المكان المنخفض عند البحر الميت. وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ ـ أى من قبل وقوع الأحداث. وَمِنْ بَعْدُ ويَوْمَئِذٍ ـ يوم يعود النصر إلى الروم، وهم مسيحيون، على الفرس المجوس. يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ـ تعاطفا مع المسيحيين. يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ـ يحسبون الظروف والنتائج وفقًا للظاهر، لذلك يتعاطفون مع الروم طمعا فى إسلامهم، ولا يعلمون أن الفرس هم الذين سيسلمون فى المستقبل القريب. وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ.

(١٣٥) **قضية : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ ﴾ [الآيتان: ٢-٣].**

الإعجاز فى هذه الآيات يتمثل فى أن الأحداث وقعت منطبقة تمامًا على ما أوحى الله به من قبل إلى رسوله فى القرآن الكريم.

والموعظة فيها تتمثل فى أن الناس يتوقعون ويتمنون ويأملون وفقًا لظاهر الظروف، وهذا لا يغضب الله فى شىء لأنه فطر العقول على التوقع والاستنباط، أما اليقين فهو عند الله وقد يكشف عما يشاء منه لقلوب المخلصين.

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]. ويقول: ﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ [النساء: ١٩].

وقد كان المسلمون لا يحبون الفرس لأنهم مجوس، ويأملون فى انتصار الروم عليهم، لأن الروم كانوا قد هجروا الوثنية واعتنقوا المسيحية، فهم أقرب للإسلام ويسهل دخولهم فيه. والواقع أن الفرس هم الذين دخلوا الإسلام وخدموا الثقافة الإسلامية بباع طويل، وصاروا ضلعًا أساسًا فى جسم الأمة.

ثم نرى فى عصرنا الحاضر الإسلام ينتشر فى الغرب (أوروبا وأمريكا) ويتوقع أن يحدث انتشاره تغييرات جوهرية فى هذه الشعوب فى أواسط القرن الحادى والعشرين.

نعم إننا نرى الآن هجومًا على الإسلام من كثيرين، ولكن هذا الهجوم يجب أن يدفع المسلمين إلى مضاعفة الجهود للتعريف بالإسلام، وهو مناسبة أيضًا لغير المسلمين أفرادًا وجماعات تدفعهم إلى البحث عن حقيقة هذا الدين والاطلاع على القرآن. لأنه ليس بالسهل أن يعلم إنسان عن رسالة من السماء صدقتها أمم وكذبتها أمم، دون أن يرغب فى معرفة حقيقتها. لأن خطاب السماء ليس حكراً على أمة بذاتها، وفى ضوء البحث والتحرى يسلم لله كل يوم كثير من الناس.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

* أَوَ لَمْ يَتفكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم - فى نشأتهم التى لا حول لهم بشأنها ولا قوة. مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَات والأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا - من المخلوقات. إِلاَّ بالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى - وقدر مقدَّر من عنده. وَإِنَّ كَثيراً مِّنَ النَّاس بلقاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ * أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ - قوم عاد وثمود وفرعون، فلينظروا إلى آثارهم وليمحصوا تاريخ الأمم. كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ - بالزراعة والتحضر. وَعَمَرُوهَا - بالمساكن والمدن والقصور. أَكْثَرَ ممَّا عَمَرُوهَا - هؤلاء العرب بمكة. وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ - فكذبوهم. فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ - عاقبة الكافرين المضللين. أَن كَذَّبُوا بآيات اللَّه وَكَانُوا بهَا يَسْتَهْزِءُونَ * اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْه ترْجَعُونَ * وَيوم تقومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ - ييأس. الْمُجْرِمُونَ * وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ - يدفعون عنهم عذاب الله. وَكَانُوا بشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ * وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتفرَّقُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات فَهُمْ فِي رَوْضَة يُحْبَرُونَ - يكرمون. وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بآيَاتنَا وَلقَاء الآخرة فَأُولَٰئك في الْعَذَاب مُحْضَرُونَ * فَسُبْحَانَ اللَّه - فصلوا لله وسبحوا بحمده. حينَ تُمْسُونَ وَحينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ في السَّمَوَات وَالأَرْض وَعَشيًّا - صلوات آخر النهار من العصر حتى العشاء. وَحينَ تُظْهِرُونَ - وقت الظهر. يُخْرِجُ الْحَيَّ منَ الْمَيِّت وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ منَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتهَا وَكَذَلكَ تُخْرَجُونَ - بالبعث من موتكم. وَمنْ آيَاته أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَاب ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ - فى الأرض وتتناسلون. وَمنْ آيَاته أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ في ذَلكَ لآيَات لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمنْ آيَاته خَلْقُ السَّمَوَات وَالأَرْض وَاخْتلافُ أَلْسنَتكُمْ - لغاتكم. وَأَلْوَانكُمْ إِنَّ في ذَلكَ لآيَات لِّلْعَالمينَ * وَمنْ آيَاته مَنَامُكُم باللَّيْل وَالنَّهَار وَابْتغَاؤُكُم مِّن فَضْله - بالسعى إلى الرزق. إِنَّ في ذَلكَ لآيَات لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

* وَمِنْ آيَاتِه يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ـ خوفًا من الصواعق والسيول وطمعًا في المطر والرخاء. وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِه الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِه أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ ـ يمسكهما الله بغير عمد. بِأَمْرِه ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ـ أحياء من قبوركم. وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ـ خاضعون. وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْه ـ إعادة الخلق أهون من بدئه، وكل شيء على الله يسير. وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ ـ هل ترضون أن يكون لعبيدكم نفس مكانتكم. فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ ـ فتكونون. فِيه سَوَاءٌ ـ في المعيشة والجاه، كلا إنكم. تَخَافُونَهُمْ ـ تخافون أن يشاركوكم الند بالند. كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ـ كخيفتكم من بعضكم عندما تتنافسون على العلو والجاه، فلماذا تدعون لله شركاء!. كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ـ بغير حجة ولا دليل. فَمَن ـ ذا الذي يستطيع أن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * فَأَقِمْ وَجْهَكَ ـ يا محمد أنت ومن اتبعك. لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ـ المستقيم الذي تنصلح به الحياة الدنيا والآخرة. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْه ـ موكلين إليه أمركم محتكمين إلى شريعته كما جاءت في القرآن والسنة. وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ ـ من افتراءات وكفر. فَرِحُونَ.

---

(١٣٦) **قضية:** ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: ٣٧].

إن الناس في الحياة الدنيا يأخذون بالأسباب، وتقدير الرزق هو على رب العالمين. إنك ترى العامل يؤجر في بلد بقيمة تختلف عما يؤجر به نظيره في بلد آخر، وكذلك العالم والطبيب والموظف...إلخ، فمقاييس الأرزاق في الدنيا ليست مقدرة بإرادة الإنسان، ولكن الجهاد والكفاح مطلوب دائمًا، فهو مقياس نمو المجتمع، وإذا صاحبه العدل تعم نتائجه بالرخاء الاقتصادي على عامة الناس. ومع كل ذلك تظل الفروق بين الأمم، ولو أمسك الله المطر عن بلد جفت وتدهور اقتصادها، ولكنه رؤوف بالعباد.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

* وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ - فريق منهم. ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ - موكلين أمرهم إليه ومخلصين له بالدعاء. ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم - عدد غير قليل. بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا - هل أنزلنا شرعًا بهذه الافتراءات التى يدعونها؟. فَهُوَ يَتَكَلَّمُ - يشهد لهم. بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ * وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ - ييأسون من رحمة الله. أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ - يزيده. لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ - بالإنفاق عليه وفقًا لمعايير شرع الله، وكذلك. وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ - من الصدقة والزكاة. ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ - وما أصبتم من ربا فى معاملاتكم، وإن كان يزيد من أموالكم، فهو لا يزيدكم شيئًا فى حساب الله. وَمَا آتَيْتُم - بذلتم من عطاء الخير. مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ - هم الذين يضاعفون ثوابهم عند الله فى حساب الآخرة وكذلك تحل البركة فى أموالهم فى الدنيا. اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم - الذين تشركونهم مع الله. مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ - هل منهم من يرزق ويحيى ويميت أو من يأمركم وينهاكم ليرشدكم إلى الخير. سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * ظَهَرَ الْفَسَادُ - الاضطراب. فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا - ليتأثروا بنتائج أعمالهم. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.

---

(١٣٧) **آية محكمة:** ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الآية: ٤١].

هذه الآية تتعلق بمصيرنا، وهى شاملة فى دلالتها على الفساد بمختلف صوره، خاصة فساد البيئة. ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لو قال ظهر الفساد على الأرض بدلاً من قوله ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ لاعتقد الناس أنها قاصرة على فساد الخلق وشيوع الفتن. أما ذكر البر مقرونًا بالبحر فذلك يجعل الآية محكمة فى شمولها صور الفساد بما فيها من تلوث البيئة، لأن الفساد الأخلاقى ليس مكانه البحر فى ذاته، فالحياة على سطح البحر بالنسبة للناس عابرة ومهما حدث من صور الانحرافات فلا تكون ظاهرة بمعنى شمولها جوانب كبيرة من البحر. وإذا قلنا الحروب فإنها، برية كانت أم بحرية، ليست من صور الفساد لأنها عادة ما تكون صراعًا بين حق وباطل وخير وشر، وأيضًا لا نجد المعارك البحرية واقعة إلا فى نقاط ضيقة من البحر على اتساعه. ⬅

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

* قُلْ سيرُوا في الأَرْضِ فانظُرُوا ـ فتأملوا أحوال الأمم وتاريخها. كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذينَ من قَبْلُ ـ الأمم السابقة. كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ * فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ الْقَيِّمِ ـ المستقيم الذى لا عوج فيه. من قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّه ـ وهو يوم القيامة. يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ـ ينشقون إلى فرق (فريق فى الجنة وفريق فى النار وفريق على الأعراف). مَن كَفَرَ فَعَلَيْه كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالحًا فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ـ يُمَهِّدُون الطريق إلى الجنة. ليَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَاتِ من فَضْله إِنَّهُ لا يُحبُّ الْكَافرِينَ * وَمِنْ آيَاته أَن يُرْسلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ ـ بقدوم السحب. وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَته ـ المطر. وَلتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِه وَلتَبْتَغُوا من فَضْله وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمهمْ فَجَاءُوهُم بالْبَيِّنَات ـ فكذب بها الظالمون. فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمنينَ * اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ ـ تنشر. سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ في السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كسَفًا ـ قطعًا وطبقات. فَتَرَى الْوَدْقَ ـ المطر. يَخْرُجُ منْ خلاله فَإِذَا أَصَابَ به مَن يَشَاءُ منْ عبَاده إِذَا هُمْ يَسْتَبْشرُونَ * وَإِن كَانُوا من قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْله لَمُبْلسينَ ـ يائسين. فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَت اللَّه كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتهَا إِنَّ ذَلكَ ـ يشهد بأن الله. لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ * وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا ـ صفرة ما يحمله من أتربة ورمال، علموا أنه لا يأتى من ورائه سحاب ولا مطر. لَّظَلُّوا منْ بَعْده يَكْفُرُونَ ـ ينقمون. فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ ـ لا تسمع الكافرين، فهم كالموتى عندما تدعوهم إلى الهداية. وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ـ أو هم كالصم عندما يتركون المنادى غافلين عن ندائه.

➡ والحياة فى البحر ـ أى داخل الماء ـ لا ينسب إليها فساد أخلاقى لأنها تتعلق بأحياء غير عاقلة. والآية معناها واضح من حيث اللغة: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ ـ أى بات واضحًا ـ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ـ أى فى ذاتهما ـ ﴾. ولا يعقل أن يفسد البحر والبر فى ذاتهما دون فساد الناس الأحياء عليهما.

ومن حيث العقل تكون الآية منطبقة بدقة بالغة على الفساد المادى، وهو فى عصرنا صار واضحًا وعامًا فى البر، فالبيئة البرية فاسدة بمخلفات الصناعة والتسليح، والجو ملوث بالأمراض والأوبئة، وكثيرمن الناس فى بطالة، وقد صار ثلثا العالم فى فقر... وبالنسبة للبحار لا ينكر أحد اليوم تلوثها بآثار المركبات المائية والتجارب النووية وتصريف مخلفات المصانع. وكذلك الأنهار تلوثت، والغلاف الأرضى وثقب الأوزون... إلخ.

﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ـ لا يسمعك إلا من كان قلبه متسعًا للموعظة وعقله متفتحًا للتأمل فى آيات الله، فهؤلاء مآلهم إلى الإسلام. اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ـ نطفة ضعيفة من كل من الرجل والمرأة. ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ـ الحياة والشباب. ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ـ ضعف الشيخوخة. يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ * وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ـ ينصرفون عن آيات الله المنجيات ولا يتبعون الرسل المرشدين فى الدنيا. وَقَالَ ـ لهم. الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ـ فى قدر الله. إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ـ كنتم غير مكترثين بالآخرة. فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ ـ أى يقول الكافرون إن محمدًا وأصحابه يروجون الأباطيل والخرافات. كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ـ بتعمدهم الإعراض وعدم المبالاة برسالات الله إلى البشر. فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ ـ لا يدفعنك إلى الهوى. الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ ـ الذين لا يؤمنون.

سورة لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾

الٓمٓ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ - أصحاب الأعمال الحسنة. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ - يبذل جهده وماله فى ضروب اللهو ليجذب الناس إليها. لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ - ليصرف عامة الناس عن الانشغال بدين الله وأمر الآخرة. وَيَتَّخِذَهَا - يتخذ شريعة الله. هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا - صمما. فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ * خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * خَلَقَ السَّمَوَاتِ - قائمة. بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ - جبالاً تشكل مراكز ثقل كى لا تنحرف الأرض فى دورانها فترتج فيهلك الناس. وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ - من كل صنف من الحيوان. وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا - فى الأرض. مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ - من كل نوع من الحيوان والنبات بديع الخلقة والتركيب. هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ.

---

(١٣٨) **قضية:** ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ **[الآية: ١٠].**

لقد تقدم العلم وساح العلماء فى الكون فعلموا أن السماء قائمة فوق رءوسهم بغير عمد كما ذكر الله تعالى فى القرآن الكريم. فالجاذبية المتبادلة بين الأرض والأجرام الأخرى والسماء هى التى تمسك كل منها فى مجاله، والجاذبية غير مرئية، فهل محمد فى عصره يمكن أن يقول هذا القول الحق إن لم يكن يوحى إليه؟!

←

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾

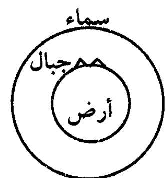
وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ـ فالله لا ينتظر منفعة من الشكر بل هو يجزى الشاكر، فالنفع يعود إلى الشاكرين. وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ.

➡ هل محمد فى عصره كان يمكن أن يعلم من ذكائه أو من أى أحد من الناس أن الأرض بحاجة إلى رواسى وإلا اضطربت بشدة، وأن رواسيها هى الجبال ؟

كلا بالطبع، فجميع الناس ومختلف الأمم حتى عصر محمد ﷺ كانوا يعتقدون أن الأرض مبسوطة بطولها وعرضها، ولكنهم لا يستطيعون الوصول إلى أطراف هذا الطول والعرض. وكانوا يعتقدون أيضًا أن الشمس هى التى تذهب وتجىء فيتوالى الليل والنهار. وظل الناس كذلك حتى اكتشاف كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس.

ثم علموا فى القرن العشرين أن الأجسام الدائرية والكروية تحتاج فى دورانها السريع إلى إضافة مراكز ثقل فى أماكن معينة منها كى لا تضطرب.

أين لمحمد ﷺ المعرفة بهذه العلوم ولو بحث فى كل كتب الأرض فى عصره لما وجد منها شيئًا. فالقرآن يعطى معلومة صادقة لأنه ينزل من خالق الكون على رسول أمين. وإن خاطب الله الناس فى عصر محمد بأن السماء فوق الأرض دون عمد والأرض عليها جبال رواسى، فقد أعطاهم معلومة وصورة صادقة. وتظل المعلومة صادقة حتى يجىء عصر الناس الذين يعيشون العلوم والتكنولوجيا فتكتمل أمامهم بالرؤية العلمية أن الأرض كرة معلقة فى الهواء، والسماء تحيط بها من كل جانب، دون أن ترتكز إحداهما على الأخرى بأعمدة، كالرسم الآتى :



فإذا رجعوا للقرآن فوجدوه قد تكلم عن السماء والأرض وعلاقة الارتكاز بينهما بغير عمد، فهو صادق لأنه من عند الله، وهو كتاب موعظة ودين قيم وليس بكتاب علوم طبيعية ليعطيك رسمًا بيانيًا. فإن آمنت يا ابن القرن الحادى والعشرين فأنت تؤمن بصدق القرآن وتثبته الرؤية العلمية التى تمتلكها، فى حين أن المؤمنين فى عصر الرسول ﷺ آمنوا بذلك والصورة التى كانت لديهم هى جزء من الرسم المبين أعلاه، وهى كالتالى :

سماء
جبال
أرض

أما مشاهدة القبة السماوية كاملة، وهى لا ترتكز على أعمدة مرئية، فقد جاء فى قرون متأخرة، فى حين أن الأولين صدقوا القرآن لتيقنهم من نزوله من عند الله، فقد كفاهم كثير من الآيات استوعبتها أفهامهم فصدقوها، فلا يضرهم ألا يفهموا بعض آيات القرآن : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧]. فما جاء من عند الله هو الحق ولو لم يفهم المؤمنون بعضه. فمثل هذه الآيات التى كانت فيما مضى تثير الحيرة والاستغراب، تكون فى عصر تقدم العلوم فى غير حاجة إلى عناء للبرهنة على صدقها ودقتها.

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

* وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنه وَهُوَ يَعظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بالله إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ ـ وتذكَّر قول الله: وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بوَالدَيْه ـ حسنًا أن. حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا ـ ضعفه هو وهو جنين. عَلَىٰ وَهْنٍ ـ ضعف أمه، فهو ينمو على حساب قوتها. وَفصَالُهُ في عَامَيْن ـ منذ ميلاده. أَن اشْكُرْ لي وَلوَالدَيْكَ إلَيَّ الْمَصيرُ * وَإن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بي مَا لَيْسَ لَكَ به علْمٌ فَلا تُطعْهُمَا وَصَاحبْهُمَا ـ في جميع الأحوال. في الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ـ كما يجب وبما يليق من معاملة. وَاتَّبعْ سَبيلَ مَنْ أَنَابَ إلَيَّ ـ من وكَّل أمره إلى الله، أي سبيل المؤمنين. ثُمَّ إلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ـ جميعًا. فَأُنَبِّئُكُم بمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إنَّهَا إن تَكُ مثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن في صَخْرَةٍ ـ أي شيء أو عمل مهما بلغت دقته لا يغيب عن علم الله وقدرته، ولو كان في صغر حجم الخردلة أو أصغر من ذلك، ولو كان محبوسًا في صخرة صماء. أَوْ في السَّمَوَات أَوْ في الأَرْض يَأْت بهَا اللَّهُ إنَّ اللَّهَ لَطيفٌ خَبيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقم الصَّلاةَ وَأْمُرْ بالْمَعْرُوف وَانْهَ عَن الْمُنكَر وَاصْبرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ـ من بلايا الدنيا. إنَّ ذَلكَ منْ عَزْم الأُمُور * وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاس ـ لا تُملْ وجهك وأنت تخاطب الناس تكبرًا منك عليهم. وَلا تَمْش في الأَرْض مَرَحًا إنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصدْ في مَشْيكَ ـ تواضع في مشيك. وَاغْضُضْ من صَوْتكَ ـ اخفضه ليكون وسطًا غير مزعج. إنَّ أَنكَرَ الأَصْوَات لَصَوْتُ الْحَمير * أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا في السَّمَوَات وَمَا في الأَرْض وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نعَمَهُ ظَاهرَةً ـ نعمة الخلقة وزينة الحياة. وَبَاطنَةً ـ نعمة الفكر والتأمل والتخيل. وَمنَ النَّاس مَن يُجَادلُ في اللَّه بغَيْر علْمٍ وَلا هُدًى وَلا كتَابٍ مُّنيرٍ.

وَإذَا قيلَ لَهُمُ اتَّبعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْه آبَاءَنَا ـ مطلقًا دون تدبر أو تعقل. أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ ـ هم وآباءهم. إلَىٰ عَذَاب السَّعير * وَمَن يُسْلمْ وَجْهَهُ إلَى اللَّه وَهُوَ مُحْسنٌ ـ محسن النية في اتباع شرع الله. فَقَد اسْتَمْسَكَ بالْعُرْوَة الْوُثْقَىٰ وَإلَى اللَّه عَاقبَةُ الأُمُور * وَمَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إلَيْنَا مَرْجعُهُمْ فَنُنَبّئُهُم ـ ونجازيهم. بمَا عَملُوا إنَّ اللَّهَ عَليمٌ بذَات الصُّدُور * نُمَتّعُهُمْ قَليلاً ـ بالحياة الدنيا، بما فيها من سعادة وشقاء وفرحة وهموم، واختلاف في مقادير الأرزاق ومسالكها يسرًا وعسرًا، والعاقل يقول لنفسه: أين هي المتعة الخالصة الحقيقية المستقرة في تلك الحياة الدنيا؟!. ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إلَىٰ عَذَابٍ غَليظٍ.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾

* وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّه بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ - يتجاهلون تناقض مذاهبهم فى إنكار الرسالات السماوية مع شهادتهم بأن وراء هذا الكون خالقًا هو الله. لِلَّه مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ - تحول إلى. أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِه سَبْعَةُ أَبْحُرٍ - كأنه مداد لهذه الأقلام لتكتب على الصحف، لنفد كل ذلك و. مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّه إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * مَا خَلْقُكُمْ - جميعًا. وَلا بَعْثُكُمْ - جميعًا عند الله. إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ - إلا كخلق نفس واحدة منكم فقط، كلٌّ ذلك يكون بكلمة واحدة منه. إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِه الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّه لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِه إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ - خطر داهم. دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ - متوسلين إليه بالإيمان الخالص من الشرك. فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ - يحفظ إيمانه بالله فى توازن واطمئنان. وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ - غدّار. كَفُورٍ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي - لا يدافع. وَالِدٌ عَن وَلَدِه وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ - مدافع. عَن وَالِده شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّه حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا - بل تأملوا فى أحوالها بحكمة وتروٍّ تجدونها دنيئة لا تستحق أن يلقى الإنسان بكل ثقله فيها. وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّه الْغَرُورُ - الغرور هو الشيطان. إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ - المطر. وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝ ﴾

الٓمٓ * تنزِيلُ الْكتَاب لا رَيْبَ فيه من رَّبّ الْعَالَمين * أَمْ يقُولُونَ افتراهُ ـ ألفه ونسبه إلى الله. بَلْ هُوَ الْحَقُّ ـ نزل. من رَّبكَ لتُنذرَ قوْمًا مَّا أَتَاهُم مّن نَّذير مّن قَبْلكَ ـ لتنذر الناس بما أنذر أسلافهم فى رسالات الله السابقة. لعَلَّهُم يهْتَدُونَ.

* اللَّهُ الَّذي خَلَقَ السَّمَوات وَالأَرْضَ وَمَا بيْنهُمَا في ستَّة أَيَّامٍ ـ من أيام الله ويجوز أن يكون المقصود: فى زمن يوازى ستة أيام من أيامنا. ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم ـ أيها الناس. مّن دُونه من وَليٍّ وَلا شَفيع أَفَلا تتذَكَّرُونَ.

* يُدبّرُ الأَمْرَ منَ السَّمَاء إلَى الأَرْضِ ـ جميع الأمور مقدرة ومحصاة ومحفوظة بأمره. ثُمَّ يَعْرُجُ إلَيْه ـ تصعد المخلوقات لتمتثل إلى قضائه. في يَوْمٍ ـ يوم الحساب. كَانَ مقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَة مّمَّا تَعُدُّونَ.

ذَلكَ ـ شأن الله الخالق. عَالمُ الْغَيْب ـ يعلم ما غاب عن معرفة الناس. وَالشَّهَادَة ـ ويعلم ما يشاهدونه. الْعَزيزُ الرَّحيمُ * الَّذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبدَأَ خَلْقَ الإنسَان من طين * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ من سُلالَة مّن مَّاءٍ مَّهين ـ نطفة ضعيفة. ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فيه من رُّوحه وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ ـ لاستماع نصيحة الرسل. وَالأَبْصَارَ ـ للمشاهدة والتأمل. وَالأَفْئدَةَ ـ الضمائر الباطنة. قَليلاً مَّا تَشْكُرُونَ * وَقَالُوا أَئذَا ضَلَلْنَا في الأَرْضِ ـ ضعنا أى ضاعت أجسادنا فتحولت إلى تراب. أَئنَّا لَفي خَلْقٍ جَديد بَلْ هُم بلقَاء رَبّهمْ كَافرُونَ * قُلْ يتوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْت الَّذي وُكّلَ بكُمْ ثُمَّ إلَىٰ رَبّكُمْ تُرْجَعُونَ.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾

* وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ - يوم الحساب ويقولون: رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا - الآن. فَارْجِعْنَا - إلى الدنيا. نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(*).

* فَذُوقُوا - العذاب. بِمَا نَسِيتُمْ - أى بما أعرضتم عن الإيمان، وكان الرسل يذكرونكم. لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ - نتناساكم اليوم. وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ - يهجرون النوم للصلاة فى جوف الليل. يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا - من عذابه. وَطَمَعًا - فى رحمته وجنته. وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ - يؤتون الزكاة ويتصدقون. فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا - كلا. لاَّ يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً - نزلاء فيها جزاءً لهم. بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا - بالكفر والنفاق. فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ - الدنيوى. دُونَ - قبل. الْعَذَابِ الأَكْبَرِ - فى الآخرة. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ - عن كفرهم. وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ - التوراة. فَلا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ - لا تكن فى شك من لقاء مثل ما لاقى موسى من تكذيب. وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ.

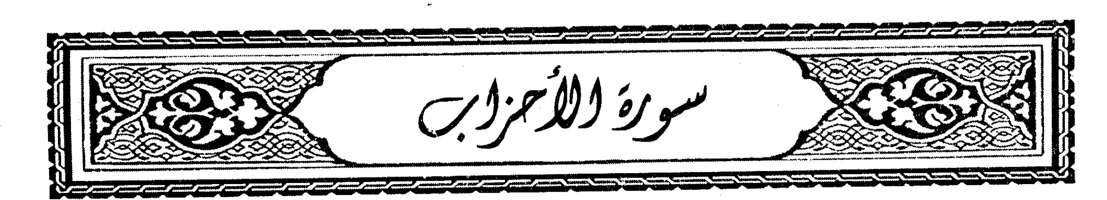
(*) أجمعين تعود على الجنسين "الجن والإنس"، ومِنَ: تعود على بعض أفرادهما، فجهنم تمتلئ من جنس الجنة ومن جنس الناس. ومحال أن تشمل كل أفرادهما، وإلا كانت العبارة: لأملأن جهنم بالجنة والناس أجمعين، فمعلوم أن المؤمنين لا يدخلون النار.

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

* وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ـ بين الناس. يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ـ حول الدين. أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ ـ من أمم. يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ـ يشاهدون آثار مدنهم، فالناس يتوارثون الحضارات خلفًا عن سلف، ومنتصرًا عن مهزوم. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ـ إن فى انقراض الأجيال لعبرة تدل على استحالة الخلود فى الحياة الدنيا بأى حال، فماذا يكون بعد الموت إلا لقاء الخالق. أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ ـ الجدباء. فَنُخْرِجُ به زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ ـ الفصل والحكم النهائى. إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ ـ يوم الحساب لا ينفع الكافرين تصديقهم حين يرون ما أنكروه حاضرا. وَلا هُمْ يُنظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ(*).

(*) قال البعض إن حكم هذه الآية منسوخ بالآيات التى تأمر بجهاد الكافرين، ولا نرى ذلك لأن هذه الآية فى سياق الدعوة إلى دين الله، فإن لم يستجب المدعو وجب الإعراض. ولا جهاد قبل الدعوة السلمية، لأنه وجب أولاً أن يعلم المدعو ما دعى إليه، ثم يُعْرَضُ عنه إن لم يستجب فى الحال، فقد يستجيب بعد فترة من التفكير. والموت مقدر على جميع الناس، فمنهم من جاهد بالدعوة ومنهم من جاهد فى الحرب ومنهم من كفر، وكل منهم يتوقع ما بعد الموت وفقًا لعقيدته ﴿وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ فالآيات الآمرة بالجهاد المسلح لا تنفى وجوب الدعوة السلمية، ولكل حكم مجاله تبعًا للأحوال.

وينبغى التنبيه إلى أن الجهاد المسلح كانت له مبرراته [راجع القضية: ١٣١]. وأن سورة التوبة التى أبرأ الله فيها رسوله من العهود التى كانت مع المشركين الذين لم يكونوا أوفياء فيما عاهدوا عليه، يقول فيها الله جل علاه : ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝٤ ﴾

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ - الخطاب على سبيل التذكرة بالالتزام وليس توبيخًا. ولا تُطعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً * مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ - أو ضميرين. فِي جَوْفِهِ - فالفرد إما مؤمن وإما كافر، ولا تجتمع فيه الصفتان معًا فى وقت واحد. وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ - (كان الرجل يقول لزوجته : أنت علىَّ كظهر أمى، كناية عن الطلاق فى الجاهلية. وهن لسن بأمهاتكم ولا حتى بمثابة أمهاتكم. كيف تقولون ذلك والواحد منكم لا يرضى بقطع علاقة الرحم بينه وبين أمه، بينما أنتم تقولون تلك العبارات فى قطع المودة مع زوجاتكم. وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ - الذين تنسبونهم إليكم بالتبنى. أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ - خلافًا للحق. وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

---

(١٣٩) قضية: الظهار: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [الآية: ٤].

كَرَّم القرآن الأم فلا يضرب بها المثل فى قطع علاقة الزوجية، بالرغم من أن الطلاق يمكن أن يقع بلفظ الطلاق أو بالكناية. ولكن الله حرم الظهار تكريمًا للأم، فالأمومة أعلى مثال لشدة الترابط، فلايليق أن يضرب بها المثل فى القطيعة والفرقة، بل يستحب أن يضرب بها المثل فى تقريب الصلات والروابط الكريمة، وقد ضرب الله بها المثل فى زوجات الرسول ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الآية: ٦]، وكذلك الرسول يعتبر بمثابة أب للمؤمنين.

(١٤٠) قضية: التبنى وحاجة اليتيم أو اللقيط إلى الرعاية: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ [الآية: ٤].

حرَّمَ الله التبنى، بقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾.

وسبب ذلك أن التبنى هو فرض مخالف لطبيعة الأمور:

←

﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا (٥) ﴾

* ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ ـ انسبوهم لآبائهم إن كنتم تعرفونهم. هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ ـ فليس هذا بعذر يبرر نسبتهم إلى غير آبائهم. فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ـ فهم إخوانكم فى الدين سواء منهم من كان حرًا أو من هو مملوك. وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ـ من قبل. وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ـ ولكن الإثم يقع عند تعمد مخالفة أوامر الشرع بعد العلم بها. وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا.

➡ إن الولد ينسب لأبيه وينتج النسب آثارًا قانونية، فالحضانة والرعاية تكون فرضًا على والديه، والوالدان بالفطرة لا يهملان حضانة الأولاد وتربيتهم (عدا استثناءات تشذ عن العموم). وفى مقابل ذلك يخدم الابن والديه دون أن يلزمهما الشرع بأداء أجر إليه، وهذا يجرى فى إطار الفطرة أيضًا، فرباط الدم يجعل الابن يستحيى أن يطلب من الوالدين أجرًا على خدمة أداها إليهما أو إلى أحدهما.

أما التبنى فهو يفرض وضعًا على صغير لم تكتمل أهليته بعد، وقد يجد ما يكره بعد التبنى فلا يستطيع فك الرابطة التى نسبته إلى شخص ما خلافًا للحقيقة. ونجد فى بعض المجتمعات التى تأخذ بنظام التبنى ظاهرة استغلال الأطفال والصبية تحت ستار التبنى، فيتبنى صاحب مزرعة أو أرض واسعة عددًا لا بأس به من الأطفال والصبية، فيعملون عنده بمصاريف زهيدة لا تضاهى ما كان يستحق لهم من أجر لو كانت علاقتهم معه علاقة عمل، ولا يجدون لديه حنان الأبوة، لا فى القليل ولا فى الكثير. أضف إلى ذلك أمورًا أخرى، أهمها فرض علاقة قرابة محرمية بين الابن المتبنَّى وأفراد أسرة المتبنى، وقد تلوح بينهما رغبة الزواج. لذلك حرّم الله التبنى. ولكن الله سبحانه وتعالى لا يحظر جنى الآثار الإيجابية لمثل هذه الأعراف الإنسانية، فالدين لا يمنع أحدًا من أن يربى يتيمًا ويرعاه ويعلمه، مع بقاء نسبته إلى أبيه. فإن كان لقيطًا يُختار له اسم كبقية الناس، مع بقاء وضعه على حقيقته إذ أنه ليس فى عداد أبناء المتبنى. ولا مانع يمنع من الوصية له أو الهبة إليه. بل الدين يعزز رابطة الولاء بين اللقيط والأسرة التى احتضنته والمرأة التى ربته. يقول رسول الله ﷺ: «المرأة تحوز ثلاثة مواريث عتيقها ولقيطها وولدها الذى لاعنت عليه»(*).

ومعنى الحديث أن المرأة ترث ـ إضافة إلى ميراثها من الأقارب الذين حددهم القرآن فى آيات المواريث ـ نصيبًا من مال عبدها الذى أعتقته، ومن مال لقيطها، أى الطفل الذى التقطته فربته وهو غير معلوم الأبوين. وترث أيضًا ولدها الذى لاعنت عليه(**) أى ابنها من زوجها الذى رماها بالزنا فلم يُنسَبْ ولدها إليه، فهى ترثه وهو يرثها لأنه ولدها.

إن هذا الحديث يفتح بابًا واسعًا أمام المجتمع ليحقق أقصى رعاية لهذه الذرية الضعيفة التى تبدأ الحياة مثقلة بمحنة قاسية. ويبدو بوضوح أن الشريعة الإسلامية تحرص على عدم اختلاط الأنساب، وترعى فى الوقت نفسه هؤلاء الضعفاء فتقر الروابط والآثار الناشئة عن التربية والرعاية، فلا يحسب المرء أن ما ينفقه من جهد ومال فى تربية اللقطاء والضعفاء يذهب هباء، بل يبقى له فى الدنيا خيرًا وفى الآخرة ثوابًا عظيمًا. ومعلوم أن المرأة إذا أرضعت لقيطها صار ابنها بالرضاعة وصار قريبًا لأفراد أسرتها، فالرضاعة مصدر للقرابة فى الإسلام.

هذا هو الشرع الكريم الذى يجب اتباعه، ويحذرنا الله من مخالفته، فيقول: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء: ٩].

(*) الترمذى، الفرائض عن رسول الله ﷺ ٢٠٤١. أبو داود، الفرائض ٢٥١٩. ابن ماجة، الفرائض ٢٧٣٢. أحمد، مسند المكيين ١٥٤٣٠ ـ ١٥٤٣٧، مسند الشاميين ١٦٣٦٧.

(**) اللعان: يدعى الزوج أنه رأى زوجته تزنى ولا شهود معه على ذلك، فيؤخذ بشهادته مع القسم ﴿ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ فإذا أقسمت هى: ﴿ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [النور: ٦ ـ ٩]. فعند ذلك لا يقام عليها الحد ويفرق القاضى بينهما ولا ينسب ولد المرأة بعد هذا إلى من لاعنها.

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾

* النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ـ اتباع النبى وطاعته (الشرع) أولى من اتباع هوى النفس. وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الأَرْحَامِ ـ ذوى القرابات. بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ـ فى الميراث المبين أنصبته. فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ـ بالوصية. كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا * وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا * لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ ـ المؤمنين بالرسل والرسالات. عَن صِدْقِهِمْ ـ فيجازيهم الله خيرًا. وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ـ أحزاب من كل القبائل (فى موقعة الخندق). فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ـ إذ عزم اليهود فى المدينة (بنو قريظة) على الغدر بالرسول وقتال المؤمنين من الداخل حتى يتسنى للأحزاب عبور الخندق. وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ ـ تحيرت. وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ـ من الخوف. وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ـ ظانين بالله ظن السوء. مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا ـ إذ ظنوا أن الهزيمة ستلحق بالمؤمنين. وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ ـ من المنافقين الذين خرجوا مع المؤمنين إلى جبل بجوار المدينة لحمايتها. يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ ـ فى هذا الموقع. فَارْجِعُوا ـ إلى بيوتكم. وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ـ نخاف على من فيها فأذن لنا بالرجوع لندافع عن أهلينا. وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ـ وبيوتهم فى الواقع ليست بعورة، ما داموا مرابطين للدفاع عن المدينة بأسرها، وماذا يفيد انسحابهم لو انهزم جيش الرسول، هل يستطيعون الدفاع عن بيوتهم فرادى، وحقيقة الأمر أنهم. إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا * وَلَوْ دُخِلَتْ ـ اقتحمت. عَلَيْهِم ـ المدينة. مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا ـ لو طلب منهم الارتداد عن الدين لفعلوه. وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا ـ وما حياتكم الدنيا إلا إقامة قصيرة. وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ ـ عقدوا العهد مع المؤمنين على الثبات والصبر فى مواجهة العدو. وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً * قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ـ لأن الأعمار مقدرة بأمر الله لا تنقص بقتال ولا تزيد بفرار. وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ـ بقدر الحياة الدنيا.

﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾

* قُلْ مَن ذَا الَّذي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا - هل منازلكم وحصونكم تمنعكم من الله إن أراد أن يهلككم. أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ - الله يعلم المنافقين الذين يعرقلون سبل المؤمنين. وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا - إلى القعود عن الجهاد أو الانسحاب من صفوف القتال. وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ - القتال. إِلاَّ قَلِيلاً - بالقدر الذى يدفع عن سمعتهم ما يكرهون. أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ - يضنون عليكم بالمساعدة. فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ - وجاء النصر. سَلَقُوكُم - آذوكم. بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ - حريصين أشد الحرص على الغنائم. أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ - فى الدنيا بالخزى والهزيمة وفى الآخرة بالعذاب الأليم. وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ - بعيدًا عن ساحة القتال. يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي - سلوك. رَسُولِ اللَّهِ - ومواقفه. أُسْوَةٌ - قدوة وهداية. حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو - رضا. اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا * وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا - دليل مبشر على صدق. مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ - من نصر كبير وظهور الدين الحق. وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ - ما رأوه من كثرة العدو. إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ - فصمدوا فى مواجهة العدو. فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ - استشهد. وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ - على قيد الحياة، ويأمل فى الاستشهاد. وَمَا بَدَّلُوا - إيمانهم بالحنث والكفر. تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ - إذا ظلوا على النفاق. أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ - إذا هجروا النفاق وتابوا وآمنوا. إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ - إذ أرسل عليهم ريحًا فى الليل زلزلتهم فاعتقدوا أن جيش المسلمين قد اجتاحهم فولوا هاربين. لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا - نصرًا. وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا.

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾

* وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ ـ أنزل الذين آزروا الكفار من حصونهم مهزومين، وهم بنو قريظة الذين كانوا مع رسول الله في المدينة وبينهم وبين المسلمين عهد أمان ومناصرة، فتبادل الأحزاب الذين أحاطوا بالمدينة معهم الرسل واتفقوا على أن بنى قريظة يخونون عهدهم مع الرسول، ويبادرونه بالقتال من داخل المدينة، كي ينشغل المسلمون عن حراسة الخندق الذى أقاموه حول المدينة. ولكن تلك المحاولة أحبطت بفضل الله. وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ ـ تقتلون أئمة الكفر والخيانة. وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ـ وهى أرض خيبر بعدها. وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ ـ أعطيكن مالاً. وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ـ ومن تداوم على طاعة الله والرسول. وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ـ مضاعفًا. وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ـ احترمتن شرع الله. فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ـ المنافق. وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ـ ولا تظهرن جمالكن وزينتكن كما كانت النساء تفعل فى الجاهلية. وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ـ من أحكامه هذه. لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا * إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾

* وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ـ فعليهم جميعًا الطاعة. وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً. وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ـ بالإيمان. وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ـ بالحرية، وهو زيد بن حارثة، كان للرسول ﷺ قبل الرسالة فأعتقه وتبناه. وقد رأى الرسول فى زينب بنت جحش من الصفات الحسنة ما جعله يزوجها زيداً إيثاراً منه لزيد على نفسه، ولكنهما لم يوفقا فى العشرة فعزم زيد على طلاقها، فقال له رسول الله. أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ـ ولكن حالهما لم يتغير فطلقها زيد، وخشى رسول الله ﷺ أن يتزوجها بعد زيد فيقول الناس تزوج زوجة ابنه. وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ـ تخفى فى نفسك خوفًا من الإقدام على زواج من امرأة تحل لك، لأن زيدا ليس ابن رسول الله. وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً ـ أى لما انقضى زواجه منها. زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ ـ بالتبنى. إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً ـ إذا فصمت عرى الزوجية بالطلاق. وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً * مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ـ فيما أحل الله له. سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ـ هو نهج الله فى الأمم السابقة أن يلغى الأعراف الفاسدة. وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً * الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً * مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ـ صباحًا ومساء. هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ـ يرحمكم. وَمَلائِكَتُهُ ـ يستغفرون لكم. لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً * وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ ـ اعرض عن أذاهم. وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ـ من قبل الدخول بهن. فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ـ تحسبونها. فَمَتِّعُوهُنَّ ـ بهدية أو بنصف المهر المسمى. وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٥٤﴾ ﴾

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ـ مهورهن. وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ـ من الإماء. وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ـ دون من بقين منهن فى مكة قبل الفتح. وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا ـ يتزوجها بدون مهر فهى. خَالِصَةً لَّكَ ـ رخصة تخصك. مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا ـ فَصَّلْنَا. مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ ـ على المؤمنين من أحكام. فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً * تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ ـ تؤخر المبيت عند من تشاء من زوجاتك. وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ ـ ومن أردت الرجوع إلى معاشرتها من بعد أن تركت المبيت عندها، فعد إليها وقت أن تشاء (وفى ذلك تخفيف على النبى، فقد كان قبل ذلك يقسم أيام المبيت عند زوجاته بالتساوى). فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ ـ أقرب إلى ـ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً * لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ ـ ليس لك أن تتزوج من جديد من بعد نزول هذه الآية. وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ ـ ولا أن تطلق إحدى زوجاتك (وكان لدى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقتئذ تسع زوجات) لتحل مكانها أخرى. وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ـ حسن النساء من غير زوجاتك. إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ـ إلا الإماء فيجوز لك استقدام أمة فوق ما لديك من نساء. وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ـ بدعوة. إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ـ غير منتظرين نضجه (أى لا تدخلوا قبل موعد الطعام، كما تفعلون مع غير النبى لقضاء وقت فى التسامر). وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ـ للتسامر. إِنَّ ذَلِكُمْ ـ المكوث والسمر. كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ـ يستحى أن يبدى ذلك لضيوفه. وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً ـ إذا سألتم أزواج النبى شيئًا. فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً * إِن تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً.

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ۗ وَاتَّقِينَ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾

لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ـ أن يظهرن دون حجاب أمام. آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ ـ باتباع ما أُمِرْتُنَّ به. إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا * إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ـ والصلاة عليه تكون بالقول: «اللهم صل على سيدنا محمد. أو صلى الله على محمد وعلى أزواجه وآله وأصحابه...» وغير ذلك من عبارات الدعاء. إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ـ بغير ذنب اقترفوه. فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ـ يسدلن ثيابهن على أبدانهن. ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ ـ فهن حرائر أحق أن يعرفن بالاحتشام. فَلا يُؤْذَيْنَ ـ من المنافقين الذين يتغزلون فى الإماء والغانيات. وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ـ الذين يتبعون أهواءهم ويسعون إلى المعاصى. وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ـ الذين يشيعون الفتنة والخوف والأكاذيب فى المجتمع. لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ـ لنستفزنك ضدهم. ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا ـ فى المدينة. إِلا قَلِيلاً ـ ثم نرغمهم على الرحيل منها. مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا ـ فى أى مكان كانوا، إذا ارتكبوا هذه المنكرات. أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ـ حق عليهم الأسر والقتل عقابًا لهم. سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً * يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا * إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ـ جهنم. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا ـ مدافعًا. وَلا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ * وَقَالُوا ـ الكافرون. رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا ـ فى الدنيا. سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ ـ بعض أتباع موسى، قيل فى ذلك أنهم قالوا: إن ما يمنعه أن يغتسل معنا هو أنه آدر، أى كبير الخصيتين، لذا فهو يستتر ويغتسل وحده. فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾

* يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يُصْلحْ لكُمْ أعْمالكُمْ ـ في الدنيا. ويَغْفرْ لكُمْ ذُنُوبكُمْ ـ صفح كريم من رب رحيم. ومَن يُطعِ اللَّهَ ورسُولهُ فقدْ فاز فوْزاً عظيماً * إنَّا عرضْنا الأمانة على السموات والأرْض والجبال فأبيْن أن يحْملْنها وأشْفقْن منْها وحملها الإنسانُ إنَّهُ كان ظلُوماً جهُولاً * ليُعذّب اللَّهُ الْمُنافقين والْمُنافقات والْمُشْركين والْمُشْركات ويتُوب اللَّهُ على الْمُؤْمنين والْمُؤْمنات وكان اللَّهُ غفُوراً رَّحيماً.

---

(١٤١) قضية: الأمانة: ﴿ إنَّا عرضْنا الأمانة على السموات والأرْض والْجبال فأبيْن أن يحْملْنها وأشْفقْن منْها وحملها الإنسانُ إنَّهُ كان ظلُوماً جهُولاً ﴾ [الآية: ٧٢].

الأمانة تقتضى المسؤولية، فهى تفترض عطاءً من جانب وتلقيًا من جانب آخر، وعهد من المتلقى بالحفاظ على ما تلقاه.

ـ المعطى: هو الله سبحانه وتعالى.

ـ المُؤْتَمَنُ: هو الإنسان المسؤول.

ـ محل العطاء: الشرع، فلا مسؤولية بدون التزامات.

ـ العهد: السيرعلى هدى شرع الله، وذلك يقتضى: الإيمان بوجود الله ووحدانيته، وبملائكته ورسله، وطاعته بالتزام شريعته (الأحدث فى تاريخ النزول)، ومنذ البعثة المحمدية يلتزم كل من وصلته الدعوة باتباع شريعة الإسلام، فهى الرسالة الخاتمة.

ـ الجزاء على أداء الأمانة: الخلود فى النعيم، وهذا ما دفع الإنسان إلى قبول الأمانة. ويخفف الله على المؤمنين بمغفرته ورحمته فيدخلهم الجنة بالرغم من تقصيرهم فى أداء بعض ما يستوجبه حفظ الأمانة.

ـ الجزاء على خيانة الأمانة كفراً بالله: الخلود فى الجحيم فى الآخرة.

أما الجزاء فى الدنيا فهو غير محدد، فالمؤمن قد يبتلى بالشر والكافر قد يصيبه الخير، فالحياة الدنيا امتحان وفتنة.

(١٤٢) تنبيه: ﴿ وحملها الإنسانُ ﴾ [الآية: ٧٢].

ومعنى ذلك أن كل إنسان حمل الأمانة، فلا ينبغى أن يقال إن ذرية آدم قد تحملت بذنبه، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ ولا تزرُ وازرةٌ وزْر أُخْرىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، أى لا تحمل نفس ذنب نفس أخرى.

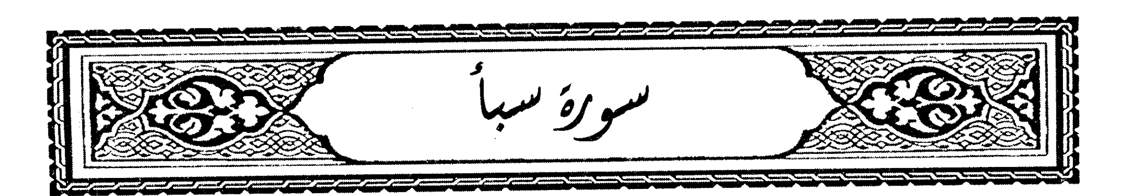
ويقول سبحانه: ﴿ وإذْ أخذ ربُّك من بني آدم من ظُهُورهمْ ذُرّيَّتهُمْ وأشْهدهُمْ علىٰ أنفُسهمْ ألسْتُ بربّكُمْ قالُوا بلىٰ شهدْنا أن تقُولُوا يوْم الْقيامة إنَّا كُنَّا عنْ هذا غافلين * أوْ تقُولُوا إنَّما أشْرك آباؤُنا من قبْلُ وكُنَّا ذُرّيَّةً مّنْ بعْدهمْ أفتُهْلكُنا بما فعل الْمُبْطلُون ﴾ [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣]. ومعنى ذلك أن كل إنسان وقف من قبل أمام الله وتحمل بمسؤوليته وأمانته، فكل إنسان ممتحن. ولكن هل نسى الإنسان هذا الموقف الذى وقفه من قبل أمام الله؟

➡ إذا ظل ذلك الموقف عالقًا بذاكرة الإنسان لعاش راهبا خائفا من هوله، فلا يستطيع ممارسة الاختيار الحر بين الخير والشر لأن فى الرهبة والخوف إكراه يتنافى مع مسؤولية تحمل الأمانة.

ولكى يبدأ الإنسان فى ممارسة مسؤولياته وفقًا لمقتضيات الأمانة التى تحملها والتى تقتضيه طاعة الله اختيارًا، لا بد من أن يتخفف من هذا الموقف. لذلك أودع الله فينا عوضًا عنه ضميرًا باطنًا يدفعنا إلى التصديق بوجود الله ووحدانيته، إلى جانب العقل وكل الإمكانات التى تؤدى إلى البصيرة والتمييز.

بدأ آدم وحواء يمارسان محنة الأمانة فى الجنة، وقد انحصرت مسؤوليتهما فى التزام واحد هو اجتناب شجرة واحدة قد نهاهما الله عن الاقتراب منها. فبقيا ما بقيا فى الجنة إلى أن عصيا ربهما ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، هذا عقاب أول يتمثل فى الحط من الجمال الذى كانا عليه، فظهرت سوآتهما. ثم عوقبا بعقاب ثان وهو النزول إلى الأرض.

صحيح أن ذرية آدم يولدون على الأرض بعوراتهم ولكنهم غير معاقبين بذلك، فهم لا يشعرون بحسرة على جمال فائت ولا بمرارة من عوراتهم، لأنهم فى تكيف مع خلقتهم منذ ميلادهم، ولا يتذكرون لأنفسهم خلقة سابقة. وهم جميعًا يعيشون على الأرض، ولكنهم لم يروا من قبل جنة، فهم غير معاقبين على معصية آدم وحواء. فكل إنسان متحمل بأمانة فهو يمارس مقتضياتها ولا يسأل عن ذنوب غيره ـ عدا المُضَلِّل، فيسأل عن ذنبه وذنب من اتبعه ـ والله سبحانه وتعالى دائم المغفرة للتائبين.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

الْحَمْدُ للَّه الَّذي لَهُ مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الأَرْض وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَة وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يلج - يدخل. فِي الأَرْض وَمَا يَخْرُجُ منهَا وَمَا ينزلُ منَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ - يصعد. فيهَا وَهُو الرَّحيمُ الْغَفُور * وَقَالَ الَّذين كَفَرُوا لا تَأْتينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتيَنَّكُمْ - الله. عَالم الْغَيْب لا يَعْزُبُ - لا يغيب. عَنْهُ مثْقَالُ ذَرَّة - الذرة هي جسم لا يرى بالعين المجردة. في السَّمَوَات وَلا في الأَرْض وَلا أَصْغَرُ من ذَلكَ وَلا أَكْبَرُ إلاَّ في كتَاب مُّبين - في سجل يحصى كل شيء خلقه الله وكل عمل يقع من مخلوقاته. ليَجْزيَ الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات أُوْلَئكَ لَهُم مَّغْفرَةٌ وَرزْقٌ كَريمٌ * وَالَّذينَ سَعَوْا في آيَاتنَا مُعَاجزينَ - يجادلون لدحض آيات الله وتكذيبها. أُوْلَئكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَليمٌ - أقسى أنواع العذاب. وَيرَى الَّذينَ أُوتُوا الْعلْمَ - علم الكتب السماوية السابقة، مثل عبد الله بن سلام وغيره، أن. الَّذي أُنزلَ إلَيْكَ من رَّبِّكَ - القرآن. هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدي إلَىٰ صرَاط الْعَزيز الْحَميد * وَقَالَ الَّذينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ - إذا قطعت أجسادكم أو تحللت إلى تراب تتناثره الريح بعد موتكم. إنَّكُمْ لَفي خَلْقٍ جَديد - ميعادكم إلى حياة جديدة. أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّه كَذبًا - جاء بكلام من عنده ونسبه إلى الله. أَم به جنَّةٌ - جنون. بَل الَّذينَ لا يُؤْمنُونَ بالآخرَة في الْعَذَاب وَالضَّلال الْبَعيد * أَفَلَمْ يَرَوْا إلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْديهمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْض إن نَّشَأْ نَخْسفْ بهمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقطْ عَلَيْهمْ كسَفًا - قطعًا. منَ السَّمَاء إنَّ في ذَلكَ لآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنيب * وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ منَّا فَضْلاً يَا جبَالُ أَوِّبي - سبحي. مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَديدَ - يشكله بيسر وليونة. أَن اعْمَلْ سَابغَات - اصنع دروعًا. وَقَدِّرْ في السَّرْد - اعمل بذلك على قدر الحاجة. وَاعْمَلُوا صَالحًا إنِّي بمَا تَعْمَلُونَ بَصيرٌ.

﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾

* وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا - تقطع فى وقت قصير ما يقطعه الناس فى. شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ - طوعنا له النحاس فهو يذوب بأمره فيستخدمه فى أشياء كثيرة. وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا - من يخرج عن شرعنا . نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ.

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ - أبنية عالية. وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ - وأحواض عريضة واسعة للماء. وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ - أوان كبيرة وثقيلة لطهى الطعام لحاشيته وللفقراء من الناس. اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا - شاكرين الله. وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ * فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ - على سليمان. الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ - كان متكئًا على عصاه وقت أن وافته المنية فظل على ذلك أمدًا بعد موته، ثم جاءت حشرة نخرت عصاه. فَلَمَّا خَرَّ - سقط. تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ - لعلموا أن سليمان مات منذ زمن و. مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ - الأعمال الشاقة. لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ - أى على جانبى واديهم. كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا - امتنعوا عن شكر الله وعبادته. فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ - سيلاً مدمرًا. وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ - مُرُّ المذاق. وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ - وشىء من ثمر مستساغ أكله، لكنه قليل. ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا - ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا - بالزرع الوفير. قُرًى ظَاهِرَةً - فى الطريق. وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ - قربنا المسافات بين هذه القرى بحيث يلحق المسافر العمران بعد مسيرة نهار واحد. سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا - اجعل المسافات بين القرى بعيدة، طمعًا فى أن يكون السفر والتجارة حكرًا على الأغنياء. وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ - فرقناهم بعد أن كانوا جموعًا متآزرة. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ.

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾

* وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيهِمْ إبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمنينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إلاَّ لنَعْلَمَ مَن يُؤْمنُ بالآخِرَةِ ممَّنْ هُوَ منْهَا في شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفيظٌ * قُلِ ادْعُوا الَّذينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلكُونَ مثْقَالَ ذَرَّةٍ في السَّمَوَاتِ وَلا في الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فيهمَا من شرْكٍ ـ مع الله، فكل شيء ملكه وحده. وَمَا لَهُ منْهُم مِّن ظَهِيرٍ ـ شريك.

وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عندَهُ ـ لا شفاعة لغير مؤمن ولا شفاعة . إلاَّ لمَنْ أَذنَ لَهُ ـ أي لمن أذن له الرحمن أن يشفع. حَتَّىٰ إذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبهمْ ـ انكشف الخوف عن قلوب الشفعاء فتنزل السكينة عليهم حين يأذن الله لهم في الشفاعة. قَالُوا ـ للمؤمنين المغفور لهم. مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَليُّ الْكَبيرُ * قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإنَّا أَوْ إيَّاكُمْ لعلىٰ ـ أحد طريقين إما. هُدًى أَوْ في ضَلالٍ مُّبِينٍ * قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا ـ إن كنتم ترون أن اتباعنا طريق الله هو جريمة ارتكبناها فإنكم غير مسؤولين عن هذا يوم القيامة. وَلا نُسْأَلُ ـ نحن. عَمَّا ـ كنتم. تَعْمَلُونَ ـ في الدنيا. قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ـ يوم القيامة. ثُمَّ يَفْتَحُ ـ يحكم. بَيْنَنَا بالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَليمُ.

---

(١٤٣) **قضية:** ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمنينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إلاَّ لنَعْلَمَ مَن يُؤْمنُ بالآخرَة ممَّنْ هُوَ منْهَا في شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفيظٌ ﴾ **[الآيتان: ٢٠-٢١].**

هل الله بحاجة إلى العلم بنتيجة اختبار؟

إن علم الله وتمييزه بين المؤمن والكافر لا يتوقف على امتحان، وإنما المحنة ليعلم الإنسان ما اقترفه هو من خير وشر ويسجل عليه ذلك في كتاب ﴿ قَدْ عَلمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ منْهُمْ وَعندَنَا كتَابٌ حَفيظٌ ﴾ [ق: ٤]. ﴿ وَعندَهُ مَفَاتحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا في الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ من وَرَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ في ظُلُمَات الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابسٍ إلاَّ في كتَابٍ مُّبينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ في شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو منْهُ من قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ منْ عَمَلٍ إلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إذْ تُفيضُونَ فيه وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ من مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ في الأَرْضِ وَلا في السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ من ذَلكَ وَلا أَكْبَرَ إلاَّ في كتَابٍ مُّبينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

إن الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء، وعلمه قديم وسابق للأحداث، وعندما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إلاَّ لنَعْلَمَ مَن يُؤْمنُ بالآخرَة ممَّنْ هُوَ منْهَا في شَكٍّ ﴾ ذلك يعني الإثبات والتسجيل، لصالح الإنسان أو عليه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَوُضعَ الْكتَابُ فَتَرَى الْمُجْرمينَ مُشْفقينَ ممَّا فيه وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لهَذَا الْكتَاب لا يُغَادرُ صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً إلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَملُوا حَاضرًا وَلا يَظْلمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]. فالإنسان له حساب يطلع فيه على كل ما اقترفه في الدنيا من خير وشر ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفيظٌ ﴾.

﴿ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

* قُلْ أَرُونِي - عرفوني حقيقة. الَّذِينَ أَلْحَقْتُم به - أي بالله من. شُرَكَاءَ كَلاَّ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - الواحد الذى لا شريك له. وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ - يوم القيامة. إن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ - علمه عند الله. لاَّ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ - ولا بما جاء فيه. وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا - التابعون. لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا - زعمائهم. لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ - كان لكم مكر ودهاء فى تزيين الضلال. إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا - جميعهم. النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا - (المبادرة بالكفر تأتى من أصحاب الجاه والترف). إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم به كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ - إن كثرة الأموال وعزوة الأنجال ليست فى ذاتها حظوة تقربكم إلى الله. إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً - سعى بالجهد والعطاء فى الخير والصلاح. فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ - درجات الجنة. آمِنُونَ * وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ - الذين يعملون على صرف الناس عن آيات الله. أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ - يرده إليكم فى الدنيا، أو فى الآخرة، أو فى الدنيا والآخرة. وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ - يوم يجمعهم الله. جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَٰؤُلاءِ - (فريق من الكافرين الذين عبدوا الملائكة وقالوا: هن بنات الله). إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ.

﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾ ﴾

* قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا من دُونِهم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ـ يطيعون أمر الشياطين باتخاذنا شركاء لك فى العبادة، دون إرادتنا. أَكْثَرُهُم بهم ـ أى بالجن. مُّؤْمِنُونَ * فَالْيَوْمَ لا يملكُ بعْضُكُمْ لبعْضٍ نَّفْعًا ولا ضرًّا ونَقُولُ للَّذين ظَلمُوا ذُوقُوا عذَابَ النَّار الَّتي كُنتُم بهَا تُكَذّبُونَ * وإذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهمْ آيَاتُنَا بَيّنَات قَالُوا مَا هَذَا إلاَّ رَجُلٌ يُريدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وقَالُوا مَا هَذَا إلاَّ إفْكٌ مُّفْتَرًى ـ كذب مبتدع. وقَالَ الَّذين كَفَرُوا ـ من أهل مكة. للْحَقّ لَمَّا جَاءَهُمْ إنْ هَذَا إلاَّ سحْرٌ مُّبينٌ * ومَا آتَيْنَاهُم ـ خلاف الحق الذى جاءهم على يد الرسول. مّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ومَا أَرْسَلْنَا إلَيْهمْ قَبْلَكَ من نَّذيرٍ ـ فعلى أى أساس إذن يكذبونك يا محمد. وكَذَّبَ الَّذينَ من قَبْلهمْ ـ رسلهم. ومَا بَلَغُوا ـ ولم يبلغ أهل مكة. معْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ ـ من قوة ومال. فَكَذَّبُوا رُسُلي ـ فانظروا. فَكَيْفَ كَانَ نَكيرِ ـ كيف كان عقابى لهم ونكرانى لكفرهم. قُلْ إنَّمَا أَعظُكُم بوَاحدَةٍ أَن تَقُومُوا للَّه ـ تتفكرون فى الله وصنعه فيكم وفيما حولكم. مَثْنَىٰ وفُرَادَىٰ ـ مجتمعين ومتفرقين. ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بصَاحبكُم مّن جنَّةٍ ـ ثم تتأملوا فيما جاءكم به النبى، وما تَدَّعُونَ عليه من جنون، فستتحققون. إنْ هُوَ إلاَّ نَذيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَديدٍ * قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ـ إن كنتم تعتقدون أن إيمانكم بالله سيعود عَلَيَّ بأجر ونفع فى الدنيا، من تقوية صفوف المؤمنين، فذلك لأجلكم، لأجل خلاص الناس ونجاتهم من عذاب الله وغضبه، أما أنا. إنْ أَجْريَ إلاَّ عَلَى اللَّه وهُوَ عَلَىٰ كُلّ شَيْءٍ شَهيدٌ * قُلْ إنَّ رَبّي يَقْذفُ بالْحَقّ ـ ينزل الحق بالوحى على أنبيائه من فوق سبع سماوات، وهو. عَلاَّمُ الْغُيُوب * قُلْ جَاءَ الْحَقُّ ومَا يُبْدئُ الْبَاطلُ ومَا يُعيدُ ـ ولا يقدم الكفر شيئًا ولا يؤخر أمام إرادة الله. قُلْ إن ضَلَلْتُ فَإنَّمَا أَضلُّ عَلَىٰ نَفْسي وإن اهْتَدَيْتُ فَبمَا يُوحي إلَيَّ رَبّي إنَّهُ سَميعٌ قَريبٌ * ولَوْ تَرَىٰ إذْ فَزعُوا ـ من رقدتهم يوم القيامة. فَلا فَوْتَ ـ لا يفلت أحد. وأُخذُوا من مَّكَانٍ قَريبٍ ـ على الله، وأى مكان فى الكون لا يبعد عن الله. وقَالُوا آمَنَّا به ـ بمحمد وبما جاء به، وذلك عند بعثهم يوم القيامة. وأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ من مَّكَانٍ بَعيدٍ ـ وماذا يفيدهم الإيمان، وهو امتحان مكانه الدنيا. وقَدْ كَفَرُوا به ـ بيوم الحساب. من قَبْلُ ـ حين كانوا يعيشون حياتهم. ويَقْذفُونَ بالْغَيْب ـ كانوا يُكَذّبُونَ الرسل. من مَّكَانٍ بَعيدٍ ـ من كل وجهة بعيدة عن الحق والضمير. وحيلَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ـ من الخير الذى يرونه يستقبل المؤمنين فى جنة الله الخالدة. كَمَا فُعلَ بأَشْيَاعهم مّن قَبْلُ ـ بأمثالهم من كفار الأمم السابقة. إنَّهُمْ كَانُوا في شَكٍّ مُّريبٍ.

سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾

الْحَمْدُ للَّه فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ـ فكيف تنصرفون عنه وتكذبون رسالته. وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ـ الغَرُورُ هو الشيطان. إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ ـ متبعيه. لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ـ جهنم. الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ـ الكفر والفساد. فَرَآهُ حَسَنًا ـ كمن آمن بالله واتبع شريعته؟! كلا. فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ـ هو أعلم بخفايا النفوس. فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ ـ على الكافرين من قومك. حَسَرَاتٍ ـ أحزان. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ـ البعث من القبور فى يوم القيامة. مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ ـ الكرامة. فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ـ فى الدنيا والآخرة وتدوم على المؤمنين كرامتهم ما داوموا على طاعة الله. إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ـ الإيمان والشهادة والتسبيح والذكر والدعاء. وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ـ يرفع صاحبه درجات. وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ـ يخسر.

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ ﴾

وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ـ خلق آدم. ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ـ نسل آدم (عدا حواء لم تأت من نطفة وكذلك المسيح بن مريم). ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ ـ يطول عمره فى الحياة. وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ ـ فى علم الله. إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ ـ وما يمتزج ماء البحرين، النهر والبحر بالرغم من التقائهما. هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ ـ من ناحية. وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ـ من الناحية الأخرى. وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ـ الأسماك النهرية والبحرية. وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ـ كاللؤلؤ والمرجان والأصداف. وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ـ تشق الماء وتسير فى اتجاهات مختلفة ولا تسلم من المخاطر إلا بإذن الله. لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى ـ لوقت محدد معلوم. ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ـ غشاء رقيق على نواة البلح. إِن تَدْعُوهُمْ ـ الأصنام الذين أشركتموهم مع الله فهم. لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا ـ ولو افترضتم أنهم يسمعون. مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ـ تنطق الأصنام بإذن ربها لتتبرأ منكم، فهى حجارة لاحول لها ولا قوة. وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ـ والله هو الخبير بجميع مخلوقاته. يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ * وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ(*) ـ لا تحمل نفس من ذنوب أخرى شيئًا فتخفف عنها. وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا ـ إن تدع نفس مثقلة بالذنوب أحدًا ليحمل من ذنوبها. لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ـ المدعو. ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ ـ تطهر. فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ ـ عن الحق. وَالْبَصِيرُ * وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ.

(*) إذا كان من يفعل خيرًا ذا أثر مستمر، كالمعلم، يجنى خيرًا ولو بعد مماته، فإن من يفعل شرًا ذا أثر مستمر يظل يجنى أثر ذلك الشر ويتراكم فى حسابه ولو بعد مماته. كالذى يضلل الناس عمدًا فيدفعهم إلى الكفر، فكل من تبعه يسأل عن كفره وذنوبه لأنه تبعه حرًا مختارًا، والمضلل يسأل عن الضلال الذى وقع فيه التابعون لأنه من آثار عمله التضليلى، فهو قد زرع ونتاج الزرع سببه الزارع.

أما إذا تاب توبة صادقة ورجع عن أعماله التضليلية واتجه إلى الهدى، فإن التوبة تسقط عنه ذنوبه وآثارها التى كان ينبغى أن يجنيها مع الأجيال، وذلك من قبيل رحمة الله وغفرانه.

﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

وَلا الظِّلُّ ـ أى لطف المناخ فى الجنة. وَلا الْحَرُورُ ـ نار جهنم. وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ ـ الأنفس الحية بالإيمان. وَلا الأَمْوَاتُ ـ الأنفس المطموسة بالكفر. إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ـ يهدى من يشاء. وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ـ من كانت ضمائرهم غارقة فى ظلمات أنفسهم. إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا ـ كان. فِيهَا نَذِيرٌ.

* وَإِن يُكَذِّبُوكَ ـ فلا تحزن. فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ـ رسالات من عند الله نزلت على رسل سابقين. ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ـ بالعقاب. فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ـ نكرانى لكفرهم؟!. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ـ وكلها تسقى من ماء واحد. وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ ـ طرق ممهدة. بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا ـ بلون حجارة الجبل. وَغَرَابِيبُ سُودٌ ـ وصخور شديدة السواد. وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ـ الذين يتأملون فى خلق الله وينظرون فيما أنعم الله عليهم من خيرات. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ـ الإيمان مع العمل الصالح هو التجارة الرابحة. لِيُوَفِّيَهُمْ ـ الله. أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ * وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ـ القرآن. هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ـ لما فيه من آيات. إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ـ القرآن والسنة وعلوم الدين. الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ـ الأمم المسلمة. فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ـ بالمعاصى. وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ـ مؤمن معتدل فى سلوكه، يعمل وفقًا لشرع الله. وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ـ متقدم فى درجات الإيمان يعمل الخيرات ولا يبالى بأمور الدنيا، كل ذلك. بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ـ الضنك وضيق الحياة الدنيا، فكلها شقاء وكدح. إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ ـ دار الخلود فى النعيم. مِن فَضْلِهِ ـ وكرمه. لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ـ لا نشقى فيها. وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ـ ولا نتعب.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾

والَّذين كفروا لهم نارُ جهنم لا يُقْضىٰ عليهم فيموتوا ولا يُخفَّفُ عنهُم من عذابها كذلك نجزي كُلَّ كفور * وهم يصطرخون - يستغيثون. فيها ربَّنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كُنَّا نعمل أو لم نُعمِّركُم - في الدنيا ونصحنا لكم من المواعظ. مَّا يتذكَّرُ فيه من تذكَّر وجاءكُمُ النَّذيرُ - الرسول أو الدعاة بعد عصر الرسول. فذوقوا فما للظَّالمين من نَّصير.

* إنَّ اللهَ عالمُ غيب السَّموات والأرض إنَّهُ عليمٌ بذات الصُّدُور * هُوَ الَّذي جعلكُم خلائف في الأرض - أممًا يخلف بعضها بعضًا. فمن كفر فعليه كُفرُهُ ولا يزيدُ الكافرين كُفرُهم عند ربهم إلاَّ مقتاً ولا يزيدُ الكافرين كفرُهُم إلاَّ خسارًا * قُلْ أرأيتُمْ شُركاءكُمُ الَّذين تدعُون من دُون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهُمْ شركٌ - نصيب من الملك. في السَّموات أمْ آتيناهُمْ كتابًا - أم أنزلنا عليهم كتابا من السماء يقرهم على الشرك. فهُمْ علىٰ بيِّنة مِّنْهُ! بلْ إن يعدُ الظَّالمُون بعضُهُم بعْضًا إلاَّ غُرُورًا - زيفًا وخسارًا. إنَّ اللهَ يُمسكُ السَّموات والأرضَ أن تزُولا ولئن زالتَا - ما. أمْسكهُما منْ أحد منْ بعْده إنَّهُ كانَ حليمًا غفُورًا * وأقْسمُوا بالله جهْدَ أيمانهمْ - العرب من أهل مكة قبل بعثة محمد ﷺ. لئن جاءهُمْ نذيرٌ - رسول. ليَكُونُنَّ أهْدىٰ - أصدق. منْ إحْدى الأُمم - اليهود والنصارى والوثنيين من العرب، إذ كان لكل منهم شرعة مختلفة. فلمَّا جاءهُمْ - محمد ﷺ. نذيرٌ مَّا زادهُمْ - ذلك. إلاَّ نُفورًا * استكْبارًا في الأرْض ومكْرَ السَّيِّئ - ومكروا بالرسول وبمن آمن معه. ولا يحيقُ الْمكْرُ السَّيِّئُ إلاَّ بأهْله فهلْ ينظُرُونَ إلاَّ سُنَّتَ الأوَّلينَ - فهل يرون إلا أن أحوالهم كأحوال الناس في كل زمان بين مؤمن طيب وكافر خبيث. فلن تجدَ لسُنَّت الله تبْديلاً ولن تجدَ لسُنَّت الله تحْويلاً.

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥) ﴾

* أَوَ لَمْ يَسِيرُوا في الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ـ مصير. الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ـ عاقبهم الله على كفرهم. وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا * وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً.

---

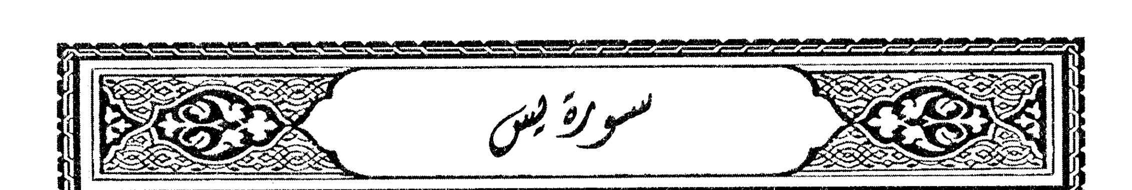
(١٤٤) **قضية:** ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ **[الآية: ٤٥].**

لو يؤاخذ الله الناس بذنوبهم فلن يترك مجالاً للحياة، لأن ابن آدم خطَّاء، والله غفور رحيم.

ولكن لماذا يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ ؟

لماذا لا يترك على الأرض بقية المخلوقات؟

ذلك لأن المخلوقات التي خلقها الله على الأرض جعلها لخدمة الحياة الإنسانية، سواء ما كان منها نافعًا أم ضارا، سواء ما وجد منها قبل وجود الإنسان أو بعده. فكلها تخدم الحياة الإنسانية، فتجعل الإنسان يستمتع تارة، ويقاوم ويجاهد تارة أخرى. فلو عاقب الله الإنسان بذنوبه قصاصًا من حياته، لم يتركه يحيى ولم يترك ما حوله حيًا على الأرض.



سورة يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

يسٓ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ـ قسم من الله بالقرآن. إِنَّكَ ـ يا محمد. لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ـ وإنك. عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ ـ أسلافهم من الأمم السابقة. فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ـ رؤوسهم متشنجة. وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ـ مانعًا. وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ ـ فأعميناهم. فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ * وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ(*) * إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ـ القرآن. وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ـ اللوح المحفوظ المسجل فيه جميع المخلوقات والأعمال. وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً ـ بما نوحى إليك من أخبار السابقين. أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ـ أنطاكية. إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ * قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ـ تشاءمنا منكم. لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم ـ المعنى: أتتشاءمون من التذكير بالله خالقكم؟. بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ـ مفرطون فى حق أنفسكم، إذ تعرضون أنفسكم إلى غضب الله وعذابه. وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ـ خلقنى. وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

(*) راجع القضية ٢.

﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾

* أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ - إذ أن هؤلاء المشركين يدعون الشركاء كوسطاء يحملون دعواتهم إلى الله. شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ - كان يشغلهم بالحوار معه حتى ينصرفوا عن قتل الرسل، فقتلوه. قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ * وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ - من بعد أن قتلوه. مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ - لعقابهم. وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ - عليهم جندًا ولا قوة لهم أمامنا. إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً - صاحها جبريل، عليه الصلاة والسلام. فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ * يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ - الأمم السابقة. أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ - لا يتأملون فى أحوال من سبقهم للاتعاظ. وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ - للحساب. وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ - ولم تصنعه ورأى ابن جرير أن «ما» هى الموصولة، أى ومما عملته أيديهم من خير فى الدنيا. أَفَلا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ - من مخلوقات الله الأخرى. وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا - تسبح مستقرة فى خط سيرها دون ارتجاج. ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.

---

(١٤٥) بيان : حساب الشهيد وجزاؤه [الآيات: ٢٥ - ٢٧].

﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ - فقتلوه - قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ :

ما بين موت الشهيد ولقاء الله فى الآخرة وتصفية حسابه، قدر يسير من الزمان، إذ الآية تخبر بأنه دخل الجنة ولم يمض وقت يذكر منذ أن قتله الناس، فقومه لا يزالون فى الدنيا، وهو يقول: ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾. هذا يعنى أن الشهيد فى سبيل الله يحاسب حسابًا خاصًا، ربما لا ينتظر إلى يوم الحساب، فقد يدخل الجنة بعد قتله مباشرة، أو بعد حساب كريم لا يستغرق زمنًا. ولا يصح أن يقال إن معنى ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾ هو وجبت لك الجنة فيستحقها بعد البعث، لأن ذلك لا يتفق مع قوله تعالى: ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. فأجسادهم التى كانت لهم فى دنياهم هى فى عداد الأموات، أما هم أنفسهم فأحياء عند ربهم يرزقون. هذا ما نراه والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾

* وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ـ أحوال القمر، ابتداء من الهلال إلى البدر إلى المحاق. حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ ـ فرع النخل اليابس الذى يتقوس طرفه. الْقَدِيمِ ـ البالى المصفر، وذلك كناية عن الهلال. لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ـ كل من هذه النجوم والكواكب يسبح فى مجال مستقل به. وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ـ ذرية آدم ونوح. فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ(*) * وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنقَذُونَ * إِلاَّ رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ـ خافوا من الله الذى أرسل إليكم الرسل. وَمَا خَلْفَكُمْ ـ واخشوا ما هو خلف موتكم من حساب. لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ـ بالزكاة والصدقات على الفقراء. قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ ـ وعد الحساب والقيامة والآخرة. إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ـ حيث ينفخ الملك "إسرافيل" فى الصور، وهى الصيحة الأولى، فيموت كل من كان حيًا على الأرض. تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ـ صيحة مفاجئة تأتيهم وهم منخرطون فى صراع الحياة ومسالكها. فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ـ كناية عن سرعة الموت إثر الصيحة. والمعنى أنهم لا يستطيعون اتباع ما تعارفوا عليه من توصية يوصى بها الميت عندما يشعر باقتراب أجله. وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ـ المرة الثانية. فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ * سَلامٌ قَوْلاً ـ تحية. مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ.

(*) إن ما يصنعه الإنسان هو أيضًا من خلق الله. ألا ترى أن ما ينتجه الروبوت أو الكمبيوتر هو من إنتاج الإنسان لأنه نتج عن اختراع قد اخترعه الإنسان. يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. وحين يقول الحق سبحانه وتعالى إنه خلق الفلك ومثلها وهى مراكب صنعها الإنسان فهى تعتبر أيضًا من خلق الله، وكذلك كل ما اخترعه الإنسان من طائرات وقطارات...إلخ فكل ما هو على الأرض من خلق الله، لأنه هو الذى خلق المخلوق الذى أبدع واخترع.

﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

* وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ـ يقول الله تعالى مذكرًا الإنسان: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ ـ خلقًا. كَثِيرًا ـ من قبلكم وعلمتم بالعذاب الذى حل بهم. أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ ـ نخرس ألسنتهم. وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ ـ ولو نشاء لعاقبناهم فى الدنيا فمحونا أبصارهم. فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ـ فمشوا فى حياتهم يتخبطون. وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ـ لأهلكناهم فى مكانهم بظلمهم دون إمهال. فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ * وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ـ ومن يزداد عمرًا فى الدنيا نضعف من قوته مع الكبر. أَفَلا يَعْقِلُونَ * وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ـ وما أنزلنا على الرسول شعرًا. وَمَا يَنبَغِي لَهُ ـ وما ينبغى للرسول أن يكون شاعرًا. إِنْ هُوَ إِلاَّ ـ حامل رسالة من ربه. ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ـ من كان ضميره سليمًا. وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ * أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ـ أخرى كحرث الأرض وسقى الزرع. وَمَشَارِبُ ـ يشربون ألبانها. أَفَلا يَشْكُرُونَ * وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ـ ظنًا منهم أنهم يفوزون على المؤمنين. لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ ـ لا يستطيع الشركاء الذين أشركوهم مع الله أن ينصروهم. وَهُمْ ـ الكافرون. لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ * فَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ ـ عندما يشتد. خَصِيمٌ مُّبِينٌ ـ لربه الذى أنشأه ونمّاه وحافظ له على الحياة. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

سورة الصافات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

وَالصَّافَّاتِ ـ الملائكة الماثلات. صَفًّا ـ فى طاعة أوامر الله. فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ـ اللاتى يوجهن السحاب فى مختلف الأرجاء بإذن الله. فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ـ المسبحات بتلاوة كلام الله وحمده. إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ـ الأرجاء المشرقة بالنور. إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ـ كى. لا يَسَّمَّعُونَ ـ لا يتنصتون. إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ـ عندما يحاولون التنصت. دُحُورًا ـ مطرودين ومبعدين عن السماء. وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ـ خالص. إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ ـ وحتى أشدهم قوة وأسرعهم حركة إذا اعتقد أنه سيخطف ما يريد خطفًا. فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ـ شهاب ينفذ فيه فيحرقه. فَاسْتَفْتِهِمْ ـ اسأل أهل مكة. أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ـ أهم أقوى من مخلوقاتنا هذه التى ذكرناها! إِنَّا خَلَقْنَاهُم ـ الناس. مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ ـ لزج. بَلْ عَجِبْتَ ـ يا محمد من كفرهم بالله. وَيَسْخَرُونَ ـ منك وممن اتبعك من المؤمنين. وَإِذَا ذُكِّرُوا ـ بالموعظة والوعيد. لا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ـ يتعمدون السخرية منها. وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ * قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ـ صاغرون. فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ ـ صيحة. وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ * وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ـ من الكفار. وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ ـ من هؤلاء الذين ارتضوا أن يعبدهم الناس مثل فرعون. فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ـ عن كفرهم بالله.

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ ـ لم لا تتآزرون كما كنتم تفعلون فى الدنيا فى مواجهة رسول الله والمؤمنين!. بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا ـ قال التابعون لزعمائهم. إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ـ فتوهمونا بأن رسول الله كاذب أو ساحر أو مجنون. قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ـ أى أطعتمونا لأنكم أحببتم الكفر على الإيمان. وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ـ متعالين على الحق ظالمين مثلنا. فَحَقَّ عَلَيْنَا ـ كلنا. قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ـ العذاب. فَأَغْوَيْنَاكُمْ؟ ـ كلا. إِنَّا كُنَّا ـ جميعًا. غَاوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَٰهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ * بَلْ ـ هو رسول الله. جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ـ الذين بعثهم الله إلى أمم مضت. إِنَّكُمْ ـ أيها الناس من جميع الأمم. لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ـ خمر الآخرة وهى جارية لا تنقطع. بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لا فِيهَا غَوْلٌ ـ لا أثر لها من ضرر. وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ـ ولا يغيب وعيهم بسببها. وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ـ لا ينظرن إلى غير أزواجهن فى الجنة، وأعينهن واسعة من فرط الجمال. كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ـ وديعات كالبيض فى حضن الطير. فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ـ عن ماضيهم فى الدنيا. قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ـ صاحب من الكافرين. يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ـ لمحاسبون!. قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ـ معى إلى النار لننظر حال هذا القرين. فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ـ كدت أن أهلك معك لو أطعتك فى الدنيا. وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ـ العذاب معك.

ـ يقول المؤمن من فرحته: أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَىٰ ـ وقد ذقناها فى الدنيا. وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ـ ولن نذوق بعدئذ ألمًا من أى صنف. إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ـ فى الدنيا.

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

* أذلك خير نُزُلاً أم شجرة الزَّقُّوم - إذ قال الكافرون كيف تكون فى النار شجرة، والنار تأكل الشجر. إنَّا جعلْناها فتْنةً - عذابًا. للظَّالمين * إنَّها شجرةٌ تخْرجُ في أصْلِ الْجَحيم * طَلْعُهَا - ثمارها. كأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّياطين - رؤوس الأفاعى وهو وصف للتشيع. فإنَّهُمْ لآكلونَ منها فمالئُونَ منها الْبُطُونَ * ثُمَّ إنَّ لهُمْ عليْها لشوْبًا مّنْ حَميم - شرابا حارًا. ثُمَّ إنَّ مرْجعهُمْ لإلى الْجَحيم * إنَّهُمْ ألفوْا آباءَهُمْ ضالّين * فهُمْ علىٰ آثارهمْ يُهْرعُونَ * ولقدْ ضلَّ قبْلهُمْ أكْثرُ الأوَّلين * ولقدْ أرسلْنا فيهم مُنذرين * فانظرْ كيْف كان عاقبةُ الْمُنذرين - فى جهنم. إلاَّ عباد اللَّه الْمُخْلَصين * ولقدْ نادانا نُوحٌ - قال: ربِّ إنى مغلوب فانتصر لى. فلنعْم الْمُجيبُون - الله جل علاه بأمره وحده والمنفذون لأمره من الملائكة. ونَجَّيْناهُ وأهْلهُ من الْكرْب الْعظيم * وجعلْنا ذُرّيَّتهُ هُمُ الْباقين * وتركْنا عليْه - ثناء وسيرة حسنة. في الآخرين - فيمن بعده من الرسل والرسالات. سلامٌ علىٰ نُوحٍ في الْعالمين * إنَّا كذلك نجْزي الْمُحْسنين * إنَّهُ منْ عبادنا الْمُؤْمنين * ثُمَّ أغْرقْنا الآخرين * وإنَّ من شيعته - الأنبياء إخوة فى شرف النبوة. لإبْراهيم * إذْ جاء ربَّهُ بقلْب سليم * إذْ قال لأبيه وقومه ماذا تعْبُدُونَ * أئفْكًا آلهةً دُون اللَّه تُريدُون * فما ظنُّكُم بربّ الْعالمين * فنظر نظْرةً في النُّجُوم - وكان قومه أهل تنجيم فأوهمهم أنه يجاريهم فى مناجاة النجوم حتى يصدقوا ادعاءه بأنه مريض. فقال إنّي سقيمٌ - مريض، حتى يتركوه خوفًا من العدوى. فتولَّوْا عنْهُ مُدْبرين - تركوه وذهبوا لعيد لهم. فراغ إلىٰ آلهتهمْ فقال ألا تأْكُلُون * ما لكُمْ لا تنطقُون * فراغ عليْهمْ ضرْبًا باليمين * فأقْبلُوا إليْه - أقبل القوم. يزفُّون - يزدحمون على إبراهيم الذى دمر آلهتهم. قال - إبراهيم. أتعْبُدُون ما تنْحتُون * واللَّهُ خلقكُمْ وما تعْملُون.

(١٤٦) **قضية:** ﴿ واللَّهُ خلقكُمْ وما تعْملُون ﴾ [الآية: ٩٦].

- إذا كان الإنسان صنع الحاسوب ليؤدى له وظائف معينة، فإن كل ما يؤديه الحاسوب هو من صنع الإنسان.
- الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليؤدى أعمالاً معينة، فكل ما يؤديه الإنسان هو من خلق الله.
- وضع الإنسان للحاسوب برامج ليؤدى وظائفه بطريقة سليمة.
- وضع الله للإنسان شرعًا ووالاه برسالات من السماء ليؤدى أعماله على الوجه الصحيح. والشرع يعلم الإنسان كيف يدعو الله عند الشدائد، ويستعين بالتقوى على المصاعب، والله دائمًا إلى جانب من يعمل صالحًا ويدعو الله ويعبده.

﴿ قَالُوا ٱبْنُوا لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾

* قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا ـ فيه نار. فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ ـ المهزومين. وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي ـ ذرية. مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ ـ ابنه. مَعَهُ السَّعْيَ ـ أى بلغ رشده. قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ـ رؤيا الأنبياء أمر من الله تعالى. سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا ـ أسلما أمرهما إلى الله. وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ـ وضع إبراهيم جبين ابنه على الأرض ليذبحه. وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ـ قد أطعت أمرنا لك فى الرؤيا. إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ ـ الامتحان الواضح لصدق الإيمان فى أعلى درجاته عند الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام. وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ـ كبش يذبحه بدلاً عن ابنه.

➡ ـ إذا أخطأ الحاسوب فإن الإنسان يتدخل لإصلاح ما أصابه من عطل أو فيروس.

ـ إذا أخطأ الإنسان عن غير عمد فإن الله قد أعطاه ضميراً لعلاج ما نتج عن خطئه، والله قريب منه يواليه بالمغفرة والتذكرة، وكل ذلك مبيَّنٌ فى الشرع، فإذا أصابه جنون فالتكليف مرفوع عنه منذ إصابته بالجنون، أو يرفع عنه مطلقًا إذا كان معوقًا عقليًا.

ـ هل يخطئ الحاسوب عن عمد ؟ كلا، لأن الحاسوب آلة صماء ليس لها عقل ولا ضمير، ولو كان كذلك، لعاقبه الإنسان على خطئه العمد، لأن الإنسان لم يصنعه ويبرمجه ليغالطه فى النتائج.

ـ الإنسان يخطئ عن عمد لأن له عقل وضمير، فهو مسؤول. وعندما يخرج عن الشرع الذى وضعه الله له، فهو يستحق العقاب. فإذا أصلح نفسه فالله غفور رحيم يقبل التوبة من عباده. ولا تعتبر من قبيل إصلاح النفس التوبة عند حضور الموت، لأنها ليست توبة، وإنما هى خضوع قهرى أمام اليقين الحاضر.

- **النتيجة:**

ـ كل ما ينتجه الحاسوب، سواء كان صوابًا أو خطأً، هو من صنع الإنسان.

ـ كل ما يعمله الإنسان، من خير أو شر هو من خلق الله، ولقد خلق الله الإنسان فى محنة، وتحمل الإنسان بالمسؤولية طواعية. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾ [الأحزاب: ٧٢]. لذلك فإن الخير يرضى الله لأنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان لهذا. والشر لا يرضيه لأنه لم يخلقه لهذا، وإنما يأتى الإنسان بالشر خيانةً للأمانة.

هذه مقارنة تقريبية أوردناها على سبيل المجاز لكى يتمكن القارئ من فهم هذه الآية ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. ولكن الله سبحانه وتعالى هو العدل، وهو منزه عن التشبيه. وكل ما على الأرض ومن حولها، بل الكون كله من صنعه سبحانه وتعالى. والإنسان لا ولن يستطيع خلق أى شيء(*).

(*) راجع القضية رقم ٦٤.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

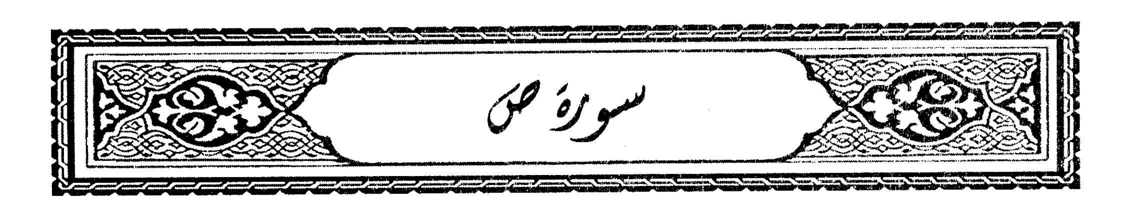
* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ - ثناء. فِي الآخِرِينَ - فيمن بعده من الرسل والرسالات. سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ(*) * وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ - جيش فرعون وجنوده. وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ - التوراة. وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا - ثناء فِي الآخِرِينَ - فيمن بعدهما من الرسل والرسالات. سَلامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ.

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلاً - اسم صنم يعبدونه. وَتَذَرُونَ - تتركون وتكفرون بـ. أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ - إلى العذاب. إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ - الذين آمنوا بالله وحده لا شريك له وبرسله ورسالاته. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ - ثناء. فِي الآخِرِينَ - فيمن بعده من الرسل والرسالات. سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ - هو إلياس واسمه أيضًا إلياسين. إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ - هي امرأته وكانت كافرة. ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ * وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ - تمرون على آثار مدنهم وقراهم ترونها في نهار أسفاركم. وَبِاللَّيْلِ - أيضًا، إذا تعمدتم الاقتراب منها. أَفَلا تَعْقِلُونَ * وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ - لجأ. إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ - رحل عن قومه لكفرهم بالله، من قبل أن يأذن الله له في ذلك. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ - اقترعوا على ركاب السفينة إذ رأوا أن الرياح الخطرة في غير أوانها لا تكون إلا لشؤم عالق بأحد الراكبين، فوقعت القرعة على يونس فألقوه (أو ألقى بنفسه) في البحر. فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ - عليه لوم. فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ - كان يسبح مستغفرًا: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين». لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ - في بطن الحوت حيًّا. إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

(*) هذه الآية الحكيمة تبين أن الله سبحانه وتعالى لا يميز جنسًا على جنس ولا ذرية على ذرية، ولو كانت ذرية الأنبياء، وليس لبني إسرائيل منزلة عند الله إلا من آمن منهم وعمل صالحًا، وهم وغيرهم منذ الرسالة الخاتمة مطالبون بالإيمان وفقًا للإسلام.

﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

* فَنَبَذْنَاهُ - فنبذه الحوت بأمرنا. بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ - على شاطئ البحر مريضًا. وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ - لأجله. شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ - هو القرع وهو نبات ورقه عريض ليستتر به. وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا - بعد رؤية علامات عقاب الله. فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ - إلى آجالهم المقدرة، ولم نهلكهم بالعقاب الذى لوحنا لهم بعلاماته. فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ - كانوا يقولون الملائكة بنات الله، فى حين أنهم يستنكفون من البنات ويفخرون بالبنين. أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ - افترائهم. لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ - حجة واضحة ودليل. فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا - الجنة عند غالب المفسرين هم الملائكة، سموا كذلك لاجتنانهم فهم لا يُرون أو لأنهم خُزَّان على الجنة. والذين ادعوا أن الملائكة بنات الله هم: سليم وخزاعة وجهينة. وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ - أن الكاذبين. لَمُحْضَرُونَ - العذاب. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ - أى المؤمنين، يحضرون فى النعيم. فَإِنَّكُمْ - أيها المشركون. وَمَا تَعْبُدُونَ - من دون الله و. مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ - قدرتكم على المكر والضلال لا تصيب. إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ - لكفر واقع فى نفسه. وَمَا مِنَّا - نحن الملائكة. إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ - كل ملك له مكانة عند ربه وعمل يؤديه. وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ - الماثلون لأوامر الله. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ - بحمده. وَإِن كَانُوا - كفار مكة. لَيَقُولُونَ - قبل بعثة محمد. لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ - كتابًا من الرسل السابقين، مثل النصارى واليهود يرثون الكتب من أسلافهم. لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ - فلما نزل الوحى بالقرآن على محمد. فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ - إلى أن ننصرك عليهم. وَأَبْصِرْهُمْ - ولاحظهم. فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ - يرون بجلاء صدق وعد الله لرسوله. أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ - ببلدهم كما نزل بأمم سابقة مثل قوم لوط وعاد وثمود، فسيكون فيه هلاكهم. فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ - حتى النصر وفتح مكة، وإلى حين رؤيتهم فى الآخرة. وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾

صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ - فى تكبر وغرور. وَشِقَاقٍ - مع رسول الله. كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ - انظروا فى هلاك أمم كفروا برسالات الله. فَنَادَوْا - وقت نزول العذاب. وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ - ألا فرار من عذاب الله. وَعَجِبُوا - أهل مكة. أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ - رسول. مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا - استمروا ماضين فى عبادة الأصنام. وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا - أى الإسلام. لَشَيْءٌ يُرَادُ - دين يسعى إلى إعلاء محمد والحط من مكانتنا. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ - فى دين غير هذا. إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ - كذب. أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا - أخصه الله بالنبوة من دوننا، لماذا لم ينزل القرآن على أحد من كبراء قومنا؟. بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل - سيُصدِّقون. لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ * أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ - فليعلوا آخذين بما لديهم من وسائل. جُندٌ مَّا - هم كأى جند. هُنَالِكَ - فى ساحة الصراع. مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ - من تلك الأمم الضالة عن طريق الله. كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ * إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ * وَمَا يَنظُرُ - وما ينتظر. هَؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً - صيحة البعث، حيث ينفخ الملك إسرافيل فى الصور. مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ - لا تنقطع حتى يبعث الخلق جميعًا. وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا - إن كان ما جاء به محمد حقا فعجل لنا العذاب. قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ * اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ - ولا تتعجل بالدعاء عليهم فكثير منهم سيؤمن بالله ويكون لك عونًا. وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ - سيكون فضلك عليهم مثل فضل داوود على قومه الذين اتبعوه وكانوا كثرة. إِنَّهُ أَوَّابٌ - كان كثير الذكر لله.

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾

* إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ ـ للّه. بالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ـ صبحًا ومساء. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ـ تحت إمرته. كُلٌّ لَهُ ـ للّه. أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا ـ قوينا. مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ـ لم يؤذن لهم فى الدخول على داود لانشغاله بالعبادة، فاجتازوا سور المسجد. إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ.

إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ـ اشركها مع نعاجى. وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ـ وساق من الحجج ما أعجزنى عن إقناعه بالرجوع عن ذلك. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ ـ الشركاء. لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ـ علم أن الله اختبره بهذه القضية التى تبدو بسيطة. ونظن أن فتنته كانت فى قوله: ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ﴾ قبل أن يستمع إلى الخصم الآخر. فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ.

(١٤٧) قضية: تكريم الرسل والأنبياء وعصمتهم من تعمد الخطأ [الآيات: ٢٤-٤٧].

إن الرسل، صلى الله عليهم، هم صفوة الخلق وأعلاهم منزلة وكرامة عند خالقهم، وهم بشر يبلغون رسالات الله إلى الناس.

إنهم جميعًا معصومون من الخطأ فيما يُبَلِّغون من الرسالة، وإن وردت روايات منسوبة إلى أى رسول وبها ما ينفر منه العقل والضمير السليم، فإنها تكون كاذبة من وضع الناس. ولقد وقع الكذب والتحريف كثيرا فى الرسالات قبل القرآن، لأن المجتمعات القديمة لم تكن تعتمد على تداول المدونات بقدر ما كانت تعتمد على حفظ الروايات شفاهة. وحتى يسهل على الناس حفظ أحكام الدين وإرشاداته، كانت تصاغ الروايات فى صياغات أدبية مبسطة.

أما الإسلام باعتباره رسالة خاتمة، فقد اهتم رسوله محمد ﷺ بتنوير أمته لتعتمد على القراءة والكتابة بالتوازى مع الحفظ الشفوى لنص القرآن. وحتى الحفظ الشفوى لنص القرآن جاء ميسورا بفضل الله، فالقرآن بليغ وعميق ومبسط فى آن واحد، وسوره مقسمة إلى آيات ليست طويلة، ولم يلزم الله المسلم أن يحفظه كله بتمامه، وإنما يكفيه أن يحفظ منه ما يعينه على صلاته وعبادته.

وواصل الصحابة سنة الرسول محمد ﷺ فى دفع الأمة إلى تعلم القراءة من الكتب والكتابة على الصحف. كل ذلك فى عهد قديم لم تكن الطباعة قد عرفت بعد. لذلك لا تجد فى القرآن أخطاءً فى النقل الكتابى، وكذلك الحفظ الشفاهى يعتمد على المراجعة المستمرة على المصاحف المكتوبة (والمطبوعة فى عصرنا).

كذلك تمتد عصمة الرسل إلى أخلاقهم، فهم أعلى الناس قدراً فى الأخلاق الكريمة، وهم قدوة المجتمعات والأجيال.

وفى سلوكهم الشخصى وتقديراتهم العقلية، بعيداً عن الوحى، نجدهم غير معصومين من الخطأ، وإنما هم معصومون من تعمده، وكثير من النصوص التى نقلت إلينا تفيد هذا المعنى.

﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٢٥ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝٢٦ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۝٢٨ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٣٥ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ ﴾

* فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلكَ وَإِنَّ لَهُ عندَنَا لَزُلْفَىٰ ـ مكانة قريبة. وَحُسْنَ مَآبٍ ـ وحسن منقلب فى الجنة. يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَليفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ ـ فهو يدفع إلى الفساد. فَيُضلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ * وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ـ عبثًا. ذَلكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ـ يظنون أن خلق السماء والأرض كان عرضًا، أو بانسياق الطبيعة. فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ـ فى الميزان. كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ * كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ـ القرآن الكريم. لِّيَدَّبَّرُوا ـ ليتفكروا فى. آيَاتِهِ ـ وليسترشدوا بها. وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ـ أصحاب العقول الراجحة. وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ـ دائم الذكر والتسبيح لله. إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ ـ العصر. الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ـ أجود الخيول. فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي ـ انشغلت بالنعم، أى بتفقد الخيل واستعراضها، عن ذكر الله. حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ـ حتى غابت الشمس فضيعتُ صلاة آخر النهار. رُدُّوهَا عَلَيَّ ـ أعيدوا الخيل إلىّ (كانت طليقة فى عرض للقوة والعتاد). فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ ـ فى كلام العرب، مسح بالسيف أى ذَبَحَ. فذبح سليمان الخيل، يضرب بالسيف ضربة فى الساق للتثبيت ثم ضربة فى العنق. ولا يقال إن سليمان عاقب الخيل، لأن ذبح ما يؤكل لحمه جائز فى أى وقت شاء مالكه، وقد ذبحها ليتخلص منها عقابًا لنفسه هو، ثم فَرَّقَ لحومها قربانًا لله(*). وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ـ قيل فى ذلك العديد من الأقوال، والذى نختاره هو: وألقيناه على كرسيه ضعيفًا بلا حراك، أى فتنه الله بالمرض. ثُمَّ أَنَابَ ـ ظل يذكر الله منيبًا إليه. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ـ طلب مُلكًا عريضًا كى لا تلهيه العناية بتنمية قوته عن عبادة ربه. إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً ـ سريعة ولطيفة، لا خطرة ولا مزعجة. حَيْثُ أَصَابَ ـ إلى حيث قَصَدَ.

(*) هذا ما اخترناه من أقوال المفسرين، ونفضله على ما قيل: إنه مسح بيده عليها. لأن ذلك القول لا يظهر معه الندم على فوات الصلاة. ولأنه طلب من الله بديلاً عن الخيل الصافنات الجياد ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ لأنها حسب ظننا لم يبق لها وجود عنده.

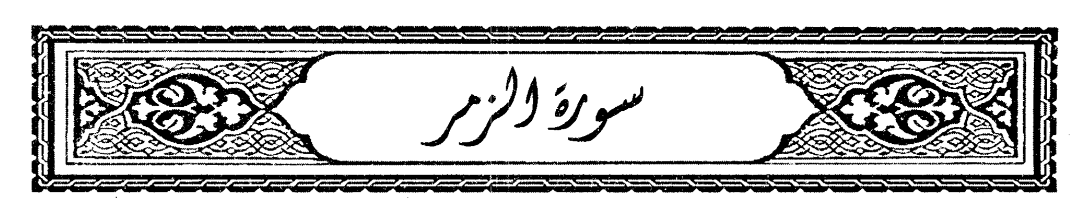
﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٠ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ۝٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝٤٤ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٧ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٨ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٤٩ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ۝٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝٥٤ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ۝٥٨ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ۝٥٩ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ۝٦٠ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ۝٦١ ﴾

وَالشَّيَاطِينَ ـ الجان. كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ـ منهم البَنَّاءُ والغَوَّاصُ فى البحار. وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ـ جعل الله لسليمان سلطانا على مردة الشياطين. هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ ـ بكرمك على من تشاء. أَوْ أَمْسِكْ ـ عن العطاء. بِغَيْرِ حِسَابٍ ـ لا نلومك على هذا أو ذاك لأننا نرى عدلك وصونك لما أنعمنا عليك. وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ ـ منزلة مقربة. وَحُسْنَ مَآبٍ * وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ـ بعد صبر على محنتـه التى فقد فيها أمواله وبنيه، ثم مرض مـرضا شديدا، فلما كاد ذلك المرض أن يطال قلبه الذى لا يتوقف عن ذكـر الله، دعا ربه. أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ـ برهق وأذى. ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ـ فى عين ماء. هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ ـ لطيف. وَشَرَابٌ ـ فيه شفاء لك. ووَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ ـ أولاده أنفسهم بأن أحياهم الله. وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ـ وآخرون بعددهم. رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا ـ حزمة من أعواد القش. فَاضْرِب بِّهِ ـ ضربة واحدة رمزية. وَلَا تَحْنَثْ ـ كان قد حـلف وهو فى مرضه أن يجلد امرأته مـائة جلدة عندما يقدر على ذلك، فلما شفى أمره الله بألا يحنث اليمين، ويكون أيضا رفيقًا بزوجته التى صبرت إلى جانبه وقت الشدة. إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي ـ الفضل والكرم. وَالأَبْصَارِ ـ النبوة والعلم. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ـ لا ينقطعون عن ذكـر الله وتذكر الآخرة. وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ * وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ * هَٰذَا ذِكْرٌ ـ حسن بأسمائهم ودائم بدوام القرآن المحفوظ. وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ـ حسناوات لا ينظرن إلا إلى أزواجهن. أَتْرَابٌ ـ قيل فى عمر الشباب وقيل مبـديات السرور الدائم ولا تـتملكهن الغيـرة. هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ * هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ـ شر منقلب. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ * هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ ـ العذاب. حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ ـ مثل ذلك العذاب. أَزْوَاجٌ ـ أضعاف. هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ ـ النار. مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ.

قَالُوا ـ قال التابعون لزعمائهم. بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ * قَالُوا ـ واصل التابعون قولهم بالدعاء. رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا ـ من أوصلنا إلى هذا، زعماؤنا الذين أضلونا فى الدنيا. فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ.

﴿ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾

* وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَىٰ رِجَالاً ـ كانوا في الدنيا مؤمنين و. كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا ـ سخرنا منهم في الدنيا. أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ ـ هل هم مفقودون الآن؟. إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * قُلْ هُوَ نَبَأٌ ـ شرع ودين. عَظِيمٌ ـ فيه نجاة المؤمنين، ومع ذلك. أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأِ الأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ـ ولم يكن لي علم بالملأ الأعلى حين كانوا يتحاورون عند بدء خلق الإنسان وقبل أن يُوحَى إلى هذا القرآن. إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ـ الاستفهام للتوبيخ. قَالَ ـ إبليس: أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ ـ الله: فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ ـ إبليس: رَبِّ فَأَنظِرْنِي ـ أمهلني. إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ ـ الله: فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ ـ إبليس: فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ ـ الله: فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ـ من الجن والإنس. أَجْمَعِينَ * قُلْ ـ يا محمد: مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ـ لست من الذين يعمدون إلى تأليف الكتب أو نظم الشعر حتى تنسبوا إِلَيَّ وضع هذا القرآن. إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ ـ صدق. نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ـ بعد فترة، سيسود هذا الدين فيكثر من يؤمن به ويقل عدد الكافرين.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ۝ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝ ﴾

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ - شركاء، وقالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ - يتخذونهم وسطاء بينهم وبين الله. إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ * لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لاَّصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى - لأجل معلوم عند الله والناس، هو حساب الأوقات والأيام. وأجل آخر معلوم عند الله وحده، وهو وقت نهايتهما. أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ - آدم. ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا - حواء أُخْرِجَتْ من آدم. وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ - ثمانية أزواج أُنْزِلَتْ أصولها إلى الأرض من جنة السماء، وغيرها من البهائم التى خلقها الله فى الأرض. يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ - تشكيلاً بعد تشكيل فى أطوار النمو فى الرحم. فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ - ظلمة غشاء الجنين وظلمة الرحم وظلمة البطن. ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ.

---

(١٤٨) دلالة علمية: ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ [الآية: ٥].

إن هذه الآية تدل على أن الله بكل شيء عليم، لأنه الخبير بمخلوقاته، وعلى أن محمدا، صلى الله عليه وسلم، صادق فيما يُبلِّغه من قرآن نزل من عند الله العزيز العليم. فعندما يصور الخالق أنه يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل، فإن ذلك يفيد أنهما بمثابة شيئين متعلقين بكرة. وإضافة عملية تكوير الليل إلى تكوير النهار بحرف الواو يعنى الفورية، فعملية الليل والنهار هى انسلاخ متتابع ومتلازم بين الظلمة والنور، وقد عبر الله عن هذا الانسلاخ بالتكوير لأنه يتم حول الأرض التى خلقها سبحانه وتعالى كروية.

هذه الآية عبرة، فكان الأوائل يسلمون بها كما هى، وهى واضحة من حيث اللغة. أما المؤمن المعاصر فيؤمن بها مع فهم كلمة التكوير وفقًا لما يعلمه من كروية الأرض، وما حولها من طبقات الجو والظلمات والنور فى غلاف مكور يحتويها.

﴿ إن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ۝ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝ ﴾

إن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ـ لا يستفيد الله من الناس شيئا. وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ـ لا يقبل من عباده الكفر. وَإِن تَشْكُرُوا ـ بالإيمان الصادق. يَرْضَهُ لَكُمْ ـ يقبل منكم ذلك الشكر وتلك الطاعة. وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ـ لا تحمل نفس ذنب أخرى. الوزر هو الذنب، وسميت النفس وازرة لأن من شيم عامة الناس ارتكاب المعاصي. ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ـ النوايا والأسرار. وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ـ مسلمًا إليه الأمر. ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ ـ بكشف الضر عنه وإعادة حاله إلى الطمأنينة. نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ـ نسي قدر الله. وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا ـ شركاء. لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ ـ لهذا الفريق من الناس: تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ * أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (*) ـ صفة الجهل تلحق بالكافر أيًا ما كان قدر ثقافته، لأن جهل الإنسان بخالقه هو عين الجهل. إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ.

(١٤٩) **قضية:** ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الآية: ٩].

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعل له عقلاً يفكر به، وضميرًا يحس بالحق. لذلك فإن الإنسان يتحصل على ضروب مختلفة من المعرفة ليستفيد منها، والفائدة الحقيقية لا تأتي إلا بتحكيم الضمير. وكل إبداعات الأفراد واختراعاتهم لا تأتي من فراغ، وإنما هي ثمار معارف اكتسبوها وتصرفوا فيها. ومنبع المعرفة الأساس هو الله العالم بكل شيء والذي لقن الإنسان الأول قدرًا من المعرفة، ثم نمت تلك المعرفة وتشعبت مع تكاثر الأمم. والذي ينكر أن أصل العلم والمعرفة هو الخالق سبحانه وتعالى مثله كمثل الذي ينكر أن الكومبيوتر يستقي معرفته وقدراته من الإنسان، فالإنسان هو الرقيب عليه، فإذا أصابه عطل أو فيروس، فلم يستجب لرقابة وتوجيهات صانعه، فلا تكون له قيمة تذكر، بل قد يضطر الإنسان إلى عزله تمامًا أو تدميره حتى لا يفسد بقية البرامج في شبكة المعلومات.

إن صانع الكومبيوتر هو الإنسان، وقد وضع فيه إمكانية البحث عن معلومة داخل خضم هائل من المعلومات المخزونة. فعندما يبحث الكومبيوتر، فإنك تقول: إن الإنسان يبحث عن كذا بواسطة الكومبيوتر، فإذا اختلت إمكانات البحث في الكومبيوتر أو دخله فيروس، فإنك تقول إنه غير صالح، ذلك لأن الإنسان لم يصنعه ليجول عشوائيًا وسط المعلومات المختزنة. وكذلك الله سبحانه وتعالى، أودع في الإنسان عقلاً وضميرًا لحكمة يريدها هو ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فإذا انقطع الإنسان عن شرع ربه، يقول الله إنه فسد. والفرق بين الكومبيوتر والإنسان هو أن الكومبيوتر لا إرادة له، لذلك فإنك حين تصلحه لا يعترض عليك لأنه آلة صماء، كما أنك لا تلقي عليه لوما على الفساد. ⬅

(*) من خصائص العلم القرآني، وجوب اقترانه بالعمل الصالح، وأنه يقرب من الله ويورث الاستقامة والصلاح والخوف من الله. واقتران العلم بالعمل ينعكس على أعمال الفرد بالبركة، فيجعلها الله مؤثرة بالخير والنفع للمؤمن ولمن حوله من الناس. والعلم يسبق العمل، لأنه ما من عاقل يعمل إلا وفقًا لتصور مسبق من العلم النظري.

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾

* قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ـ فإن. لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ـ فلا عذر لأحد يبرر له الكفر والضلال، فإذا كان دافع الضعيف إلى الكفر هو الخوف والقهر، فليهاجر إلى مكان يعبد الله فيه آمنا على نفسه. إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ * قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ـ أي أكون أسبق القوم إلى الإيمان، فالرسول أول الناس من قومه علما بالشرع إذ هو يتلقاه من الله ليبلغه إلى قومه. قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ أهليهم هنا بمعنى الذين اتبعوهم، أما المؤمنون من أسر الكافرين فليسوا من أهليهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦]. أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ ـ إنذار. يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ * وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ ـ كل ضروب الكفر والشرك بالله. أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ـ وأحسن القول هو شرع الله سبحانه وتعالى. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ.

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ـ ليس بيدك أن تجعل الكافر مؤمنًا، ولكن عليك البلاغ. لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ ـ درجات ومقام كريم في الجنة. مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ـ قصور. تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ـ أصنافه كثيرة. ثُمَّ يَهِيجُ ـ ييبس بعد كمال نضجه. فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ـ هشيمًا محطمًا، ذلك هو موت النبات. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ.

➡ أما الإنسان حين يفسد، فإنه يفسد بإرادته، والله يتدخل لإصلاحه بدعوته إلى المنهج القويم ويهيء له سبل الصلاح، دون أن يلغي إرادته وحريته في الاختيار بين الطاعة أو التمرد مع تحمل المسؤولية عن ذلك الاختيار.

لذلك لا يستوي الذين يعلمون بالطريق القويم، وهم المؤمنون المرتبطون بالله، مع الكافرين المتمردين على شرع الله.

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

* أفمن شرح اللَّهُ صدْرَهُ للإسْلام فهُوَ علَىٰ نُورٍ من ربِّه فويْلٌ لِّلْقاسية قُلُوبُهُم مّن ذكْرِ اللَّه ـ أصحاب القلوب العنيدة المكابرة، ينفرون من ذكر الله. أُولَئكَ في ضلال مُّبين * اللَّهُ نَزَّلَ أحْسَنَ الْحَديث ـ هو القرآن، وسمى حديثًا لأنه يخاطب الناس. كتابًا مُّتَشابهًا ـ قرآنًا يشبه بعضه بعضًا من نسق واحد لا يشوبه التناقض، ويشبه كلام الناس فقد نزل على الرسول بلغته ولغة قومه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إلاَّ بلسَان قَوْمه ليُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]. ولكنه فريد فى أسلوبه وبلاغته ونظم معانيه، ليس بشعر ولا نثر ولا سجع، بل هو قرآن مجيد. مَّثَانيَ ـ يُثَنَّى المواعظ ويعددها فى مختلف المواضع، وهو مثانى أيضًا باعتباره ثنائى الخطاب، يبشر المؤمنين وينذر الكافرين. تَقْشَعرُّ منْهُ جُلُودُ الَّذينَ يَخْشَوْنَ ربَّهُمْ ثُمَّ تلينُ جُلُودُهُمْ وقُلُوبُهُمْ إلَىٰ ذكْرِ اللَّه ذَلكَ هُدَى اللَّه يَهْدي به مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلل اللَّهُ فَمَا لَهُ منْ هَاد * أفَمَن يَتَّقي بوَجْهه سُوءَ الْعَذَاب يَوْمَ الْقيَامَة ـ كمن هو متمرد على الله. وَقيلَ للظَّالمينَ ـ عند الحساب. ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسبُونَ * كَذَّبَ الَّذينَ من قَبْلهمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ منْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ * فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخزْيَ في الْحَيَاة الدُّنْيَا ـ بالعقاب على الكفر. ولَعَذَابُ الآخرَة أكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ ضَرَبْنَا للنَّاس في هَذَا الْقُرْآن من كُلّ مَثَلٍ ـ يرشدهم إلى الحق ويهديهم إلى سبيل الرشاد. لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبيًّا غَيْرَ ذي عوَجٍ ـ لا تناقض فيه. لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً ـ عبدًا. فيه شُرَكَاءُ ـ يملكونه على الشيوع بينهم. مُتَشَاكسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ ـ وعبدًا مملوكًا لسيد واحد. هَلْ يَسْتَويَان مَثَلاً ـ هل يستوى العبدان فى الطمأنينة والسكينة، وهكذا لو أن الله خالق المخلوقات له شركاء فى ملكه، لما نعم الناس بالاستقرار والأمن. الْحَمْدُ للَّه بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ـ لا يتأملون. إنَّكَ مَيّتٌ وَإنَّهُم مَّيّتُونَ * ثُمَّ إنَّكُمْ يَوْمَ الْقيَامَة عندَ رَبّكُمْ تَخْتَصمُونَ.

فَمَنْ أَظْلَمُ ممَّن كَذَبَ عَلَى اللَّه وَكَذَّبَ بالصّدْق إذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ في جَهَنَّمَ مَثْوًى لّلْكَافرينَ * وَالَّذي جَاءَ بالصّدْق ـ الإيمان الخالص لله. وَصَدَّقَ به ـ عمل بمقتضاه. أُولَئكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عندَ رَبّهمْ ذَلكَ جَزَاءُ الْمُحْسنينَ * ليُكَفّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذي عَملُوا ـ يأخذهم من الدنيا بعد تطهيرهم بالتكفير عن كبائر الذنوب، ويعفو الله عما شاء من ذنوب أخرى. وَيَجْزيَهُمْ أَجْرَهُمْ ـ فى الآخرة. بأَحْسَن الَّذي كَانُوا يَعْمَلُونَ ـ جزاء كل عمل يقدر بجزاء أعظم أعمالهم وأحسنها.

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٦ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ۝٣٧ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝٣٨ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣٩ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٤٠ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٤١ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٢ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٤٤ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٥ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٤٦ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ۝٤٧ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٤٨ ﴾

* أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ـ يخوفونك من الناس وما لديهم من قوة، ومن الأصنام وما يتوهمون فيها من أسرار تسبب الأذى لمن يهينها. وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ـ بلى. وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ـ من أصنام وغير ذلك من مخلوقات الله. إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ * قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ـ على ما أنتم عليه من كفر وضلال. إِنِّي عَامِلٌ ـ وفقًا لشرع الله. فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ـ دائم. إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ـ على نفسه. وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ * اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ـ عند أجلها. وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ ـ يتوفاها. فِي مَنَامِهَا ـ لذلك سمى النوم الموت الأصغر. فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ـ فلا يصحو صاحبها من نومه. وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ ـ فيصحو النائم من نومه. إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ـ مقدر عند الله. إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ ـ أتتخذونهم شركاء وشفعاء لكم عند الله. أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ـ الرحمة والعفو من الله. لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ـ من أصنام وغير ذلك من مخلوقات يعبدونها. إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ ـ كل ما يغيب عن علم الإنسان ونظره. وَالشَّهَادَةِ ـ وكل ما يراه الناس. أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ ـ يوم القيامة. فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ـ فى الدنيا. وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ ـ لودُّوا أن يقدموه فى مقابل النجاة. مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ ـ وظهر لهم بيقين. مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ـ ما كانوا به من قبل فى الدنيا مكذبين وساخرين. وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ.

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾

* فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ـ أوتيت الخير بما لدى من علم وخبرة وينفى إرادة الله. وأين له العلم والخبرة، وقد ولد شأنه شأن أفقر الناس، طفلاً عاريًا لا حول له ولا قوة، ولا علم لديه ولا تمييز. بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ـ امتحان. وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ـ مثل قول قارون، الآية: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص: ٧٨]، وغيره من الأمم الكافرة فى الماضى. فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ ـ من قومك. سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ * أَوَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ـ بالذنوب والمعاصى. لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ـ اعملوا بشرع الله بإخلاص. مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ أَن ـ عندئذ. تَقُولَ نَفْسٌ ـ نفس الضال. يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ـ حق. اللَّهِ وَإِن كُنتُ ـ فى الدنيا. لَمِنَ السَّاخِرِينَ ـ كنت أستخف بالذين آمنوا. أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ـ وأين كان عقلك وضميرك!. أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً ـ عودة إلى الدنيا. فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ.

---

(١٥٠) ترغيب: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ **[الآية: ٥٣].**

التوبة عن الذنب تكون بالإصرار والعزيمة على عدم العودة إليه، والله يغفر جميع الذنوب. حتى الكفر، فإن توبة الكافر تكون بالإيمان بالله وتوحيده وتنزيهه عن الشريك، ومحلها فى الدنيا قبل الموت، لأن حضور الموت فيه رؤية يقينية بصدق ما جاء به الرسل، فالكافر الذى يؤمن عند غرغرة الموت لا يكون قد آمن وسلّم أمره لله طوعًا، وإنما يكون مكرهًا مهزومًا. أما الإيمان فهو تسليم الأمر لله واتباع شرعه طواعية. ومن دفعته الظروف إلى تكرار ظلمه فليتذكر أن الله يقبل تكرار التوبة(*).

(*) راجع القضايا: ٦ ـ ٧ ـ ٢٧ ـ ٢٩ ـ ٥٢ ـ ٥٤ ـ ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٨٠ ـ ٨٧ ـ ١٠٠، وانتقى من غيرها.

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

* وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ ـ أنكروه أو أنكروا وحدانيته أو أنكروا بعض رسالاته. وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ـ الذين كانوا متكبرين بكفرهم في الحياة الدنيا. وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ ـ بموضع نجاتهم بالجنة. لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ ـ أيها الإنسان. لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ * وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ـ الكافرون لا يرجون لله وقارًا. وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ـ النفير أو البوق أو القرن. فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ـ وليس بنور الشمس. وَوُضِعَ الْكِتَابُ ـ كتاب الأعمال للحساب. وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم ـ وبين الناس من مؤمنين وكافرين، كل مسؤول عن إيمانه أو كفره أمام رسول عصره، أو وفق ما وصل إليه من علم برسالات ربه. بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ.

(١٥١) **قضية:** ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الآية:٦٨].

هذه الآية الكريمة تبين قدر ما تحدثه نفخة الصور من أثر، فمن شأن أثرها أن يصعق من في السماوات ومن في الأرض من مخلوقات. ولكن الله سبحانه وتعالى يحفظ من هذه الصاعقة الجبارة من يشاء ﴿ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ والمفهوم أن يكون المحفوظون هم: الملائكة وجميع من ماتوا مؤمنين من الرسل والشهداء والصالحين.

وقد بلغنا عن خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ قوله: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»(*).

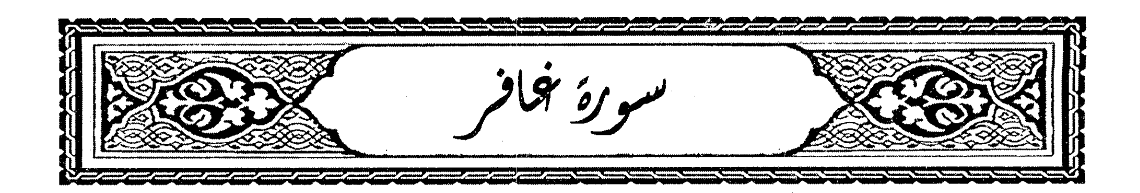
وذكر مسلم: «... ثم يبعث الله ريحًا كريح المسك، مسها مس الحرير فلا تترك نفسًا في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته. ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة»(**). فلن يكون وقت نفخة الصور من المؤمنين أحد على قيد الحياة. أما الثانية ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ﴾ فعندها يقوم كل الموتى ممتثلين ينتظرون الحساب ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.

(*) مسلم، الفتن وأشراط الساعة ٥٢٤٣. أحمد، مسند المكثرين من الصحابة ٣٥٤٨.

(**) مسلم، الإمارة ٣٥٥٠.

﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

ووُفِّيتْ كُلُّ نفسٍ مَّا عَملتْ وهُوَ ـ الله. أَعْلَمُ بمَا يفعَلُونَ * وسِيقَ الَّذين كَفرُوا إلَىٰ جهنَّم زُمرًا ـ أممًا وجماعات بعد جماعات. حَتَّىٰ إذَا جاءُوها فُتحتْ أبْوابُها وقَالَ لهُمْ خزنتُهَا ـ الملائكة القائمون عليها. أَلَمْ يأْتكُمْ رُسُلٌ منكُمْ ـ الأنبياء والدعاة. يتْلُونَ عليْكُم آيات ربِّكُمْ ويُنذرُونكُمْ لقاءَ يوْمكُمْ هذَا قَالُوا بلَىٰ ـ أقروا بأن العلم وصلهم. ولَكنْ حقَّتْ كلمةُ الْعذَاب علَى الْكَافرين * قيل ادْخُلُوا أبْواب جهنَّمَ خالدين فيهَا فبِئْسَ مثْوَى الْمُتكبِّرين * وسِيقَ الَّذين اتقَوْا ربَّهُم إلى الْجَنَّة زُمَرًا ـ أممًا. حتَّىٰ إذَا جاءُوهَا وفُتحتْ أبْوابُهَا وقَالَ لهُمْ خزنتُهَا سلامٌ علَيْكُمْ طبْتُمْ ـ طاب حالكم. فادْخُلُوها خالدينَ * وقَالُوا الْحمْدُ للَّه الَّذي صدَقَنا وعْدهُ وأوْرَثَنا الأَرْضَ ـ أى أورثنا الأرض مع الجنة فالأرض والسماوات تدوم فى الآخرة ﴿ وجَنَّة عرْضُهَا السَّموَاتُ والأَرْضُ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ﴿ وأَمَّا الَّذينَ سُعدُوا فَفي الْجنَّة خالدين فيهَا مَا دامت السَّموَاتُ والأَرْضُ ﴾ [هود: ١٠٨] وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وغير ذلك مما يخلق الله فى ذلك العالم العجيب الذى يعجز الخيال عن تصوره. نتبَوأُ منَ الْجنَّة حيْثُ نشاءُ فنعْمَ أجْرُ الْعاملين * وترى الْملائكَة حافين منْ حوْل الْعرْش يُسبِّحُونَ بحمْد ربِّهمْ وقُضي بيْنهُم ـ بين الناس والجان، وغير ذلك من مخلوقات. بالْحقِّ وقيل الْحمْدُ للَّه ربِّ الْعَالمين.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ۝١٠ ﴾

حمٓ * تنزيلُ الْكتَاب منَ اللَّه الْعَزيز الْعَليم * غافرِ الذَّنبِ ـ للمستغفرين. وَقَابِلِ التَّوْبِ ـ التوبة هى: الاستغفار عن الذنب مع العزم على عدم العودة إليـه، ويقبلها الله فى جميع الأمور. وتوبة الكافر عن كـفره تكون بالرجوع عن الكفر، أى بالإيمان الصادق بالله ووحدانيته وبجميع رسالاته ورسله، واتبـاع ما أوحى إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ من أحكام ثابتة فى القرآن والسنة. شَديد الْعقَاب ـ للكافرين والمنافقين. ذي الطَّوْلِ ـ ذى الكرم الواسع والقدرة على جميع خلقه. لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْه الْمَصير * مَا يُجَادلُ ـ جدال خصام. في آيَات اللَّه إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلاد ـ لا تنخدع فى مـظاهر القوة والغنى إذا توافرت لـدى الكافرين. كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نوحٍ وَالأَحْزَابُ ـ الأمم. مِنْ بَعْدهمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّة بِرَسُولهمْ ليَأْخُذُوهُ ـ ليقتلوه. وَجَادَلُوا بِالْبَاطل ليُدْحضُوا به الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عقَاب * وَكَذَلكَ حَقَّتْ كَلمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّار * الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بحَمْد رَبِّهِمْ وَيُؤْمنُونَ به وَيَسْتَغْفرُونَ للَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعلْمًا فَاغْفرْ للَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقهمْ عَذَابَ الْجَحيم * رَبَّنَا وَأَدْخلْهُمْ جَنَّات عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ منْ آبَائهمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتهمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكيمُ * وَقهمُ السَّيِّئَات وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ ـ تغفرها له. يَوْمَئذ ـ يوم القيامة. فَقَدْ رَحمْتَهُ وَذَلكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ـ يمقتـون أنفسهم يوم القـيامة و. يُنَادَوْنَ ـ من قبل الملائكة. لَمَقْتُ اللَّه أَكْبَرُ من مَّقْتكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ ـ كنتم فى الدنيا. تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ.

﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ۝ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ۝ وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝ ﴾

* قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ـ ؟ كلا. ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ ـ وحده. الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ * هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ * فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ ـ ينزل الوحي. مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ـ الرسل. لِيُنذِرَ ـ كل رسول قومه ـ يَوْمَ التَّلَاقِ ـ يوم التقاء أهل الأرض بأهل السماء للحساب. يَوْمَ هُم ـ المخلوقات من إنس وجان... إلخ. بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ ـ يوم القيامة. إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ـ من شدة الخوف. كَاظِمِينَ ـ الروع. مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ ـ ولي. حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ـ يدرأ عنهم العذاب، إن الله. يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ * وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا ـ حضارة وثراءً. فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ـ بالعذاب عقابًا لهم. إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

---

(١٥٢) **قضية:** ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾؟ [الآية: ١١].

يموت الإنسان مرة بقضاء أجله في الدنيا، ثم تقوم عليه الساعة فيحيى ليحاسب في الآخرة. وهناك جيل يكون حيا وقت قيام الساعة يوم ينفخ في الصور فيذوق ذلك الجيل موت الفجأة، ثم ينفخ في الصور ثانية فيحيا كل أموات الأرض منذ خلقها. فالبداية حياة ثم موت ثم حياة، فماذا كان قبل الحياة ؟ كان الإنسان قبل الحياة الدنيا بمثابة ميت، فلا نستطيع أن نقول كان معدومًا بمعنى لاشيء، لأن اللاوجود لا تصور له، والله هو الأول والآخر، وهو بكل شيء محيط، وليس وراءه شيء، لا فراغ ولاعدم، فلو كان وراء الله شيء فلا يكون الله بكل شيء محيطًا.

⬅

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ـ من المصريين شأنهم شـأن الإسرائيليين الذين كان فرعون يقـتل أبناءهم الذكور. وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ـ ولينفعه ربُّه. إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ـ يفسد نظام فرعون. وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم ـ احتميت فى جواره. مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ * وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ـ لن يضركم كذبه فى شىء. وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ـ من العقاب العاجل على الكفر أو الخير مـقابل الإيمان إن اتبعتموه. إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ.

➡ لذلك فإن الكون وجـود فى وجود، أوله وآخره الله سبـحانه وتعالى. والإنسـان قبل ميلاده، وحـتى قبل أن يكون جنينًا فى بطن أمـه كان له نصيـب من الوجود فى الكون. فـالله سبـحانه وتعالـى يقول: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ... ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١]. فلو لم يقل ﴿ مَّذْكُورًا ﴾ لفهمنا مـن الآية إمكان العدم. أما التخصـيص بكلمة ﴿ مَّذْكُورًا ﴾ يفيد بأن الإنسان قـبل خلقه كان شيئًا ولكنه لا يستحق أن يذكـر. وذلك ضرب من الوجود فى علم الله الذى يعلم بالشىء وكنهه وصفاته منذ الأزل وقبل خلقه المخلوقات.

إلى هنا حسبـنا للإنسان موتتين، وحيـاتين هما حياته فى الدنـيا، وحياته بعد البـعث التى سيقول فـيها الكافر كـما ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾.

وقد تقول إن الله عندما أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشـهدهم على أنفسهم أنهم كانوا أحيـاء واعـين مـدركـين فتـكون الحياة ثـلاث مرات. نقول: نعم هذا تصور، وإنما المقصود فى تعداد الآية ﴿ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ هو:

١ ـ الحيـاة بفسحتـها التى عشناها على الأرض لـلامتحان والخطأ والصـواب ومراجعـة الضمير وتصـحيح المسيـرة أو العناد والكفر...إلخ. أمـا الحيـاة التى ذكرت فى الآية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ... ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. فإنهـا حياة امـتثال مـحدودة بالقدر اللازم لأداء العـهد، هى حيـاة لم تتسع للعيش والسعى بالمعنى المفهوم للحياة فى تصورنا.

٢ ـ الحياة الآخرة بفسحتها للخلود، إما فى النعيم وإما فى الجحيم. ونعوذ بالله من شر الجحيم والخسران المبين.

وفى الواقع أن الله يعطى الإنسـان الفرص فى الحياة، فهـو ينام ويصحو بـعدد أيام عمـره، وكأنه يموت ويـحيى كل يوم. فالإنسان فى كل صباح هو ميت بالنسبة لماضيه مهـما طال، فالخالق الذى كتب له الصحوة من نومه يعطيه كل يوم مهلة للتدبر والتفكير فى أمور دنياه وآخرته، وقد أعطاه الله ضميراً يشير إلى الصواب، وعليه أن يوازن بعقله وضميره بين كافة مصالحه.

﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾

* يا قومِ لكُمَ المُلْكُ اليَوْمَ ظَاهرين في الأَرْضِ ـ فحافظوا عليه بالإيمان بالله ورسوله. فَمَن ينصُرُنَا ـ يحمينا. منْ بَأْسِ ـ عقاب. اللَّه إن جاءَنَا ! قَالَ فِرعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَاد * وَقَالَ الَّذي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَاب ـ كانت الأمم السابقة تتحزب لمناهضة الرسل. مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وعَادٍ وثَمُودَ والَّذين من بَعْدهمْ ومَا اللَّهُ يُريدُ ظُلْمًا للْعباد * ويَا قَوْمِ إِنّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَاد ـ يوم القيامة، يوم تنادى الأمم المؤمنة باللوم على الأمم الكافرة، كما كان الكفار يستهزئون بالمؤمنين في الدنيا. يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرين ـ مهزومين مخذولين بكفركم. مَا لَكُم مّنَ اللَّه منْ عَاصمٍ ومَن يُضْلل اللَّهُ فمَا لَهُ منْ هَاد * ولَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ من قَبْلُ بالْبَيِّنَات فمَا زِلْتُم في شَكٍّ مّمَّا جاءَكُم به حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ ـ مات. قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ منْ بَعْده رَسُولاً كَذَلكَ يُضلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ * الَّذينَ يُجَادلُونَ في آيَات اللَّه بغَيْرِ سُلْطَان أَتَاهُمْ ـ بغير دليل من شرع الله. كَبُرَ ـ كفرهم. مَقْتًا عندَ اللَّه وعندَ الَّذينَ آمَنُوا كَذَلكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْب مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ * وقَالَ فرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لي صَرْحًا ـ بناء عاليًا. لَعَلّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوات فَأَطَّلعَ إِلَىٰ إِلَه مُوسَىٰ وإِنّي لأَظُنُّهُ كَاذبًا وكَذَلكَ زُيِّنَ لفرْعَوْنَ سُوءُ عَمَله وصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ـ سبيل الرشاد. ومَا كَيْدُ فرْعَوْنَ إِلاَّ في تَبَابٍ ـ خسران. وقَالَ الَّذي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبعُون أَهْدكُمْ سَبيلَ الرَّشَاد * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذه الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ـ زائل وزينة زائفة. وإِنَّ الآخرَةَ هي دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَملَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مثْلَهَا ومَنْ عَملَ صَالحًا مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وهُوَ مُؤْمنٌ فَأُوْلَئكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فيهَا بغَيْرِ حسَابٍ * ويَا قَوْمِ مَا لي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاة ـ بالإيمان بالله وحده. وتَدْعُونَني إِلَى النَّارِ ! ـ إلى الارتداد عن الإيمان والعودة إلى الكفر وجزاء ذلك النار. تَدْعُونَني لأَكْفُرَ باللَّه وأُشْرِكَ به مَا لَيْسَ لي به علْمٌ وأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزيزِ الْغَفَّارِ * لا جَرَمَ ـ حقًا. أَنَّمَا تَدْعُونَني إِلَيْه ـ لأعبده من دون الله. لَيْسَ لَهُ ـ قدرة على إجابة. دَعْوَةٌ في الدُّنْيَا ولا في الآخرَة وأَنَّ مَرَدَّنَا ـ جميعًا. إِلَى اللَّه وأَنَّ الْمُسْرِفينَ ـ الكافرين. هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ.

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

فَسَتَذْكُرُونَ - يوم الحساب. مَا أَقُولُ لَكُمْ - اليوم. وأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّه إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا - فدفع الله عن هذا المصرى المؤمن عذاب فرعون وتنكيله فنجاه مع موسى، عليه الصلاة والسلام، وقومه. وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَاب * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ - تنادى الملائكة: أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَاب * وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ - التابعون. لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا - زعمائهم. إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا - قدرًا. مِّنَ النَّار * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا - أئمة الكفر فى الدنيا. إِنَّا كُلٌّ فِيهَا - كلنا فيها سواء لا حول لنا ولا قوة. إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَاد * وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَاب * قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَات قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا - فادعوه أنتم. وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلال - ضياع. إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ - يوم القيامة حين تشهد الملائكة أنهم أوحوا إلى الرسل، ويشهد كل رسول أنه بلغ أمته، ويشهد الدعاة بأنهم قد بلغوا الأمم. يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّار * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ - شرع الله. وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ - التوراة. هُدًى وَذِكْرَىٰ لأُولِي الأَلْبَاب * فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَار * إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ - يسعون إلى دحضها وصرف الناس عن إدراك معانيها. بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ - غرور واستعلاء زائف. مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ - لا يستوى الذين يعملون الصالحات بالذين يتعمدون الفساد. قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ * إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ * وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ.

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

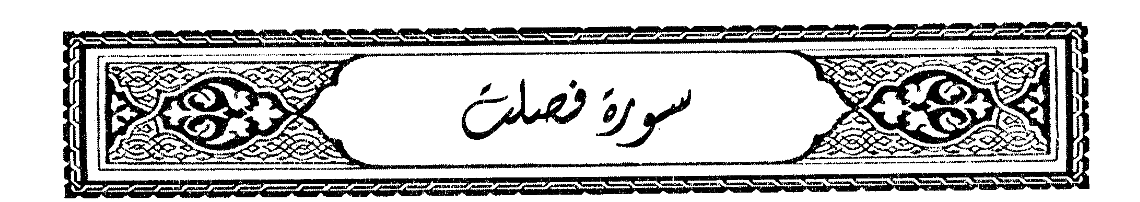
* اللَّهُ الَّذِي جعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا ـ لتستريحوا. فيه وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ـ تسعون فيه لأسباب العيش. إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ * ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ـ فكيف تنصرفون عن عبادته. كَذَلِكَ يُؤْفَكُ ـ ينصرف عن طريق الإيمان. الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * اللَّهُ الَّذِي جعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ـ خلق الإنسان فى صورة كريمة راقية عن الحيوان. وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ـ وسبحوا بحمده. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ ـ الحجج والبراهين. مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ـ آدم. ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ـ نسل آدم. ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ـ نمو النطفة. ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ـ ذلك. وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى ـ عمرًا مقدرًا. وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ـ كيف ينصرفون عن الحكمة المتجلية فى آيات الله البينات. الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ ـ بالقرآن، رسالة الله الخاتمة. وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ـ من قبل. فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذ ـ تكون. الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ـ يقيدون. ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ ـ فى عبادتكم. قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا ـ تاهوا عنا، ثم سولت لهم أنفسهم الإنكار، فقالوا. بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا ـ وهل يفيد الإنكار أمام رب العالمين!. كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ * ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ * ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ـ من خزى فى الدنيا. أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ـ قبل أن ترى خزيهم وذلهم، سواء عليك هذا الوضع أم ذاك. فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ـ سئل رسول الله ﷺ: «كم وفّى عدد الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر، جما غفيرًا»(*). وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ـ الذين يسعون إلى إبطال الحق، وهم الكافرون. اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ.

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ـ أخرى كالحرث والسقى، والتفاخر بها كثروة إذا كثرت. وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ـ الرحلة والسفر فى أنحاء المعمورة. وَعَلَيْهَا ـ على تلك الأنعام. وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ * وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا ـ عمرانًا وحضارة. فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ ـ وتكبروا على رسل الله. وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ـ إذ كانوا يستهزؤون من الوعيد. فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ـ فلما تيقنوا من حلول عذابنا. قَالُوا ـ بعد فوات الأوان. آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ.

(*) أحمد، باقى مسند الأنصار ٢١٢٥٧.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝ ﴾

حمَ * تنزيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كتابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ - ليخاطب قومًا بهذه اللغة، فيؤمنون به ويحملونه شريعة إلى سائر الأمم على اختلاف أجناسها ولغاتها. بَشِيرًا - لأن الإيمان به فيه النجاة. وَنَذِيرًا - إذ الكفر به فيه الهلاك. فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ - حصون. مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ - صمم لندائك. وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ - سد. فَاعْمَلْ - بإيمانك. إِنَّنَا عَامِلُونَ - على ملتنا وشركنا بالله. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ - اعبدوه وحده. وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ - من أيام الله، أو بقدر يومين من أيامنا. وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ - جبالاً. مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا - بالزرع والثمار والمعادن. وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا - قدر الأرزاق منذ خلق الأرض وحتى يوم القيامة. فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ - وهي، أي الأرض، متاحة للساعين.

(١٥٣) قضية: الأيام الثمانية المذكورة فى خلق السماوات والأرض والأرزاق [الآيات: ٩-١٢].

ربما تثير الآيات من ٩ إلى ١٢ الفكر والتأمل إذا ما قورنت بالآيات التي يقول فيها الله سبحانه وتعالى إنه خلق السماوات والأرض فى ستة أيام، وهى آيات عديدة نذكر منها على سبيل المثال ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤].

- الآيات من ٩-١٢: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا . . .﴾.

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾

* ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا ـ اخضعا. طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ـ نظامها ومكوناتها. وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ـ النجوم والكواكب والشمس والقمر. وَحِفْظًا ـ وحفظناها من السقوط. ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.

➡ لقد ذكرت الآيات هنا ثمانية أيام، فأثار ذلك وهما لدى بعض المستشرقين فقالوا بوجود تناقض فى آيات القرآن الكريم.

وذلك افتراء مردود عليه:

أولاً: إن تقدير الأرزاق والأقوات فى أربعة أيام لا يمنع أن يكون ذلك متداخلاً فى أيام الخلق، والله على كل شيء قدير، وهو سبحانه وتعالى منزه عن التناقض. فلا يكون التناقض مع الآيات: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة: ٤]. فيكون قد خلق الأرض فى يومين، وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام بدأت مع بداية اليومين اللذين خلق فيهما الأرض.

ثانيًا: إذا تتبعنا الآيات من ٩ إلى ١٢ بقراءة متفحصة نجد أن الله سبحانه وتعالى يذكر فيها أنه خلق السماوات والأرض فى ستة أيام.

يقول جل شأنه: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ لقد حسب الله لخلق الأرض يومين.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ لقد حسب الله لذلك أربعة أيام فصار مجموع الأيام ستة.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ من ذلك يتبين أن السماء والأرض كانتا مخلوقتين قبل أن يذكر الله أنه قضاهن سبع سماوات فى يومين.

فهناك الخلق: فيه الأرض والأقوات والأرزاق والسماء، فى الأيام الستة المذكورة.

ولنتذكر آية أخرى ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]. أى إن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين ببعضهما، ففصل الله بينهما.

ثم نفهم بعد ذلك الآية ١٢: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ...﴾ لم يقل الله فخلقهن سبع سماوات فى يومين، وإنما قال فقضاهن، ويعنى ذلك الفتق، أى أن السماوات والأرض كانتا مخلوقتين من قبل فى صورة أولى، ثم فتق الله كل ذلك ففصله عن بعضه ليعطى الصورة النهائية للسماوات والأرض.

ومن هذا الفهم نستطيع أن نجزم بعدم وجود تناقض بين خلق الله السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام، وتصور أن يكون الخلق والفتق معًا فى ثمانية أيام: الخلق فى ستة والفتق فى يومين.

ولا مانع أبدًا يمنعك من أن تتصور خلقًا أوليًا للسماوات والأرض، ثم بعد ذلك يكون الفصل لإعطاء الصورة النهائية، فذلك ليس فيه أى حرج، كتصورك وتصديقك فى أن الله خلق الأقوات والأرزاق وقدرها فى أربعة أيام، ثم يكون التوزيع فيما بعد. والعلم اليقين عند الله سبحانه وتعالى.

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

* فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُم صَاعِقَةً - عذابًا مهلكًا. مِّثْلَ صَاعِقَة عَاد وَثَمُودَ * إِذْ جَاءَتْهُم الرُّسُلُ من بَيْنِ أَيْديهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ - ودعوهم. أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنزلَ مَلائكَةً - بدلاً من البشر. فَإِنَّا بِمَا أُرْسلْتُم به كَافِرُونَ * فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بغَيْرِ الْحَقِّ وقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بآياتنا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا - شديدة متواصلة. في أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ * وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ - عرفناهم بالطريق القويم. فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ - الكفر. عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ - المهين. بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ - يساقون. حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ - تستحيون منه. أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ - وقد أُنذرتم بذلك في القرآن. وَلَكِن ظَنَنتُمْ - وأنتم في الدنيا. أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ - أهلككم. فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ - فهم ليسوا من الذين يقبل منهم عذر أو يفيدهم عتاب. وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ - شياطين (تلك هي محنة الناس، والمؤمن منهم يقاوم شيطانه). فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ - من لهو الدنيا وفساد الأخلاق. وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ - شوشوا على ما فيه بالجدال. لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ.

﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾

فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ـ وقت أن تحققوا من عذاب النار الذى كانوا به يكذبون. رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ ـ الشياطين. وَالإِنسِ ـ الفاسقين من الناس. نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا ـ فى جهنم. لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ـ وحده لا شريك له. ثُمَّ اسْتَقَامُوا ـ على شريعته. تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ ـ تحفهم من كل جانب بالرحمة عند الموت. أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا ـ على ما تركتم فى الدنيا من ذرية. وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا ـ فى الجنة. مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ * وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ـ وأنت تدعو إلى سبيل الله. فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ـ بالتشكيك. فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ ـ وحده. الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا ـ وكفروا فإن الله غنى عن العالمين. فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ـ الملائكة ... يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً ـ تفرة يابسة. فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ـ زادت بالزرع والنبات. إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ ـ يحيدون عن الحق بالتكذيب. فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ـ فاتعظوا أيها الناس. أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ـ فى الدنيا. إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ـ سيسألون عن كفرهم. وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ـ يصدق على ما حوله من واقع الحياة فى كل زمان ومكان. تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾

* مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ - شُرِحَتْ وتُرْجِمَتْ معانى. آيَاتُهُ - ولقالوا أيضًا. أَأَعْجَمِيٌّ - القرآن. وَعَرَبِيٌّ - النبى. قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ - بما يحمله من حكمة ونور. وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ - صمم. وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى - غم وضنك. أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ - لم يخطر على بالهم من قبل. وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ - التوراة. فَاخْتُلِفَ فِيهِ - بين مؤمن مصدق وكافر مكذب. وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ - بتأجيل حساب الأمم التى يعيش فيها مؤمنون. لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ - فى الدنيا بعذاب مهلك. وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ - من القرآن. مُرِيبٍ - لا يبرره الضمير. مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ.

---

(١٥٤) **بيان:** ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ **[الآية: ٤٦].**

لكى يكون العمل صالحًا يجب مراعاة الآتى:

أولاً: النية:

أن يقصد بعمل الخير اتباع طريق الله، وليس التفاخر وكسب العزة والجاه أمام الناس، فكلما كان العمل بنية خالصة للتقرب إلى الله كان أجره عاليًا، حتى ولو كان ذلك العمل فى ذاته بسيطا. وكلما اختلط بالنية غرض من أغراض الدنيا إلى جانب قصد التقرب إلى الله، قل الأجر والثواب عليه فى الآخرة. وإذا وصل الأمر أن يكون عمل الخير غير مقترن بالمرة بنية التقرب إلى الله، فلا يكون لفاعله هدف سوى أغراض الدنيا من كسب جاه أو مال أو جولة انتخابية... فإن هذا العمل لا يكون عليه أجر وثواب فى الآخرة. وإذا كان القائم بعمل الخير من المؤمنين بالله، ولم يخلط سلوكه الدنيوى بما هو محرم، من رشوة أو اختلاس أو سرقة، ولم يفعله رياء أو نفاقا، ولكنه لا يفكر فى أمور الدين عند أدائه تلك الأعمال الخيرية، فهو يجزى أيضًا عند الله خيرًا بقدر ما تعود أعماله على المجتمع من نفع ورخاء.

ثانيًا: قدر العمل مقترن بقدر التضحية:

إن مليونيرًا تصدق بألف درهم يجزى عند الله خيرًا، ولكن هذا الجزاء قد يكون أقل قدرًا من جزاء عامل فقير لا يملك إلا قوت يومه ويكفى بالكاد من يعولهم، فوجد فائضًا فى يده بضعة دراهم فأعطاها لمحتاج. وإن وليمة الكريم الغنى قد تكون أقل بكثير عند الله فى أجرها من مائدة الكريم البسيط، فالتضحية تكون ضعيفة عند الغنى، وقد ينعدم الشعور بها، ولو تكرم فى كل يوم وكل وقت بطعام وموائد سخية. نعم هو مأجور عند الله على هذا مادام مؤمنًا بالله واليوم الآخر ورسله وملائكته... ولكن أجره قد لا يساوى أجر الفقير الذى لم يمنعه فقره من أن يكون كريمًا، فبسط مائدته المتواضعة ليشاركه فيها الآخرون، فهو ينام الليل بغير شبع، بينما الغنى ينام ولم ينقصه شىء مما اعتاد أكله.

⬅

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧) ﴾

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ـ يوم القيامة. وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ـ من أوعيتها (جمع كِمٍّ بكسر الكاف). وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي ـ الذين زعمتم. قَالُوا آذَنَّاكَ ـ أعلمناك الآن بأنه. مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ـ يشهد بأن لك شريكًا.

ثالثًا: انتقاء أوجه الخير حسب الأولويات والحاجة إليها:

هذا يقتضى البصيرة وحسن التقدير للأمور، والله يجازى الخير فى جميع الأحوال، فهو كريم فى عطائه رحيم فى حسابه. فمن يبنى مسجدًا لله فى مدينة بها ألف مئذنة، بالقرب من مسجد كبير لم يكتظ بعد بالمصلين، ليس كمن يبنى أول مسجد بقرية، أو من يبنى مدرسة تقربًا إلى الله بفعل الخير بمنطقة ليس فيها دور تعليم، أو مصحة جيدة ببلد انتشر فيه المرض، ولم تعد المصحات به كافية، أو مشروعًا تعاونيًا يتيح العمل والإنتاج فى مجتمع تفشت فيه البطالة. كل هؤلاء أجرهم عند الله بأقدار متفاوتة ضيقًا واتساعًا، كالأنهار تفترق عن بعضها فى حلاوة الماء وغزارته، وكلٌّ خير.

تبقى مسألة الإيمان غير المقترن بالعمل، ويجدر تقسيمها إلى قسمين:

الأول: إيمان بغير عمل مع القدرة عليه:

من آمن بالله ورسله، وخاتمهم محمد ﷺ وبعالم الغيب كالملائكة والآخرة والحساب...فهو لا محالة ناج من الخلود فى العذاب يوم القيامة، إذ الخلود فى العذاب لا يكون إلا للكافرين.

ومن تكاسل عن أداء الفرائض دون أن يؤثر ذلك على عقيدته فإنه مرتكب لذنب كبير، وسيعاقبه الله على ذلك فى الآخرة، ولكنه لا يخلد فى العذاب.

إن المؤمن المصلى لو فاتته فريضة، فإن ذلك ليس من الكبائر عند الله. ولكن المتكاسل عن عمد، والتعمد والتكرار يعنى الإصرار، وذلك يجعل الذنب ـ ولو كان صغيراً ـ من الكبائر. بينما استغفار المؤمن عن ذنب كبير يمحوه بسرعة، لو كان من المنشغلين بطاعة الله وأداء الواجبات الدينية.فلا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار.

إن عدم احترام أوامر الله ونواهيه يعرض الإنسان لارتكاب الذنوب والمعاصى، فيستسهل طرق باب حرمات الله، فيخالف الشرع ويزيد ذلك من غضب الله عليه إذا سرق أو زنا ... وكلها معاصى تسهل سلوك الكفر إلى القلب، ذلك أن الشيطان ملازم للإنسان ويريد أن يغويه، فلا يغتر المؤمن بما فى قلبه من تصديق بالله فيتكاسل عن العمل بأوامر خالقه أو يتجرأ على حدود شرعه الكريم، فقد ينقلب حال قلبه بسبب ذلك فيصبح من الكافرين أو من المنافقين، وكلا الفريقين سيخلد فى عذاب جهنم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء: ١٤٥].

إن الإيمان عمل وتدريب يعود على المؤمن بالخير فى دنياه وآخرته. فإذا جاءت لحظة الموت وجد العابد الثمرة الكبرى لإخلاصه فى الإيمان بالله، فالموت اجتياز بعون الله لحاجز يفصل المؤمن عما يحب أن يعيشه من حياة كريمة فى عالم المثل والكمال.

الثانى: الإيمان مع القدرة على العمل، ولم يبق متسع من الوقت لأداء شىء من الأعمال الصالحة:

لا يقبل الله الرجوع عن الكفر بالتوبة والتصديق بالله واليوم الآخر عند احتضار الإنسان فى لحظات الموت، إذ أن هذه اللحظات تصحبها رؤية اليقين بالآخرة ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩].

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

* وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن - دون الله من. قَبْلُ - فى الدنيا. وَظَنُّوا - علموا أن. مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ - مفر. لا يَسْأَمُ الإنسَانُ من دُعَاءِ الْخَيْرِ - السعى إلى المال والنعم. وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي - بجهدى وذكائى وخبرتى... إلخ. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً - إذا شعر باستقرار حاله شك فى يوم لقاء ربه فأعرض عن شريعته. وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ.

➡ ولكن هناك صورة أخرى، قد تكون قليلة الوقوع، وهى أن يؤمن الإنسان وهو فى صحة وعافية أو يؤمن وهو فى مرض قبل أن يحضره الموت، فالإيمان عندئذ مقبول، والإسلام يجب ما قبله من كفر. وهذا الإنسان هو عند الله فى عداد المؤمنين، إذ أنه آمن قبل حضور الموت. وقد لا تتاح لهذا الشخص فرصة لتعلم الصلاة وأدائها ولا لإيتاء الزكاة، ولا لمعرفة شيء من العبادات أكثر من الشهادة والتصديق بالله ووحدانيته وملائكته ورسله وخاتمهم محمد ﷺ فيحل به الموت على هذا الحال.

هذه صورة إيمان بلا عمل وفيها نجاة من الخلود فى عذاب الآخرة المهين، وتقرب لنا السنة ذلك: أن النبى ﷺ قال: كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل من توبة ؟ فقال: لا. فقتله فكمل به مائة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجل عالم، فقال له إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة ؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة ! انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط. فأتاهم مَلَكٌ فى صورة آدمى فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكة الرحمة(*). وليس معنى هذا أنه برىء من كل ذنوبه، ولكن معناه أنه سيحاسب مع فريق المؤمنين.

إن الله ليس بظلام للعبيد، بل هو الكريم، فهو يجازى الحسنة بأضعافها ولا يجازى السيئة إلا بمثلها. ويقيم يوم الحساب المقاصة بين الحسنات والسيئات فتجب الأولى الثانية إذا كثرت فى الميزان. أما منطق العدل لدى الإنسان فهو يجازى بالعقاب على السيئات حتى مع كثرة الحسنات.

(١٥٥) **تأمل:** ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [الآية: ٥٠].

تشير هذه الآية إلى سمة بارزة فى التركيبة النفسية للإنسان، وهى "حب الذات". هذه السمة تعدُّ إحدى جوانب المحنة التى نعيشها فى حياتنا الدنيا، والتى لا يتم التحكم فيها وضبطها إلا بتسليم الأمر لله، والعمل وفقا لأحكام شرعه الحنيف، فعندئذ لا خوف ولا غرور يصيب المؤمن بالله.

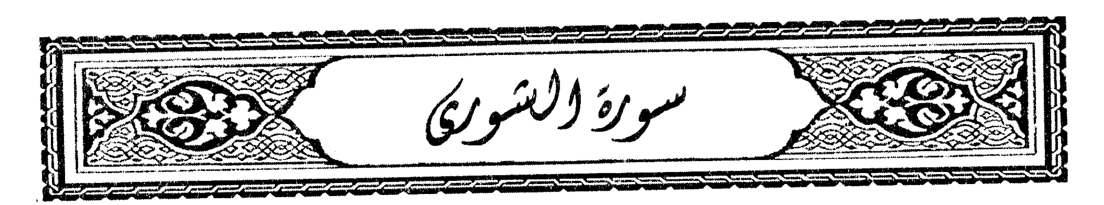
⬅

(*) مسلم، التوبة ٤٩٦٧ - ٤٩٦٨. البخارى، أحاديث الأنبياء ٣٢١١. ابن ماجة، الديات ٢٦١٢. أحمد، باقى مسند المكثرين ١٠٧٢٧ - ١١٢٦٢.

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝ ﴾

* وَإِذا أنْعَمْنَا عَلَى الإنسَان ـ فريق من الناس. أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بجَانبه ـ تلهى عن عبادة ربه واتباع شريعته منكبًا على زينة الحيـاة الدنيا. وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ـ دعاؤه لا ينقطع حتى يذهب عنه الشـر، ثم يعرض بعد ذلك عن عبادة الله واتبـاع شريعته. قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ ـ أذا تأكدتم من أن هذا القرآن. مِنْ عِند اللَّه ثُمَّ كَفَرْتُم به ـ ماذا تستـحقون على ذلك الكفر! و. مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ في شقَاقٍ ـ عناد. بَعيدٍ * سَنُرِيهِمْ آيَاتنَا في الآفَاق ـ من حولهم. وَفي أَنفُسهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْف بربِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ـ والنـاس يعلمـون بذلك. أَلا إِنَّهُمْ في مرْيَةٍ ـ شك لا يبرره الضمير. مِّن لِّقَاء رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ.

➡ إن "حب الذات" قد يدفع صاحبـه إلى الغرور، وحين تكتمل له مظاهر القوة، ينسى ما كان فيـه من ضعف قبل تلك القوة، وينسى حاله حين كان يدعـو الله كثيرًا ليحقق له آمـاله. بل قد يغتر فيعتـقد أن الله أكرمه لمزايا فى ذاته وليس استجـابة لتضرعه إليه، أو قد يظـن أنه وصل إلى ما أصابه من خيـر بعلمه وجهده فقـط، وينسى ما كان يتقرب بـه إلى الله فى سبيل ذلك، فيـهجر طريق الله. وعندما يهجر الإنسان طريق الله يصبح تصديقه بالآخرة والحساب قائما على الشك، فيظن أنه حتى لو قامت الآخرة فإن الله سيدخله الجنة لأنه كـان ذا منزلة فى الدنيا. والواقع أن الله يبتلى الإنسان بما يحب وبما يكره على سبـيل الامتحان. فلا ثقة فى مظاهر الدنيا، والعاقل هو الذى يتمسك فى كل الأحوال بشرع الله فهو المرشد إلى الطريق القويم.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾

حمٓ * عٓسٓقٓ * كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ - يتقطعن. مِن فَوْقِهِنَّ - من فوق بعضهن. وَالْمَلائكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ - يطلبون رحمة الله. لِمَن فِي الأَرْضِ - من المؤمنين. أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِه أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ - الله عالم بأحوالهم وقادر عليهم. وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ - يوم الحساب. لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً - على الإيمان. وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِه وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ * أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِه أَوْلِيَاءَ - يعبدونهم. فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ - خالق المخلوقات ومسير الظروف والأحوال. وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * فَاطِرُ - خالق. السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ - يجعلكم أنتم والأنعام تعيشون فى الحياة وتتكاثرون. لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * لَهُ مَقَالِيدُ - مفاتيح ما فى. السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِه نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ - القرآن. وَمَا وَصَّيْنَا بِه إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ - ثقل على أنفسهم. مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ - من عبادة الله وحده واتباع شرعه الذى لا يفرق بين الناس إلا بناء على التقوى. اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ.

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾

وَمَا تَفَرَّقُوا - تخاصموا. إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ - بشرع الله. بَغْيًا - خصامًا. بَيْنَهُمْ - فيما جاءهم من رسالات ربهم. وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ - أن يمهلهم. إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ - بإهلاك الكافرين في الدنيا. وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ - شريعة الله. مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ - من الدين. مُرِيبٍ - لا يبرره الضمير. فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ - إلى سبيل ربك. وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ - من قرآن ورسالات سابقة. وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا - نحن معشر المؤمنين. وَرَبُّكُمْ - أنتم أيضًا أيها الكافرون. لَنَا - حساب. أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ - حساب. أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ - لا جدال بيننا من بعد ما ظهر الحق. اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا - للحساب بين يديه فى الآخرة. وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ - من بعد ما اتبع دينه فريق كبير من الناس. حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ - لا عذر لهم. عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ.

---

(١٥٦) **قضية:** ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الآية:١٦].

هذه الآية لها علاقة بقضية وصول الدعوة. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥]، وذلك يعنى أن رحمة الله جعلت المسؤولية عن اتباع ما حُرِّف من مفاهيم الدين تسقط عن الجاهلين الذين لا علم لهم بمواطن التحريف ولا يد لهم فى إحداثها، لأنهم توارثوها خلفًا عن سلف. لذلك والى الله الناس بالرسالات والرسل، وقال أهل العلم بأن أهل الفترة بين الرسل لا يحاسبون إلا وفقًا لما بين أيديهم من علم بشرع الله، وآيات القرآن تشهد بذلك. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢]. هذا عن حكم من لم تصله الدعوة إلى دين الله الخاتم "الإسلام" الذى نزل إلى الناس كافة، فيكفيه أن يكون مؤمنًا بوجود الله، ويعمل الصالحات فى إطار ما ورثه من معرفة بالدين (راجع أسباب ورود الآية لدى السيوطى).

ولكن ما علاقة قضية وصول الدعوة بالآية ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ ؟

إن العلاقة بين هذه وتلك واضحة، فوصول الدعوة معناه وصول العلم بها، وذلك يكون بالتدرج، فالخطوة الأولى منه السماع أو القراءة عن دين الإسلام، والتوجه نحوه بغرض التعرف عليه. ثم تأتى خطوة ثانية وهى تحصيل المعرفة بالإسلام، فإذا ما تم ذلك، فإن الإنسان يكون أمام الامتحان: إما أن يختار الهدى، وإما أن يعرض عن اتباع الحق فيتيه فى طرق الضلال، ثم يصعب عليه بعد ذلك تصحيح مساره، وإن كان ذلك ليس بمستحيل.

ولكن ماذا عن الناس الذين يسمعون عن الإسلام أو يقرؤون معلومات عامة وعابرة عنه، فلا تتحرك فيهم إرادة تحصيل المعرفة عن هذا الدين الخاتم، هل هؤلاء يعتبرون معرضين؟.

←

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾

* اللَّهُ الَّذي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْميزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا - يخشونهـا ويتذكرونها فى أعمالهم وسـعيهم. وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ * اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ - بالإيمان والعمل الصالح. نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ - نضاعف له الأجر والثواب. وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا - فقط ولا يأبه بالآخرة. نُؤْتِهِ مِنْهَا - سعة وضيقا : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]. وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ - من النعيم. أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ - مع الله يملكون الأمر من دونه أو معه. شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ - القضـاء بتأجيل عقـابهم إلى يوم الحساب، لأنهم يعـيشـون إلى جـانب المؤمنين. لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ(*) وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَرَى الظَّالِمِينَ - يوم الحساب. مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا - خائفين من جزاء أعـمالهم وكفرهم بالله. وَهُوَ - الجزاء. وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ.

➜ هذا ما تجيب عنه الآية التى نحن بصددها: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ...﴾ فانتشار الدين فى عدد كبـير من الناس يجعل من لم يتـجه إلى تحصـيل المعرفـة بالإسلام فى عداد المـعرضين عن ديـن اللـه، فهؤلاء يسـهل عليهم التعرف على الإسلام من الذين آمنوا من قـومهم، فتبطل ادعاءاتهم: لماذا نستـقى المعرفة من ثقافة قوم غيـرنا ؟ ولماذا نغير من أوضاعنا ؟ فالآية تجيب بأن هؤلاء ﴿... حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

ولكن القضيـة المعاصرة التى نعـيشها هى أنه فى المجتمعات الغربيـة قد يتوجه الفـرد إلى تحصيل معرفـة بالإسلام، فلا يتحصل إلا على معرفـة خاطئة مشوبة بالالتباس والتشويش، فمـا هو موقفه ؟ وما هو موقف مجتمعه والمـسؤولين فيه، وما هو موقف المسلمين وقد أوجب الله عليهم التبليغ وبث المعرفة الكافية بالإسلام إلى مختلف الأمم ؟

(*) يقول أهل المعرفة إن الله سبحـانه وتعالى لا ينزل عذابه بالهلاك فى الدنيا على قوم ما دام فيهم مؤمنون ولو كانوا قلة، قيل ولو كـان فيهم مؤمن واحد، فإما أن يخرج الله المؤمنين ثم ينزل عذابه على القوم كما أخرج لوطًا وأهله (إلا امرأته) أو يمهل القوم كلهم إلى يوم الدين.

ولا شك أن الله سبحانه وتعالى يستـطيع أن ينزل عذابه بالكافرين فيهلكهم فى الدنيا، ويبقى المؤمنين سالمين فى أمـاكنهم، وقد حدث ذلك فى التاريخ مثل أصحاب الفيل: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [سورة الفيل]. فالعذاب لم يصب إلا الكافرين دون المؤمنين.

ولكن المعجزات الواضحة والخارقة، تنضوى مع وجود المعجزة الكبرى: وهى رسالة السماء الخاتمة المحفوظة "القرآن" فهو معجز، وكل ما فيه من أحكام صحيح لم يصبه التحريف، وسيظل كذلك ما بقيت الحياة على الأرض.

إن تأجيل العذاب إلى الآخرة هو ضرب من ضروب الفتن، إذ يظن الكافر الذى تتسع له الدنيا وتمتد أنه من خيار الناس، فى حين أنه ممتحن ومآله، إذا مات على كفره، إلى العذاب المهين.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

* ذلكَ الَّذي يُبشِّرُ اللَّهُ عبادَهُ الَّذينَ آمنُوا وعَملُوا الصَّالحَات قُل ـ لهم. لاَ أَسأَلُكُمْ عَلَيْه ـ على البلاغ. أَجرًا إلاَّ الْمودَّةَ في الْقُرْبَىٰ ـ أسألكم أن تودونى لقرابتى منكم، ونكون جميعًا إخوة أوفياء. ومَن يَقْترفْ حَسنَةً نَّزِدْ لَهُ فيهَا حُسْنًا ـ نزيد له من قدرها وثوابها. إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّه كَذبًا ـ ألّف القرآن ونسبه إلى الله. فَإن يَشَأ اللَّهُ يَخْتمْ عَلَىٰ قَلْبكَ ـ فيذهب بما فيه من قرآن لو كنت أنت قد ألفته كما يقولون. ويَمْحُ اللَّهُ الْبَاطلَ ويُحقُّ الْحَقَّ بكَلمَاته إنَّهُ عَليمٌ بذَات الصُّدُور * وهُوَ الَّذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عبَاده ويَعفُو عَن السَّيِّئَات ويَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * ويَسْتَجيبُ ـ لدين الله. الَّذينَ آمنُوا وعَملُوا الصَّالحَات ـ واستجابتهم هى فضل ونعمة من الله. ويَزيدُهُم ـ الله. مّن فَضْله والْكَافرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَديدٌ * ولَوْ بَسطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لعبَاده ـ كما يشاؤون. لَبغَوْا ـ طغوا. في الأَرْض ولَكن يُنزِّلُ بقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إنَّهُ بعبَاده خَبيرٌ بَصيرٌ * وهُوَ الَّذي يُنزِّلُ الْغَيْثَ ـ المطر. منْ بَعْد مَا قَنَطُوا ـ يئسوا. ويَنشُرُ رَحْمَتَهُ ـ بالرخاء بعد القحط. وهُوَ الْوَليُّ الْحَميدُ * ومنْ آيَاته خَلْقُ السَّمَوَات والأَرْض ومَا بَثَّ فيهمَا من دَابَّةٍ وهُوَ عَلَىٰ جَمْعهمْ ـ بعدما يفرقهم الموت. إذَا يَشَاءُ قَديرٌ * ومَا أَصابَكُم مّن مُّصيبَةٍ فَبمَا كَسَبَتْ أَيْديكُمْ (*) ـ بسبب أعمالكم السيئة وظلمكم أنفسكم ونسيانكم فضل الله. ويَعْفُو عَن كَثيرٍ ـ من الذنوب. ومَا أَنتُم بمُعْجزينَ في الأَرْض ـ الله قادر عليكم وأنتم فى الأرض، فهو الذى يميتكم ويحييكم فيها. ومَا لَكُم مّن دُون اللَّه من ولِيٍّ ولا نَصيرٍ * ومنْ آيَاته الْجَوَار ـ السفن التى تجرى بالريح. في الْبَحْر ـ العريض. كَالأَعْلام ـ كالجبال (العَلَمُ: الأثر الذى يُعْلَمُ به الشىء، كعلم الطريق وعلم الجيش. وسمى الجبل علمًا لذلك: مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهانى). إن يَشَأْ يُسْكن الرِّيحَ ـ يخمد الهواء. فَيَظْلَلْنَ رَواكدَ عَلَىٰ ظَهْره إنَّ في ذَلكَ لآيَات لّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبقْهُنَّ بمَا كَسَبُوا ـ يهلك السفن بما ارتكب راكبوها من ظلم ومعاص.... ويَعْفُ عَن كَثيرٍ ـ من ذنوب الناس. ويَعْلَمَ الَّذينَ يُجَادلُونَ في آيَاتنَا ـ أن. مَا لَهُم مّن مَّحيصٍ ـ مفر. فَمَا أُوتيتُم مّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاة الدُّنْيَا ومَا عندَ اللَّه خَيْرٌ وأَبْقَىٰ للَّذينَ آمنُوا وعَلَىٰ رَبِّهمْ يَتَوكَّلُونَ * والَّذينَ يَجْتَنبُونَ كَبَائرَ الإثْم والْفَوَاحشَ ـ الذنوب والمعاصى الكبيرة. وإذَا مَا غَضبُوا هُمْ يَغْفرُونَ ـ يرحمون الناس كما يحبون أن يرحمهم الله، فلا يبقى فى نفوسهم حقد.

(*) راجع القضايا: ١٠ ـ ٥٢ ـ ٦٧ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ١٣٧.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ﴾

* وَالَّذينَ اسْتَجَابُوا لرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ - الظلم. هُمْ يَنتَصِرُونَ - لجانب الحق والعدل وإذا عاقبوا الظالم فبمقتضى العدل: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا(*) فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ - عفو المظلوم صاحب الحق (أو وليه إن كان قاصرًا أو ولى دمه إن كان قتيلاً أو وكيله إن كان غائبًا) بقصد الإصلاح. فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انتَصَرَ - بالقصاص. بَعْدَ ظُلْمِهِ - بعد أن كان مظلومًا. فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ - العقاب. عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ - يتجبرون. فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ - بالصفح والعفو. إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ - من الأمور المحببة إلى الله. وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ - إلى الدنيا فنعمل صالحًا ونؤمن بالله. مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ - أتباعهم فى الكفر. يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ * وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ.

---

(١٥٧) قضية الشورى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الآية: ٣٨].

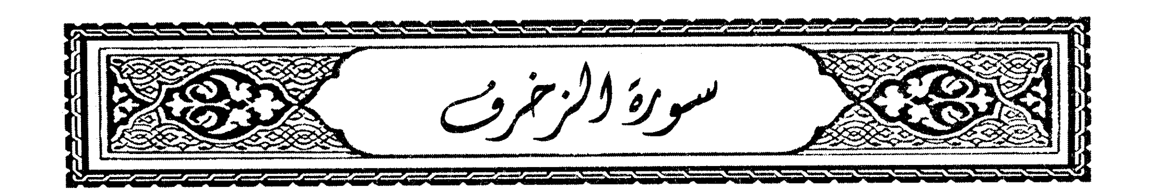
تعرف الأمم المتحضرة أن الاستبداد بالرأى والاستئثار بالسلطة أمر خطير يتهدد المجتمع. وقد نجحت أمم قديمة مثل اليونان فى إرساء المبادئ التى تجعل الشعب يشارك فى اتخاذ القرار، فكانت أسس الديمقراطية. والشورى طريق شرعه الله للمؤمنين حتى يأمنوا الآثار الوخيمة التى تنتج عن الاستبداد بالرأى. والشورى مطلوبة فى الأمور الهامة، وليست فى كل الأمور صغيرها وكبيرها، لأن هناك من الأمور ما يستقيم على الاستقلال بالرأى وفردية اتخاذ القرار، فالفكر والرأى الشخصى أمر لابد منه، وتكوين الرأى وإبداؤه يمثلان ملكة شخصية بحتة، والشورى هى جمع الآراء وتصنيفها للسير فى اتجاه الأغلبية.

وللشورى مظاهر عديدة، منها المجالس الاستشارية ومجالس النواب الممثلين للشعب، وغير ذلك من المؤسسات. وكلما عمت الشورى فى المجتمع المسلم كلما كان المجتمع مثاليًا من الوجهة الإسلامية. وفى ظل مجتمعاتنا المعاصرة ينبغى على الحكومات تكثيف التوعية والإرشاد والتثقيف بمبادئ الإسلام، كى لا تؤدى الأمية والجهل بمبادئ الدين إلى انحراف فكر غالبية الشعب عن التزام طريق الله وشرعه القويم. فالتوعية بالإسلام وثقافته لا تقف عند حد معرفة أركان الدين، وإنما تمتد لتشمل سلامة تطبيق المبادئ فى الواقع العملى، ولياقة تعامل المسلم مع الآخرين، سواء على المستوى الوطنى أو على المستوى الدولى. وكل الناس إخوة فى الإنسانية.

(*) راجع القضية ١٩.

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾

* اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ - يوم القيامة. مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ - وما لكم من سبيل إلى إنكار أعمالكم. فَإِنْ أَعْرَضُوا - عن الإيمان بالله واتباع دينه. فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا - ملزمًا بحملهم على الإيمان. إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا - حتى ينسيه فرحه بالنعمة عبادة الله الذى أنعم عليه. وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ - مصيبة أو ابتلاء أو عقاب، فـ : بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ - ناكر الفضل جحود. لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا - يثنى أى يعدد الذرية لمن يشاء بالنوعين الذكور والإناث معًا، أو يعدد ما تضع الأم فى البطن الواحدة، توأم من ذكرين أو من أنثيين أو من ذكر وأنثى، وغير ذلك... وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا - عن طريق الإلهام أو الرؤى. أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ - يحجب رؤية الإنسان لله عز وجل. أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً - من الملائكة مثل جبريل إلى الرسل والأنبياء (عدا موسى الذى كلمه الله بدون وحى، ولكن من وراء حجاب). فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ - من شواهد وغيبيات. إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا - جبريل. مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي - من قبل الوحى. مَا الْكِتَابُ - القرآن. وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي - به الأخيار من الناس. إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۝١٥ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ۝١٦ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝١٧ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝١٨ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ۝١٩ ﴾

حمٓ * وَالْكتاب الْمُبين * إِنَّا جعلْناهُ قُرآنًا عَربيًا لَعلَكُم تعقلُونَ * وَإِنَّهُ في أمِّ الْكتاب ـ اللوح المحفوظ. لدَيْنا لعليٌّ حكيمٌ * أفَنضْربُ عنكُمُ الذكرَ صفْحًا ـ أفلا نرسل إليكم بشرعنا القويم. أن كُنتُمْ ـ لأنكم. قوْمًا مُسْرفين ـ تريدون اتباع أهوائكم ؟ كلا. وكَمْ أرْسلْنَا من نَّبيٍ في الأوَّلين ـ فى الأمم السابقة. ومَا يأْتيهم مِّن نَّبيٍ إلاَّ كانُوا به يَستهْزئُونَ * فَأهْلكْنَا أشَدَّ منهُم ـ أقوى من أهل مكة. بطْشا ومضَىٰ ـ ذكر. مثَلُ الأوَّلين * ولئن سألْتهُم مَّنْ خلَق السَّموات والأرض ليَقُولُنَّ خلَقهنَّ العزيزُ العليمُ ـ القوى الذى يعلم بمخلوقاته. الَّذي جعلَ لَكُمُ الأرْضَ مهْدًا ـ ممهدة سهلة للحياة والزراعة. وجعلَ لَكُمْ فيها سُبلاً لَعلَكُم تهْتدُونَ * والَّذي نزَّلَ من السَّماء ماءً بقدرٍ فأنشرْنا ـ فأحيينا. به بلْدةً مَّيْتًا كذَلكَ تُخْرجُونَ ـ من قبوركم يوم الحساب. والَّذي خلَق الأزْواج كُلَّهَا ـ من كل صنف من الأحياء. وجعلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْك والأنْعام ما تركَبُونَ * لتستوُوا علَىٰ ظُهُوره ثُمَّ تذْكُرُوا نعْمةَ ربِّكُمْ ـ إن كنتم مؤمنين. إذَا استوَيْتُمْ عليْه وتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذي سخَّرَ لنا هذَا وما كُنَّا لهُ مُقْرنينَ ـ ولا يد لنا فى تطويعه، وإنما طوَّعهُ الله لنا بفضله. وإنَّا إلَىٰ ربِّنا لمُنقلبُونَ * وجعلُوا لهُ منْ عباده جُزْءًا ـ شريكًا معه. إنَّ الإنسانَ لكَفُورٌ مُّبينٌ * أم اتَّخذَ ـ الله. ممَّا يخْلُقُ بنات ـ تقولون ذلك وأنتم تحطون من قدر البنات. وأصْفَاكُم بالْبنين ـ وميزكم بالبنين وهم أعلى من البنات فى نظركم. وإذَا بُشِّرَ أحدُهُم بما ضرَبَ للرَّحْمن مثَلاً ـ البنات. ظلَّ وجْهُهُ مُسْودًّا وهُو كظيمٌ ـ أويَجْعلُونَ لله. من يُنشَّأُ في الْحلْية ـ البنات، فهن ينشأن فى النعومة والزينة. وهُو في الْخصام غيْرُ مُبين ـ وهن ضعفاء فى معتركات الحياة، فكيف ينسبوهن شركاء لله فى إدارة الكون. وجعلُوا الْملائكةَ الَّذينَ هُمْ عبادُ الرَّحْمن إناثًا ـ ضعيفات كالبنات من بنى الإنسان. أشهدُوا خلْقهُمْ! ستُكْتبُ شهادتُهُمْ ـ ادعاؤهم. ويُسْألُونَ.

﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٢٤) فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٣٠) وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) ﴾

* وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم - أى لو شاء الله ما عبدنا غيره، ولا عبد آباؤنا شركاء له. مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ - يكذبون. أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا - من السماء مذكوراً فيه شركاء لله. مِّن قَبْلِهِ - من قبل القرآن. فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ - فاستندوا إليه حجة لادعائهم. بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ - على نهج. وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ - كتاب الحكمة قرآناً صادقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. قَالُوا - نفس ما قاله أمثالهم للرسل من قبلك. إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي - الله وحده لا شريك له. فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً - «لا إله إلا الله». بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ - ذريته. لَعَلَّهُمْ - لعل الناس من قومهم. يَرْجِعُونَ - إليها ويؤمنون بها. بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ - الناس. وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ - القرآن. وَرَسُولٌ مُّبِينٌ - محمد ﷺ. وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ - زعيم من إحدى القريتين كالوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود بالطائف، لآمنا بأنه من عند الله. أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ - أهم يسندون رحمة ربك إلى من يشاؤون ويجعلون أنفسهم رقباء على الله يملون عليه ما يختار من الرسل؟. نَحْنُ قَسَمْنَا - وزَّعنا. بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ - دون تدخل منهم. لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا - يستعلى الكبراء على من هم أدنى منهم درجة، وذلك من جهل الناس. وَرَحْمَتُ رَبِّكَ - المتجلية فى دينه وشريعته. خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ - من قوة ومال وجاه. وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً - تتكالب على زينة الحياة الدنيا. لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ - سلالم للعلو. عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا - ولنزينهم. وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ - زينة زائلة ورخيصة فى. الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ.

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾

وَمَن يَعْشُ ـ يغمض بصره. عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا ـ يزين له الكفر ويستعبده فيتبع الأهواء والشهوات دون ضابط. فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ ـ الشياطين. لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ ـ أي يحسب الناس. أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا ـ كل فرد للحساب. قَالَ ـ الكافر لقرينه الشيطان. يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ(*) فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ ـ بكفركم. أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ـ لن يخفف عنكم اشتراك شياطينكم معكم في العذاب. أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ ـ أي سواء توفيناك من الآن، فإن الرسالة قد وصلتهم. فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ـ لو استمروا على كفرهم حتى ماتوا. أَوْ نُرِيَنَّكَ ـ في حياتك. الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ ـ من الذل والخزي في الدنيا. فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ * فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ ـ القرآن. لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ـ وفقا لأحكامه. وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا ـ أي واسأل العالمين بالرسل والرسالات السابقة (كعبد الله بن سلام وكان كبير أحبار اليهود قبل إسلامه، وما دفعه إلى الإيمان والإسلام إلا علمه بخلو أصول التوراة والإنجيل من الشرك بالله). وقيل أيضًا إن معنى الآية على ظاهرها، مرتبط بمعجزة الإسراء والمعراج، فيكون معناها : واسأل الرسل السابقين حين تلقاهم وقت معراجك إلى السماوات. أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ * وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ ـ بالمحن المتوالية. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ـ بما لك من منزلة مقربة عنده ليكشف عنا المحن والبلاء من قحط وجراد وانتشار القُمَّل والضفادع... إلخ. إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ـ لسوف نؤمن بربك إذا كشف الضر عنا. فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ـ يتراجعون. وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ـ يحقر من شأن نبي الله موسى، لعلّة كانت في لسانه.

(*) راجع تفسير الآية ١٧ من سورة الرحمن، ص ٥٠٥.

﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَـٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

فلو كان صادقًا لألقى ـ الله. عَلَيْه أَسْوِرَةٌ ـ حلى. مِّن ذَهَب أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائكَةُ مُقْتَرنينَ ـ ظاهرين إلى جانبه. فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسقينَ * فَلَمَّا آسَفُونَا ـ أغضبونا. انتَقَمْنَا منْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا ـ عبرة وموعظة من الماضى فى التاريخ. وَمَثَلاً لِّلآخرِينَ * وَلَمَّا ضُربَ ابْنُ مَرْيَمَ ـ عيسى، عليه الصلاة والسلام. مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ـ يقلبون المثل ليصدوا عن دين الله، إذ جادلوا فى قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ من دُون اللَّه حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. وفى غير ذلك من آيات مثلها، فقالوا : طالما أن عيسى عُبِدَ من دون الله فهو فى جهنم مع آلهتنا، ورضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى. وقولهم هذا باطل مدحوض، ذلك أن الله برأ عيسى وأمه، عليهما الصلاة والسلام، فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦]. ويقاس على عيسى غيره من الناس كالعزير، أو من الجن أو الملائكة الذين عُبِدُوا دون إرادتهم، فالله لا يُدْخِلَ جهنم إلا من كان مذنبًا، ولا ذنب بغير قصد وتعمد، أو سكوت مع إقرار ورضًا. ومن أمثال المذنبين فرعون، أما الأصنام فهى جمادات لا تتأذى من النار شأنها شأن الحطب والخشب، فهى وقود النار تؤذى غيرها بالنار دون أن تتأذى بها، فقد فطرها الله على ذلك. فيدخلها الله جهنم مع المشركين ليس نقمة منه عليها، وإنما نقمة منه على عابديها فقط من دونها، ولتكون هى وبالاً عليهم. وَقَالُوا أَآلهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ـ أى آلهتنا سواء مع عيسى. مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً ـ وما قالوا لك هذا القول عن اقتناع صادق به، وإنما قالوه لك على سبيل العناد ولتقوية الخصام والفرقة بينك وبينهم. بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ ـ عيسى.. إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْه ـ بالنبوة. وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا ـ بدلاً. منكُم مَّلائكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ ـ يخلفونكم فيها ويعبدون الله مخلصين له الدين. وَإِنَّهُ لَعلْمٌ لِّلسَّاعَة فَلا تَمْتَرُنَّ ـ اجتنبوا الشك الذى يجعلكم تكفرون. بهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقيمٌ * وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ـ عن اتباع طريق الهدى والإيمان. إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَات قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَة وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فيه ـ الاختلافات المتعلقة بالدين والعقيدة والعبادات. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ .

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

* الأَخلاَّءُ ـ الأصدقاء. يَوْمَئذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ـ كل منهم يقف من الآخر موقف الخصم ليلومه على تزيين طرق الضلال فى الدنيا. إلاَّ الْمُتَّقينَ ـ فهم يظلون أخلاء وأحباء فى الجنة يشكر بعضهم بعضًا. يَا عبَاد لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ولا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذينَ آمَنُوا بآيَاتنَا وكَانُوا مُسْلمينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وأَزْوَاجُكُمْ ـ الأزواج الذين كانوا فى الدنيا مؤمنين، بعضهم لبعض فى الجنة، ويزيدهم الله كما شاء من حور عين، وما إلى ذلك. تُحْبَرُونَ ـ حبار: جمال، أى تفرحون ويظهر عليكم جمال النعيم. يُطَافُ عَلَيْهِم بصحَاف مّن ذَهَبٍ وأَكْوَابٍ ـ أوانى للأكل والشراب الشهى. وفيهَا مَا تَشْتَهيه الأَنفُسُ وتَلَذُّ الأَعْيُنُ وأَنتُمْ فيهَا خَالدُونَ * وتلْكَ الْجَنَّةُ الَّتي أُورثْتُمُوهَا بمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فيهَا فَاكهَةٌ كَثيرَةٌ مّنْهَا تَأْكُلُونَ * إنَّ الْمُجْرمينَ في عَذَاب جَهَنَّمَ خَالدُونَ * لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ ـ لا يخفف العذاب عنهم. وَهُمْ فيه مُبْلسُونَ ـ بائسون من الرحمة. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ولَكن كَانُوا هُمُ الظَّالمينَ * وَنَادَوْا يَا مَالكُ ـ خازن النار. ليَقْض عَلَيْنَا رَبُّكَ ـ يميتنا فلا نشعر بالنار. قَالَ إنَّكُم مَّاكثُونَ ـ باقون على حالكم هذا تتعذبون.

(١٥٨) قضية: الإيمان والعمل: ﴿ وَتلْكَ الْجَنَّةُ الَّتي أُورثْتُمُوهَا بمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الآية: ٧٢].

الإيمان يقتضى العمل، وأوله الصلاة فهى تؤدى على أى حال كان عليه الإنسان ما دام حيًا، ولا تسقط عنه إلا بعذر شرعى مؤقت، كأوقات الحيض عند المرأة. لذلك فإن الصلاة تمثل حدا أدنى من العمل يقدر عليه كل شخص، فمن كان مريضًا يصلى قاعدًا، وإن لم يستطع فيصلى ممددًا فى فراشه، ومن عجز عن النطق فيصلى بحديث النفس سرًا. ولما كان الوضوء ركنًا فى هذا العمل فإن لم يوجد الماء، فإن له بديلاً هو التيمم، يلجأ إليه عند نفاد الماء أو التضرر منه للمرض. وإن كان المريض لا يستطيع الحركة فإن غيره ييممه، وإن لم يجد أحدًا يعينه فليصل على أى حال كان، وللضرورة أحكام.

أما بقية أركان الإسلام من صيام وحج وزكاة وصدقات ومعاونة الناس، فهى مرهونة باستطاعة الإنسان، بحيث يسقط الالتزام بها من على عاتق العاجز عن أدائها، وسقوط الالتزام لا يعنى سقوط الأجر، فالمريض الذى لا يستطيع الصيام يتضرر من مرضه، ويتمنى لو كان فى صحة تعينه على الصيام، فالله يعطيه على تضرره من المرض أجرًا وثوابًا، وربما فاق ذلك أجر الصائم المتمتع بتمام الصحة والعافية.

وكذلك الفقير الذى لا يستطيع الحج، ما باله أن هناك من الأغنياء من يركبون الركائب المريحة ويتنعمون فى سفرهم حتى يصلوا إلى مكة، وماذا عن الناس المقيمين بها ولا يكلفهم الحج سفرًا ولا مشقة غير الشعائر. فليعلم الفقير أن الله يثيبه عند عجزه عن تحقيق أمنيات الخير التى تلج فى صدره، أن لو كان غنيًا لذهب إلى حج بيت الله، ولأدى الزكاة من ماله بدلا من أن يتقبلها من الغير، فهو على عجزه مع إيمانه مأجور عند الله أجرًا كريمًا.

وقس على ذلك كل أعمال الخير، المرهون أداؤها بالاستطاعة مثل الكفاح والجهاد... إلخ.

﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

* لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ ـ في الدنيا وأنذرناكم بما أنتم فيه الآن. وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا ـ لكيد رسول الله والمؤمنين. فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ـ مدبرون هلاكهم في العذاب الخالد. أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا ـ ملائكتنا. لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ـ يسجلون أعمالهم. قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ * سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ ـ منزه. عَمَّا يَصِفُونَ * فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ـ في الدنيا. حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ * وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ـ يوم القيامة. وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ـ من شركاء. الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ـ فكيف ينصرفون عن دين الله. وَقِيلِهِ ـ قول نبي الله محمد ﷺ. يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ * فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ.

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

حمٓ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ـ ليلة القدر. إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ـ مؤمنين. لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ * بَلْ هُمْ ـ الكافرون. فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ * فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ـ فينادون: رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا ـ الآن. مُؤْمِنُونَ ـ بك وبرسولك. أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ـ يُعَلِّمُهُ أَحَدٌ من الناس القرآن، أو هو مجنون. إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ ـ رافعوه عن الكافرين، أى نؤجله. قَلِيلاً ـ ونعلم. إِنَّكُمْ عَائِدُونَ * يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ ـ يوم القيامة. إِنَّا مُنتَقِمُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ـ موسى عليه الصلاة والسلام. أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ـ سلموا إلى بنى إسرائيل الذين استعبدتموهم. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ـ أحمل لكم رسالة من الله لتهتدوا بها. وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ـ ألا تعاندوا الله وأطيعوه. إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ـ حجج قاطعة على أن ما أرسلت به إليكم هو الحق. * وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ـ وإنى احتميت بربى وربكم من بطشكم. وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ * فَدَعَا رَبَّهُ ـ حين رأى منهم الكفر والعدوان. أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ـ قال الله: فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ـ من آل فرعون. وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ـ منشقًا يفسح عن طريق يابس تعبرونه، أما فرعون وجنوده من ورائكم. إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ.

﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَـٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

كَمْ تَرَكُوا من جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وزُرُوعٍ ومَقَامٍ كَرِيمٍ * ونَعْمَةٍ كَانُوا فيهَا فَاكِهِينَ ـ وذهبوا بعنادهم من ذلك المقام الكريم إلى الموت غـرقًا، وعذاب جهنم من بعده أشـد وأبقى فى الآخرة. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا ـ أرضهم ونعـيمهم. قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ ـ فلم تحزن عليـهم الملائكة فى السـماء ولا الناس فى الأرض. وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ـ ممهلين. وَلَقَدْ نَجَّيْـنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِـنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * من فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا ـ متكـبرًا. مِّنَ الْمُسْرِفِينَ * وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ ـ اخـترنا بنى إسـرائـيـل. عَلَىٰ عِلْمٍ ـ منـا بإيمـانهـم ففـضلناهم بذلك. عَلَى الْعَالَمِينَ ـ على أهل زمانهم. وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ مَا فيه بَلاءٌ ـ امتحان. مُّبِينٌ. إِنَّ هَؤُلاءِ ـ الكافرين. لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ـ بمبـعوثين. فَأْتُوا ـ أيها الرسل. بِآبَائِنَا ـ احيوهم. إن كُنتُمْ صَادِقِينَ * أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ من قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ * إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ ـ موعدهم. أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى ـ لا يشفع سيد لعبده ولا عبد هو شافع لسيده. شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ ـ والرحمة يومئذ للمؤمنين. إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ.

* إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ـ شجـرة تنبت فى جهنم. طَعَامُ الأَثِيمِ ـ الكافر. كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ ـ أمـر مـن اللـه إلى مـلائكة العذاب بأن يأخـذوا الكافر. فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ ـ يا من كنت تزعم فى الدنيا. إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِه تَمْتَرُونَ ـ تكذبون.

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

* إِنَّ الْمُتَّقِينَ في مَقَامٍ أَمِينٍ * في جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ من سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ ـ التى ذاقوها فى الدنيا. وَوَقَاهُمْ ـ الله بكرمه ورحمته. عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ـ العربى. لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ.

(١٥٩) قضية: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الآية: ٥٨].

هذه الآية تحسم أمرًا هامًا وهو غلق باب الخلط بين مسألة الإعجاز البلاغى للقرآن الذى نزل لفظًا ومعنى من عند الله، وبين مسائل أخرى مثل لغة الحساب، ولغة الآخرة.

إن نزول القرآن لفظًا ومعنى من عند الله باللغة العربية وبإعجاز بلاغى لا يستطيع الناس الإتيان بمثله، لا يعنى أكثر من أن الله، وهو على كل شىء قدير، قد يسر القرآن لفظًا ومعنى ليخاطب به محمدًا الرسول ﷺ. وليس لنا أن نبحث فيما هو أبعد من ذلك، كأن نقول إن العربية هى لغة الآخرة أو هى لغة الله، فاللغة وسيلة والله غنى عن الوسائل. والكلام فى ذلك يكون بالظن الذى لا يغنى عن الحق شيئًا، فليست هناك آيات تشير إلى لغة الآخرة والحساب...إلخ.

أما مسألة نزول القرآن بالعربية، وكونه رسالة موجهة إلى الناس كافة، فلا تناقض فى ذلك البتة، ذلك لأن أى خطاب عالمى لابد وأن يصاغ ابتداء بلغة محددة، ثم ينشر العلم به بالترجمة إلى اللغات الأخرى.

فاللغات مطلوبة لوصول العلم إلى الناس. أما عالمية الخطاب ذاته فهى تكمن فى كونه ميسور الفهم والتطبيق فى مختلف المجتمعات، وللعالمية جوانب عملية أخرى أهمها نشر الخطاب والعمل على إقناع الناس به حتى يستقر فى مختلف الثقافات(*).

(*) راجع القضايا: ٣ ـ ٨ ـ ١٢٢ ـ ١٢٤ ـ ١٣١.

سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغۡنِي عَنۡهُم مَّا كَسَبُواْ شَيۡـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ۝١١ ﴾

حمٓ * تنزيلُ الْكتاب ـ القرآن. من اللّه الْعزيز الْحكيم * إنّ في السّموات والأرْض لآيات للْمؤْمنين * وفي خلْقكُمْ وما يبُثُّ من دابّة آياتٌ لقوْم يوقنُون * واخْتلاف اللّيْل والنّهار ـ تبادلهما. وما أنزل اللّهُ من السّماء من رزْق ـ الماء رزق وحياة ﴿ وجعلْنا من الْماء كُلّ شيْءٍ حيّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. فأحْيا به الأرْض ـ فاخضرت وأنبتت. بعْد موْتها وتصْريف الرّياح آياتٌ لقوْم يعْقلُون * تلْك آياتُ اللّه نتْلُوها عليْك بالْحقّ فبأيّ حديث بعْد ـ شرع. اللّه وآياته يُؤْمنُون ـ ؟. ويْلٌ لّكُلّ أفّاك أثيم * يسْمعُ آيات اللّه تُتْلىٰ عليْه ثُمّ يُصرُّ ـ على الإعراض عنها. مُسْتكْبرًا كأن لّمْ يسْمعْها فبشّرْهُ بعذاب أليم * وإذا ـ وصله. علم منْ آياتنا شيْئًا اتّخذها هزُوًا أُولئك لهُمْ عذابٌ مُّهينٌ * من ورائهمْ جهنّمُ ولا يُغْني عنْهُم مّا كسبُوا ـ في الدنيا. شيْئًا ـ من عذاب الآخرة. ولا ـ ينصرهم. ما اتّخذُوا من دُون اللّه أوْلياء ولهُمْ عذابٌ عظيمٌ * هذا هُدًى والّذين كفرُوا بآيات ربّهمْ لهُمْ عذابٌ مّن رّجْزٍ أليمٌ.

---

(١٦٠) قضية: الإسلام يجب ما قبله والتوبة تمحو الذنوب: ﴿ هَٰذَا هُدٗى ﴾ [الآية: ١١].

إن التوبة عن أي ذنب كبر أم صغر هي مقبولة عند الله، حتى الكفر فإن التوبة عنه تقبل، فالرجوع عنه يكون بالإيمان بالله وحده لا شريك له وبجميع أنبيائه ورسله، وخاتمهم محمد ﷺ والتبرؤ من أي افتراءات وأباطيل تناقض شريعة الإسلام الخاتمة، والإيمان بالغيب الذي لا نراه من يوم الحساب والآخرة والجنة والنار والملائكة والشياطين...

إن هذا الإيمان يجب ـ يمحو ـ ما قبله من كفر وما تعلق به من جرائم كالصد عن دين الله ورمي رسوله بالكذب والافتراء والسحر... أما الذنوب والجرائم غير المتعلقة بالعقيدة والتي ارتبطت بالسلوك الاجتماعي، كالسرقة والرشوة وقطع الطريق والقتل، التي هي جرائم معلومة في كل المجتمعات، فإن حديث العهد بالإسلام مسؤول عنها كما لو كان ارتكبها وهو مسلم، فعليه الجزاء وردّ المظالم والتكفير عنها.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

اللَّهُ الَّذي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لتَجْريَ الْفُلْكُ فيه بأَمْره ولتَبْتَغُوا من فَضْله ـ من خيراته. ولَعَلَّكُمْ تشكُرُونَ * وسَخَّرَ لَكُم مَّا في السَّمَوات وَمَا في الأَرْض جميعاً مّنْهُ ـ كل ذلك من صنعه سبحانه وتعالى. إنَّ في ذَلكَ لآيَات لّقَوْمٍ يَتفكَّرُونَ * قُل للَّذين آمَنُوا يَغْفرُوا ـ يعرضوا ويصفحوا (فى المقام الذى يتطلب الصفح). للَّذين لا يَرْجُونَ أَيَّامَ ـ لقاء. اللَّه ليَجْزيَ قَوْماً بمَا كَانُوا يَكْسبُونَ * مَنْ عَملَ صَالحًا فَلنَفْسه ومَنْ أَسَاءَ فعَلَيْهَا ثُمَّ إلَىٰ رَبّكُمْ تُرْجَعُونَ ـ للحساب يوم القيامة. ولَقَدْ آتَيْنَا بَني إسْرَائيلَ الْكتَابَ ـ التوراة والإنجيل من بعدها. وَالْحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ـ طال تسلسلها فيهم. وَرَزَقْنَاهُم مّنَ الطَّيّبَات وَفَضَّلْنَاهُمْ علَى الْعَالَمينَ * وآتَيْنَاهُم بَيّنَات مّنَ الأَمْر ـ آيات مبشرات بالرسالة الخاتمة. فَمَا اخْتَلَفُوا إلاَّ منْ بَعْد مَا جَاءَهُمُ الْعلْمُ ـ الحق المصدق لما لديهم من آيات فى كتب الله. بَغْيًا بَيْنَهُمْ ـ جحدوا الحق لما علموا أن خاتم الأنبياء والمرسلين عربى وليس من بنى إسرائيل. إنَّ رَبَّكَ يَقْضي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقيَامَة فيمَا كَانُوا فيه يَخْتَلفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَريعَةٍ مّنَ الأَمْر ـ جعلناك بالقرآن على علم بشريعة الله. فَاتَّبعْهَا ولا تَتَّبعْ أَهْوَاءَ الَّذين لا يَعْلَمُونَ * إنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ منَ اللَّه شَيْئًا ـ فأسلم وجهك لله وحده. وَإنَّ الظَّالمينَ بَعْضُهُمْ أَوْليَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَليُّ الْمُتَّقينَ * هَذَا بَصَائرُ للنَّاس وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لّقَوْمٍ يُوقنُونَ * أَمْ حَسبَ الَّذينَ اجْتَرَحُوا السَّيّئَات أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذين آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات سَوَاءً ـ فى. مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ـ كلا. سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَات وَالأَرْضَ بالْحَقّ وَلتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * أَفَرَأَيْتَ مَن اتَّخَذَ إلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ علْمٍ ـ بالرغم من جلاء الحق أمام عينيه. وخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعه وَقَلْبه وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَره غشَاوَةً فَمَن يَهْديه منْ بَعْد اللَّه أَفَلا تَذَكَّرُونَ * وَقَالُوا مَا هيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ـ فيها فقط. وَمَا يُهْلكُنَا ـ وما يقضى علينا. إلاَّ الدَّهْرُ ـ الزمان وليس بعد الموت حياة أخرى. وَمَا لَهُم بذَلكَ منْ علْمٍ إنْ هُمْ إلاَّ يَظُنُّونَ ـ يأملون أن يكون الأمر كذلك. وَإذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهمْ آيَاتُنَا بَيّنَات مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إلاَّ أَن قَالُوا ـ للرسل. ائتُوا بآبَائنَا ـ أحيوا آباءنا. إن كُنتُمْ صَادقينَ.

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

* قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ـ الكفار الذين يسعون إلى إبطال دين الله وشريعته. وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ ـ نسجل ونحفظ. مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ـ يبلغها الرسل والدعاة من بعدهم. فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ * وَبَدَا لَهُمْ ـ يوم الحساب. سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ ـ نترككم. كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ـ كما أعرضتم عن الإيمان بالله واليوم الآخر، وكذبتم الرسل. وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ * ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ـ من النار. وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

---

(١٦١) قضية : ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ﴾ [الآية:٢٨].

كتاب كل أمة هو الكتاب الذى نزل على رسولها، وهو ملزم لأمة الرسول فى عصره و للأجيال من بعده إلى أن يأتى رسول آخر. ولقد أرسل الله فى بنى إسرائيل رسلاً كثيرين، منهم موسى ورسالته التوراة، فيشهد موسى لمن آمن به والتزم أحكام التوراة، ويشهد أيضا على من كفر به. ثم يأتى المسيح عيسى ابن مريم الذى أرسل إلى بنى إسرائيل، فيشهد لمن آمن به والتزم أحكام الإنجيل، و يشهد كذلك على من كفر به من اليهود والروم الوثنيين الذين حاربوه، وغيرهم، إذ أن أمة الرسول تعنى الناس الذين بعث إليهم ولو تسموا بأسماء أمم مضت. ثم يأتى محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، الذى بعث للناس كافة بشيرا ونذيرا، فيشهد لكل من آمن بدين الإسلام، ويشهد على كل الأجيال التى علمت بالإسلام وبلغتها الدعوة إليه ولم تؤمن به، ولو سموا يهودًا أو نصارى أو غير ذلك، لأن الإسلام هو خاتم الرسالات إلى يوم الدين. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

ويجدر التنبيه إلى أن مبدأ الإسلام يجب ما قبله يجد مجاله فى حقوق الله، أما حقوق العباد فى القصاص العادل عن جرائم القتل والتعويض عن الأضرار والخسارات المترتبة على السرقات والنهب وقطع الطريق فالمسؤولية عنها لاتسقط، ويمكن مطالبة المسؤول عنها ولوكان قد اقترفها قبل إسلامه، لأنها من قبيل الأفعال المجرمة فى كل المجتمعات بغض النظر عن العقيدة.

سورة الأحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾

حمٓ * تنزيلُ الْكتاب - القرآن. منَ اللَّه الْعزيزِ الْحكيم * مَا خَلَقْنَا السَّمَوات وَالأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بالْحق وَأَجلٍ مُّسَمًّى - عمر مقدر. وَالَّذينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذرُوا - أى كفروا بما جاءهم به الرسول، والدعاة من بعده. مُعْرِضُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تدْعُونَ من دُونِ اللَّه أَرُوني مَاذَا خَلَقُوا منَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شرْكٌ في - خلق. السَّمَوات ائْتُوني بكتاب مّن قَبْلِ هَذَا - هل من كتاب نزل من عند الله يقول إن لله شركاء. أَوْ أَثَارَة - دليل. مّنْ علْمٍ إن كُنتُمْ صَادقين * وَمَنْ أَضَلُّ ممَّن يَدْعُو من دُونِ اللَّه مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ - ولو استمر فى دعائه. إلَىٰ يَوْمِ الْقيَامَة وَهُمْ - المعبودون من دون الله. عَن دُعَائهمْ غَافلُونَ - غير مكترثين (فالأصنام والحيوانات لا تعى ولا تعقل، وإن كان المعبود إنسانًا، فهو إما غائب لا يستجيب لشىء كالمسيح ابن مريم - ولا لوم عليه إذ أنه لم يأمر الناس بعبادته حال حياته معهم على الأرض - وإما حى بينهم فهو من المغرورين من أمثال فرعون، وهو أيضا غافل ولا قدرة له على الاستجابة لدعائهم). وَإِذَا حُشرَ النَّاسُ - يوم الحساب. كَانُوا - المعبودون من دون الله. لَهُمْ - لعابديهم. أَعْدَاءً وَكَانُوا بعبَادَتهمْ كَافرينَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذينَ كَفَرُوا للْحَقّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سحْرٌ مُّبِينٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ - يقولون : ألّف القرآن ونسبه إلى الله. قُلْ إن افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلكُونَ لي منَ اللَّه شَيْئًا - وسيجازينى على ما افتريت. هُوَ أَعْلَمُ بمَا تُفيضُونَ فيه - من وصف القرآن من أنه سحر أو افتراء من تأليف بشر. كَفَىٰ به شَهيدًا بَيْني وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ - لمن آمن. الرَّحيمُ - بإمهاله من لم يؤمن بعد. قُلْ مَا كُنتُ بدْعًا - لست أنا أول رسول. مّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْري مَا يُفْعَلُ بي وَلا بكُمْ إنْ أَتَّبعُ إلاَّ مَا يُوحَىٰ إلَيَّ وَمَا أَنَا إلاَّ نَذيرٌ مُّبينٌ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إن كَانَ منْ عند اللَّه وَكَفَرْتُم به - ماذا سيكون جزاؤكم يوم الحساب؟! وَشَهِدَ شَاهدٌ مّنْ بَني إسْرَائيلَ عَلَىٰ مثْله - عبد الله بن سلام كبير أحبار بنى إسرائيل شهد على موافقة أصول التوراة لما جاء فى القرآن، وشهد على ما فيها من آيات مبشرة بمجىء خاتم المرسلين محمد ﷺ. فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إنَّ اللَّهَ لا يَهْدي الْقَوْمَ الظَّالمينَ.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝ ﴾

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ـ قالوا عن اليهود الذين أسلموا. لَوْ كَانَ ـ الإسلام. خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ـ بل كنا نحن أسبق إليه من هؤلاء وأسرع إلى التصديق به. وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ـ بالقرآن. فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ـ كقولهم أساطير الأولين. وَمِن قَبْلِهِ ـ من قبل القرآن. كِتَابُ مُوسَىٰ ـ التوراة. إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ ـ لما قبله. لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ـ فقد. حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ـ مع آلام الحمل. وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ـ مع آلام الولادة. وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ـ كل حسنة من حسناتهم ولو كانت صغيرة تقدر بقدر أحسن الأعمال. وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ ـ بالمغفرة، ونجعلهم. فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ.

---

(١٦٢) قضية: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الآية: ١٥].

هذه الآية تتكلم عن مدة الحمل والفصال معًا، وهناك آية أخرى تتكلم عن مدة الفصال وحده وهى : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤].

وقد عرضت قضية على الصحابة، رضى الله عنهم: أن عثمان بن عفان أُتِىَ بامرأة قد ولدت فى ستة أشهر، فأمر بإقامة الحد عليها. فقال له على بن أبى طالب: ليس ذلك عليها، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ وقال: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فالحمل ثم الرضاعة حتى الفصال مدته ثلاثون شهرا، والرضاعة وحدها كاملة حتى الفصال مدتها حولان كاملان: أربعة وعشرون شهرا. فإذا طرحنا مدة الرضاعة كاملة منذ الولادة وهى ٢٤ شهرا من مدة الحمل المتصلة بمدة الرضاعة وهى ٣٠ شهرا، لأدى ذلك إلى تصور أن تكون أقل مدة للحمل منذ بدايته وحتى الوضع، ستة أشهر(*). والذى نستخلصه من الآيتين أنهما معًا تشتملان على مدة الحمل والوضع المعتاد وما قل عن المعتاد. وفى عصرنا الحاضر نجد حالات للولادة تدخل فى نطاق ذلك المفهوم.

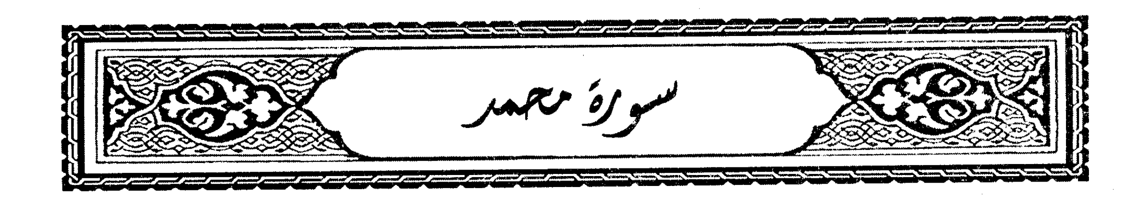
(*) ذكره مالك فى الموطأ ـ باب الحدود.

﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

* وَالَّذي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ ـ أبعث بعد موتي إلى الحياة مرة أخرى. وَقَدْ خَلَت الْقُرُونُ من قَبْلِي ـ مات من مات من الأمم، ولم أر أحداً عاد مرة أخرى إلى الحياة. وَهُمَا يَسْتَغيثَان اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّه حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * أُولَئكَ الَّذين حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ ـ بالعذاب. في أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ من قَبْلهم مَنَ الْجِنِّ وَالإِنس إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسرين * وَلِكُلٍّ درجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذين كَفَرُوا عَلَى النَّار ـ يقال لهم. أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ ـ أعمالكم الحسنة. في حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ـ فلا ينفع عمل الخير مع كفر فاعله. وَاسْتَمْتَعْتُم بهَا ـ متعناكم في الدنيا في ما ترونه حسنا من أعمالكم. فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُون بما كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُون في الأَرْضِ بغَيْرِ الْحَقِّ وبمَا كُنتُمْ تفسُقُونَ * وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ ـ وهو «هود» عليه الصلاة والسلام. إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بالأَحْقَاف ـ اسم واد باليمن، وهو موطن قوم عاد. وَقَدْ خَلَت النُّذُرُ منْ بَيْن يدَيْه وَمنْ خَلْفه ـ قال. أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ اللَّهَ إِنِي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظيم * قَالُوا أَجئْتَنَا لتَأْفكَنَا ـ لتصرفنا. عَنْ آلهَتنَا فَأْتنَا بمَا تَعدُنَا ـ من العذاب على الكفر والشرك. إن كُنتَ منَ الصَّادقين * قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ ـ بالعذاب وقت وقوعه. عندَ اللَّه وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ به وَلَكني أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُون * فَلَمَّا رَأَوْهُ ـ العذاب. عَارضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْديَتهِمْ ـ في صورة سحاب غزير. قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطرُنَا ـ حسبوه سحاب خير يحمل إليهم المطر. بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم به ريحٌ فيهَا عَذَابٌ أَليمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بأَمْر ربِّهَا فَأَصْبحُوا لا يُرَىٰ إلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلكَ نَجْزي الْقَوْمَ الْمُجْرمين * ولَقدْ مَكَّنَّاهُمْ فيما إن مَكَّنَّاكُمْ فيه ـ من متاع الدنيا. وَجعلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وأَبْصارًا وأَفْئدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنهُمْ سمْعُهُمْ ولا أَبْصَارُهُمْ ولا أَفْئدَتُهم مِّن شَيْءٍ إذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بآيَات اللَّه وَحَاقَ بهم ـ نزل عليهم العذاب، وهو. مَا كَانُوا به يَسْتَهزئُونَ * وَلَقدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ ـ كأهل قرية لوط. وَصَرَّفْنَا الآيَات لَعَلَّهُمْ يَرْجعُونَ * فَلَوْلا ـ فهل. نَصَرَهُمُ الَّذينَ اتَّخَذُوا من دُون اللَّه قُرْبَاناً آلهَةً ـ وسطاء إلى الله. بَلْ ضَلُّوا عَنهُمْ وَذَلكَ إفْكُهُمْ ـ كذبهم. وَمَا كَانُوا يفْتَرُون.

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ـ (حين كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس الفجر). فَلَمَّا حَضَرُوهُ ـ حضروا قراءة القرآن. قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ ـ فلما انتهى رسول الله من تلاوة القرآن. وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ـ يحتوى على آيات صادقة وهنا تأكيد لوحدة العقيدة بين التوراة والقرآن تدعم بعضها بعضًا. يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ـ محمداً ﷺ. وَآمِنُوا بِهِ ـ رسولا وبالإسلام دينا. يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ ـ من دون الله. أَوْلِيَاءُ أُوْلَٰئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ ـ لم يتعب. بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ـ تقول لهم الملائكة. أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ـ هو الحق. قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ـ من قبلك. وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ـ ولا تدع الله عليهم مستعجلاً عذابهم فى الدنيا. كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ ـ يوم الحساب، سيشعرون أنهم. لَمْ يَلْبَثُوا ـ فى الدنيا. إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ـ قل لهم هذا. بَلاغٌ ـ من الله. فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ !



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ - فى الدنيا ليرجح ميزانهم فى حساب الآخرة. قال رسول الله ﷺ : «ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفَّر الله بها سيئاته كما تحطُّ الشجرة أوراقها»(*). وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ - خفف عنهم هموم الدنيا وشقاءها فى أنفسهم. ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ * فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ - فاصمدوا فى قتالهم. حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ - أحرزتم النصر وتأكدتم بأن الغلبة لكم. فَشُدُّوا الْوَثَاقَ - فأسروا من تأسرون منهم. فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ - بإطلاق الأسرى دون مقابل. وَإِمَّا فِدَاءً - قبول فدية لإطلاق الأسير، حسب الصالح العام. حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا - إلى أن تنتهى الحرب. ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ - لقهرهم بدون معركة. وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ - التى. عَرَّفَهَا لَهُمْ - التى وصفها لهم فى هذا القرآن الكريم. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ - الله. أَعْمَالَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ - حياتهم. وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا - أمثال هذه العقوبات. ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ * إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ - فى الحياة الدنيا. كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ - فى الآخرة.

(*) البخارى، المرضى ٥٢١٦ - ٥٢٢٨ - ٥٢٣٥. مسلم، البرُّ والصلة والآداب ٤٦٦٣ أحمد، مسند المكثرين من الصحابة ٤١١٦. الدارمى، الرقاق ٢٦٥٢.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾

* وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ - مكة. أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ * أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّه كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِه وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ - من ماء صاف عذب لا يتغير. وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ - ثابت على حلاوته. وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ - هل هؤلاء الذين هم فى النعيم. كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ؟ - كلا. وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ - قولاً ساخرًا: مَاذَا قَالَ آنِفًا ؟. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ * فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا - فقد جاء ذكر علاماتها فى القرآن وفى الكتب السابقة. فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ - إذا حضرت أمامهم سيرتهم وأعمالهم، فلا ينفعهم تصديقهم بالذكر حينئذ وقد كفروا به فى الدنيا. فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ - يعلم بكل أحوالكم.

---

(١٦٣) قضية: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [الآية:١٨].

الساعة لا تقوم إلا بغتة ولو ظهرت أمام الناس علاماتها، لأن الإنذار بوقوع الشىء لا يحمل بالضرورة إعلامًا بلحظة وقوعه، فالإنذار بالساعة عن طريق العلامات يعنى إخطاراً بقرب وقوعها.

إن المؤمنين يصدقون قيام الساعة ويتوقعونها منذ إيمانهم وقبل ظهور علاماتها المنذرة، فهم يعلمون أن الموت يصيب الإنسان فى لحظة لا علم له بها مسبقًا، وقد يكون لقربها دلالات من مرض أو ضعف أو شيخوخة، وحياة الفرد فى الدنيا قصيرة، والكافر مصدق بالموت وفقًا للعلم الاستقرائى. وكل الناس، مؤمنين كانوا أم كافرين، ستقوم عليهم الساعة بغتة.

ومن الناس من يجادل فى أشراط الساعة وعلاماتها، فيسند كل مجريات الأمور إلى الطبيعة ذاتها، ويظن أن الأمور غير المعتادة إنما تجرى ويتكرر وقوعها فى مدد متفاوتة، لا يستطيع العلماء حصرها، وهى من جملة حوادث الطبيعة. وصاحب مثل هذا الفكر لا يتعظ ولا يعتبر بأشراط الساعة وغيرها، فكل همه أن يحيا ويأكل ويشرب ويتمتع.

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ـ تسمح لنا بالجهاد والقتال. فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ـ وهم المنافقون. يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ * طَاعَةٌ ـ الرسول. وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ـ لأن الموت آتيهم إن عاجلاً أو آجلاً. فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ ـ جاءت المواجهة بالقتال. فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ ـ وخرجوا مع الرسول. لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ * فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ـ عن رسول الله. أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ـ كما كان حالكم فى الجاهلية. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ * أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ـ أم أغلقت قلوبهم بإحكام. إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ـ مدّ لهم الأمل فى الدنيا. ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ ـ المنافقون قالوا للكافرين. سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ ـ نشارككم في بعض المؤامرات ضد رسول الله، عسى أن نشق صف المؤمنين. وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ ـ اتبعوا ما يغضب الله عليهم. وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ـ المنافقون. أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ـ هل تصوروا أن الله لن يكشف دسائسهم أمام رسوله والمؤمنين. وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ـ بعلامة ظاهرة ومميزة نطبعها على وجوههم (وفى ذلك رحمة وستر من الله حتى لا يتحرج أحد من تصحيح موقفه وتطهير نفسه من النفاق بتوبة خالصة). وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ـ اضطراب أقوالهم وزلة ألسنتهم التى تنم عن النفاق. وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ(*) ـ نحصى فى حساب الأعمال. الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ـ ونظهر مواقفكم.

* إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ـ بالخروج عن طاعة الله ورسوله.

(*) إن الله ليس بحاجة إلى علم فهو يعلم بكل شيء، ونعلم هنا بمعنى نحصى فى حساب الأعمال، راجع القضية ١٣٠.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾

إنَّ الَّذينَ كفرُوا وصَدُّوا عَن سَبيلِ اللَّه ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفرَ اللَّهُ لَهُمْ * فلا تَهنُوا وتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ ـ تركنوا إلى الضعف والجبن أمام عدو الله وعدوكم. وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ـ وأنتم فى قوة وعزة بالله. وَاللَّهُ مَعَكُمْ ولَن يَترِكُمْ ـ لن ينقصكم أجر. أَعْمَالَكُمْ * إِنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمنُوا وتَتَّقُوا يُؤْتكُمْ أُجُورَكُمْ ولا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إن يَسْأَلْكُمُوهَا ـ إن يطلب منكم إنفاق كل أموالكم. فَيُحْفكُمْ تَبْخَلُوا ويُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ـ ستضمرون بغضا للحق، لذلك هو يلطف بكم ويرحمكم فلا يسألكموها كلها. هَا أَنتُمْ هؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لتُنفقُوا في سَبيلِ اللَّه ـ بقدر ما استطعتم. فَمنكُم مَّن يَبْخَلُ ـ فلا يعطى شيئًا مذكورًا. وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسه ـ لأنه يخسر أضعاف ما بخل به، إنه يخسر عطاء الله الكريم الذى له مُلك الدنيا والآخرة. وَاللَّهُ الْغَنيُّ وأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتولَّوْا يَسْتَبْدلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ.

سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥) وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا (٦) وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧) إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠) ﴾

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ـ نبشرك يا محمد بأننا كتبنا لك نصرًا عظيمًا (منذ صلح الحديبية إلى فتح مكة، وحتى تدين للإسلام الأمم والأجيال)(*). ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيمًا * وينصرك الله نصرًا عزيزًا * هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم ـ في وقت الشدة والكرب. ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليمًا حكيمًا * ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم ـ في الدنيا فيطهرهم ويجازيهم في الآخرة جنة النعيم. وكان ذلك عند الله فوزًا عظيمًا.

* ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرًا * ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزًا حكيمًا * إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا * لتؤمنوا ـ أيها الناس. بالله ورسوله وتعزروه ـ تنصروه. وتوقروه وتسبحوه ـ تسبحوا الله. بكرة وأصيلًا * إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث ـ خان العهد. فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا.

(*) نزلت هذه السورة على الرسول ﷺ بعد صلح الحديبية، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أنزلت على الليلة سورة لهى أحب إلىَّ مما طلعت عليه الشمس» البخارى المغازى ٣٨٥٩. مالك، النداء للصلاة ٤٢٧. وفى رواية «... أحب إلىَّ من الدنيا وما فيها» أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة ٢٠٤.

وصلح الحديبية يعتبر فى ذاته فتحًا لأنه اعتراف بمحمد وأمته باعتبارهم كيانًا له سيادة، ولولا ذلك لما أجرى معهم هذا الصلح الذى يأتون بمقتضاه للحج العام التالى، وتخلّى لهم مكة ثلاثة أيام حتى ينتهوا من شعائرهم ثم جاءت قبائل من بعد ذلك تتحالف مع المسلمين.

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾

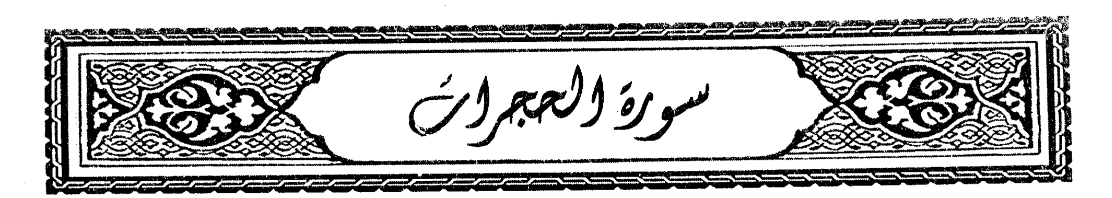
سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ ـ القاعدون عن الخروج إلى الجهاد. مِنَ الأَعْرَاب شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ـ ليست لديهم نية التوبة، وقلوبهم حاقدة عليك وعلى المؤمنين. قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ـ ظننتم أنهم لن ينتصروا أبدًا ولن يعودوا إلى مكة، لذلك جبنتم عن الخروج معهم. وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ـ فاسقين. وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ـ وفقًا لعدله. وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ـ متسامحًا، يقبل التوبة من عباده قبل أن يحضرهم الموت، فاغتنموا من رحمة ربكم واتعظوا. سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ـ إذا انطلقتم إلى خيبر وقد علموا أن النصر فيها محقق لأن الله بشر رسوله بذلك. ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ ـ كانت بشارة الله لرسوله والمؤمنين أن تكون غنائم خيبر لمن خرج مع الرسول في الحديبية دون من تخلف عنه من المنافقين. قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً * قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ ـ أمامكم فرصة من الله للتوبة عن النفاق وعن تخلفكم عن الرسول. سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ـ قيل هم بنو حنيفة أصحاب موقعة اليمامة، وقيل هم الفرس والروم. فَإِن تُطِيعُوا ـ الأمر بالقتال. يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ـ تلك أمثلة من الأعذار المقبولة عند الله. وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ـ عاهدوك بأن يصمدوا أمام قريش ولا يفروا، وكانوا ألفًا وثلاثمائة تقريبًا. فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا.

﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ـ المعارك التى انتصرتم فيها. وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ ـ بتقوية مكانتكم وإسباغ الهيبة على مجتمعكم رحمة منه. وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ـ على أن قوتهم تزداد بتمسكهم بدين الله واتباع شريعته. وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ـ فى حياة الرسول وهى المعارك ضد الفرس والروم. قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا * وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا * وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ ـ يوم الحديبية. مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ـ نصركم على سرية منهم مكونة من ثمانين، وقيل خمسين فارسًا، خرجت لمناجزة المؤمنين فأسرهم الرسول وأصحابه ثم رأف بهم فأطلقهم، وكان ذلك من الأمور التى سهلت صلح الحديبية. وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ـ منعوكم من الحج ومن ذبح الهدى فى المنحر بالحرم المكى. وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ ـ وقد كان الله قادرًا على أن يجعلكم تناجزون قريشًا وقتها وينصركم عليهم، ولكنه قدر أن هناك من الرجال والنساء من آمن بمكة وهم وسط الكافرين. لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ ـ تقتلوهم لو دخلتم محاربين. فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ ـ إثم وذنب. بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا ـ ولو كان هؤلاء المؤمنون متخذين علامة تميزهم عن الكافرين لقدرنا لكم القتال. لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ ـ من أهل مكة. عَذَابًا أَلِيمًا ـ على أيديكم. إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ـ العصبية والتعصب للعرق. حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ـ وكان المسلمون من حول الرسول قد تعجبوا أنهم لم يحجوا فى عامهم هذا بالرغم من أنهم خرجوا مع الرسول بناء على رؤيا رآها. ولكن تلك الرؤيا لم تفصح عن موعد حجهم، وبصلح الحديبية الذى نص على قدومهم العام القادم للحج وخروج أهل مكة منها حتى يتم المسلمون شعائرهم، تأكد صدق الرؤيا وبان موعد تحققها. لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ـ هو صلح الحديبية، وهو فتح باعتبار ما فيه من اعتراف قريش بكيان المسلمين.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾

هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ باللَّه شهيداً * مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّه وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تراهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يبتغون فضلاً مِّنَ اللَّه وَرِضْوَانًا سيماهُمْ فِي وُجُوهِهِم - وجوههم مشرقة بمحبة الله. مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ - كزرع توالد. فَآزَرَهُ - فكثر. فَاسْتَغْلَظَ - فقوى. فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ - فاشتدت أصوله. يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ - بكثرته وكثافته. لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرٗا لَّهُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ (٦) وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ (٧) فَضْلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٨) ﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا ـ لا تقولوا فى الدين برأيكم وأنتم. بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ـ لأن الرسول يوحى إليه حكم الله. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ـ تأدبوا فى الحديث معه. وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ـ كلِّموه بما يليق من أدب الحديث، فهو رسول الله، وخافوا. أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ ـ بغلظة البداوة. مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ـ الحجرات هى منازل الرسول، صلى الله عليه وسلم. أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ـ أكثرهم لا يقصدون جرح شعورك. وَلَوْ أَنَّهُمْ ـ استأذنوا كما يليق، و. صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا(*) ـ تحققوا صدق الخبر من كذبه، خوفًا من. أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ * وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ـ لشق عليكم اتباع شرع الله. وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

(*) منهج الإسلام فى التثبت من الأخبار: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾: هذه الآية كما توجب على الأفراد التثبت من الأقوال والأخبار والأفعال، توجب أيضًا على ولاة الأمور الاهتمام بسن قوانين الإثبات والمرافعات والإجراءات التى تكفل للناس أمنهم وحرياتهم...إلخ.

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝ ﴾

* وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ - فخرقت الصلح. فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ - لا يعيب بعضكم بعضًا. وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ - لا شيء أقبح من العودة إلى الفجور، بعد الإيمان بالله ورسوله. وَمَن لَّمْ يَتُبْ - ومن لم يعزم على ألا يعود إلى اقتراف الآثام. فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.

---

(١٦٤) **قضية:** ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ **[الآية: ٩].**

لقد حرم الله قتل النفس إلا بالحق، كأن يكون قصاصًا تقره العدالة أو دفاعًا عن النفس...إلخ. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١، الإسراء: ٣٣]. ﴿وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]. ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا... وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٢ - ٩٣].

وعن الرسول ﷺ قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار. قيل: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول ؟ قال: إنه كان حريصًا على قتل صاحبه»(*).

ومن الفتن الجماعية ما يكون داخليًا، مثل الثأر بين جماعتين، أو الخروج على الإمام (الحكومة). ومنها ما يكون على الساحة الدولية مثل صراع بين دولتين إسلاميتين. ولكى يطبق حكم القرآن بالسعى إلى الصلح بين الطائفتين المتصارعتين على المستوى الداخلى، لا بد من تدخل سلطات الأمن والعدالة، ولابد من وجود محكمة عليا تنظر فى مثل هذه القضايا وتفصل فيها بمقتضى شريعة الله. وعلى المستوى الدولى يجب السعى إلى إنشاء محكمة تحكم بشريعة الله لفض المنازعات بين الدول الإسلامية. ولم يقصر علماء المسلمين وقادتهم فى وضع مشروع نظرى لهذه المحكمة تحت مظلة منظمة المؤتمر الإسلامى، واقترحوا عاصمة الكويت مقرا لها، ولكن هذا المشروع لم ير النور حتى الآن.

(*) البخارى، الإيمان ٣٠، الديات ٦٣٦٧، الفتن ٦٥٥٦. مسلم، الفتن وأشراط الساعة ٥١٣٩ - ٥١٤٠ - ٥١٤١. النسائى، تحريم الدم ٤٠٤٧ - ٤٠٤٨ - ٤٠٥١ - ٤٠٥٢ - ٤٠٥٣ - ٤٠٥٤. أبو داود، الفتن والملاحم ٣٧٢٣. أحمد، مسند البصريين ١٩٥٨٩. ابن ماجة، الفتن ٣٩٥٥.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

* يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اجْتَنبُوا كَثيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ - إن هواجس الشك تفضى إلى ارتكاب المعاصى. وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً - لا تذكروا مساوئ الناس فى غيبتهم. أَيُحبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخيه مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ - الغائب عن المجلس بمثابة ميت لا حول له ولا قوة ليدافع عن نفسه. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحيمٌ * يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عندَ اللَّه أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَليمٌ خَبيرٌ - بظاهر الأمور وباطنها.

قَالَت الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل - لهم: لَّمْ تُؤْمنُوا - بعد. وَلَكن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ في قُلُوبِكُمْ - عندما تلتزمون أوامرالله ونواهيه فعندئذ يمكنكم أن تقولوا آمنا. وَإِن تُطيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم - لا ينقصكم. مِّنْ - ثواب. أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحيمٌ * إِنَّمَا الْمُؤْمنُونَ الَّذينَ آمَنُوا بالله وَرَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا - تشربت قلوبهم بالتصديق. وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّه - عن طيب نفس. أُوْلَئكَ هُمُ الصَّادقُونَ * قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بدينكُمْ - أتخبرون الله بقدر إيمانكم. وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا في السَّمَوَات وَمَا في الأَرْضِ وَاللَّهُ بكُلِّ شيْءٍ عَليمٌ * يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا - إذ اعتبر بعض المسلمين أن إسلامهم ومناصرتهم للرسول فضل منهم عليه. قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ للإِيمَان - فآمنوا بذلك.إِن كُنتُمْ صَادقينَ - المؤمن يشكر الله على أن مكنه من التضحية والبذل والعطاء فى سبيله. إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَات وَالأَرْض وَاللَّهُ بَصيرٌ بمَا تَعْمَلُونَ.

---

(١٦٥) **بيان:** ﴿ وَلَكن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ في قُلُوبِكُمْ ﴾ [الآية: ١٤].

يتبين من هذه الآية الآتى:

- الإسلام: هو تصديق وشهادة بوحدانية الله وبملائكته ورسله وخاتمهم محمد ﷺ.

- أما الإيمان: فهو ما وقر فى القلب وصدقه العمل، أى إنه يتطلب العمل وفق الشريعة، ويتلخص المفهومان فى آية واحدة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦ ﴾

قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا - هل بعد الموت حياة أخرى. ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ - إن رجوعنا إلى الحياة أمر بعيد. قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ - لم تنقرض الأرض بتوالى الأجيال من كل المخلوقات، وكلهم يتغذى منها. وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ - كتاب يحفظ كل أعمال المخلوقات وسيرها. بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ - بالرسول والقرآن. لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ - مضطرب. أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ - شقوق وتصدع. وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ - جبالاً. وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ - يميل إلى فطرة الإيمان بالخالق. وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا - طاهرًا ونقيًا فيه منافع كثيرة. فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ - حدائق. وَحَبَّ الْحَصِيدِ - حب القمح وغيره مما يعتمد عليه الإنسان فى حياته. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ - عاليات. لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ - ثمر متراكب. رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ - بالماء. بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ - كذلك يكون بعث الناس من قبورهم، وكأن الأرض تنبتهم. كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ - اسم بئر عاشوا حوله وقتلوا نبيهم فيه. وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ - غابة كثيفة الأشجار، وهم أهل مدين. وَقَوْمُ تُبَّعٍ - ملك من ملوك اليمن آمن بالله، ولكن قومه كذبوه. كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ * أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ - لم يتعب الله فى خلق المخلوقات، والبعث عنده أهون من الخلق الأول. بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ - فى شك وريبة. مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ - الوريد : العرق المتصل بالقلب ليضخ فيه الدم باستمرار الحياة.

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

* إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ ـ ملكان يتلقيان أعمال الإنسان، أحدهما. عَنِ الْيَمِينِ وَ ـ الآخر. عَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ ـ الإنسان. مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ـ يسجل عليه القول والعمل. وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ـ تتمنى الحيدة عنه والهروب منه. وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ ـ يسوقها إلى الحساب. وَشَهِيدٌ ـ على أعمالها. لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ـ لم تلق بالاً للحساب بالرغم من نذير الرسل والدعاة المبلغين. فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ـ شديد الحدة.

(١٦٦) قضية: الحسنات والسيئات ولا وسط بينهما: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [الآية: ١٧].

من رحمة الله أنه يعد الأعمال إما فى عداد الحسنات أو فى عداد السيئات، فما كان من المباحات التى لم يحرمها الشرع ـ بطريق مباشر أو بالقياس ـ لا تندرج بحال فى عداد السيئات، وقد عرف الفقهاء المباح بأنه كل ما لا يلحق فاعلها مدح ولا ذم.

وبما أن كل عمل لابد وأن يسجله أحد الملكين، إما فى جانب اليمين (الحسنات)، أو الشمال (السيئات) كما فى قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ وعلى ذلك فإن ما يفعله الإنسان من واجبات شرعية، وكذلك ما يقوم من تصرفات مباحة لا ينتج عنها ضرر للغير، تسجل له فى عداد الحسنات، حتى ولو كان التصرف المباح فيه متعة له. سئل رسول الله ﷺ أيأتى أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر! فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر»(*).

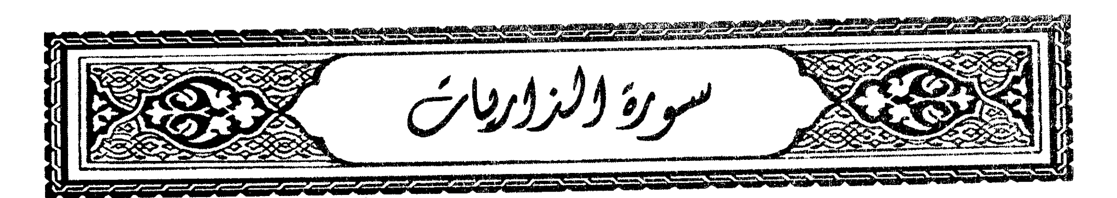
وعلى ذلك يكون الطريق إلى النجاة ميسوراً للكافة بالإيمان والسعى فى طريق الخير. أما الكفر فيَجُبُّ كل الحسنات، ويخلد صاحبه فى النار. وبالرغم من هذا فإن الملكين عن اليمين والشمال يسجلان للفرد المؤمن والكافر على حد سواء فى ميزان الحسنات والسيئات، حتى إذا ما تاب الكافر عن كفره أو رجع المرتد عن ردته قبل أن يحضره الموت، فإن إيمانه هذا يجب ما سبق له من سيئات تعلقت بالكفر، وكأنما لم يقترف منها شيئًا. وتبقى سيئاته التى تعمدها، وهو يعلم سوءها وضررها، كتلك التى تلقى إجماعًا من الناس مؤمنهم وكافرهم على أنها مخالفات، فهذه تظل فى عداد سيئاته شأنه فى ذلك شأن من ارتكبها من المسلمين. وهذه تحتاج لإسقاطها إلى توبة خاصة واستغفار وتكفير، وتدخل فى مقاصة مع الحسنات يوم الحساب، إلا أن الله يمحو ما يشاء منها برحمته الواسعة، حتى ولو غفل العبد عن الاستغفار عنها. أما ما سجله الملك اليمين من حسنات للكافر، فهو على سبيل الإمهال، فإذا آمن بقيت له كما لو كان قد فعلها وهو مؤمن، ومن ذلك معاونة الضعيف ومساعدة الفقير والمحتاج وتعليم الأمى، ومعالجة المريض...إلخ، وإن مات على كفره سقط كل ميزان الحسنات من حسابه جزاء على الكفر، ليخلد فى نار جهنم.

وما يسجل من الحسنات للمؤمن فلا حصر له، فإن التسبيح لله باللسان أو فى السر، أو مجرد تذكر الله وتوقيره بالخاطر، كل ذلك يعد فى كتاب اليمين. وماذا يبقى بعد ذلك من عذر لمن خسر حساب الآخرة! إن من يكون مصيره إلى النار يعتبر أمام كرم الله الواسع كأنه رفض الجنة عامداً متعمداً، وظل رافضًا لها طيلة أيام عمره.

(*) مسلم، الزكاة ١٦٧٤. أحمد، مسند الأنصار ٢٠٤٥٧. أبو داود، صلاة المسافرين وقصرها ١٠٩٣، الأدب ٤٥٦٤.

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾

وَقَالَ قَرِينُهُ - المَلَكُ الذى يسوقه. هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ - حاضر - فيقال لقرينه وللمَلَك خازن النار. أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ - الشيطان الذى كان يوسوس له فى الدنيا ليضله. رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ * قَالَ - الله : لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم - أنذرتكم فى الدنيا. بالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ * يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ - يا رب. هَلْ مِن مَّزِيدٍ - ذلك من قبيل طاعتها لله سبحانه وتعالى. وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ - ذاكر الله يسبح بحمده. مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ - من أطاع الله دون أن يراه. وَجَاءَ - يوم الحساب. بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ - مخلص. ادْخُلُوهَا - الجنة. بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ - زيادة من العطاء الذى لا يرد على مخيلتهم، ولا تصل إلى تمنيه خواطرهم. وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ - من أمم، ويعبر عنها بالقرن إذ أن كل أمة تكون مقترنة بعصرها، ويكون رسولها شاهداً عليها. هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ - بحثوا فى كل مكان حولهم عن ملجأ يأويهم من عذاب الله. هَلْ مِن مَّحِيصٍ - وهل يكون لهم مهرب من إرادة ربهم ؟ كلا. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ - ضمير حى. أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ - تلقى القول وهو واع. وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ - تعب. فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ - بالصلاة. قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ - من الفجر حتى الغروب، تلك صلاة الصبح ثم الظهر ثم العصر. وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ - صلاة المغرب والعشاء. وَأَدْبَارَ السُّجُودِ - صلاة النوافل عقب أداء الصلوات المفروضة. وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ - وهو الملك إسرافيل الذى ينفخ فى الصور يوم البعث. مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ - قريب من كل نفس، يصل نداؤه إلى كل مخلوق على قدر سواء. يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ - صيحة الصور حين ينفخ فيه إسرافيل. ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ - يوم البعث. إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ - فيخرجون. سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ - متسلط. فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا - الرياح تذرو التراب وتسوق الغمام. فَالْحَامِلات وِقْرًا - تحمل حملاً هو الماء فى السحاب الكثيف. فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا - الأنهار والعيون يجرى فيها الماء بيسر. والسفن جاريات بالريح بأمر الله. فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا - الملائكة الموكلون بتوزيع الأرزاق وتدبير الأحوال وفقًا لإرادة الله. إِنَّمَا تُوعَدُونَ - به فى هذا الكتاب. لَصَادِقٌ * وَإِنَّ - يوم. الدِّينَ - والحساب. لَوَاقِعٌ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ - المسالك والطرق. إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ - تختلفون فى رسول الله، منكم من يتهمه بالسحر ومنكم من يرميه بالكذب والجنون... يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ - يصرف عن هدى الله من يعرض عن ذلك الدين. قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ - لعن الكذابون. الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ - فى غفلة يستهينون بقدرة الله. يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ - متى يوم البعث ؟. يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ - يعذبون. ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ - عذابكم. هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ - إن ما كنتم تكذبون به فى الدنيا وتقولون للرسول أنزل علينا العذاب إن كنت من الصادقين، ها هو قد حضركم الآن. إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ - من نعيم خالد. إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ - يؤمنون بالله ويعملون الخير فى الدنيا، دار الامتحان. كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ - لا ينامون إلا قليلاً، إذ أنهم يكثرون التسبيح والصلاة. وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ - يحاسبون أنفسهم كل يوم فيستغفرون الله عما يصدر عنهم من ذنوب. وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ - يؤتون الزكاة ويتصدقون فى سبيل الله ويعاونون المحتاج... وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ - من خلق الله موعظة وعبرة وتذكرة. لِّلْمُوقِنِينَ - المؤمنين. وَفِي أَنفُسِكُمْ - أيضًا آيات. أَفَلا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ - المطر الذى يحى الأرض ويملأ الأنهار والعيون والينابيع. وَمَا تُوعَدُونَ - من جنة للمتقين ونار للكافرين. فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ - ملائكة جاؤوه فى صورة رجال حسان. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ - رد السلام، وقال فى نفسه: قَوْمٌ مُّنكَرُونَ - أمرهم غريب.

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَـٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

* فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ - فلم يأكلوا. قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ؟ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً - لإعراضهم عن الطعام الذى قدمه تحية وإكرامًا لهم. قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ - صيحة تعجب. فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ - أنا. عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ - معلم على كل حجر اسم الكافر، فلا يخطئه. فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ * - آل لوط، عدا امرأته فقد كانت كافرة وأصابها ما أصاب القوم. وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ * وَفِي مُوسَىٰ - وفى ذكر رسول الله موسى ﷺ عبرة وموعظة. إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ - بآيات بينات على وجود الله ووحدانيته وقدرته. فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ - فأعرض وركن إلى ما يملك من زينة الدنيا. وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ - أغرقناهم فى البحر. وَهُوَ مُلِيمٌ - ظالم لنفسه وكافر بالله.

* وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ - وفى ذكر قوم عاد موعظة، إذ أرسلنا عليهم ريحًا لا خير فيها. مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ - كالفتات الهباء. وَفِي ثَمُودَ - عظة. إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ - حتى انقضاء أجلكم فنحاسبكم فى الآخرة، لكنهم طلبوا من الله آية فأخرج لهم ناقة تسقيهم لبنًا كما يشاؤون، وتتبادل معهم بئر الماء للشرب، يومًا لها ويومًا لهم. فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ - فأبوا أن يطيعوا الله، فعقروا الناقة وتحدوا رسول الله صالح، عليه الصلاة والسلام. فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ * فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ - ماتوا جميعًا. وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ - غرقوا بالطوفان. إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ - بقوة. وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ - يوسع الله فى الكون كيف يشاء ويزيد فى الخلق ما يشاء(*). وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا - بسطنا سطحها. فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ.

(*) يقول علماء الطبيعة إن الكون بدأ بانفجار نتجت عنه النجوم والكواكب والمجرات ومنذ ذلك الحين والوجود يتسع، والمجرات تبعد عن بعضها. ارجع إلى نظرية Georges Gamow التى وضعها فى ١٩٤٨ ليشرح قصة الانفجار العظيم Big Bang.

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

* وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَفِرُّوا إِلَى اللَّه - آمنوا به وأطيعوه. إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ - هل تواصوا بهذا القول جيلاً بعد جيل. بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ - بعد ما تبلغهم آيات الله. فَمَا أَنتَ - بعد ذلك. بِمَلُومٍ * وَذَكِّرْ - استمر فى البلاغ كلما نزل عليك الوحى. فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ - سبحان الله الغنى عن كل شىء، هو خالق المخلوقات، كل شىء يحتاج إليه، وهو لا حاجة به إلى شىء. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ * فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا - وهم الكفار. ذَنُوبًا(*) - نصيبًا من العذاب. مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ - مثل نصيب أمثالهم من الكافرين من الأمم السابقة واللاحقة. فَلا يَسْتَعْجِلُونِ * فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ.

(*) الذَّنوب: الدلو العظيمة.

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) ﴾

وَالطُّورِ ـ الطور هو الجبل الذى كلّم الله موسى عنده. وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ـ هو القرآن المحفوظ فى الصدور والمدون. فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ـ فى الصحف. وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ـ الكعبة المشرفة. وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ـ السماء. وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ـ المملوء المغلق على عالمه، والذى لا يعتمد على ماء المطر. إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ـ بالكافرين والمنافقين وهو عذاب دائم. مَا لَهُ مِن دَافِعٍ * يَوْمَ تَمُورُ ـ تدور. السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ـ تذهب عن مستقرها. فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ ـ فى فتنة اللهو. يَلْعَبُونَ * يَوْمَ يُدَعُّونَ ـ يدفعون بعنف. إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ.

---

(١٦٧) **بيان: القسم:** ﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴾ [الآيات: ١-٣].

القسم تأكيد يهدف إلى بث الثقة فى نفس المُخَاطَب حين يكون فى ريبة أو شك أو إعراض عن أمر معين.

أنت تقسم أمام القضاء على أن تقول الحق لتبدد الرِّيبة التى يمكن أن تحوم حول قولك.

والمخادع يقسم حتى يصَدِّقُ كلامه ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢١]. فيعتقد المُخاطب غير الحقيقة.

والله سبحانه وتعالى يقسم لأن الناس يحتاجون إلى التأكيد والتذكير، فالنفس تتلهى بالحياة ومشكلاتها فتنسى معنى الحساب وقدره، وقد تتشكك فيه إن حاد صاحبها عن ضميره وموازين عقله. وقد تذهب النفس إلى أبعد من ذلك فتكفر بالله واليوم الآخر، وتعرض عن خطاب السماء.

(١٦٨) **بيان: محل القسم : [الآيات: ١-٣، وآيات من سور أخرى](*).**

يقسم الإنسان بأمر له قدر فى نفسه، ويكون المُخاطَبُ على علم بأن محل القسم له قدر فى نفس المُقْسِم. لذلك تجد الناس يقسمون بآبائهم وأجدادهم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن القسم بغير الله عز وجل، لأن الله أحق بأن يكون أعزُّ على المرء من نفسه وبنيه وأمه وأبيه.

أما الله سبحانه وتعالى، فلا شيء يعلوه، فهو الأول لا شيء قبله، وهو الآخرُ لأنه محيط بكل الكون. وهو يقسم بمخلوقاته ليس لعلو قدرها فى نفسه، وإنما لعظم قدرها فى نفس المُخاطَب. قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»(**).

←

(*) سورة البروج، الآية ١ ـ ٣. سورة الطارق، الآية ١. سورة الفجر، الآية ١ ـ ٤. (**) الترمذى، الزهد عن رسول الله ﷺ ٢٢٤٢. ابن ماجة، الزهد ٤١٠٠

﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

* أَفَسِحْرٌ هَذَا ـ القرآن الذى أنذركم. أَمْ أَنتُمْ ـ كنتم. لا تُبْصِرُونَ ـ فى حياتكم الدنيا ؟ اصْلَوْهَا ـ النار. فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ـ لا يغنى عنكم صبر ولا جزع. إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ـ الأعين الحور هى ما كان بياضها وسوادها شديدين وفى ذلك جمالٌ أخاذ، والمراد زوجناهم بحسناوات مفرطات الجمال.

وحين يقسم الله سبحانه وتعالى بالطور أى الجبل فإن هذا المخلوق له هيبته فى نفس الإنسان عامة. وإذا أقسم الله سبحانه وتعالى بالكتاب المسطور فى رق منشور، فإن ذلك له قدر فى نفس الخاصة من المثقفين وأصحاب الفكر وقادة المجتمع، فهؤلاء يعلمون قيمة الكتابة وتسجيل العلوم والمعارف.

لذلك فإنه يجدر بالإنسانية الحفاظ على ما هو موجود من الأصول الأولى للرسالات السماوية، التى سجل فيها بلاغ كل رسول، كما بلغه فى عصره. وفى عصرنا هذا الذى يتميز بتقدم العلوم وانفتاح الثقافات، واكتشاف الجديد من أسرار الكون والحياة، عار على الإنسانية أن تختلف حول الدين. وإن أحد الأسباب الرئيسة فى الاختلاف ترجع إلى أن الناس لا ينظرون فى المصادر الأصلية التى سجلت خطاب السماء.

وهذا القرآن الكريم أصوله الأولى محفوظة، وهى ملك للإنسانية كلها، ونصه لم يناله التحريف، ولغة خطابه لم تتبدل منذ نزوله، فالعربية كانت وما تزال من اللغات الحية(*). والمسلمون يراجعون طباعة المصاحف بدقة بالغة.

(١٦٩) قضية: ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الآية: ٢٠].

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ... مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾

هذا قول الحق سبحانه وتعالى، فمن صور النعيم فى الجنة أن يزوج الرجل بحور عين: عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: « إن أدنى أهل الجنة... له من الحور العين لاثنين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا »(**).

ولا يستبعد الظن المفهوم الضمنى، أى تزوج النساء المؤمنات اللاتى يدخلن الجنة بأزواج لا مثيل لهم فى الدنيا، لأن الخطاب القرآنى للمؤمنين ينصرف إلى الذكور والإناث.

إن هذه المعانى لا تثير إشكالاً فى تحقيقها لأن الله على كل شىء قدير. فإذا سألت عن امرأة تزوجت فمات زوجها فتزوجت بآخر، فلأى منهما تكون فى الآخرة ؟ نقول إن الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يعدد من مخلوقاته على صورة تلك المرأة، وبذلك ترتفع الحيرة من ذهن الناس لأنهم يفكرون بمعايير دنيوية مقيدة بالحياة الأرضية، فى حين أن تلك القيود ترتفع فى الآخرة، والله على كل شىء قدير.

(*) المخطوطات الأصلية للقرآن موجودة بتركيا وأوزبكستان ومصر واليمن... وهناك سلسلة دراسات تعد حول الأصول المرجعية للرسالات السماوية الثلاث. راجع القضايا: ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٢. ولتدوين القرآن تاريخ، كتب فيه أهل الشرق والغرب، مبرزين جهود المسلمين وحرصهم وعنايتهم بنسخ المصاحف والاهتمام بالخط العربى حتى عصر الطباعة.

(**) أحمد، باقى مسند المكثرين ١٠٥١١.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۣيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

وَالَّذينَ آمَنُوا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بإيمَانٍ أَلْحَقْنَا بهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم ـ أنقصناهم. مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ * وَأَمْدَدْنَاهُم بفَاكِهَةٍ ولَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ ـ يقتسمون أو يتداولون. فِيهَا كَأْساً ـ من خمر الآخرة. لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ ـ ليست كخمر الدنيا تذهب بالوعى والصحة، وإنما فيها متعة وسعادة خالصة. وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ ـ مخصصون لمرافقتهم وخدمتهم. كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ـ من جمال خلقتهم. وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ـ يسترجعون ذكريات الدنيا. قَالُوا إِنَّا كُنَّا ـ من. قَبْلُ فِي أَهْلِنَا ـ فى الدنيا. مُشْفِقِينَ ـ خائفين من عذاب الله. فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ـ رحمنا من نار جهنم. إِنَّا كُنَّا من قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ * فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ ـ بحملك رسالة الله. بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ به رَيْبَ الْمَنُونِ ـ يقولون شاعر، فلننتظر حتى نرى مصائب الدنيا تحيط به، مثل كثير من الشعراء. قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ * أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم بِهَذَا ـ هل تراودهم أحلامهم بتلك الافتراءات. أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ـ مسيطرون ؟ كلا إنهم ضعفاء. أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ـ جاء بالقرآن من عنده ونسبه إلى الله. بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ـ طالما يقولون إن محمداً ألَّف القرآن، فليأتوا بخطاب مثله وهم البلغاء والفصحاء والشعراء، وما كان محمد يملك من ذلك شيئا قبل أن يوحى إليه. أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ـ هل جاؤوا إلى الدنيا بدون خالق. أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ـ أم هم الذين خلقوا المخلوقات من حولهم. أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ ـ من أرزاق ومطر وغير ذلك من النعم الإلهية. أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ * أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ ـ تنسبون لله البنات وأنتم تكرهون إنجابهن. وَلَكُمُ الْبَنُونَ ـ وتتفاخرون بإنجاب البنين. أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً ـ على البلاغ. فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ ـ من مال يدفعونه. مُّثْقَلُونَ * أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ * أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾

وَإِن يَرَوْا كِسْفًا ـ قطعا. مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ـ سحاب متكاثف، ولن يؤمنوا إلا إذا وقع بهم الهلاك. فَذَرْهُمْ ـ ممهلين، يؤمن منهم من يؤمن ويكفر من يكفر. حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ـ حتى يصل كل منهم إلى أجله، ثم إلى يوم الحساب. الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ـ شقاء في الدنيا بقدر متفاوت، وأقله شقاء السعي، الفقير شقي والغني شقي، وكل يحمل ضروبًا من الهموم طيلة حياته الدنيا. وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ـ أكثرهم لا يتأملون فيما تحمله الحياة من حكَم ومواعظ واعتبارات. وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ـ فإننا نحفظك برحمتنا، ونرى عملك وجهادك. وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ـ من النوم وعند السعي بالنهار. وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ـ وعند غروب النجوم.

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ۝٢٣ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ۝٢٥ ﴾

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ - أذا سقط. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ - محمد. وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ - كلام من الله ينزل على الرسول. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ - ينزل به الملك جبريل، عليه السلام. ذُو مِرَّةٍ - له هيبة. فَاسْتَوَىٰ - فاعتدل. وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ - تمنى الرسول ﷺ أن يرى جبريل على خلقته، فأجيب إلى ذلك، فلما رآه خرَّ مغشيًا عليه. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ - اقترب المَلَكُ أكثر فأكثر. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ - حتى صار بقدر قوسين أو أقل. فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ - إلى محمد. مَا أَوْحَىٰ - من القرآن. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ - إن قلب رسول الله قد صدَّق ما يراه. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ - رأى المَلَكَ على هيئته الأصلية. نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ - شجرة عند الجنة، وكان ذلك فى ليلة الإسراء والمعراج حين جاءه جبريل ليصحبه إلى سدرة المنتهى. عِندَهَا - عند السدرة. جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ - يأوى إليها الصديقون والشهداء والصالحون والملائكة. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ - من بهاء وجمال. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ * أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ - تلك الأصنام التى تعبدونها أهى كالذى رآه محمد؟ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ - أتقولون إن الملائكة بنات الله، فى حين أنكم تشفقون على أنفسكم من إنجاب البنات وترون ذلك معرة، وتفتخرون بإنجاب الذكور. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ - حجة باطلة مخالفة للحق. إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ - أسماء الأصنام، اللات والعزى ومناة، ولقد وصفتموها بالألوهية. سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ - ما أنزل الله حكما يسمح لكم بعبادتها. إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ * أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ - أم إن الإنسان ليظن أن ينزل شرع الله وفقا لهواه وأمانيه. فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَىٰ - الله وحده هو الذى يقدر أمور الدنيا والآخرة.

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾

* وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ - كل الملائكة في السماء يعلمون أنه. لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ * إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَىٰ * وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا * فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ - تلك هي آفاق فكرهم. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ - مثل الزنى والقتل والسرقة والقذف... إِلاَّ اللَّمَمَ - عدا صغائر الذنوب التي تجري دون قصد مبيت، إذ النية المبيتة على ارتكاب الذنوب والاستمرار فيها تجعلها من الكبائر، فلا صغيرة مع الإصرار. إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ - يغفر أيضًا الكبائر إذا استغفر الإنسان عنها وتاب توبة صادقة، فلا كبيرة مع الاستغفار. هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ - لا تصفوا أنفسكم بالتقوى والصلاح. هُوَ - الله. أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ * أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ - الذى كفر وأعرض عن الإيمان. وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً - وأعطى صاحبه مالاً ليرده عن الإيمان، وقال له : إن كان هناك حساب فى الآخرة فأنا أتحمله عنك. وَأَكْدَىٰ - أوصله إلى حاجز منيع يصد عن الإسلام (الكدية : أرض صلبة تعترض حافر البئر فتمنعه من الوصول إلى الماء). أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ - أعنده علم بحساب الآخرة. فَهُوَ يَرَىٰ * أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ * أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ - لا تخفف نفس من ذنوب الأخرى. وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ * وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ.

(١٧٠) بيان: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴾ [الآية: ٣٩].

تبين الآية أن الجزاء يكون من جنس العمل، فمن يسعى إلى الخير والرشاد والهدى يكون جزاؤه النجاة والنعيم فى الآخرة، وهؤلاء هم المؤمنون.

أما بالنسبة لقدر الجزاء بقدر الأعمال فمعلوم أن الله كريم يزيد فى الثواب على أعمال الخير فهو يجازى المؤمن الحسنة بعشرة أمثالها، ويضاعف لمن يشاء من المؤمنين، ولا يضاعف السيئات فالسيئة لا تجزى إلا بمثلها. وقد جعل الله الحسنات تمحو السيئات ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤]، والله يغفر للتائبين، ويرزق من يشاء بغير حساب.

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾

وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ - هو يسعد الناس ويحزنهم ويسهل ويصعب، وهو قادر على كل أمر، ويغير الأحوال والظروف. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ - البعث بعد الموت. وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ - وسَّع على بعض العباد برزقه، وضيَّق على بعض. وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ - نجم معروف عند العرب بهذا الاسم. وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَىٰ - أمة عاد السابقة. وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ - لم يترك أحدًا من الكافرين على قيد الحياة. وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ - أسقط المؤتفكة، وهم قوم لوط، إذ رفع الملائكة القرية ثم أسقطوها فصار عاليها سافلها، وذلك بعد أن أمطرت على أهلها حجارة من سجيل تصيب الكافرين (حتى من كان منهم فى سفر وقع عليه حجره وهو فى سفره). فَغَشَّاهَا - نزل بها من العذاب. مَا غَشَّىٰ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ - فبأى آيات ربك تتشكك. هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الأُولَىٰ - رسالة من الله كالرسالات السابقة عليها. أَزِفَتِ الآزِفَةُ - اقتربت القيامة. لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ * أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ - أتستهينون بهذا القرآن وتسخرون منه. وَلا تَبْكُونَ ؟. وَأَنتُمْ سَامِدُونَ - لاهون منشغلون بالدنيا عن الآخرة. فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا.

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧) ﴾

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ - القيامة. وَانشَقَّ الْقَمَرُ - سأل الكفار رسول الله آية على صدق الساعة، فطلب إلى ربه ذلك، فأراهم الله القمر منشقًا عن فلقتين، ثم عاد كما كان. وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ - فى علم الله وتقديره. وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ - فيه زجر وردع ووعيد. حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ - القرآن. فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ - فلا ينتفع قساة القلوب مما يأتى به الرسل من الحكمة. فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ - إسرافيل ينفخ فى الصور يوم القيامة، فيبعث الخلق. إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ - إلى يوم ثقيل تنكره نفوس الكافرين. خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ - القبور. كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُّهْطِعِينَ - مسرعين. إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ - زجروه. فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ - لى وللمؤمنين. فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ - مطر غزير. وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ - فكان الطُّوفان. عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ - قدَّره الله جل علاه. وَحَمَلْنَاهُ - نوح ومن معه. عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ - على سفينة من ألواح موثوقة من الخشب. تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا - سالمة محفوظة برعايتنا، والماء من حولها عذابًا. جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ * وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً - تركنا ذكراها عبرة. فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ! * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ - للتذكير بالآخرة. فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ.

---

(١٧١) **بيان:** ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [الآية: ١٧].

- القرآن كتاب ذكر وهداية محفوظ إلى يوم القيامة.

إن هذا القرآن نزل به الوحى جبريل من عند الله على خاتم المرسلين محمد، صلى الله عليه وسلم، منجما (مجزءًا) فيما يقرب من اثنين وعشرين عاما، حتى بلغ كماله. ثم راجعه الوحى على الرسول فى العام الأخير من حياته ليكون على الوجه الذى بين أيدينا الآن، وقد وعد الله بحفظه إلى يوم الدين بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. ←

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ ﴾

* كَذَّبَتْ عَادٌ - كذب قوم عـاد رسولهم هودًا. فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ! * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا - غير منقطعة، لها صـوت أشد من الرعد. فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ - جذوع. نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ - مبتور. فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ.

➡ وحفظ القـرآن يعنى حفظه شـفاهة وكتـابة. أما الشـفاهة فهى الحـفظ المتـواتر دون تحريف فى صدور الـناس على مدى الأجيال، يحفظه كـاملا جمع كبير من الناس هم القـراء منذ عهد الرسول وإلى يومنا هذا. أما الحفظ الكتـابى فهو تدوين القرآن كتابة منذ أن كان ينزل به الوحى وحتى كماله، على أيدى كتبـة الوحى من الصحابة فى عهد الرسول، ولقد مات، صلى الله عليه وسلم، تاركا القرآن مكتوبا كاملا على الرقاع والعسب... ثم واصل الصحابة نسخ القـرآن ليخرجوا مصحفا تكون صفحاته من نسيج واحد ويكون ملكا لـلأمة، وقد تحقق ذلك فى خلافة أبى بـكر، على يد زيد بن ثابت. ولما بلغت الأمة الإسلاميـة اتساعا كبيرا، منذ عهد عمر بن الخطاب، كثر عدد قراء القرآن ونساخه من العرب وغير العرب، فاشتملت الثقافة القرآنية على فروق فى النطق والكتابة بين شعوب المسلمين، وقد أوشكت تلك الفروق أن تكون ظاهرة فى عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فبدت الحاجة إلـى إخراج مصحف مرجـعى تتوحد عليه ألسنـة القراء وأقلام ناسخى المـصاحف ... وكذلك كتب المـصحف الإمام تحت إشراف زيد بن ثابـت وآخرين من الصحـابة، وسمى بالمصـحف العثمـانى، ونسخ منه عدد من المـصاحف وزعت على الأقاليم الكـبيرة لدولة الإسـلام، وذلك هو أساس المـصاحف التى فى أيدى الناس الآن، والذى بفـضله انحسـرت فروق نطق القرآن وكتابته فى الحدود التى تسمح بها أحاديث الأحرف السبعة لتدخل فى علم القراءات.

ولا يعنى الحفظ انعدام محاولات تحريف نصوص القرآن الكريم التى يقوم بها أعداء الإسلام، فهذه المحاولات قائمة فى كل عصر، وإنما الحفظ يعنى أن هذه المحاولات لا تنتج آثارها فلا تنتشر بين الناس.

والحـفظ يشمل النص كـمـا أنزل، فإن راجـعت المطبوعـات على المـخطوطات الأولى وجـدتها واحـدة ومنضبطة. أمـا الترجمـات فلا تعتبـر قرآنًا وإنما هى نقل معانـى القرآن إلى اللغات غير العـربية، وقد تحمل أخطاء وتحـريفات.. ولكن يمكن دائما التعرف عليها بالرجوع إلى الأصول العربية.

أما القراءات المشهورة، فـإن الفروق بينها لا تصل إلى المساس بخاصية حفظ القـرآن، ذلك لأنها تشمل قليلاً من الألفاظ والكلمات التى لا تؤثر فى أحكام القرآن ومعانيه.

ويتضـمن تصورحفظ القرآن، باعـتباره رسـالة الله الخاتمة المـوجهة إلى الناس كافـة، حفظ اللغة العـربية، فالله سبـحانه وتعالى لا يحـفظ القرآن لذاته، وإنمـا لتصل أحكامـه إلى الناس، فلا تكون لهم حـاجة إلى الرسل مع بقاء القـرآن محـفوظًا من التحريف. لذلك فـإن اللغة العربية تظل إلى يوم الدين لغة حيـة عالمية، يستطيع الإنسـان فى أى مكان كان أن يطلع على القرآن سواء بنفسه أو بواسطة مترجمين أكفاء، وهم كثرة نظرًا لبقاء اللغة العربية حية ولانتشارها العالمى.

ولا ننسى فى هذا المـقام أن القرآن والسنة وأمـهات الكتب الإسـلامية فى العـقيـدة والفقه وأصـوله، وغيـر ذلك من كتب التراث الإسـلامى، كلها تضـمن الحفاظ عـلى اللغة العربيـة، لأنها ذخيرة ضخـمة يعتـمد عليـها فى تداول المـعارف والعلوم والدراسات الأكاديمية.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾

* كَذَّبَتْ ثَمُودُ بالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ * أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ - جرىء لا يبالى. سَيَعْلَمُونَ غَداً مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ * إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ - طلبوا من نبيهم صالح أن يخرج لهم من الصخرة ناقة، آية على قدرة الله حتى يؤمنوا، فسأل الله ذلك فأجابه، وخرجت الناقة فأخذ صالح عليهم موثقًا بألا يمسوها بسوء. فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ - وبين الناقة. كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ - يترك البئر، بالتعاقب، للقوم يأخذون حاجتهم منه فى يوم، ثم تأتى الناقة لتشرب منه كما تشاء فى اليوم التالى، وهكذا. فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ - أثاروا على الناقة أعتى رجل فيهم وأجرمهم، فشرب الخمر وجرؤ على ذبحها. فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ - القش اليابس الذى تفرش به الحظائر. وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً - ريحًا ترميهم بالحصباء: حجارة صغيرة. إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ - بخروجهم ليلاً. نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ * وَلَقَدْ أَنذَرَهُم - نبيهم لوط من. بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ - كذبوا الرسول. وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ - ساوموه حتى يسلم لهم ضيوفه، إذ رأوهم حسان الخلقة، وهم فى الحقيقة ملائكة جاؤوا بالعذاب متنكرين فى صورة رجال. فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ - فهم لا يعلمون بحقيقة ضيف رسول الله لوط. فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً - فى أول الصباح. عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ - لا ينقطع حتى أهلكهم فى الدنيا، ويليه عذاب جهنم الخالد فى الآخرة. فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ - موسى وهارون، عليهما الصلاة والسلام. كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ * أَكُفَّارُكُمْ - كفار مكة (والخطاب موجه إلى كل كافر من أى قوم فى أى مكان وزمان). خَيْرٌ مِّنْ أُوْلائِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ - أم أن لكم حصانة تحميكم من عذاب الله؟ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ - أم يحسبون أن اتحادهم ضد محمد وأتباعه سيحقق لهم نصرًا ؟ كلا. سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ - أيًا ما بلغ عدده. وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ - يوم القيامة. مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ.

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾

* إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ - يضيعون فى نار مستعرة. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ - يقال لهم: ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ - عذاب جهنم. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ - أمثالكم ممن تشيعوا فى مسالك الكفر. فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ - محفوظ. فِي الزُّبُرِ - فى الكتب. وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ - كل الأعمال مسطورة فيها. إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ - أنهار من ماء ولبن وعسل. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ.

سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٣ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ۝٢٤ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٥ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢٨ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ۝٢٩ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠ ﴾

الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ - علّمه أولاً لرسوله محمد ﷺ ثم فضل الله المؤمنين بحفظه وكتابته وتعلم شرع الله منه، جيلاً بعد جيل، إلى يوم الدين. خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ - يسيران. بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ - لا تحيد هذه المخلوقات عما سخرها الله له. وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ - ميزان الأعمال من خير وشر. أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ - احذروا من الحيدة عن موازين الحق. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ - العدل. بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ * وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ - سخرها للناس. فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ - الطلع. وَالْحَبُّ - ما يأكله الناس من حبوب، مثل القمح والشعير والبقول. ذُو الْعَصْفِ - قشور الحبوب تنفع غذاء للبهائم. وَالرَّيْحَانُ - النبات الذى يستخرج منه العطر. فَبِأَيِّ آلاءِ - نعم. رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ - يا معشر الإنس والجن. خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ - لهيب النار الشديدة. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ - المشرق والمغرب المعتاد فى عموم البلاد، وكذلك المشرق والمغرب غير المعتاد فى المناطق النائية، مثل القطب الشمالى حيث يستغرق النهار نصف العام ثم يليه الليل فى مثل ذلك تقريبًا. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ - التقاء البحر بالنهر. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ - حاجز غير مرئى. لاَّ يَبْغِيَانِ - لا يبغى ماء البحر المالح على ماء النهر العذب. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَلَهُ - وهو يقدر مصير. الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ - السفن السائرة. فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ - كالجبال (يسمى الجبل فى لغة العرب علمًا). فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا - على الأرض. فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ - يقدر أمور مخلوقاته. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ ﴾

* سَنَفْرُغُ لَكُمْ ـ سنفرد لحسابكم وقتًا معلومًا. أَيُّهَا الثَّقَلانِ ـ يا معشر الإنس والجان. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ـ إلا بإذن من الله. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ ـ فلا يصل أحد منكم إلى غرضه. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ـ يوم القيامة تنشق السماء منفرجة عن معارج، ويكون لونها كالأديم الأحمر. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ ـ لا تسأل الملائكةُ الناسَ عن أعمالهم. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ـ تقبض الملائكة الناس من نواصيهم ومن أقدامهم للحساب. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ ـ يترددون. بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ـ بين نار وماء شديد الغليان. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.

---

(١٧٢) **خاطر:** ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ . . . فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ . . . وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ . . . وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ **[الآيات ٤٦ـ ٥٢ـ ٥٤ـ ٦٢].**

ربما يكون المقصود بالجنتين الآتى :

جنة فيها مُتع من قبيل ما يخطر على بال الإنسان بمرجعية ذاكرته المتعلقة بالدنيا، أى نعيم مما كان له شبه فى الصورة والاسم فى الحياة الدنيا، كأشجار ومروج خضراء وفواكه وخضر وأنعام وغير ذلك، مع الفارق الشاسع الذى يميز جنة السماء من حدائق الأرض فى البهاء والجمال وطعم الثمار والخيرات وروائحها الزكية...

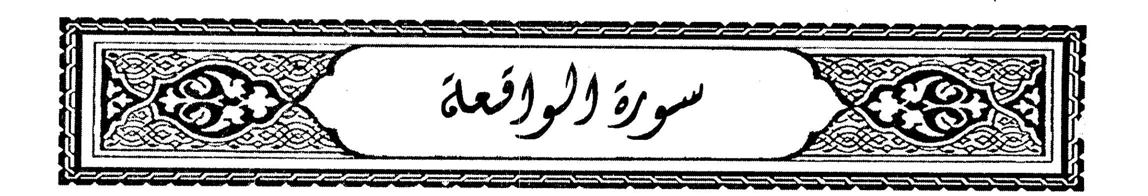
وجنة ثانية، تكون من خيرات جديدة لاترد على خاطر إنس ولا جان، فلا يوجد لها وصف بأشباه كانت فى الدنيا. قال رسول الله ﷺ: «قال الله : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فاقرأوا إن شئتم ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾»(*) [السجدة: ١٧].

وكذلك ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ بمعنى نوعان : نوع مما يقاس على شبيه له كان فى الدنيا، مع الفارق فى قدر اللذة والمنفعة، ونوع جديد مما ليس له أساس تقريبى فى الذاكرة.

(*) البخارى، كتاب بدء الخلق، حديث رقم ٣٠٠٥. مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ٥٠٥٠. الترمذى، تفسير القرآن عن رسول الله، ٣١٢١. ابن ماجة، الزهد، ٤٣١٩. أحمد، باقى مسند المكثرين، ٧٧٩٦. الدارمى، الرقاق، ٢٧٠٧.

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾

* وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه جَنَّتَان * فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ - أغصان وشجر. فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * فِيهِمَا عَيْنَان تَجْرِيَان * فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * فِيهِمَا مِن كُلِّ - نوع من. فَاكِهَةٍ زَوْجَان - ضربان. فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ - ديباج كثيف. وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ - وثمار الجنتين قريبة فى المتناول. فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ - يقصرن أبصارهن على أزواجهن من المؤمنين. لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ - من فرط جمالهن. فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ - إحسان المؤمن فى الدنيا بطاعة الله. إِلاَّ الإِحْسَانُ - من الله الكريم فى الآخرة! بلى. فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَان - يزيد الله فى عطاء النعيم بكثرة الجنات، فإنه مقام الخلود، وذلك يعنى أن الله يعدد جناته للمؤمنين أضعافًا مضاعفة عما ذكر، فإن كرمه لا حدود له. فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * مُدْهَامَّتَان - لون هيئتها داكن من تركز الخضرة وكثافة الأشجار والخيرات. فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * فِيهِمَا عَيْنَان نَضَّاخَتَان - يفور منهما الماء بغزارة. فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ - نساء كريمات جميلات. فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * حُورٌ - مفرطات فى الجمال. مَقْصُورَاتٌ - لا يفارقن مساكنهن، ولا يعيين من انتظار أزواجهن. فِي الْخِيَامِ - فى المساكن التى تأويهن، وهى أبهى من قصور الدنيا العظيمة. فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ - لم يمسسهن. إِنسٌ قَبْلَهُمْ - قبل أزواجهم. وَلا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَان - المؤمنون يتكئون فيها على فرش ووسائد وطنافس جميلة. فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.



سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ـ قامت القيامة. لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ـ فهى يقين حين يراها الناس بأعينهم ويحضرونها بأنفسهم وأجسادهم. خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ـ تخفض الكافرين فى قاع الخسران، وترفع المؤمنين فى الدرجات العلية. إِذَا رُجَّتِ ـ زلزلت. الأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ـ تفتتت. فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ـ غبارًا منثورًا. وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ـ من رجال ونساء وإنس وجان، وتتفرقون. ثَلاثَةً ـ فرق. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ـ فريق أهل اليمين المؤمنين. مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ! وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ـ فريق أهل الشؤم والعذاب. مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ! وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ـ فريق فى أعلى الدرجات، هم. أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ـ إلى الله تعالى. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ ـ عدد كبير. مِّنَ الأَوَّلِينَ ـ صفوة المؤمنين الأوائل الذين آمنوا مع الرسول وناصروه. وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ـ صفوة من العهود التالية لعصر الرسول. عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ـ منسوجة بالزخارف والزينة. مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ـ باقون على هيئة الغلمان فلا يكبرون. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ـ خمر من نبع لا ينضب. لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ ـ ليس فيها أذى يصيبهم. وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ ـ حسناوات، أعينهن أخاذة من فرط الجمال. كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ـ ذلك. جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ـ لا يسمعون فيها ثرثرة ولا أحاديث عقيمة. إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا ـ إلا ما يسرهم من القول. وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ! فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ـ شجر وثمار خالية من الأشواك. وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ـ نخيل مثقلة بثمارها. وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ـ دائم. وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ـ جار. وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ.

﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾

لا مَقْطُوعَة - لا تنفد. وَلا مَمْنُوعَةٍ - ولا يصعب تناولها. وَفُرُشٍ مَرْفُوعَة * إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً - خلقناهن خلقًا رائعًا. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا - لم يمسسهن إنس من قبل ولا جان. عُرُبًا أَتْرَابًا - مفرطات في حُبِّ أزواجهن على الدوام. لأَصْحَابِ الْيَمِينِ - وهم. ثُلَّةٌ - كثرة. مِنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ - كثرة. مِنَ الآخِرِينَ * وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ - أصحاب الصف المشؤوم. فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ - نار ذات لهب شديد. وَظِلٍّ مِن يَحْمُومٍ - دخان كثيف. لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ - ولا معتدل. إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ - في الدنيا. مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ - الكفر. الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ - هل سنبعث نحن وآباؤنا بعد تحلل أجسادنا!. قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ - شجرة تنبت في جهنم. فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ - على ما أكلتم. مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ - فتشربون من هذا الحميم كما تشرب الإبل العطشى من الماء. هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ * نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ - لا يفر من أمرنا أحد. عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ - نبدل الناس على الأرض جيلا بعد جيل. وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ - نخلقكم في الأرض ولم يكن لكم بها علم قبل ميلادكم. وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ - علمتم بعد مولدكم ما هي الحياة الدنيا. فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ - أفلا تتعظون. أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ - ما تعدون له الأرض. أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا - نباتًا يابسًا لا ثمار له. فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ - تتعجبون وتقولون. إِنَّا لَمُغْرَمُونَ - خاسرون. بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ - بالمرة. أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ - من السحاب. أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا - مالحًا مرًا. فَلَوْلا تَشْكُرُونَ - فهل أنتم تشكرون الله على هذه النعم؟ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ - التي توقدونها. أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا - مصدرها. أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً - نحن جعلنا نار الدنيا تذكرة بجهنم لما لها من لهيب. وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ - متاعًا للناس، يطهون طعامهم بالنار ويستنيرون بها ولهم فيها منافع غير ذلك، وسماهم بالمقوين، أي الراحلين، لأنهم سيرحلون عن الدنيا. فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ.

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ۝٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٨٧ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ۝٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٩٦ ﴾

* فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ـ مواقع النجوم والكواكب التى يسترشد بها الناس فى أسفارهم. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ـ لا ينال بركاته إلا من آمن فطهرت نفسه من الرجس. تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ـ مجادلون ومكذبون. وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ـ وتجعلون مقابل ما رزقكم الله من نعم. أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ * فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ـ إذا صعدت روح الإنسان حتى حلقومه فى حضرة الموت. وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ـ تنظرون إلى المحتضر، وهو فى النزع الأخير، ولا تستطيعون له شيئا. وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ * فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ـ فلو أنكم غير محاسبين فى حياة أخرى، أو كانت لكم قدرة أمام إرادة الله. تَرْجِعُونَهَا ـ فردوا على الميت روحه التى زهقت. إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِن كَانَ ـ الميت. مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ـ ماء مغلى. وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ.

---

(١٧٣) **بيان:** ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ **[الآيات: ٧٧ ـ ٧٩].**

إذا قرئ القرآن من المصحف للتعبد وجب أن يكون القارئ طاهرًا، أى ليس على جنابة، وألا تكون المرأة فى حيض أو نفاس.

أما الوضوء (أو التيمم إن لم يوجد الماء) لذلك فلم يوجبه بعض الفقهاء اعتبارًا لتفسيرهم كلمة «المطهرون» بأنهم هم الذين ليسوا على جنابة. بينما أوجبه الجمهور اعتبارًا لأن "المطهرون" تعنى لديهم "المتوضئون". وكذلك إذا قرأ الحافظ القرآن جهرًا دون النظر فى المصحف.

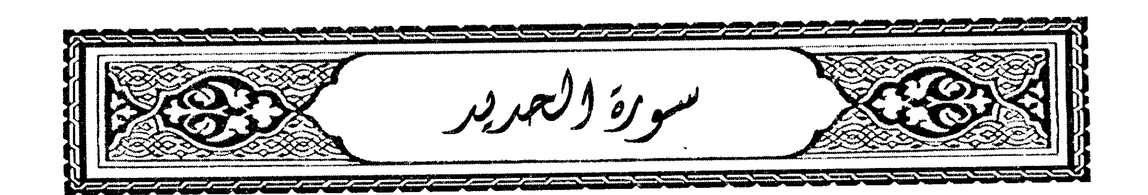
أما تلاوة القرآن سرا دون تحريك اللسان، فذلك جائز فى جميع الأحوال والأوقات ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وكذلك الاستماع لتلاوة القرآن من مقرئ أو من المذياع أو التلفاز جائز فى كل الأحوال ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

الإمساك بالمصحف للدراسة والاستشهاد بالآيات:

يجوز ذلك من قبيل رخص التيسير لأن الانتظار حتى التطهر قد لا يكون مناسبًا للمقام، فالأفكار تُنسَى وتتشتت بانقطاع الفكر. والمناظرة قد تقتضى فتح المصحف لبيان الآيات وقراءتها كحجة وبرهان فى المناقشات.

ويجب رفع المصحف إذا سقط، وإذا عثر عليه فى مكان غير لائق، فيؤخذ للحفاظ عليه ووضعه فى المكان الذى يليق به، وذلك فى كل وقت وعلى أى حال.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ ﴾

سَبَّحَ للَّه مَا في السَّمَوَات وَالأَرْض وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوَات وَالأَرْض يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الأَوَّلُ - لا شيء قبله. وَالآخرُ - المحيط بالكون كله، ولا شيء وراءه. وَالظَّاهِرُ - العلى على كل مخلوقاته. وَالْبَاطِنُ - القريب من كل شيء. وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذي خَلَقَ السَّمَوَات وَالأَرْضَ في ستَّة أَيَّامٍ - من أيام الله، أو بقدر ستة أيام من أيام الدنيا. ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْش - (نؤمن بذلك دون علم بهيئة العرش ولا بكيفية الاستواء عليه). يَعْلَمُ مَا يَلِجُ - يدخل. في الأَرْض وَمَا يَخْرُجُ منْهَا وَمَا يَنزِلُ منَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ - يصعد. فيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بمَا تَعْمَلُونَ بَصيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوَات وَالأَرْض وَإِلَى اللَّه تُرْجَعُ الأُمُورُ * يُولجُ - يدخل. اللَّيْلَ في النَّهَار وَيُولجُ النَّهَارَ في اللَّيْل وَهُوَ عَليمٌ بذَات الصُّدُور * آمنُوا باللَّه وَرَسُوله وَأَنفقُوا ممَّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِينَ فيه - من النعم. فَالَّذينَ آمَنُوا منكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبيرٌ * وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمنُونَ باللَّه وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لتُؤْمنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ ميثَاقَكُمْ - أخذ ربكم عليكم الميثاق في زمن سابق، ارجع إلى الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ من بَني آدَمَ من ظُهُورِهمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسهمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. - إن كُنتُم مُّؤْمنينَ.

---

(١٧٤) **قضية:** ﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمنُونَ باللَّه وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لتُؤْمنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ ميثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمنينَ ﴾ **[الآية: ٨]**.

ما هو الميثاق الذى أخذه الله على الناس ؟

لقد أخذ الله عهدًا وميثاقًا على جميع بنى آدم قبل نزول آدم إلى الأرض وتكاثر الناس فيها، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ من بَني آدَمَ من ظُهُورِهمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسهمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقيَامَة إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافلينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا من قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مّنْ بَعْدهمْ أَفَتُهْلكُنَا بمَا فَعَلَ الْمُبْطلُونَ * وَكَذَلكَ نُفَصِّلُ الآيَات وَلَعَلَّهُمْ يَرْجعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤].

⬅

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ ﴾

* هُوَ الَّذي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْده آيَات بَيِّنَات لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَات ـ ظلمات الكفر. إِلَى النُّورِ ـ نور الإيمان. وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّه ـ مُلْكُ و. مِيرَاثُ السَّمَوَات وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي منكُم مَّنْ أَنفَقَ من قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ـ قبل فتح مكة حين كان الإسلام ضعيفًا. أُوْلَئكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ ـ فتح مكة. وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ـ الثواب على الإيمان. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.

➡ والذى نستخلصه من ذلك أن فى نفس الإنسان فطرة التصديق بوجود الله ووحدانيته، والكفر هو عناد من النفس لإبعاد الضمير عن الانسياق لهذه الفطرة السليمة. ويكون الكفر إما بإنكار وجود الله تعالى، أو بإنكار وحدانيته، أو بإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة والنفس تندفع إليه إما لرغبات مفرطة فى ملذات الدنيا، أو لحب الذرية أو تعصبًا لما خلفه الآباء من تراث وتقاليد، إلى غير ذلك. وهناك أناس يؤمنون بمجرد وصول رسالة الله إليهم، ولأهون سبب تنقشع غشاوة الكفر من نفوسهم لأن فطرتهم تلح عليهم فى اتباع شرع الله.

لماذا يُكَذِّبُ الناس آيات الله، بالرغم من أنهم يبحثون دائمًا عن الأصول الأولى لمجتمعاتهم ونشأة نظمها فيهتمون بالتاريخ، ويبررون مسيرته وتطوره بحقائق قريبة من هذا التصور، ألسنا نرى بعض فلاسفة الغرب يضعون نظرية العقد الاجتماعى لتبرير نشأة المجتمع وسلطاته السيادية على أفراده، ومقتضاها أن أفرادًا تجمعوا فى العهود الأولى، واتفقوا على اختيار زعيم لهم يأتمرون بأوامره حتى يحظوا بمنافع النظام بدلاً من مساوئ الهمجية، وليتمتعوا بالأمن بدلاً من مخاطر التصارع، واتفقوا على التنازل للحاكم عن حرياتهم غير المحدودة التى تؤدى إلى الصراع، فى مقابل أن يعيدها إليهم فى صورة حقوق منظمة.

إن هذه النظرية التى تبحث عن مبرر حكيم لأسباب وجود مجتمعات منظمة، ليست أفضل حجة من تلك الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ من بَني آدَمَ من ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

ومقتضى هذه الآية أن الإنسان منذ وجوده على الأرض يعتمد على شريعة منظمة، وهذا أقرب إلى التصديق العقلى من نظرية العقد الاجتماعى التى تدفعنا إلى تخيل أن الناس كانوا يحبون حياة الغابة وكان كل فرد منهم خائفًا من الآخر، ولكنهم مع ذلك استطاعوا الاتفاق على اختيار رئيس لينظم مجتمعهم. وإذا افترضنا أن ذلك ممكن فى ظل الحياة الهمجية، فعلى أى أساس يرضى بعضهم بألا يكون هو الرئيس مع عدم وجود مرجعية تميز بينهم ؟ ومن سيختارون ؟ الأكبر سنًا لأن تجربته وحنكته كبيرة (وما هى إذن مرجعية الخبرة والحنكة وكلهم كانوا فى همجية؟) الأقوى جسدًا وصحة؟ (فما هو الجديد الذى يبرر الخضوع إليه، وقد يبطش ويسيطر أكثر مما كان عليه فى الهمجية ؟ وما حاجته هو إلى أن ينشغل بحماية غيره وتنظيم وترتيب مجتمع كبير، وقد كان يحمى من قبل قويًا ويأخذ ما يريد) هل هو ذلك الشخص الذى يجمع بين مميزات عديدة: الصحة الجسدية والذكاء والحكمة ؟ وما هى الخلفية التى تكون لدى أفراد همجيين ليعلموا بمزايا هذه الفضائل فيبحثون عن توافرها فى أحد منهم، مع أن هذه الفضائل هى من نتاج المجتمع المتحضر؟ إلى غير ذلك مما يحتار العقل فى تبريره. ➡

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾

* مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ـ بعمل الخير وينفق في سبيل الله. فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ * يَوْمَ ـ القيامة. تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم ـ كتاب الأعمال الصالحة. بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ ـ لكم. جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ ـ القيامة. يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا ـ انتظرونا. نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ ـ تذكروا أعمالكم في الدنيا. فَالْتَمِسُوا نُورًا ـ آخر إن وجدتم غير الإيمان نورا. فَضُرِبَ بَيْنَهُم ـ وبين المؤمنين. بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ـ من جهة المؤمنين. وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ ـ من جهة المنافقين. الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ـ في الدنيا. قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ ـ في الدين. وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ ـ الخادعة فنافقتم. حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ـ بالحساب. وَغَرَّكُم بِاللَّهِ ـ أضلكم عن طريق الله. الْغَرُورُ ـ الشيطان. فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ ـ في مقابل عفو. وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ ـ أنتم وهم. النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

➡ أما آيات الله فهي تتكلم عن الإنسان فردًا ثم زوجًا ثم ذرية وجماعات في مجتمع إنساني يختلف عن سائر التجمعات الحيوانية بفضل النظام الذي حددته شريعة السماء التي خاطبت الناس منذ بدء الحياة على الأرض، حيث عاش آدم نبيًا بين بنيه وأحفاده. وظل المجتمع الإنساني منظمًا جيلاً بعد جيل وإن اعترته فترات ساد فيها الفساد، إلا أنه لم يكن مجتمعًا همجيًا قط، ولم يتعلم الناس النظام بتجريب عشوائي للخطأ والصواب، وإنما باتباع ما جاءت به الرسل من شرائع سماوية.

لماذا نرى جميع الأمم تعارفت على أن الاتفاقات عهود واجبة الاحترام، وتعارفت على القسم، ولماذا يقسمون عند التشديد على المواثيق ؟ لأن العهد والقسم يجريان في الضمير الإنساني منذ العهد والميثاق الأول مع الله، والقسم هو مصطلح موجود في كل اللغات الإنسانية. ويظل بالمجتمعات الإنسانية حد أدنى من النظم والمعايير والأخلاق تساعد تلك المجتمعات على الاتصال ببعضها وتسوية خلافاتها وتنشيط العلاقات فيما بينها. إن وجود ذلك الحد الأدنى من القواعد والأعراف المشتركة بين شعوب الإنسانية ـ مثل الحث على الواجبات وتحريم القتل والزنا والسرقة.. إلخ ـ يجد سببه في ملازمة شرائع السماء للإنسان منذ وجوده على الأرض. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٤]. ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]. ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]. وجاء في حديث أبي أمامة، عن أبي ذر «...قال: قلت يا نبي الله فأي الأنبياء كان أول ؟ قال: آدم، عليه السلام. قال: قلت يا نبي الله أونبي كان آدم ؟ قال: نعم نبي مكلم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه روحه، ثم قال له يا آدم قبلا. قال: قلت يا رسول الله كم وفى عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك مائة وخمسة عشر، جما غفيرا» [أحمد، باقي مسند الأنصار ٢١٢٥٧].

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

* أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ - فيترفعوا عن الذنوب. وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ - من قبلكم. فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ - طال بهم العهد برسالات الله، وكثر فيهم الأنبياء. فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ - أصبحت لا تلين إلى جانب الحق. وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ - مطر. أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ - ييبس. فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا - قشًا يابسا. وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ - للكافرين. وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ - للمؤمنين. وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ * سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ - بالتوبة والإيمان، وباب التوبة مفتوح أمام الإنسان طيلة حياته، وقبل غرغرة الموت. وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ - سجل. مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا - من قبل أن نخلق الأرض وما عليها. إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلا تَأْسَوْا - حتى لا تندموا أو تأسفوا. عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ - فى الماضى. وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ - من نعم فى الحاضر وما تنتظرونه فى المستقبل، ولكن اعملوا الخير، واتبعوا سبيل الله بعزم صادق واطمئنان. وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ - هو المتكبر المغرور. الَّذِينَ يَبْخَلُونَ - عن أداء ما أوجبه الله عليهم. وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ - من يعرض عن اتباع سبيل الله. فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ - أى معايير العدل. لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ - قوة شديدة فى القتال، (قديمًا كان يصنع منه السيوف واليوم المدرعات والطائرات والمدافع...). وَمَنَافِعُ - أخرى. لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ - من ينتصر لدينه الحق ويؤازر أنبياء الله ورسله. بِالْغَيْبِ - بدون أن يرى الله جهره. إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم - من ذرياتهم. مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ.

* ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ - أنهم ابتكروها. ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ - نصيبين أحدهما فى الدنيا والثانى فى الآخرة. مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لِئَلاَّ يَعْلَمَ - أى ليعلم (و«لا»: صلة زائدة مؤكدة). أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ - أى لا يقدرون على ردِّ شيء من قضاء الله وفضله، إذ كان بنو إسرائيل ينتظرون أن يخرج منهم خاتم المرسلين فلما خرج من العرب كفروا به، فنزلت الآية بأن كفرهم به لا يردُّ شيئًا مما قدَّره الله بفضله ورحمته أن يكون محمد هو خاتم الأنبياء والمرسلين. وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

سورة المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ ـ (نزلت بمناسبة شكوى امرأة هى خولة بنت ثعلبة). فِي زَوْجِهَا ـ (هو أوس بن الصامت، الذى ظاهر منها بقوله: أنت علىّ كظهر أمى. وكانت هذه العبارة، فى عرف العرب، تعنى طلاقًا يحرم معه ردّ المطلقة إلى عصمة زوجها أبدًا). وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ـ لأن زوجها تمتع بشبابها، ثم ظاهر منها عندما كبرت. وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ(*) وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ـ منكرا: لأن الأم مثال للرحم والترابط، فينبغى أن لا يضرب بها المثل فى قطع علاقة الزوجية. وزوراً: لأن الزوجة ليست كالأم. وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ * وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا ـ يريدون الرجوع فيما بدر منهم. فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَن لَّمْ يَجِدْ ـ سبيلاً إلى تحرير رقبة. فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ ـ الصيام لعذر قوى كالمرض. فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ـ وليقلع الناس عن العادات والأعراف الباطلة. وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ ـ يتحدَّوْن. اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا ـ خذلوا. كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ـ وقد. أَحْصَاهُ اللَّهُ ـ أحصى عملهم. وَنَسُوهُ ـ أما هم فَيَنْسَوْنَه، إذ هم يستهينون بشريعة الله. وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ ـ نفر من ثلاثة يتناجون. إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

(*) هذا الحصر خاص بهذه الحالة (حالة الظهار) حيث إن بعض خصوصيات الأمومة تنسحب على الأمومة من الرضاعة، حيث يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب. كما أن بعض خصوصيات الأمومة تشمل أيضًا زوجات النبى ﷺ باعتبارهن أمهات المؤمنين.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ ﴾

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ـ التآمر. ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ ـ يتآمرون. بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ ـ بتحية ابتدعوها. بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ـ و الذى شرعه الله من التحية هو: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ـ أى لو كان محمد نبيًا فسوف يعذبنا الله فى الدنيا. حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ـ يوم القيامة. فَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَىٰ ـ بالإثم والمعاصى. مِنَ ـ وساوس. الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ـ بوسوسته. وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا ـ ما لم يظهروا ما يوسوس به الشيطان فى أنفسهم. إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ـ مجلس النبى (ويقاس عليه مجالس العلم والذكر والمساجد... إلخ). فَافْسَحُوا ـ مكانًا لمن يريد مشاركتكم. يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ـ ييسر الله لكم. وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا ـ قوموا للصلاة أو الجهاد أو لعمل الخير، أو تفرقوا عن الرسول، فإن له حوائج. فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * أَأَشْفَقْتُمْ ـ أخفتم من. أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ـ فعفا الله عن هذا الحكم وأسقط عنكم ذلك الالتزام. فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى ـ المنافقين. الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم ـ صاحبوا وتعاطفوا وتوادوا مع قوم من الكافرين. مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ ـ هؤلاء المنافقون ليسوا معكم ولا معهم. وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ـ تظاهروا بالإسلام تقية. فَصَدُّوا ـ بتآمرهم مع الكفار. عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ.

﴿ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ـ ويحسبون أن الحلف سيوصلهم إلى نجاة. أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ـ فغابت ضمائرهم واستحلوا التخريب، وسعوا إلى زعزعة الإيمان فى نفوس الآخرين. أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ ـ يَتَحَدَّوْنَ. اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ـ أسفل سافلين. كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ـ من خالف. اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ ـ الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله. كَتَبَ ـ الله. فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾

سَبَّحَ لِلَّهِ - خضع له. مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ - يهود بنى النضير الذين خانوا عهد الأمان مع رسول الله ﷺ والمؤمنين. لأَوَّلِ الْحَشْرِ - ليذهبوا إلى الشام. مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ - فخانوا ميثاقهم مع رسول الله. فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ - وهم بخيانتهم. يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ * وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ - نخلة. أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ * وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ - من غنيمة. مِنْهُمْ - بنى النضير. فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ - ولم يكن نصركم عليهم لقتال تحملتموه ومعركة بالخيل والركاب. وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ - وإنما نصركم الله بحصاركم حصونهم فَدَبَّ الرعب فى نفوسهم فاستسلموا وخرجوا من قلاعهم. وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى - ما أعطاه الله للمسلمين من مال العدو بغير قتال(*). فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ - أى لتكون هذه الأموال (الفىء) للمصالح العامة. وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

(*) الفىء هو ما أخذ من أموال الأعداء بغير قتال، كمصادرة الأرض والأموال لخيانة العهد - الخيانة العظمى - ومنه الجزية والخراج.
وآخرون يرون أن الفىء والغنيمة شىء واحد، فيقولون بأن حكم الآية منسوخ بقوله تعالى: ﴿واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١].
ولا نرى ذلك لأن الغنيمة تؤخذ بعد قتال وخسائر يتكبدها المحاربون. أما ما صودر من أموال وما أخذ من جزية وخراج فيكون ملكًا عامًا للمسلمين. وإذا رأى الحاكم أن المجاهدين تكبدوا خسائر فى مقابل الفىء، فلا مانع يمنعه من تعويضهم من المال العام، فالمال العام مخصص كله فى سبيل تنمية المجتمع وتحقيق التوازن بين مصالح أفراده بما يمليه العدل.

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

* لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخرجُوا من ديَارِهِمْ وَأَمْوَالهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مّنَ اللَّه وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِين تبوَّءُوا الدَّارَ ـ سكنوا المدينة المنورة. وَالإِيمَانَ ـ وأسلموا وناصروا الرسول. من قَبْلِهِمْ ـ من قبل أن يهاجر أهل مكة منها إلى المدينة. يُحبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ في صُدُورِهِمْ حَاجَةً ـ حسدًا. مّمَّا أُوتُوا ـ مما أعطى الرسول للمهاجرين من أموال بنى النضير. وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ـ إخوانهم المهاجرين فيعطونهم من الخيرات. وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ـ ولو كان بهم فقر وحاجة. وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِه ـ ومن يتجنب ما تأمره به نفسه من بخل فينفق ماله فى أوجه الخير. فَأُوْلَئكَ هُمُ الْمُفْلحُونَ * وَالَّذينَ جَاءُوا منْ بَعْدهمْ ـ الذين دخلوا الإسلام من بعد هؤلاء حتى يوم القيامة. يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبنَا غلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ـ وكان على رأسهم عبد الله بن أبَيٍّ بن سلول. يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ـ يهود بنى النضير. لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ـ ولا نطيع أحدًا يأمرنا بمخالفتكم. وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ـ لنقاتل معكم حتى تنتصروا. وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ـ ليست لديهم نية حقيقية لإنجاز هذه الوعود. لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ ـ لا يقاتلون معهم. وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ ـ قاتلوا معهم. لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ * لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مّنَ اللَّه ـ فهم يخافون بطشكم لأنكم حاضرون أمام أعينهم، أما عذاب الله فلا يخشونه لأنه لم يظهر لهم بعد. ذَلكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ * لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ـ من وراء أسوار وحصون وقلاع. بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ـ تضامنهم فيما بينهم شديد من حيث الظاهر. تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا ـ تظنهم يدًا واحدة. وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ـ تزعزع قلوبهم عندما يواجهون المؤمنين. ذَلكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ * كَمَثَلِ الَّذِينَ ـ عادوكم.مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ـ من عهد قريب، وهم الكافرون فى موقعة بدر. ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ـ بالهزيمة المنكرة. وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ـ ومثل موقف المنافقين مع اليهود فى إظهار المودة لهم والتحالف معهم. كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ للإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنّي بَرِيءٌ مّنكَ إِنّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

﴿ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

* فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا ـ المُضَلِّلُ والمُضَلَّلُ، أي المنافق والكافر. أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فيها وَذَلكَ جَزَاءُ الظَّالمين * يا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لغَد ـ للآخرة، دار الخلود. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبيرٌ بمَا تَعْمَلُونَ * ولا تَكُونُوا كَالَّذين نَسُوا اللَّهَ ـ أعرضوا عن ذكره. فَأَنسَاهُمْ ـ قدر. أَنفُسَهُمْ ـ فاغتروا. أُولَئكَ هُمُ الْفَاسقُونَ * لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّار وَأَصْحَابُ الْجَنَّة أَصْحَابُ الْجَنَّة هُمُ الْفَائِزُونَ * لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَة اللَّه ـ والمعنى أن نفوس الكافرين أشد جمودًا من صخور الجبال. وَتلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا للنَّاس لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ اللَّهُ الَّذي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالمُ الْغَيْب وَالشَّهَادَة هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمنُ الْمُهَيْمنُ الْعَزيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّه عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالقُ الْبَارئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَات وَالأَرْض وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ.

سورة الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ـ كفروا بالرسول وما نزل عـليه من قرآن. يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن ـ لأنكم. تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ، إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ـ فلماذا. تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِن يَثْقَفُوكُمْ ـ يتمكنوا منكم. يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ـ بالأذى والتعذيب والقتل. وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ ـ الله. بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ـ فلا تتأسوا به فتستغفروا للكافرين. وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ـ لا تجعلنا امتحانًا للذين كفروا بأن تنصرهم علينا فى الدنيا استدراجًا لهم لكى يظنوا أنهم على حق وأن المؤمنين على باطل. وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ ـ فى أنبياء الله والذين معهم. أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ ـ يُعْرِض. فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم ـ من الكافرين. مَّوَدَّةً ـ إذا دخلوا الإسلام (فلا ييأس الداعى إلى دين الله وليتذرع بالصبر وليكن بعيد النظر).

وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ.

﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ۝ ﴾

❀ ١٥ - بيان الآية ١٠:

﴿ ولا تُمْسكُوا بعصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ استثنى من الحكم الكتابيات، بقوله تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ من قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾ [المائدة: ٥].

---

* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا - تعاونوا مع الكافرين. عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ - بناء على الصلح الذى عقدتموه معهم «يوم الحديبية» وكان من شروطه إرجاع من يرحل عن مكة إلى المدينة مؤمنًا بعد هذا الصلح. ولقد استثنى الله النساء. لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا - رُدُّوا على أزواجهن من الكفار ما أعطوهن من مهور. وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ - ولا تتخذوا زوجات كافرات (فإذا آمنتم ولم تؤمن زوجاتكم فسرحوهن). وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ - لكم أن تستردوا ما أعطيتم من مهور لزوجاتكم اللاتى بقين على كفرهن بعد إسلامكم. وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا - وليسأل الكافرون ما أعطوا زوجاتهم اللاتى آمَنَّ من صداق. ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ - وإن ارتدت بعض زوجاتكم وذهبن. إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ - فعاقبتم المرتدات، أو نشبت بسبب ذلك بينكم وبين الكفار الحرب. فَآتُوا - فاعطوا التعويضات للكافرين. الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم - الذين تركتهم زوجاتهم اللاتى أسلمن، وتقدر هذه التعويضات، مع جواز المقاصة، بـ. مِثْلَ مَا أَنفَقُوا (*) - بقدر ما أعطوهن من مهور (ذلك تأكيد على أن حقوق هؤلاء لا تسقط بسقوط العهد ونشوب الحرب). وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا - لا تؤازروا. قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ - كما ييأس من رحمة الله من دخل قبره وهو كافر.

(*) الآية ١١ تتعلق ببيان التعويضات المالية التى تستحق بسبب انقضاء الزواج بتغيير الدين. أما المخالفات الأخرى كالردة وآثارها فقد بينته السنة وشرحه الفقه، ويندرج تحت عموم كلمة ﴿ فعاقبتم ﴾ الواردة فى الآية.

﴿ ما أنفقوا ﴾ و ﴿ ما أنفقتم ﴾ فى الآيات المذكورة ليس مقصود بها نفقة المعيشة، لأن هذه تكون مستمرة باستمرار الحياة المشتركة ولأجلها، وقد تمت وانقضت قبل الدخول فى الإسلام. وإنما المقصود بالإنفاق فى هذه الآيات هو عطاء المهور. ولا مجال للتطبيق العملى لتلك التعويضات المالية بعد النسخ المبين أعلاه.

سورة الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ - تمدحون أنفسكم بحب الجهاد وطاعة الرسول والتضحية، ولا يرى ذلك منكم فى الواقع (نزلت بمناسبة غزوة أحد حيث لم يصبر بعض الجنود على طاعة الرسول فهموا بجمع الغنائم). كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ - فتذكر يا محمد قول. مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي - بالسخرية والاستهزاء. وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا - عندما مالوا عن الاعتدال فى تعاملهم معه. أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ (*) - سهل الله لهم طريق الفسق والضلال. وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم - الرسول أحمد، وهو محمد ﷺ. بِالْبَيِّنَاتِ - بآيات القرآن العظيم الذى يعجز البلغاء فى كل زمان ومكان عن الإتيان بمثله. قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ - لم يتبعوه لأنهم كانوا يأملون أن يكون من بنى إسرائيل، فقالوا: ساحر. وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ - دين التوحيد والإيمان بجميع الرسل والرسالات. وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ.

(*) يتبين من هذه الآية أن الله لا يزج بالناس فى الضلال، وإنما هم الذين يتخذون السبل نحو المفاسد والكفر ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ أى عندما انحرفوا بإرادتهم واختيارهم ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ رفع الله مساندته لهم. راجع القضايا: ٢٩ - ٦٢ - ٧٤.

﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

تُؤْمِنُونَ باللَّه ورَسُوله وتُجَاهِدُونَ في سَبيلِ اللَّه بأَمْوَالكُمْ وأَنفُسكُمْ ذلكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إن كُنتُمْ تعلَمُونَ * يَغْفرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ويُدْخلْكُمْ جنَّات تَجْري من تَحتها الأَنْهارُ ومَساكنَ طَيِّبةً في جنَّات عدْن ذلكَ الفَوْزُ العْظيمُ * وأُخْرَىٰ ـ حسنة أخرى عاجلة فى الدنيا. تُحبُّونَهَا نَصرٌ مّنَ اللَّه وفَتْحٌ قَريبٌ وبَشّر الْمُؤْمنين * يا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّه كَمَا قَالَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ للْحَوَاريّين مَنْ أَنصَاري إلَى اللَّه قَالَ الْحَوَاريُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّه فَآمَنَت طَّائفَةٌ منْ بَني إسْرَائيل وَكَفَرَت طَّائفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذين آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهرينَ ـ صاروا منتصرين.

سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾

يُسَبِّحُ لِلَّه مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِك الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيم * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ ـ أهل مكة، فهم أميون نسبة إلى اشتهار مكة بأم القرى. ويحتمل أن الله قد سماهم بذلك لأنهم لم ينزل عليهم كتاب سماوى من قبل القرآن، أو لأن ثقافتهم كانت فى العموم شفاهية لا تعتمد على الكتب قراءة وتحريراً. رَسُولاً مِنْهُم ـ محمد ﷺ. يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاته ويُزَكِّيهِم ويُعَلِّمُهُمُ الْكِتَاب وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا من قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِين ـ ضلال الكفر وعبادة الأصنام. وَآخَرِينَ مِنْهُم ـ من أمة محمد. لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ـ لم يعاصروا المؤمنين الأوائل، أمم ستتوالى من بعدهم تؤمن وتعمل بمبادئ الإسلام. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلكَ فَضْلُ اللَّه يُؤْتيه من يشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم * مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ـ من قبلكم. ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ـ لم يعملوا بمقتضاها. كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ـ يحمل كتب العلم فلا ينتفع بها. بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَات اللَّه وَاللَّهُ لا يَهْدي الْقَوْمَ الظَّالمين * قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّه من دُونِ النَّاسِ ـ من دون المؤمنين من أنصار محمد. فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ ـ لتقابلوا الله فيحاسبكم على حالكم هذا. إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * ولا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ـ ستجدونه أينما تكونوا، فالله قد كتبه على كل نفس، وهو سبحانه وتعالى يمهل الناس إلى آجالهم لعلهم يرجعون عن الفساد والضلال. ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاة ـ بالأذان. مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّه ـ بمباشرة أعمالكم وتجارتكم. وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً ـ فى حياتكم عامة، ويوم الجمعة خاصة. لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ـ نزلت فى المسلمين تركوا النبى على المنبر وأسرعوا إلى قافلة قادمة من الشام تحمل الخيرات. قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِين.

سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ـ اتخذوا شهادتهم بالإسلام حصنًا ظاهرا يصد المؤمنين عن محاسبتهم. فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ـ بأعمالهم الخبيثة. إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ـ بألسنتهم. ثُمَّ كَفَرُوا ـ بضمائرهم وأعمالهم. فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ـ حسن هيئاتهم لاهتمامهم البالغ بأمور الدنيا. وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ ـ في تجمعهم مع بعض. خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ـ بعضها على بعض. يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ـ يظنون أن كل نداء لجمع المسلمين يراد به التصدى لهم، ذلك لعلمهم بحقيقة أنفسهم. هُمُ الْعَدُوُّ ـ الخفى. فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ـ كيف ينصرفون عن الإيمان الحق؟ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا ـ أقبلوا إلى الإيمان الحق بالتوبة و. يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا ـ هزوا. رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ ـ بعضهم بعضًا عن ذلك. وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ ـ لمن هم على شاكلتهم من أغنياء المدينة. لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ ـ من المهاجرين. حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ـ من حوله. وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ.

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

* يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا ـ من غزوة بنى المصطلق. إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ـ قال ذلك عبد الله بن أُبَىّ بن سلول، كبير المنافقين، ويـريد نفسه بالأعز الذى يخرج رسول الله ﷺ. وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ـ عندما عاد عبـد الله بن أبى بن سـلول وقف له ابنه، وهو من خيرة المـؤمنين، على باب المدينة وقال لـه: أنت الذليل ورسول الله هو العـزيز، ولن تدخل المدينة حـتى يأذن لك رسول الله ﷺ. فـأذن له الرسول فى ذلـك برحمة قـلبه الواسـعة. وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ـ لا يـقدرون عظمـة ذلك الديـن وسمـاحة قلب رسول الله الكريـم . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ﴾

يُسَبِّحُ لِلَّه مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الأَرْض لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شيْءٍ قَديرٌ * هُوَ الَّذي خلقكُمْ فمنكُمْ كَافرٌ وَمنكُم مُّؤْمنٌ وَاللَّهُ بمَا تَعْمَلُونَ بَصيرٌ * خَلَقَ السَّمَوَات وَالأَرْضَ بالْحَقِّ وَصوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وإليْه الْمَصيرُ * يَعْلَمُ مَا في السَّمَوَات وَالأَرْض وَيعْلَمُ مَا تُسرُّونَ وَمَا تُعْلنُونَ وَاللَّهُ عَليمٌ بذَات الصُّدُور * أَلَمْ يَأْتكُمْ نَبَأُ الَّذين كفرُوا من قَبْلُ فذَاقُوا وبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ * ذلكَ بأَنَّهُ كَانَت تَّأْتيهمْ رُسُلُهُم بالبينات فقالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنا ـ ؟. فكفرُوا وتولوْا ـ أعرضوا. وَاسْتَغْنَى اللَّهُ ـ عن إيمانهم. وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَميدٌ ـ لا تعود عليه منفعة من إيمان الناس ولا يضار من كفرهم، فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها. زَعَمَ الَّذينَ كفرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بمَا عملْتُمْ وَذَلكَ عَلَى اللَّه يَسيرٌ * فَآمنُوا باللَّه وَرَسُوله وَالنُّور ـ القرآن. الَّذي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بمَا تَعْمَلُونَ خَبيرٌ * يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ ليَوْم الْجَمْع ـ يوم القيامة والحساب. ذَلكَ يَوْمُ التَّغَابُن ـ لا وسطية فى الجزاء، إما فوز بالنعيم الأبدى أو خسران فى عذاب مهين. وَمَن يُؤْمنْ باللَّه وَيعْمَلْ صالحًا يُكَفّرْ عَنْهُ سَيِّئَاته ـ يمحها ويغفرها. ويُدْخلْهُ جَنَّات تَجْري من تَحْتهَا الأَنْهَارُ خَالدينَ فيهَا أَبَدًا ذَلكَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ * وَالَّذينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآيَاتنَا أُوْلَئكَ أَصْحَابُ النَّار خَالدينَ فيهَا وَبئْسَ الْمَصيرُ * مَا أَصَابَ من مُّصيبَةٍ إلاَّ بإذْن اللَّه وَمَن يُؤْمنْ باللَّه يَهْد قَلْبَهُ وَاللَّهُ بكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ * وَأَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ فَإن تَوَلَّيْتُمْ فَإنَّمَا عَلَىٰ رَسُولنَا الْبَلاغُ الْمُبينُ ـ لا إكراه فى الدين. اللَّهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّه فَلْيَتَوَكَّل الْمُؤْمنُونَ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ـ تضعف عزائمكم لانشغالكم بأمورهم فتنسون ذكر الله والجهاد فى سبيله. فَاحْذَرُوهُمْ ـ احذروا الإفراط فى حبهم. وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا ـ عما يقع لكم من سوء بسببهم. فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ ـ بخل. نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ـ تعبير جميل من الله تعالى عن الإنفاق فى سبيله بكلمة قرض، فالله سبحانه وتعالى لا يفتقر إلى شىء حتى يقترض، ولكنه عَبَّر عن ذلك بالقرض لأنه عهد على نفسه أن يرد مقابل الإنفاق فى سبيله بركة فى الدنيا وحسنات مضاعفة فى حساب الأعمال. يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ ﴾

يا أيُّها النَّبيُّ ـ بلِّغْ أمتك. إذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقوهُنَّ لعدَّتهِنَّ ـ لبداية العدة ويقتضى ذلك إيقاع الطلاق فى طهر لا جماع فيه. وأَحْصُوا الْعدَّةَ ـ احسبوها بأمانة. واتَّقُوا اللَّهَ ربَّكُمْ ـ بطاعة أمره. لا تُخرِجُوهُنَّ مِنْ بيُوتهِنَّ ـ قبل انقضاء العدة. ولا يَخْرُجْنَ إلاَّ أن يأْتينَ بفاحشَة مُّبيِّنَة ـ توجب الحد. وتلْكَ حُدُودُ اللَّه ومَن يتَعَدَّ حُدُودَ اللَّه فقدْ ظَلَمَ نفْسَهُ لا تدْري لعلَّ اللَّهَ يُحدثُ بعْدَ ذلكَ أمْرًا ـ من إصلاح الأحوال بعد تصدعها بين الزوجين. فإذا بلَغْنَ أجلَهُنَّ فأمْسكُوهُنَّ بمعْرُوف ـ إن كنتم رددتموهن قبل نهاية العدة. أوْ فارِقُوهنَّ بمعْرُوف وأَشْهِدُوا ـ فى الحالتين. ذَوَيْ عدْلٍ مّنكُمْ وأَقيمُوا الشَّهادَةَ للَّه ذلكُمْ يُوعَظُ به من كانَ يُؤْمنُ باللَّه والْيوْم الآخرِ ومَن يتَّقِ اللَّهَ يجْعل لَّهُ مخْرجًا * ويرْزُقْهُ منْ حيْثُ لا يحْتَسبُ ومن يتوكَّلْ على اللَّه فهُو حسْبُهُ إنَّ اللَّهَ بالغُ أمْرِه قدْ جعلَ اللَّهُ لكُلِّ شيْءٍ قدْرًا ـ فمن أراد السعة والرخاء فى حياته عليه أن يعمل فى طاعة الله.

---

(١٧٥) قضية: الطلاق والشهادة: ﴿وأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مّنكُمْ﴾ [الآية: ٢].

ـ المرأة المعتدة فى حكم الزوجة حتى تنقضى العدة، فمن حقها ومن واجبها الاحتفاظ بإقامتها فى بيت الزوجية كما لو كانت لم تطلق : ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ ... ولا يَخْرُجْنَ﴾ أى : لا تطردوهن ... ولا يهجرن منزل الزوجية قبل انقضاء العدة.

عند انقضاء العدة يجب الإشهاد على أحد أمرين :

ـ إما الرجعة: إذا كان لها محل، وذلك فى الطلاق الرجعى ﴿فأَمْسكُوهُنَّ بمعْرُوف﴾ والرجعة هى إرجاع الرجل مطلقته إلى ذمته قبل انقضاء فترة العدة. فالشهادة هنا تكون على ذلك، وهى لازمة بمقتضى الآية وتفيد الإثبات والإشهار بالوضع القانونى، فالطلاق الرجعى لا يكون إلا مرتين على امرأة واحدة، فإن لم يكن هناك اهتمام بالإثبات بالشهود، وغير ذلك من وسائل الإشهار لفتح الباب أمام المفسدين للخروج على الشرع دون أن ينالهم حد ولا جزاء، فتضيع الحقوق ويتدهور المجتمع.

ـ أو المفارقة: ﴿أوْ فارِقُوهنَّ بمعْرُوف﴾ وعلى ذلك فإن بعد كل طلاق لا بد من الشهادة على وضع الزوجين وإشهاره بين الناس. وبذلك الإشهار يكون هناك انضباط فى الأمور الآتية :

←

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾

* وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ - في إحصاء عدتهن لا نقطاع الحيض. فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ - لصغر السن أو لشذوذ في التكوين، أو لغير ذلك من الأسباب كاستئصال الرحم، فعدتهن أيضًا ثلاثة أشهر. وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا * ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا * أَسْكِنُوهُنَّ - المطلقات في فترة العدة. مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ - وفقًا لسعتكم. وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ - حتى ترغموهن على الخروج قبل نهاية العدة، أو لابتزاز أموالهن بغير حق. وَإِن كُنَّ أُوْلاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ - وتشاوروا معًا على هذه الأمور وفقًا لما هو مألوف بينكم من معاملة طيبة. وَإِن تَعَاسَرْتُمْ - وإن اختلفتم على إرضاع المولود أو على أجرة الرضاعة. فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى - فيمكن استئجار مرضعة وفقًا للمعروف. لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ - ومن كان رزقه قليلاً. فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا - من سَعَة الرزق أو ضيقه. سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا.

➡ ١ - إثبات عدد الطلقات، فالرجعة تكون مرتين، فلا يستطيع أحد إمساك زوجة طلقها ثلاث مرات، مرتين متتاليتين ثم ردها إلى ذمته، ثم طلقها الثالثة، إلا إذا تزوجت بآخر ثم طُلقت منه.

٢ - عدم تعليق الزوجة، فالطلاق يقع بكلمة قد تصدر في غياب الشهود، ففي كثير من الأحيان يقع خلاف وشجار بين الزوجين دون أن يطلع على ذلك أحد، ويصدر الطلاق في مثل هذه الظروف ولا يعلم به سواهما. ومن حكمة الشرع أن الله أوجب الشهادة على وضع الزوجين بعد فوات العدة، فإن أهمل الرجل إشهار وضع مطلقته التي طلقها بكلمة منه في غياب الشهود فهي تظل معلقة لا تستطيع عقد زواج جديد بسبب وجود زواج سابق ظاهري وهو إن كان قد انقضى بالطلاق، إلا أن ذلك الطلاق لم يشهر. وعلى المرأة كذلك إذا كانت بيدها العصمة الإشهاد بعد فوات عدتها.

وللأسف نجد كثيراً من النظم القانونية لا تعالج هذه المسألة فتظل الزوجة ظاهريًا على ذمة زوجها في حين أنها طليقة، فإن تزوجت بآخر ولم يكن زوجها الأول أشهر الطلاق قدمت هي وزوجها الثاني للمحاكمة، وقد يحكم عليهما ظلما إن لم يتطوع الزوج الأول بالحضور أمام القضاء للإدلاء بالحقيقة.

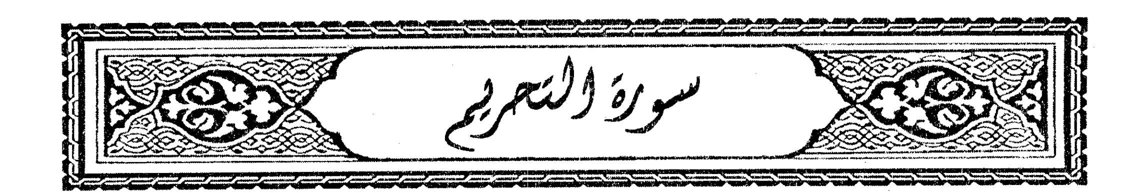
كل النظم القانونية يجب أن تلزم بالإشهار وتجازي على عدم الإشهار، ليس في الطلاق فقط، وإنما أيضًا في الزواج، لأن الزواج العرفي، إن لم يتمكن أحد الزوجين أو كلاهما من إشهاره، يمكن أن يؤدي إلى عواقب وخيمة، كأن تقر امرأة كذبًا بأنها ليست على ذمة رجل فيعقد عليها رجل آخر، في حين أنها متزوجة بزواج عرفي ولا يستطيع زوجها إثبات ذلك الوضع لعدم كفاية أدلة الإثبات والإشهار، إلى غير ذلك من المشاكل.

وعلى ذلك يجب على الحكومات الاهتمام بفتح الأبواب للإشهار بالحقائق، سواء من جانب الزوج أو الزوجة، وتشديد العقوبات على مخالفة قواعد الإشهار والتحايل لإخفاء الأوضاع الحقيقية.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾

* وكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ - تمرَّدت. عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِه فَحَاسَبْنَاهَا حسَاباً شَديداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَديداً فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَاب الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً.

رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّه مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّه وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَموَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ - سبع أرضين. يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ - يدبر الله الأمور. بَيْنَهُنَّ - بين السماوات السبع والأرضين. لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) ﴾

يا أَيُّها النَّبيُّ لِمَ تُحرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لكَ تَبْتغي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ - كفارة الإيمان: ﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩]. وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

(١٧٦) قضية: تحريم ما أحل الله [الآية:١].

لا ينبغى لأحد أن يحرم ما أحل الله، وهنا تجب التفرقة بين عدة مفاهيم :

- **التحريم والزهد**: قد يعزف المرء عن أمور هى حلال، وذلك من قبيل الزهد فيها، ولا بأس فى ذلك طالما لم يضر أحدًا ولم يقل بوجوب ذلك.

- **التحريم وتقييد المباحات**: للحاكم أن يقيد أمورًا هى من قبيل المباحات مثل أن يمنع الناس من شراء الأراضى والبناء فى أماكن معينة للدفاع العسكرى والأمن القومى. ومثل أن يحظر زراعة بعض المحاصيل المباحة مراعاة للاقتصاد القومى، أو أن يحظر تداول طعام معين يحمل مرضًا أو يساعد على نشر أمراض خطيرة... إلخ.

ومعلوم أن المباحات والأمور التى أحلها الله تندرج فى أولويات بالنظر إلى آثارها على المجتمع، وعندما يقيد الحاكم بعض المباحات مراعاة لمصلحة اجتماعية أسمى وأكبر، أو للضرورة، فإنه يكون فى إطار الشرع الإسلامى لأنه يدفع الضرر الأكبر بالضرر الأقل.

(١٧٧) قضية: الكفارة [الآية:٢].

﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [المائدة: ٨٩]، تخير الفرد بالنسبة لهذه الأمور، فقد تكون مشكلة الإطعام لها أولوية فى مجتمع من عليه الكفارة فيطعم ما دام قادرًا. وقد تكون الأولوية للكساء أو لتحرير الرقاب. فعلى المعنى بالأمر مراعاة حالة مجتمعه. ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ كأن يكون هو نفسه فقيرًا وعليه الكفارة ﴿ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ﴾.

المقابل النقدى:

مما لا شك فيه أن أوجه الفقر قد تعددت فى الحياة المعاصرة، وإن أكثر الناس بؤسًا هو من اعتراه الجوع والعرى. ومن صور الفقر الحاجة إلى مصاريف التعليم ومقابل الحصول على الخدمات، مثل الإنارة والمياه ومصروفات التنقل بالمواصلات الحديثة... إلخ.

←

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾

* وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ ـ حفصة. حَدِيثًا ـ بأنه حرم على نفسه مارية القبطيةأو حرم على نفسه عسلاً كان يشربه عند أم المؤمنين زينب بنت جحش. فَلَمَّا نَبَّأَتْ به ـ أفشت حفصة لعائشة بهذا السر. وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ـ أعلم الله نبيه. عرَّفَ بَعْضَهُ ـ ذكر لحفصة بعض ما قالته لعائشة حول هذا الأمر. وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِن تَتُوبَا ـ حفصة وعائشة. إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ـ ابتهجت أساريركما بهذا، مع علمكم بأن النبى غير زاهد فى مارية ويكره فراقها. وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ـ وإن تتعاونا على ما يكرهه النبى. فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ـ المؤمنون الصالحون. وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ـ أنصار له. عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ـ بطاعة الله. نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ـ يوم الحساب. إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ـ توبة حاسمة. عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ـ يوم الحساب. نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

➡ لذلك فلا مانع يمنع صاحب الكفارة من أن يؤدى مقابلاً نقديًا مناسبًا للفقراء ليصرفوه حسب أولويات حاجاتهم، وذلك جائز لأن الله لا يلزم الذى عليه الكفارة بمراقبة المسكين بعدما يؤدى إليه العطاء لمعرفة ما إذا كان قد أكل طعامه ولبس لباسه أم باعه. فذمة مؤدى الكفارة تبرأ بمجرد تقديم الطعام أو الكسوة عينًا، أو المقابل النقدى الذى هو وسيلة الحصول على الزاد واللباس وغيره. والتقدير يكون وفقًا لمستوى مؤدى الكفارة أى وفقًا لما اعتاد أن يأكل من طعام، ووفقًا لما يكتسون به، أو ثمن ذلك نقدًا. وله أن يتحرز وهو يؤدى البديل النقدى، فيصرح للمسكين بأنه يعطيه ليشترى الطعام أو الكساء.

كما أن هناك بعض المسائل العملية التى تظهر عندما تكثر العطايا من الكفارات والزكاة العينية، إذ قد يضطر المساكين إلى بيعها، فيكثر العرض على التجار فتنخفض أثمانها، فيكون المؤدى قد أدى إلى المسكين أقل مما يجب، فقد ذهب جزء من حقه إلى التاجر.

ونظرًا لأن الكفارات والزكاة ينبغى أن لا تكون أقراصًا مسكنة، وفقًا لتعبير بعض علماء عصرنا، فإنه يجب أن تنظم لها الصناديق، ويعين عليها مشرفون أمناء لكى تنتج آثارها فى تنمية وتحسين الأحوال المعيشية لهؤلاء المساكين. ويكون الفرد بالخيار، إما أن يعطى لمسكين يعلم بحاله، وإما أن يعطى للصندوق ليصرف العطايا فى وجهها الصحيح، لأن احتراف التسول، وتقمص شكل المسكين والفقير قد انتشر فى عصرنا بما يلبس على الناس حقيقة أمر السائل وأحواله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

* يا أيُّها النَّبيُّ جَاهد الْكُفَّارَ وَالْمُنَافقينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصيرُ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ منْ عبَادنَا صَالحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ـ كانتا كافرتين برسالة الله التى أنزلها على زوجيهما. فَلَمْ يُغْنيَا عَنْهُمَا منَ اللَّه شَيْئًا وَقيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخلينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فرْعَوْنَ إذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لي عندَكَ بَيْتًا في الْجَنَّة وَنَجِّني من فرْعَوْنَ وَعَمَله وَنَجِّني منَ الْقَوْمِ الظَّالمينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عمْرَانَ الَّتي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فيه من رُّوحنَا وَصَدَّقَتْ بكَلمَات رَبِّهَا وَكُتُبه وَكَانَتْ منَ الْقَانتينَ.

---

(١٧٨) قضية: شخصية المرأة مستقلة : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ منْ عبَادنَا صَالحَيْنِ﴾ **[الآية: ١٠].**

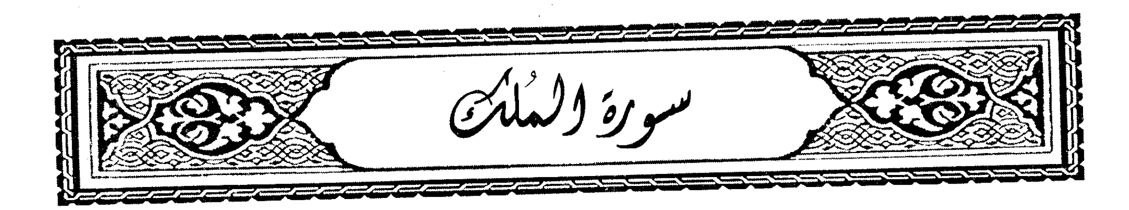
هذه القضية تفيد بأن شخصية المرأة مستقلة وولاية زوجها عليها لا تمتد إلى إلغاء اختياراتها ومسؤولياتها عن تصرفاتها، فنبى الله نوح كانت زوجته كافرة، وكذلك أيضًا كانت زوجة نبى الله لوط. فلو أن للرجل ولاية كاملة على امرأته لكان لهذين النبيين على زوجتيهما سلطة إجبار على الإيمان ولما حلت مسؤولية الكفر على هاتين المرأتين.

وولاية الأزواج بعضهم على بعض تكون بالنصح والإرشاد إن كان له محل، فيكون النصح من الزوج إلى الزوجة ومن الزوجة إلى الزوج.

وقد نهى الله فى شريعته الخاتمة المؤمنين من التزوج بالكافرات: ﴿وَلا تُمْسكُوا بعصَمِ الْكَوَافر﴾ [الممتحنة: ١٠].

ويحل لهم التزوج بالكتابيات بالرغم من أنهن من المشركات بالله فى عصرنا الحاضر، ولكن هذا فى سبيل الدعوة إلى الشريعة الخاتمة "الإسلام" وعلى المؤمن أن ينصح زوجته الكتابية بالإسلام. ﴿الْيَوْمَ أُحلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذينَ أُوتُوا الْكتَابَ حلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ منَ الْمُؤْمنَات وَالْمُحْصَنَاتُ منَ الَّذينَ أُوتُوا الْكتَابَ من قَبْلكُمْ إذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصنينَ غَيْرَ مُسَافحينَ وَلا مُتَّخذي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بالإيمَان فَقَدْ حَبطَ عَمَلُهُ وَهُوَ في الآخرَة منَ الْخَاسرينَ﴾ [المائدة: ٥].

واستثناء الكتابيات ليتزوج بهن المؤمنون من عموم الآية ﴿وَلا تَنكحُوا الْمُشْركَات حَتَّىٰ يُؤْمنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْركَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]. قاصر على الرجال المؤمنين دون النساء المؤمنات، ذلك لأن المولود ينسب لأبيه ويكون على دين أبيه، وينبغى أن لا ينسب مولود لا إرادة له إلى غير دين الفطرة، فلو تزوجت المسلمة كتابيا فسوف ينسب المولود إلى ملة أبيه التى تخالف دين الإسلام، والآية الخامسة من سورة المائدة خاطبت الرجال فقط فيظل الحظر على المؤمنات بمقتضى عموم الآية ﴿وَلا تُنكحُوا الْمُشْركينَ حَتَّىٰ يُؤْمنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْركٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [بقية الآية: ٢٢١ من سورة البقرة].



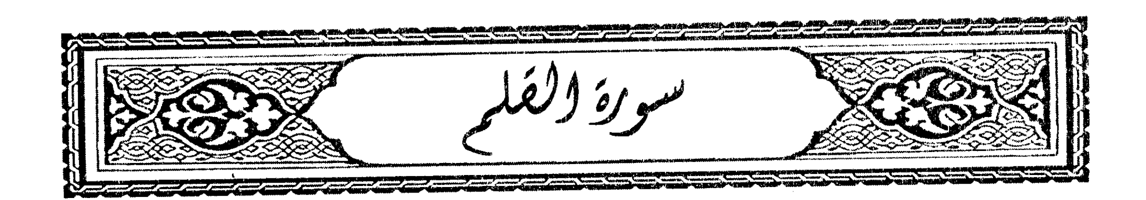
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥ ﴾

تَبارَكَ الَّذي بِيَدِه الْمُلْكُ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ * الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَملاً وَهُوَ الْعَزيزُ الْغَفُورُ * الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰواتٍ طِباقًا - طبقات فوق بعضها. مَّا تَرىٰ في خَلْقِ الرَّحْمٰنِ من تَفاوُتٍ - لا تجد فى خلق الله عوجًا. فارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرىٰ من فُطُورٍ - هل تجد فى السماء شقًا أو فى الكون صدعًا. ثُمَّ ارجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ - فابحث عما يمكن أن يعاب. يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا - ذليلا. وَهُوَ حَسيرٌ - ضئيل ومنكسر. وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصَابيحَ - الكواكب والنجوم. وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطينِ وَأَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعيرِ * وَلِلَّذينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصيرُ * إِذا أُلْقُوا فيها سَمِعُوا لَها شَهيقًا - صوتًا مخيفًا. وَهِيَ تَفُورُ * تَكادُ تَمَيَّزُ - تتقطع. مِنَ الْغَيْظِ - بسبب كفر من يلقى فيها. كُلَّما أُلْقِيَ فيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذيرٌ - رسول يبلغكم رسالة الله، أو داعية يدعوكم للتعرف على شريعة الله. قالُوا بلىٰ قَدْ جاءَنا نَذيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ من شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ في ضَلالٍ كَبيرٍ * وَقالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ - فى الدنيا. ما كُنَّا في أَصْحابِ السَّعيرِ * فاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحابِ السَّعيرِ * إِنَّ الَّذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبيرٌ * وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِه إِنَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ * أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطيفُ الْخَبيرُ * هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً - ممهدة. فَامْشُوا في مَناكِبِها - نواحيها وآفاقها. وَكُلُوا من رِّزْقِه وَإِلَيْهِ النُّشُورُ - البعث بعد الموت.

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾ ﴾

أَأَمنتُم مَن في السَّمَاء ـ الله. أن يَخْسفَ بكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ـ تتحرك وتنقلب عليكم فتبتلعكم. أَمْ أَمنتُم مَّن في السَّمَاء أن يُرْسلَ عَلَيْكُمْ حَاصبًا ـ ريح الحصباء المهلكة. فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذير * وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذينَ من قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكير ـ كيف كان إنكار الله وغضبه؟ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّات ـ الطيور فى الهواء أسرابًا تطير، يبسطن أجنحتهن. وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بكُلِّ شَيْءٍ بَصيرٌ * أَمَّنْ هَذَا الَّذي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ ـ من ذا الذى تعتقدون أنه. ينصُرُكُم مّن دُون الرَّحْمَن إن الْكَافرُونَ إلاَّ في غُرُور * أَمَّنْ هَذَا الَّذي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ ـ الله. رِزْقَهُ بَل ـ الكفار. لَّجُوا في عُتُوٍّ وَنُفُورٍ * أَفَمَن يَمْشي مُكبًّا عَلَىٰ وَجْهه ـ لا ينظر إلى أبعد من أنفه وقدميه، وهو الكافر. أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشي سَوِيًّا عَلَىٰ صرَاط مُّسْتَقيم ـ معتدلاً ينظر إلى الأفق أمامه فيعلم بالخير والشر والمخاطر وأعقابها. قُلْ هُوَ الَّذي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئدَةَ قَليلاً مَّا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ الَّذي ذَرَأَكُمْ ـ خلقكم. في الأَرْض وَإِلَيْه تُحْشَرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ ـ يوم القيامة. إن كُنتُمْ صَادقينَ * قُلْ إِنَّمَا الْعلْمُ عندَ اللَّه وَإِنَّمَا أَنَا نَذيرٌ مُّبينٌ * فَلَمَّا رَأَوْهُ ـ العذاب. زُلْفَةً ـ قريبًا منهم يوم الحساب. سيئَتْ وُجُوهُ الَّذينَ كَفَرُوا وَقيلَ هَذَا الَّذي كُنتُم به تَدَّعُونَ ـ ذلك الذى كنتم تدعون كذبه. قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنيَ اللَّهُ وَمَن مَّعيَ أَوْ رَحمَنَا فَمَن يُجيرُ الْكَافرينَ منْ عَذَاب أَليم * قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا به وَعَلَيْه تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ في ضَلال مُّبين * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ـ غائرًا فى الأرض بعيدًا لا تستطيعون تناوله. فَمَن يَأْتيكُم بمَاءٍ مَّعينٍ ـ ماء جار تشربون منه وتسقون زرعكم وأنعامكم.



سورة القلم

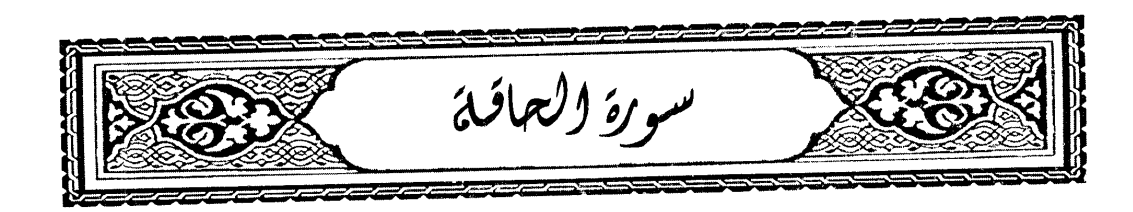
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ (٧) فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ (١١) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ (١٦) إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ (٢٢) فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٢٩) ﴾

نٓ والْقَلَمِ ـ الذى يسجل كل شىء (الله أعلم بهيئته) . وَمَا يَسْطُرُونَ ـ وما تثبته الملائكة فى كتب الأعمال. مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ـ بتحملك رسالة ربك. بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ـ غير منقطع. وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ ـ بعينيك الأجر الذى أعددناه لك. وَيُبْصِرُونَ ـ يوم القيامة بحقيقة ما أنذرناهم به. بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ـ فبأى فريق منكم الجنون والعته. إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ ـ تتصالح معهم فتقرهم على بعض ما هم عليه من باطل. فَيُدْهِنُونَ ـ فيصطلحون معك على اتباع بعض ما تدعوهم إليه. وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ـ الذى اعتاد أن يحلف بالباطل. هَمَّازٍ ـ اعتاد اغتياب الناس. مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ـ يسعى بالنميمة ليوقع الفتنة بين الناس. مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ ـ غليظ الطبع. بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ـ وفوق ذلك هو منسوب لقوم ليس منهم (نزلت فى الوليد بن المغيرة)، أيحسب أن سينفعه. أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ـ سنضع على أنفه علامة تحقره (قطع أنفه فى غزوة بدر). إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ـ أصحاب البستان المثمر. إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا ـ يجنون ثمارها. مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ ـ جزءًا من المحصول للفقراء، كما كان يفعل أبوهم. فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ ـ عقاب. مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ـ نار أصابتها وهم لا يدرون. فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ـ مُفْحَمَةٌ كسواد الليل المظلم. فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ـ قالوا عندما أصبحوا : أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ ـ محصول جنتكم. إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ـ إن كنتم تريدون جنى الثمار. فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ـ يقولون فيما بينهم. أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ ـ هدف. قَادِرِينَ ـ وظنوا أنهم على العطاء والمنع قادرون. فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ـ أى ليست هذه جنتنا، ثم لما تحققوا من الأمر قالوا. بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ـ من جنتنا كما منعنا الفقراء صدقاتهم. قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ـ بحمد الله. قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۝ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ۝ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ۝ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۝ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ۝ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ۝ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۝ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾

* فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ـ هل نزل إليكم كتابا يقر بأهواءكم ؟ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ ـ عهد. عَلَيْنَا بَالِغَةٌ ـ متصلة. إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ـ تفيد. إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ـ به وفقًا لنزواتكم. سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ ـ الادعاء. زَعِيمٌ ـ كفيل!. أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ! يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ـ كناية عن شدة يوم القيامة. وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ـ أى إلى الصلاة لله. وَهُمْ سَالِمُونَ ـ فى الحياة الدنيا. فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ ـ أمهلهم. إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ـ هل كنت تسألهم على الإيمان أجرًا فلا يستطيعون أداءه ؟. أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ـ أم كانوا يعلمون ما وراء السماء، فينسجون مذاهبهم على علمهم هذا!. فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن ـ متعجلاً. كَصَاحِبِ الْحُوتِ ـ هو يونس، عليه الصلاة والسلام. إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ـ وهو مكتوم فى بطن الحوت الذى ابتلعه. لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ ـ لولا أن أدركته المغفرة. مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ـ فخرج برحمة الله إلى العراء خالصا من ذنبه مغفورا له غير مذموم. فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ.



بسم الله الرحمن الرحيم

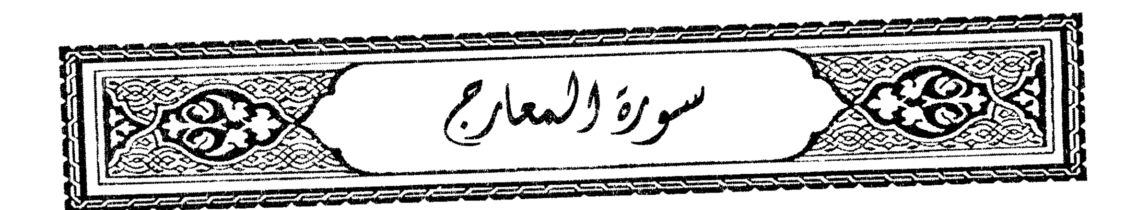
﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ۝١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤ ﴾

الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ! ـ هى القيامة التى يحق فيها ما أنكره الكافرون من البعث والحساب. كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ـ كذبوا بيوم القيامة. فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ـ بالصيحة المميتة. وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ـ شديدة الصوت متصلة. عَاتِيَةٍ ـ جبارة. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ ـ الله. سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ـ متوالية، تحسم أمرهم بالهلاك. فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ ـ موتى. كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ـ منخورة. فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ ـ حياة. بَاقِيَةٍ.

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ ـ هو وأتباعه. وَمَن قَبْلَهُ ـ من الأمم الكافرة. وَالْمُؤْتَفِكَاتُ ـ وهم قوم لوط. بِالْخَاطِئَةِ ـ بأكبر الخطايا. فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ ـ الله. أَخْذَةً رَّابِيَةً ـ شديدة. إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ ـ طوفانًا فى عهد رسول الله نوح. حَمَلْنَاكُمْ ـ أى حملنا أسلافكم. فِي الْجَارِيَةِ ـ سفينة نوح. لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ـ ولولا ذلك لما كانت لكم حياة. وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ـ أذن المؤمنين. فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ـ جاء يوم القيامة. وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ـ متصدعة. وَالْمَلَكُ ـ الملائكة. عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ـ على جوانب السماء المتصدعة. وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ ـ فوق تلكم الملائكة. يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ـ من الملائكة المقربين. يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ـ للحساب. لا تَخْفَىٰ منكُمْ خَافِيَةٌ ـ كل صغيرة وكبيرة من أعمالكم تعرض أمامكم. فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بيمينه فَيَقُولُ ـ لمن حوله مفتخرًا. هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ ـ تحققت من. أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ـ ثمارها قريبة فى متناول اليد. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ ـ من عمل صالح. فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ـ أيام الدنيا الفانية.

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾

* وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ـ يا ليت القيامة كانت لتقضى على بالفناء. مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ـ أوثقوه بالأغلال. ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا ـ ولى. حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ـ غسالة الأبدان فى النار. لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ـ لو قال بغير ما نوحى إليه. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ـ لعاقبناه بقدرتنا. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ـ وريد القلب. فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ـ ولا يدرأ عنه ذلك أحد منكم. وَإِنَّهُ ـ القرآن الذى نَزَّلْنَاهُ عليه. لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ ـ القرآن. لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ.



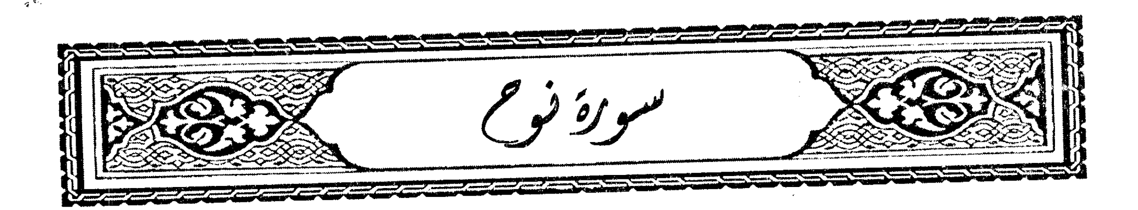
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ ﴾

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ـ تحدى أحد الكافرين رسول الله داعيًا بنزول العذاب فورًا على الكافرين. وقد أخبر الله بذلك فى سورة الأنفال: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ـ بالهلاك فى الدنيا. وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ ـ بعضهم. يَسْتَغْفِرُونَ ـ يتوبون عن الكفر ويسلمون ﴾ [الأنفال: ٣٢ ـ ٣٣]. ـ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ـ الذى. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ ـ يوم القيامة. كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ـ من زمان الدنيا. فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ـ يعتقدون أن يوم القيامة بعيد. وَنَرَاهُ قَرِيبًا ـ إذ أنه فى الواقع قريب من كل فرد، فعندما يموت الإنسان يتوقف وعيه بالوقت، فما يلبث بعد موته إلا أن يشعر بأنه يبعث كما لو كان يفيق من نومة نامها، ولو كان الفرق بين يوم موته ويوم القيامة آلاف السنين. أضف إلى ذلك عذاب القبر للكافر، وهو درجة من العذاب يدخلها فور موته، ويستمر فيها إلى يوم البعث. والقبر مقصود به الفترة بين الموت والبعث، ولو لم يدفن الجسد، ولو احترق وصار رمادًا، فهو ملاق عذاب القبر. إذًا فالعذاب قريب لأن الإنسان حى ليومه ولحظته،ولا يبقى من ماضيه سوى الذكريات، فهو يموت يومًا بيوم ويبعث يومًا بيوم، ويظل هكذا إلى أن يفاجئه الموت الأكبر. ولو عاش مائة عام ثم جاءه الأجل، فإن عمره يكون كحلم مضى واستغرق لحظات. يَوْمَ ـ البعث. تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ـ يكون لونها كحمرة المعدن المنصهر. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ـ الصوف الهش. وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ ـ قريب أو صديق. حَمِيمًا يُبَصَّرُونَهُمْ ـ ينظر الناس لبعضهم. يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ـ عشيرته التى تحميه. وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ـ جهنم. نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ـ عن دين الله. وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ـ جمع المال ليكنزه فى الخزائن فلم يزك عنه ولم يتصدق. إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ـ حريصًا على الحياة حرصًا شديدًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ـ لا يصبر. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ـ يمنع الصدقة عن المحتاجين. إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ـ يوم الحساب. وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ـ لا يؤمن عذاب الله إلا بطاعته. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ـ إماؤهم. فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ ـ بارتكاب الفواحش. فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ـ أمناء على مواثيقهم واتفاقاتهم. وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ـ يؤدون الشهادة بصدق. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ * فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ ـ يا محمد. مُهْطِعِينَ ـ شاردين بأنظارهم متعجبين. عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ـ من حولك متفرقين. أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ـ من نطفة حقيرة فى نظر كل إنسان. فلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ـ رب المواقع التى تشهد شروق الشمس ومغربها، أى رب الأرض كلها. إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ ـ قادرون على أن نهلكهم بالعذاب فيخلفهم قوم مؤمنون. وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ـ ولو أردنا الهلاك لهم فلن يفلت من قبضتنا كافر. فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ ـ القبور. سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ـ إلى معلمة بارزة يسرعون. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ـ انكسار. ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ.



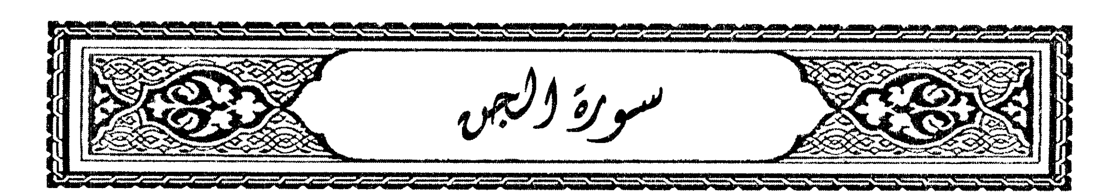
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ۝ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ ﴾

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِه أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ من قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أن اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُون * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى - أجل الوفاة. إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تعلمُون * قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا - إعراضًا عن الدين. وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ - إلى طاعتك. لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ - غطوا وجوههم بثيابهم. وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا - دعوتهم جهرا وسرا. فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا - بالمطر والرخاء. وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا * ما لكُمْ لا تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا - تريدون التصغير من شأن خالقكم!. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا - نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ثم كسا العظام لحما، ثم أنتم تولدون فتعيشون طفولة، ثم صبًا، ثم شبابًا وكهولة، ثم شيخوخة وهرمًا وضعفًا إلى الموت. أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا - مصباحًا. وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا - لا يعيش الإنسان ولا ينمو ولا يتكاثر إلا من مكونات الأرض، مثله مثل بقية الأحياء. ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا - يوم البعث. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا - ممهدة. لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا - طرقًا عريضة واسعة. قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ - لا تتركوا. وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا - أسماء أصنامهم (كانت تلك الأصنام تماثيل لسلف صالح، ثم سول الشيطان للناس عبادتها والتوسط بها إلى الله لإنزال المطر والخير من السماء).

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾

* وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً ـ من الناس بحملهم على عبادة هذه الأصنام. وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً * مِمَّا خَطيئَاتِهِمْ ـ بسبب كفرهم وهو أكبر الخطايا. أُغْرِقُوا ـ بالطُّوفان. فَأُدْخِلُوا نَاراً ـ فى الآخرة. فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِن دُونِ اللَّه أَنصَاراً * وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ـ لا تترك أحدًا فى دار أو حصن أو مأوى. إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ ـ أحياء. يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً ـ فنسلهم على شاكلتهم، والله أعلم. رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ـ أينما كانوا. وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً ـ هلاكًا ودمارًا.



سورة الجن

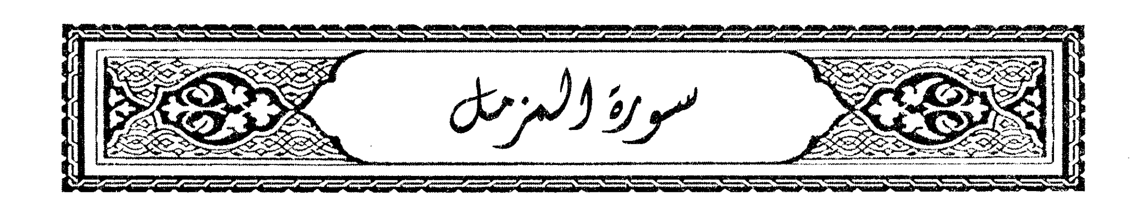
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ـ من الله تعالى. أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ـ لتلاوة آيات القرآن (كان رسول الله يصلى صلاة الصبح ببطن نخل، بين مكة والطائف). فَقَالُوا ـ لإخوانهم من الجان. إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا به وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ـ منزه مقامه مما ينسبونه إليه. مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ـ إبليس. عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ـ ضلالاً وزورًا. وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ـ كان من عادات بعض العرب فى الجاهلية أنهم إذا نزلوا بواد قالوا: نعوذ بسيد هذا المكان من الجن. فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ـ فتجرأ الجن عليهم فأرهبوهم. وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا * وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ ـ (فطر الله الجان على قدرة الانتقال السريع بين السماء والأرض). فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا ـ قبل بعثة محمد ﷺ. مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ـ للتنصت على تحاور الملائكة. فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا * وَأَنَّا لا نَدْرِي ـ دلالة تلك الشواهد والعلامات. أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا * وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ـ مذاهب متفرقة بين الإيمان والكفر. وَأَنَّا ظَنَنَّا ـ علمنا. أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا * وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ـ القرآن. آمَنَّا به فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّه فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا * وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ـ الجائرون عن الحق بكفرهم. فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا * وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ـ على شريعة الله فى دنياهم. لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ـ طاهرًا حلوًا. لِنَفْتِنَهُمْ فيه ـ نمتحنهم فى طريق الإيمان. وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّه يَسْلُكْهُ ـ يدخله اللَّهُ. عَذَابًا صَعَدًا ـ شديدًا. وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ ـ وجهة العبادات. لِلَّه فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا.

﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾

وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ـ محمد. يَدْعُوهُ ـ يعبد الله وحده، ويدعو قومه إلى التوحيد وهجر الشرك والكفر. كَادُوا ـ كفار قريش وغيرهم من العرب. يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً ـ يكونون ضده متكاتفين. قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِه أَحَداً * قُلْ ـ لهم يا محمد. إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَراً وَلا رَشَداً ـ إنما أنا مبشر ومنذر. قُلْ إِنِّي لن يُجيرني من الله أحدٌ ـ لو حدْتُ عن طريقه. وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِه مُلْتَحَداً ـ لا ملجأ منه إلا بتسليم الأمر إليه، بالإيمان والطاعة، وما هذا القرآن. إِلاَّ بَلاغاً مِنَ اللَّه وَرِسَالاته ـ بلاغ يهدى إلى الحق، كما هو شأن الرسالات السابقة، كانت كلها على التوحيد. وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً * حَتَّى إِذَا رَأَوْا ـ الكافرون. مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً ـ إذ أنهم فى الدنيا كانوا يرون المؤمنين ضعفاء عدداً وعدة، فسيعلمون بأن الأمر ليس كذلك يوم الحساب. قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ ـ موعد القيامة والحساب. أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً ـ أجلا بعيداً. عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِه أحدا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ـ يطلعه على بعض أمور الغيب، ويجعل. مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِه رَصَداً ـ ملائكة وأتباعًا يحفظونه من شر الكافرين. لِيَعْلَمَ أَن ـ الرسل. قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ ـ الله يحفظ رسله حتى يمكنهم من أداء الرسالة، ثم بعد ذلك يتوفاهم لآجالهم. وَأَحَاطَ ـ الله. بِمَا لَدَيْهِمْ ـ بما لدى الناس من أعمال الخير والشر والعقيدة فى الله أوالكفر. وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ـ وصف اللَّهُ رسوله محمدًا ﷺ بالمزمل، لأنه التف بثيابه رهبة من الوحي بعدما التقاه على هيئته أول مرة، ووصفه الله أيضًا بالمدثر للسبب نفسه. قُمِ اللَّيْلَ ـ للعبادة. إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ـ كلامًا له قدر عظيم. إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ـ صلاة التهجد بالليل. هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا ـ أقوى أثرًا فى النفس. وَأَقْوَمُ قِيلاً ـ أسطع جلاء فى استيعاب كلام الله. إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ـ انصرافًا إلى أشغال الدنيا. وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً * رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً * وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ ـ الذين يتمتعون فى نعمائى ويكفرون بى. وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً * إِنَّ لَدَيْنَا ـ فى جهنم. أَنكَالاً وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ـ يسد الحلقوم. وَعَذَابًا أَلِيمًا * يَوْمَ ـ القيامة. تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ـ رملاً متناثرًا. إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً * فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ـ يوم القيامة. السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ـ تتشقق بأمر ربها من هول ذلك اليوم (السماء فى العربية بالتأنيث والتذكير). كَانَ وَعْدُهُ ـ وعد الله. مَفْعُولاً * إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾

* إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ - تصلى الليل بقدر. أَدْنَىٰ من ثُلُثَي اللَّيْلِ - فى بعض الليالى. وَنِصْفَهُ - فى بعض الليالى. وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ - على هذا الحال. وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ - يقدر ثواب عبادتكم إياه بالليل والنهار وفى كافة الأوقات. عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ - علم الله أنكم لن تستطيعوا الدوام على قيام الليل بقدر واحد. فَتَابَ عَلَيْكُمْ - فعفا عنكم ولم يفرضه عليكم، فصار قيام الليل نافلة. فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ منكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ في الأَرْضِ - يسعون إلى تجارة ومصالح دنيوية. يَبْتَغُونَ من فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ - من القرآن. وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا - فعل الخيرات بجميع أشكالها يعتبره الله من المؤمنين بمثابة قرض، تأكيدًا منه بأنه سيرده بركة فى الدنيا ونعيما فى الآخرة. وفى ذلك التصوير لطف، فما من نعمة ينعم بها الإنسان إلا وهى من الله، والإنسان نفسه مملوك لله خالقه. وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا - فالله كريم فى عطائه. وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۝ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝ ﴾

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ـ وصف الله رسوله محمدًا بالمدثر، لأنه تدرَّعَ فى ثيابه عند نزول الوحى عليه أول مرة. قُمْ فَأَنذِرْ ـ الناس بدين الحق، الإسلام. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ـ اعرض عن عبادة الأوثان والشرك بالله. وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ـ لا تستكثر جهادك لدعوة الناس إلى الإيمان، فإنك رسول الله وقدرك محفوظ عنده سبحانه وتعالى. وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ * فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ـ نفخ فى الصور يوم القيامة. فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ ـ فقط دون المؤمنين. غَيْرُ يَسِيرٍ * ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ـ كل إنسان يخلقه الله وحيدًا، دون عزوة من ولد أو مال أو جاه (قيل: نزلت فى الوليد بن المغيرة). وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا ـ رزقًا. مَّمْدُودًا ـ طيلة حياته فى الدنيا. وَبَنِينَ شُهُودًا ـ عزوة من الأهل والأقارب (قيل: كان للوليد بن المغيرة عشرة بنين). وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ـ ويسرت له من أسباب الخير الكثير. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ـ يتكالب على الدنيا طمعًا فى زيادة الرزق، معرضًا عن ذكر الرزاق. كَلَّا ـ لن أعطيه خيرًا فى الآخرة، وليس له فيها إلا العذاب، لأنه. كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ـ فى درجات العذاب. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ـ إنه قدر أمره فى الدنيا بروية وتدبير، فى متسع أيام حياته، فاختار الدنيا وفضلها على الآخرة. فَقُتِلَ ـ دعاء عليه. كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ ـ بروية وتمهل. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ـ ثم كشَّر وتطاول على رسول الله. ثُمَّ أَدْبَرَ ـ أعرض عن دين الله. وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ـ كلام ألفه الرسول ونسبه إلى الله. سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ـ هى جهنم. لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ـ تحرق الجلد. عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ـ من الملائكة يقومون على أمورها.

﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَٱلْقَمَرِ (٣٢) وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ (٤٠) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (٤٢) قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ (٥٣) كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ (٥٦) ﴾

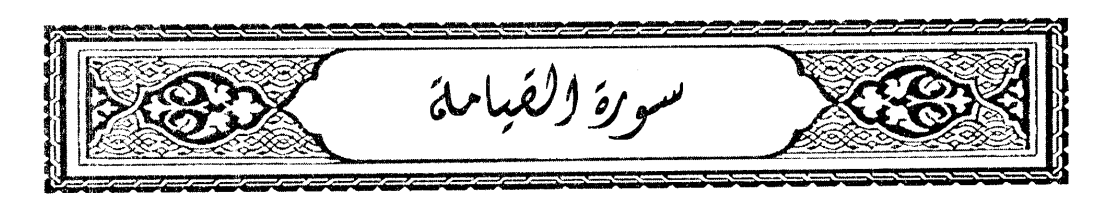
وما جعلنا أصحاب ـ خزنة. النار إلاَّ ملائكةَ وما جعلنا عدتهم ـ تسعة عشر. إلاَّ فتنة للذين كفروا ـ سيقولون لماذا تسعة عشر؟ ولماذا يقيم الله على جهنم ملائكة وكل شيء يجري بأمره: كن فيكون؟. ليستيقن الَّذين أُوتُوا الْكتاب ـ من صدق محمد، لأن عددهم هذا مذكور في كتبهم. ويزداد الَّذين آمنُوا إيمانًا ولا يرتاب الَّذين أُوتُوا الْكتاب والْمُؤْمنون وليقُول الَّذين في قُلُوبهم مَّرضٌ ـ المنافقون. والْكافرُون ماذا أراد اللَّهُ بهذا مثلاً كذلك يُضلُّ اللَّهُ من يشاءُ ويهْدي من يشاءُ وما يعْلمُ جُنُود ربِّك إلاَّ هُو وما هي إلاَّ ذكْرى للْبشر * كلاَّ والْقمر * واللَّيْل إذْ أدْبر * والصُّبْح إذا أسْفر * إنَّها لإحْدى الْكُبر ـ أحد الأمور العظام. نذيرًا لِّلْبشر * لمن شاء منكُمْ أن يتقدَّم أوْ يتأخَّر * كُلُّ نفْسٍ بما كسبتْ رهينةٌ * إلاَّ أصْحاب الْيمين * في جنَّات يتساءلُون * عن الْمُجْرمين * ما سلككُمْ في سقر * قالُوا لمْ نكُ من الْمُصلِّين * ولمْ نكُ نُطْعمُ الْمسْكين * وكُنَّا نخُوضُ ـ في اللهو والكفر ونسخر من أهل الإيمان. مع الْخائضين * وكُنَّا نُكذِّبُ بيوْم الدِّين * حتَّىٰ أتانا الْيقينُ * فما تنفعُهُمْ شفاعةُ الشَّافعين ـ لا شفاعة ترجى لهم. فما لهُمْ عن التَّذْكرة ـ بالآخرة. مُعْرضين * كأنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتنفرةٌ ـ كأنهم قطيع من الحمير البرية دب فيه الذعر. فرَّتْ من قسْورة ـ تهرب من أسد. بلْ يُريدُ كُلُّ امْرئٍ مِّنْهُمْ أن يُؤْتىٰ صُحُفًا مُّنشَّرةً ـ أن ينزل عليه كتاب من السماء. كلاَّ بل ـ الحق أنهم. لاَّ يخافُون الآخرة * كلاَّ إنَّهُ ـ القرآن. تذْكرةٌ * فمن شاء ذكرهُ * وما يذْكُرُون إلاَّ أن يشاء اللَّهُ هُو أهْلُ التَّقْوىٰ وأهْلُ الْمغْفرة.

(١٧٩) **قضية:** ﴿الَّذين في قُلُوبهم مَّرضٌ والْكافرُون﴾ [الآية: ٣١].

عندما يذكر الله سبحانه وتعالى القلوب، فإن ذلك يعني في مفهومنا الضمائر. لقد فطر الله الناس على ضمائر سليمة، وإنما يأتيها المرض بفعل الإنسان وميله إلى اقتراف ما حرّمه الله عليه كي يطلق العنان لشهواته ويفرط في تعاطي الملذات.

إن الضمير يعطي الإنسان إشارات توجهه إلى الصواب، ولكن النفس قد تشوش عليه، فهي تميل إلى الهوى والشهوات والتحرر من القيود، ويأتي العقل ليزن الأمور ويحسب النتائج، فإذا أخذ ناحية الضمير صلح صاحبه فآمن ونجا. أما إذا فضّل هوى النفس الأمّارة بالسوء فيكون صاحبه فاسدًا وقلبه مريضًا.

وهل لنقل الأعضاء أثر على الإيمان والكفر؟ لا نظن أن عقيدة الشخص تتأثر بنقل الأعضاء، فإذا نقلنا قلب أو مخ مؤمن إلى كافر أو العكس، فلن يغير ذلك اتجاهات الشخص وفكره وعقيدته، والأفضل التحرز من ذلك. وقد يفيدنا المختبر العلمي إذا تقدمت التجارب فنجحت في قياس هذه الدقائق. ولكننا نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى يعدل في جميع الأحوال بين الناس ولا يظلم مثقال ذرة، فهو خالق الخلق وهو العالم بأحوال المخلوقات وبدقائق الأمور المتشابكة.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ ﴾

لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ - يتمادى فى الفجور ما دام حيًا فى الدنيا. يَسْأَلُ أَيَّانَ - متى. يَوْمُ الْقِيَامَةِ - يسخر من ذكر الآخرة. فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ - ذهل بصره من علامات يوم البعث. وَخَسَفَ الْقَمَرُ - أظلم. وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ - أى انتهيا وقبضا بأمر ربهما. يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلاَّ لا وَزَرَ - لا ملجأ. إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ - منتهى الإنسان إلى الوقوف أمام الله للحساب. يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ - من أعمال فى الدنيا. بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ - جوارحه وأعضاؤه تشهد عليه. وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ - ولو ألف من مختلف الأعذار، فالله يعلم بكل شيء. والكافر لا يقبل منه عذر فهو فى جميع الأحوال من أهل الجحيم، والمؤمن يدخل الجنة برحمة الله وكرمه. لا تُحَرِّكْ بِهِ - بالقرآن. لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ - لتبلغ آياته قبل أن ينفضَّ الوحى. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ - فى صدرك. وَقُرْآنَهُ - تثبيته فى ذاكرتك. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ - عليك. فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ - فاصبر على سماعه. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ - شرحه. كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ - الدنيا. وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ - التى يكون الناس فيها. وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ - مضيئة. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.

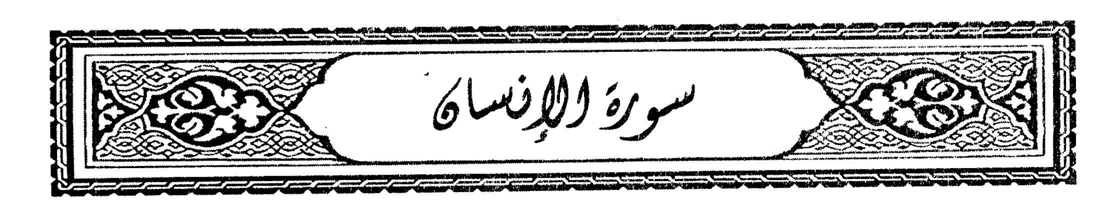
---

(١٨٠) قضية: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ **[الآيات:٣-٥].**

البنان هو طرف الأصبع، وحينما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ فقد تمر هذه الآية على من قرأ القرآن قبل عصرنا هذا، مر الكرام. أما فى العصر الحديث وقد علمنا أن بصمات الأصابع لا تتطابق بالرغم من تعداد الناس بالملايين، إلى الحد الذى نتخذها قرائن وأدلة إثبات، فنثبتها بالطباعة فى البطاقات، ونرجع إليها عند البحث عن الأدلة الجنائية، فذلك يؤكد أن القرآن وحى من الله وليس من تأليف محمد الذى لم يكن له وسيلة للعلم بمعنى تسوية البنان ليضرب به مثلا، فالعلم بحقيقة عدم تطابق بصمات الأصابع لم يكن لدى الإنسانية كلها وقت أن بعث محمد رسولاً إلى الناس كافة، ويبقى القرآن بشيراً ونذيراً لجميع العصور من بعده.

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

* وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ - كالحة. تَظُنُّ - تعلم. أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ - مصيبة كبرى. كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ - إذا صعدت روح الإنسان إلى الحلقوم، وعُلِمَ أن ذلك هو الموت. وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ - من الذى يشفيه!. وَظَنَّ - علم. أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّت - أوثقت. السَّاقُ بالسَّاقِ - عند لف جثمان الميت بالكفن. إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ - الجهة التى يساق إليها. فَلا صَدَّقَ - بالآخرة حين كان فى الدنيا. وَلا صَلَّىٰ - ولا اتبع ما أمره الله به. وَلَكِن كَذَّبَ - بالرسالة والرسول. وَتَوَلَّىٰ - أعرض عن دين الله. ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ - ذهب إلى أهل الكفر من أقرانه يشاركهم الغرور والتنطع. أَوْلَىٰ لَكَ - أيها الإنسان أن تتعظ. فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ - أن تتبع دين الله لما فيه من فضائل لا ينكرها عاقل. أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى - أيترك دون رقابة ولا تكليف فيفعل ما يشاء بغير حساب. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ * أَلَيْسَ - الله الذى صنع ذلك. بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ؟ - بلى .



سورة الإنسان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

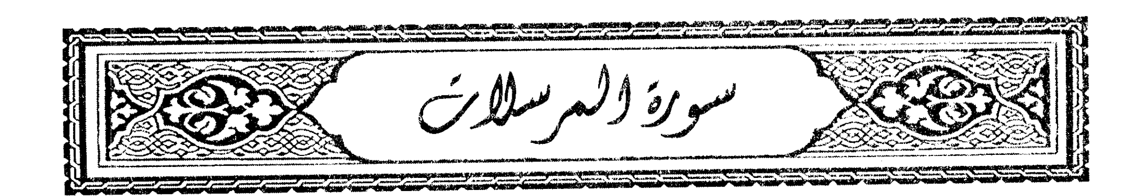
﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۟ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾

هَلْ أَتَىٰ علَى الإنسَانِ حينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ؟ ـ نعم. إِنَّا خَلَقْنَا الإنسَانَ ـ ذرية آدم. مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ـ أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة وما فيهما من عناصر مختلفة. نَّبْتَلِيهِ ـ نختبره. فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ـ عاقلاً يعى ما يستقبل من حديث وما يفعل من أعمال. إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ـ أرشدناه إلى طريق الحق. إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا.

* إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً ـ قيودًا. وَسَعِيرًا ـ جهنم. إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ ـ فى الجنة. من كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا ـ حيث يشاؤون. تَفْجِيرًا ـ هؤلاء الذين كانوا. يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ـ العهد على طاعة الله. وَيَخَافُونَ يَوْمًا ـ يوم القيامة. كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ـ مخلصين النية لله. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ـ يوم الحساب. وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا ـ حرًا. وَلا زَمْهَرِيرًا ـ الزمهرير: الصقيع. وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا ـ أشجارها. وَذُلِّلَتْ ـ انحنت فقربت. قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً * وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ـ فى صفاء الزجاج النقى. قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا ـ عَمَّرَهَا الطائفون. تَقْدِيرًا ـ على قدر ما يشبع الطالب. وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْنًا فِيهَا ـ فى الجنة. تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً.

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾

* وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ - يدوم جمال خلقتهم فلا يكبرون. إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثوراً * وإذا رأيت ثمَّ رأيتَ - فإذا انتقلت من مكان إلى آخر في الجنة ترى. نعيماً ومُلْكًا كبيراً * عَالِيَهُمْ - على أهل الجنة. ثيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وإستبرقٌ وحُلُّوا أساورَ من فضَّة وسقاهم ربُّهُمْ شرابًا طهُوراً * إنَّ هذا كانَ لكُم جزاءً وكانَ سعْيُكُم - في الدنيا. مَشْكُوراً * إنَّا نحنُ نزَّلْنا عليْكَ القُرْآنَ تنزيلاً * فاصْبِرْ لحُكْم ربِّكَ ولا تُطعْ منْهُم آثمًا أوْ كفُوراً * واذْكُر اسْمَ ربِّكَ بُكْرَةً وأَصيلاً * ومنَ اللَّيْلِ فاسْجُدْ لهُ وسبِّحْهُ ليْلاً طويلاً * إنَّ هؤُلاءِ - الكفار. يُحبُّونَ العاجلة ويذرُونَ - يتجاهلون. وراءهُمْ يوْمًا ثقيلاً * نحْنُ خلَقْنَاهُمْ وشَدَدْنَا أسْرَهُمْ - وقوينا بنيتهم. وإذا شئْنا بدَّلْنا أمْثالَهُمْ تبْديلاً - لو كان كفر الناس يصيب الله بضرٍّ لاستبدل بالكافرين مؤمنين يعبدونه ولما بقي للكفر مكان على الأرض. إنَّ هذه تذْكرةٌ فمن شاءَ اتَّخذَ إلىٰ ربِّه سبيلاً * وما تشاءُون إلاَّ أن يشاءَ اللَّهُ إنَّ اللَّهَ كانَ عليماً حكيماً * يُدْخلُ من يشاءُ في رحمته والظَّالمين أعدَّ لهُم عذاباً أليماً



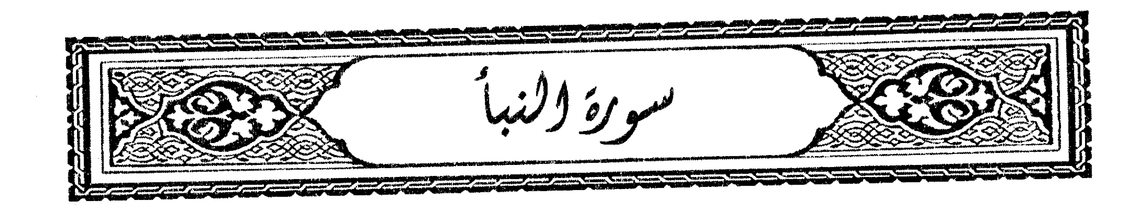
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) ﴾

والمرسلات عرفًا - الرياح المتتابعة اللطيفة. فالعاصفات عصفًا - والعواصف الشديدة. والناشرات نشرًا - السحب التى تنشر المطر. فالفارقات فرقًا - آيات الله تفرق بين الحق والباطل. فالملقيات ذكرًا - تبث للناس الوعظ والحكمة والتذكرة بالآخرة. عذرًا أو نذرًا - لتبليغ الخلق وإنذارهم. إنما توعدون - من حساب الآخرة. لواقع * فإذا النجوم طمست - غرب ضوؤها. وإذا السماء فرجت - انفتحت. وإذا الجبال نسفت - سحقت. وإذا الرسل أقتت - جاء موعد حضور جميع الرسل: الأنبياء، والوحي والملائكة التى تكتب أعمال الناس من خير وشر. لأي يوم أجلت - لذلك اليوم أجلت شهادة هؤلاء الرسل. ليوم الفصل - يوم الحساب الذى أنذرنا به الناس من قبل. وما أدراك ما يوم الفصل! ويل يومئذ للمكذبين - الذين كفروا فى الدنيا. ألم نهلك الأولين - ألم يعلموا بهلاك من كفروا بالله من قبلهم. ثم نتبعهم الآخرين - ثم أتبعنا قضاءنا فأهلكنا أممًا آخرين جاؤوا من بعدهم فكفروا مثلهم. كذلك نفعل - اليوم ما توعدنا. بالمجرمين * ويل يومئذ للمكذبين - بالله ووحدانيته وقدرته على البعث. ألم نخلقكم من ماء مهين - نطفة. فجعلناه في قرار مكين - فى الرحم. إلى قدر معلوم - الأجل، ولا يعلمه إلا الله. فقدرنا فنعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين * ألم نجعل الأرض كفاتًا - وعاءً يضمكم. أحياء وأمواتًا * وجعلنا فيها رواسي - الجبال. شامخات وأسقيناكم ماء فراتًا - عذبًا. ويل يومئذ للمكذبين * انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون - إلى نار جهنم. انطلقوا إلى ظل - دخان. ذي ثلاث شعب * لا ظليل - لا يظلكم. ولا يغني من اللهب * إنها - جهنم. ترمي بشرر كالقصر - كأصول الشجر الشامخ. كأنه جمالت صفر - وهذا الشرر فى تتابعه يكون كقطيع الجمال الصفر. ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون * ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين - أحضرناكم أنتم ومن سبقكم من الأمم.

﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُون * وَيْلٌ يَوْمَئذ لِّلْمُكَذِّبِينَ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظلال وَعُيُون * وَفَواكِه ممَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هنيئًا بما كُنتُمْ تعْمَلُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئذ لِّلْمُكَذِّبِينَ * كُلُوا وتَمتَّعُوا قليلاً ـ في الدنيا. إنكم مجرمون. ويل يومئذ للمكذبين. وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون. ويل يومئذ للمكذبين. فبأى حديث بعده ـ بعد هذا القرآن. يؤمنون.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠ ﴾

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ - عن أي شيء يتساءل الناس. عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ - عن يوم القيامة؟. الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ - بين مصدق ومكذب. كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا - ممهدة. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا - ركائز كالأوتاد تمسكها عن الارتجاج(*). وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا - راحة. وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا - هادئًا. وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا - تنشطون فيه إلى سبل العيش والأرزاق. وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا - السماوات السبع. وَجَعَلْنَا - الشمس. سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنزَلْنَا مِنَ - السحب. الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا - متتابعًا في سقوطه. لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا - غابات كثيفة. إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا - موعدًا. يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا - فصارت كالخيال أو الظلال.

---

(١٨١) بيان علمي: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [الآية: ١٣].

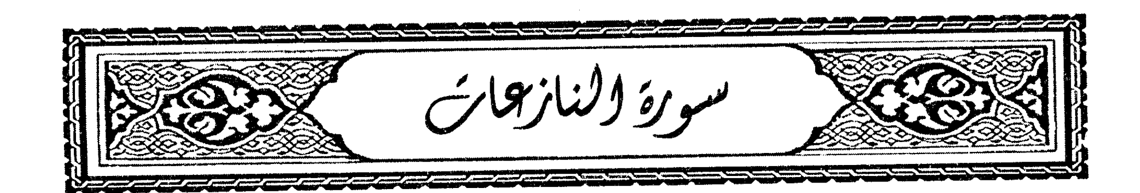
إذا نظرنا إلى لغة القرآن ودلالتها على المفاهيم والحقائق نجد أن دقة بيانه تدعو إلى الإيمان بنزوله من عند الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]. والسراج (مصباح - قنديل - شعلة.. يعني طاقة مشتعلة) ويزيدنا الله دلالة على طبيعة الشمس بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ أي مصباحًا وقادًا مشتعلاً. فإذا كانت الأشياء كلها وخواصها الطبيعية من صنع الله، والناس يكتشفونها متى أراد الله لهم ذلك، وهم الذين يضفون مصطلحاتهم على ما يرونه منها(**) فإن القرآن قد نزل من عند الله ليعبر - بلغة البشر - عن الأشياء وخواصها تعبيرًا صحيحًا دقيقًا، فالشمس لها طبيعة تختلف عن بقية الكواكب المنيرة الخاملة، والإنسان لم يكن في عهد رسول الله محمد يستطيع التمييز بين هذه الكواكب. ولكن القرآن يميز بينها بالوصف الدقيق.

(*) راجع القضية: ١١١.

(**) راجع القضية: ٨٨.

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾ ﴾

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ـ محطة إرصاد يمر عليها كل الناس، فيجتازها المؤمنون بإذن الله. أما الكفار والظالمون فيسقطون فيها، فهى. لِلطَّاغِينَ مَآبًا ـ منقلبًا ومنزلاً. لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ـ دهورًا متتالية لا نهاية لها. لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا * إِلاَّ حَمِيمًا ـ غليانًا. وَغَسَّاقًا ـ الغسَّاق صديد الأجساد المحروقة. جَزَاءً وِفَاقًا ـ عقابًا موافقًا لأعمالهم فى الدنيا. إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا ـ كانوا يستهزؤون بيوم الحساب. وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ـ كانوا مغالين فى كفرهم بآيات الله. وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا * إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ ـ جميلات كاملات الحسن. أَتْرَابًا ـ متساويات فى السن، فى عمر الشباب. وَكَأْسًا دِهَاقًا ـ وفيرة ومتتابعة. لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ـ باطلاً. وَلا كِذَّابًا ـ ولا إثمًا. جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ـ ثوابًا. رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ ـ من هيبته. خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ ـ بالشفاعة. إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ـ قال حقًّا وصدقًا. ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ـ عمل للقاء ربه حسابًا. إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا.



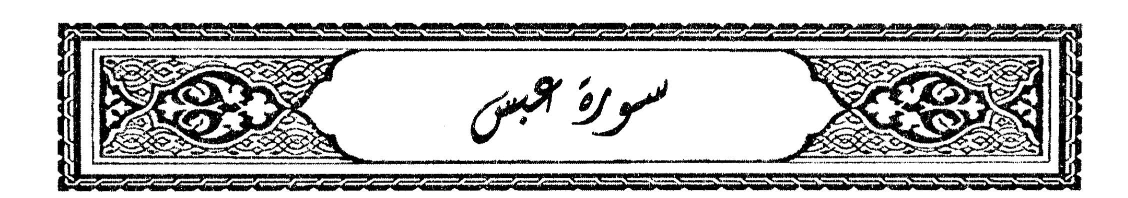
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴿٥﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ـ قيل: الملائكة، تنزع أرواح الكافرين لتسوقهم إلى ما يغرقون فيه من عذاب. وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ـ قيل: الملائكة، تسحب أرواح المؤمنين نشطة لتسوقهم إلى ما قدّر الله لهم من نعيم دائم. وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ـ قيل: الملائكة، تسبح بأمر الله بين السماوات والأرض. فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ـ الملائكة، تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة بأمر الله. فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ـ تنفذ أوامر الله الذى يدبر أمور الدنيا والآخرة. يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ـ ترجف الأرض من أثر النفخة الأولى فى الصور(النفير). تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ـ تليها النفخة الثانية. قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ـ خائفة. أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ـ ذليلة منكسرة. يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ ـ إلى الحياة بعدما نكون. فِي الْحَافِرَةِ ـ فى القبور. أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ـ متآكلة وبالية نخرتها السنين. قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ـ إذا بعثنا الله هرمين كما يوم موتنا. فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ ـ نفخة أو صيحة. وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ـ على ظهر الأرض أحياء. هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ـ تطهر نفسك من الكفر. وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ـ فتسلم. فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ * فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ـ يتحدى الرسول. فَحَشَرَ ـ جمع السحرة. فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ ـ أخذه بعذاب. الْآخِرَةِ ـ فى جهنم. وَالْأُولَىٰ ـ وعذبه فى الدنيا بالغرق. إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ * أَأَنتُمْ ـ يا بنى آدم. أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ـ أم السماء التى بناها. رَفَعَ سَمْكَهَا ـ رفع الله سقفها. فَسَوَّاهَا ـ فسوى جميع جوانبها. وَأَغْطَشَ ـ أظلم. لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ـ ضياءها.

﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾

وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ـ ذللها. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا ـ بتفجير العيون والأنهار. وَمَرْعَاهَا ـ المراعى الطبيعية الشاسعة. وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ـ كل ذلك مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ * فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ـ المصيبة الكبرى وهى يوم القيامة. يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ـ ما عمل. وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ * فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ـ فأعرض عن دين الله. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ـ متى قيامها؟. فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ـ ولا علم لك بموعدها. إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ـ علمها عند الله، فلا تقوم إلا بأمره. إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا ـ يشعرون أنهم. لَمْ يَلْبَثُوا ـ فى حياتهم الدنيا وفى قبورهم حتى البعث. إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ﴾

عَبَسَ - أى قطب وجهه. وَتَوَلَّىٰ - أعرض. أَن - حين. جَاءَهُ الأَعْمَىٰ - هو عبد الله بن أم مكتوم. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ - جاءك. يَزَّكَّىٰ - يقصد التطهر. أَوْ يَذَّكَّرُ - يطلب التفقه فى الدين. فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ - النصيحة والموعظة. أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ - (كان عند رسول الله أحد كبار المشركين، فَهَمَّ الرسول يدعوه إلى الإسلام). فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ - أتنشغل بمجادلة هذا المشرك، ولم يكن قد أتى قاصداً الإسلام. وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ - ولماذا تشغل بالك به تريد دفعه إلى الإيمان وقد بدت لك نفسه شحيحة. وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ - قاصداً الهداية. وَهُوَ يَخْشَىٰ - ربه. فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ - تعرض. كَلاَّ إِنَّهَا - إن هذه الآيات. تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ - ذكر القرآن وعلم أن الله لا يرضى إلا بالصالح من الأعمال التى تصدر عن إيمان خالص بالله. فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ - منزهة. مُّطَهَّرَةٍ - محفوظة بأمر الله. بِأَيْدِي سَفَرَةٍ - ملائكة. كِرَامٍ بَرَرَةٍ * قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ - سبة من الله لمن لا يؤمن، فليتذكر. مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ - الله تبارك وتعالى. مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ - فأنشأه بقدر على أطوار. ثُمَّ السَّبِيلَ - سعيه فى حياته. يَسَّرَهُ - له.

(١٨٢) تنبيه : الله يذكر نبيه [الآيات: ١ - ١١].

الله يُذَكِّرُ نبيه، وليس لنا أن نوجه لرسول الله محمد ﷺ ولا لغيره من الرسل نقداً يقلل من قدرهم، فالمؤمن يحترم جميع الرسل ويسوى بينهم فى القدر. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

مناسبة النزول: نزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ فى عبد الله بن أم مكتوم، الأعمى الذى أقبل على النبى ﷺ فجعل يقول: «أرشدنى» وعند النبى ﷺ أحد كبار المشركين. فجعل النبى ﷺ يعرض عنه، ويُقْبِلُ على الآخر، ويقول: «أترى بما أقول بأساً»(*). فلامه الله على الانشغال بدعوة من كان عنده من العظماء، وتأخير الأعمى الذى جاء بغرض التدين وتعلم أحكام الشريعة.

(*) الترمذى، تفسير القرآن ٣٢٥٤. مالك، النداء للصلاة ٤٢٦. راجع أسباب النزول، للنيسابورى، بهامش مختصر تفسير الطبرى.

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾

* ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ـ بعثه من جديد. كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ـ لم يقم بما أوجبه الله عليه من الإيمان به واتباع شرعه. فَلْيَنظُرِ الإنسانُ إِلَىٰ طَعَامه * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ـ من السحب فى السماء. ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ـ بالأنهار والعيون. فَأَنْبَتْنَا فيهَا حَبًّا * وَعنَبًا وَقَضْبًا ـ المحاصيل والفواكه والخضروات. وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْبًا ـ بساتين كبيرة وغابات. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ـ الأعشاب التى تأكلها البهائم كالبرسيم. مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامكُمْ * فَإِذَا جَاءَت الصَّاخَّةُ ـ الداهية، أى يوم القيامة. يَوْمَ يَفرُّ الْمَرْءُ منْ أَخيه * وَأُمِّه وَأَبيه * وَصَاحبَته ـ زوجته أو خليلته. وَبَنيه * لكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئذ شَأْنٌ يُغْنيه * وُجُوهٌ يَوْمَئذ مُّسْفرَةٌ ـ مشرقة من رضا الله عنها. ضَاحكَةٌ مُّسْتَبْشرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ـ متسخة بالتراب. تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ـ كآبة وظلمة. أُوْلَئكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ ﴾

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ـ انكمشت وذهب ضوؤها. وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ـ الكدر ضد الصفاء، فالمعنى أيضًا: ذهب ضوؤها. وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ـ اقتلعت من على الأرض. وَإِذَا الْعِشَارُ ـ الحوامل من الإبل فى شهرها العاشر، والمقصود، كل حامل قربت على الوضع. عُطِّلَتْ ـ صارت من هول الحدث، غير قادرة على الولادة. وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ـ جمعت الحيوانات. وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ـ امتلأت حتى فاضت، وقيل: أُوقدَتْ نارًا. وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ـ ذلك أن من قتل نفسًا بريئة، تشهد عليه ضحيته يوم القيامة. بعض العرب فى الجاهلية كانوا يدفنون الأنثى حية عند ولادتها، إذ كانوا يعتبرونها معرة. وَإِذَا الصُّحُفُ ـ هى سجلات أعمال الناس التى تحصيها الملائكة. نُشِرَتْ ـ عرضت للحساب.

---

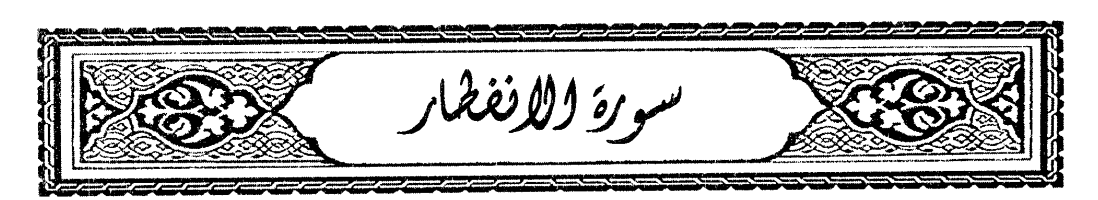
(١٨٣) بيان: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ **[الآيتان: ١-٢].**

إذا رجعنا إلى المعاجم القديمة، مثل مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانى (المتوفى فى حدود عام ٤٢٥هـ). وجدنا: كَوْرُ الشيء: إدارته وضم بعضه إلى بعض. فإذا طبقنا هذا المعنى على شيء مكور أصلاً كالشمس، فهو يعطينا تصور إعادة التكوير بالضغط والتكثيف، وذلك يعنى تصغير الحجم مع زيادة فى الكثافة دون أن تفقد الكرة شيئًا من وزنها ومكوناتها. ولا يمكن لبشر مثل محمد ﷺ، لو كان هو مؤلف القرآن، أن يذكر عبارة تفيد أن الشمس سوف تكور، لأنه يراها أمام عينيه مستديرة، فالمنطق يقتضى ألا يخطر بباله مثل هذا القول إلا إذا كان يرى الشمس غير مستديرة، فهذا دليل على أنه لم يؤلف القرآن.

والدليل على أن الله العليم بكل شيء هو الذى أوحى بالقرآن إلى عبده ورسوله محمد ﷺ، أن المعنى المذكور لدى الراغب الأصفهانى يعطى تصور الانكماش. وانكماش النجوم والشموس حتى يذهب ضوؤها حقيقة علمية لم تكتشف سوى فى عصرنا هذا، وسميت النجوم المنكمشة بالثقوب السوداء التى هى أجرام صغيرة الحجم كانت من قبل شموسًا ضخمة، ثم أخذت فى الانكماش مع بقاء وزنها وقوة جاذبيتها على ما كانت عليه وقت كمال حجمها. بل إنها أجرام تصهر أى شيء يدخل فى نطاق جاذبيتها فتبتلعه فتزداد كثافة وتقوى جاذبيتها ويزيد وزنها، ومع ذلك فهى تنكمش باستمرار، ولا ترسل ولا تعكس أى ضوء. ماذا نقول أمام آية القرآن، وعبارة الأصفهانى، وشرح الطبرى للآية فى المختصر: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قيل: ذهب ضوؤها. وقد توفى الطبرى عام ٤٦٨هـ. والله لا نملك إلا أن نسلم بأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن هذا القرآن كتاب من عند الله الحكيم العليم.

﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٌ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

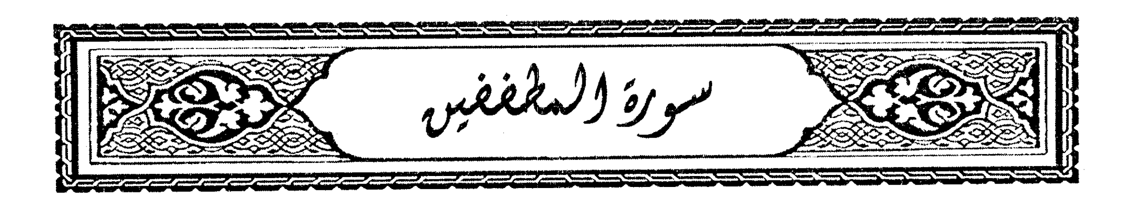
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ - جمعت مثلما يكشط الطلاء عن شيء مسطح، أو يجمع الستار فيظهر الملأ الأعلى من وراء السماوات. وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ - للكافرين. وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ - قربت من المؤمنين. علمتْ نفسٌ مَا أحْضرَتْ - من خير وشر. فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ - قسم بالنجوم التى خلقها الله ويعرفها الناس، وهى: زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد، تلك هى الخنس التى يتغير صفها فى آخر الليل عن أوله، الكنس التى تغيب فى أماكن محدودة لغروبها (انظر تفسير الجلالين). وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ - أقبل وأدبر. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ - ظهر رويداً رويداً منذ الفجر إلى أن يملأ الأفق بنوره. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ - هو كلام الله بصوت ملَك. ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم - محمد. بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ - رأى جبريل بصورته الملائكية يملأ الأفق. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ - وما هو على طريق الهداية (الإيمان بالغيب: الله، الملائكة، الآخرة) ببخيل: أى يتمنى لكل إنسان أن يؤمن. وفى قراءة بظنين أى وما هو على طريق الهداية بمتهم بالكذب أو التضليل، إذ أن قومه كانوا يسمونه، قبل البعثة، بالصادق الأمين - وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ - إذا حدتم عن طريق الإيمان؟. إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ (١) وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ (٢) وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ (٣) وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ (٤) عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ (٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ (٦) ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ (١٠) كِرَامٗا كَٰتِبِينَ (١١) يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ (١٢) إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ (١٣) وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ (١٤) يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ (١٥) وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ (١٦) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ (١٨) يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ (١٩) ﴾

إذَا السَّمَاءُ انفطَرَتْ ـ انشقت. وَإذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ـ تشتتت وتساقطت. وَإذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ـ هاجت وانفتحت على بعضها. وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ـ تناثرت ليخرج منها الموتى إلى يوم الحساب. عَلِمَتْ ـ كل. نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ـ من خير وشر. يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ـ لماذا استهنت بالله وكفرت بقدراته. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ * كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ـ ملائكة تسجل الأعمال. كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ـ لا تفوتهم فائتة. إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ـ لا يخرجون منها. وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ.



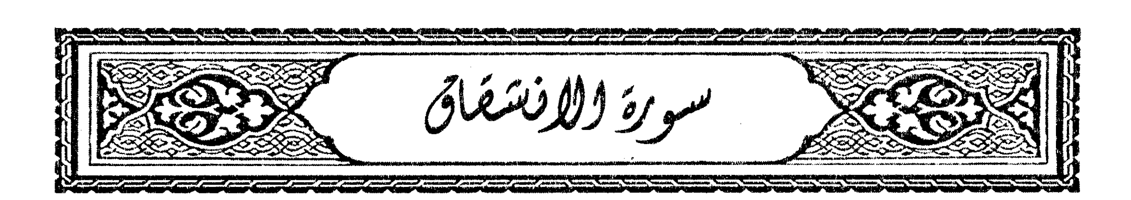
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝ ﴾

وَيْلٌ - وعيد بالعذاب. لِّلْمُطَفِّفِينَ - الذين يطمعون فى أكثر مما لهم من حقوق. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ - إذا اشتروا من الناس يستوفون بضاعتهم كاملة وزيادة. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ - يبخسون ما يعطون من بضاعة فى الكيل والوزن والحجم. أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ - يقفون أمام الله للحساب. كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ - معلَّم بأرقام أو علامات، يبدو منها العذاب المحضر لأصحابه الفجار. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ - معتد أى مذنب، فهو يعتدى على ما أودعه الله فى نفسه من فطرة الشعور بوجود الله الخالق، فيعمل على إخماد هذه المشاعر الفطرية. إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * كَلاَّ بَلْ رَانَ - غطى. عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ. كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن - رحمة. رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ - مبعدون. ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ - معلم بأرقام أو علامات. يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ - المؤمنون الذين اصطفاهم الله من الرجال والنساء والأطفال والإنس والجن. إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ - نظرة رضا وسرور. تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ.

﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

* يُسْقَوْنَ من رَّحيقٍ مَّخْتُومٍ ـ خمر طيب صاف. خَتَامُهُ مسْكٌ ـ عاقبته أن تفوح رائحة المسك من فم شاربه. وَفي ـ سبيل. ذَلكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافسُونَ ـ من أهل الإيمان. وَمزَاجُهُ من تَسْنيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بهَا الْمُقَرَّبُونَ * إنَّ الَّذينَ أَجْرَمُوا كَانُوا ـ في الدنيا. منَ الَّذينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإذَا مَرُّوا بهمْ يَتَغَامَزُونَ ـ بالسخرية والاستهزاء. وَإذَا انقَلَبُوا إلَىٰ أَهْلهمُ انقَلَبُوا فَكهينَ ـ يتفكهون بالسخرية والضحك من حال المؤمنين. وَإذَا رَأَوْهُمْ ـ إذا رأوا المؤمنين في الدنيا. قَالُوا إنَّ هَؤُلاء لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسلُوا عَلَيْهمْ حَافظينَ ـ وما كان الله ليترك أمر تقدير الهداية والضلال للكافرين وأهوائهم. فَالْيَوْمَ ـ في الآخرة. الَّذينَ آمَنُوا منَ الْكُفَّار يَضْحَكُونَ ـ وهم. عَلَى الأَرَائك يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ـ هل نال الكفار جزاءً حسنًا على ما كانوا يعملون في الدنيا ؟ كلا إنهم اليوم في نار الجحيم.

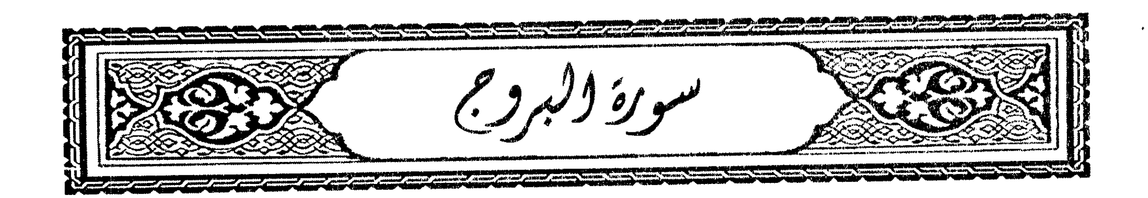


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ۝٢٥ ﴾

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ـ أذن لها ربها فأطاعت. وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ـ تضخمت وزادت سعتها(*). وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ـ لفظت ما فيها وتخلت عن موتاها. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ـ مثل السماء، صدقت فى طاعتها لله. يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ ـ فى حياتك. إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ ـ أقرانه وأقاربه من المؤمنين. مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ـ يقول : يا ويلى مما جلبت لنفسى من هلاك (الثبور : الهلاك). وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ ـ فى الدنيا. مَسْرُورًا ـ مغرورًا . إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ـ لن يبعث. بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا * فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ـ حمرة الأفق وغروب الشمس. وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ـ وما حوى فى ظلمته من كائنات. وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ـ إذا صار بدرًا كامل الاستدارة. لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ـ لتصعدن درجات وطبقات لتمثلوا أمام الله يوم الحساب. فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ـ بآيات الله. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ـ بما يكنون فى صدورهم من كفر، وما يعملون من شرور الأعمال وخبائثها. فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ.

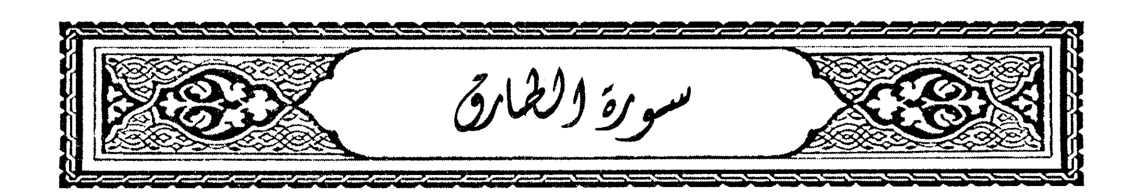
(*) إن البعث يكون بالروح والجسد: فإذا تصورنا أرواح الناس الذين أنشأهم الله منذ بدء الخلق تلبس أجسادها التى تكونت من تراب الأرض، فذلك يعنى أن بعث الناس عند قيام الساعة قد يحتاج أضعافًا مضاعفة من حجم الأرض. ولقد بين لنا الله سبحانه وتعالى أن الأرض تنكمش، ويفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]. ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤]. وقد تأكد العلماء المعاصرون من ظاهرة انكماش الأرض، ومنهم من يرى احتمال أن الأرض كانت فى العصور الأولى أكبر مما هى عليه الآن بمائتى مرة، ثم أخذت تصغر شيئًا فشيئًا، وذلك منذ أمد بعيد، وهى مستمرة على هذا المنوال إلى ما شاء الله سبحانه وتعالى.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ۝ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝ ﴾

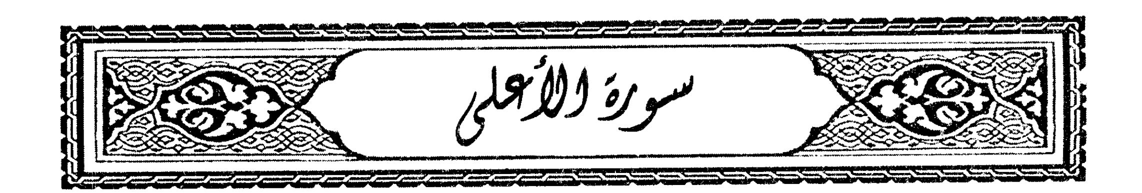
وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ - الأبراج السماوية ومسارات الشمس والنجوم والكواكب. وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ - يوم القيامة والحساب. وشاهدٍ - من الملائكة ومن الرسل والدعاة يشهد بوصول العلم برسالة الله إلى المكلفين. ومشهودٍ - عليه من مجرمين وكافرين جاءتهم الدعوة فصدوا عن سبيل الله وأعرضوا عن اتباع الحق. قُتِلَ أَصْحابُ الأُخْدُودِ - لعن الكافرون الذين صنعوا للمؤمنين أخدوداً في الأرض وأشعلوا فيه النار ليلقوهم فيه. النَّارِ ذاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ - من حول نار الأخدود قاعدين. وَهُمْ عَلىٰ ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ - وما حقدوا عليهم. إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا - فماتوا على كفرهم. فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذابُ الْحَرِيقِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهارُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ - عقابه. لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ - الخلق. وَيُعِيدُ - يعيد الحياة فيبعث الموتى، ويزيد في خلقه ما يشاء. وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ - يغفر لمن آمن بالله وحده لا شريك له، وبأنبيائه ورسله وخاتمهم محمد، صلى الله عليه وسلم، بالغيب من الآخرة والحساب والجنة والنار، والملائكة والجان. ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * هَلْ أَتاكَ - يا محمد. حَدِيثُ الْجُنُودِ - الذين حشدوا قوتهم ضد رسل الله والمؤمنين من أمثال. فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ - مستمر. وَاللَّهُ مِن وَرائِهِم مُّحِيطٌ - يعلم كل ما يفعلون وما يضمرون من خبث ومكر. بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝ إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ ۝ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٌ فَصۡلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيۡدًا ۝ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدًۢا ۝ ﴾

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ - قسم بالسماء وبكل ما يظهر بالليل من نجوم وكواكب. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ - يثقب ظلمة الليل فيخترق بضوئه ما يفصل بينه وبين الأرض من آلاف السنين الضوئية. إن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا - من الملائكة. حَافِظٌ - يسجل أعمالها، وحافظ يحفظها من أن يمسها شيء إلا بأمر الله. فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ - مَنِيٍّ يتدفق من ماء الرجل وماء المرأة فيجتمع فى الرحم. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ - ظهر الرجل. وَالتَّرَائِبِ - وترائب المرأة (ما فوق الثديين). إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ - بالبعث بعد الموت. لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ - تنكشف كل الأعمال الظاهر منها والباطن. فَمَا لَهُ - وقتئذ. مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ - لا حول له ولا قوة إلا أن يتغمده الله برحمته، والرحمة يومئذ للمؤمنين. وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ - التى ترجع المطر على الدوام. وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ - التى تتشقق فتخرج الزرع والأشجار والمعادن على الدوام. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا - يتحدون رسل الله ويكيدون للمؤمنين. وَأَكِيدُ كَيْدًا - أدبر لهم ما أدبر. فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا.



سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ ﴾

سَبِّحِ - نَزِّهْ وَعَظِّمْ. اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ - فأحسن الخلق. وَالَّذِي قَدَّرَ - دبر الظروف والأحوال. فَهَدَىٰ(*) - بين للناس طريق الخير وطريق الشر. وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ - النبات الذى تأكله الدواب والأنعام دون أن يزرعه الإنسان. فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ - هشيمًا يابسًا بعد أن كان مخضراً (ثم يعيده، ويتكرر ذلك بأمره ما دامت الحياة). سَنُقْرِئُكَ - يا محمد القرآن ونطبعه فى صدرك بالوحى. فَلا تَنسَىٰ * إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ - لك أن تنساه من قول أراد نسخه. إِنَّهُ - الله. يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ * وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ - ونسهل عليك تبليغ رسالة الله الخاتمة "الإسلام" التى جاءت بالتيسير. فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ - ادع إلى الله فى المواضع والمناسبات التى ترى للتذكير فيها جدوى. سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ - ربه. وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى - الكافر. الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ * ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ.

(*) يضرب سيد قطب لذلك الأمثال من طبائع الحيوان والطير والحشرات. هل تلك الكائنات على وعى بما اكتسبت من سلوكيات تحفظها فى ثنايا الطبيعة الوعرة، أم هى على حركة آلية يقدرها الله سبحانه وتعالى وحده. راجع تأملات سيد قطب فى تفسيره «فى ظلال القرآن»، عند الآية.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝ ﴾

* قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ـ من تطهر بتخليص نفسه من شوائب الظلم والكفر، وجعلها صافية بدوام الإيمان وخشية الله. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ.

---

(١٨٤) **قضية:** ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الآية: ١٧ـ١٨].

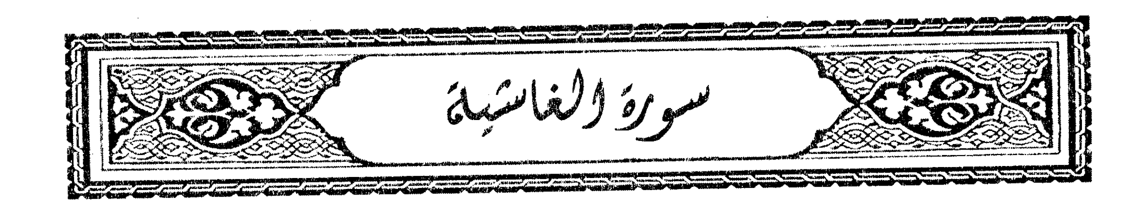
إن أسس الأديان السماوية واحدة، ولكن مشكلتنا المعاصرة هى عدم وجود أصول الرسالات السماوية السابقة على القرآن، فلم تحفظ جميعها، وما حفظ من أصولها لا يعدو صحفا قليلة انقرضت لغتها أو تغيرت تغيراً جذريًا بحيث لا تفيد شيئًا فى عصرنا هذا. ولم يبق من أصول الرسالات السماوية سوى القرآن، فهو محفوظ فى الصدور عبر الأجيال، ومخطوطاته الأولى موجودة بتركيا وأوزبكستان ومصر... واللغة العربية التى نزل القرآن بها هى نفسها التى دونت بها المصاحف منذ القرن الأول الهجرى لم يصبها تغيير، وهى لغة الملايين من الناس فى عصرنا. ومطبوعات المصاحف تراجع بدقة بالغة.

هذا ما بقى فى حوزة البشرية، ومن أراد مطابقة المصاحف المطبوعة على المخطوطات القرآنية الأولى يستطيع ذلك، ولا يجد فرقًا فى الكتابة والصياغة والترتيب، وكذلك من أراد مطابقة المكتوب من القرآن على ما هو محفوظ منه فى صدور الناس ، فلن يجد اختلافا يذكر. وهكذا يكون القرآن الكريم هو الرسالة السماوية الوحيدة التى كتب لها الحفظ والصون عن التغيير والتحريف والتبديل.

أما لو وجدت الوثائق الأصلية للرسالات السابقة فى اللغات التى بلغ الرسل الناس بها، ووجد من يستطيع الاطلاع عليها وفك رموزها، فلن يجدها مخالفة للقرآن فيما يتعلق بأمور العقيدة والإيمان، لأن التناقض يستحيل على الله، سبحانه وتعالى، الذى أرسل هذه الرسالات لهداية البشر(*).

أما الأحكام العملية فقد تختلف من رسالة إلى أخرى، والإنسان المعاصر ملزم بالعمل وفقًا للرسالة الخاتمة "الإسلام"، لأنها أحدث رسالة فى تاريخ الرسائل السماوية وآخرها، ومن ينكرها يكون إيمانه ناقصًا لأن الله يأمر بالإيمان بجميع الرسل والرسالات، فمن ينكر الإسلام يكون قد أنكر كتابًا سماويًا ورسولاً خاتمًا هو محمد ﷺ والله لا يقبل التصديق ببعض الرسل والرسالات دون البعض، فهو تصديق مبتور وليس بإيمان وهو مع الكفر سواء.

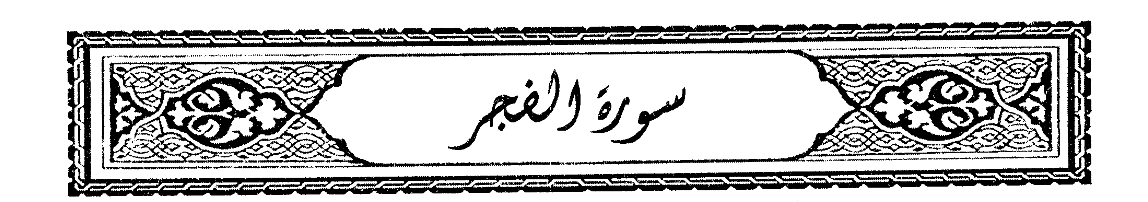
(*) راجع القضايا: ٣ - ٢٧ - ٣٨ - ٥٤ - ٦١ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ١٢٢.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦) ﴾

هل أتاك حديث الغاشية ـ قيل: الغاشية هي القيامة، وقيل: هي جهنم التي تغشى الكافرين. وجوه يومئذ خاشعة ـ وجوه أهل النار في الآخرة ذليلة. عاملة ناصبة ـ متعبة من العمل في النار. تصلى نارا حامية * تسقى من عين آنية ـ شديدة الحرارة. ليس لهم طعام إلا من ضريع ـ شجر من نار أو سم يؤلم البطون. لا يسمن ـ لا يعود بالخير على آكله. ولا يغني من جوع * وجوه يومئذ ناعمة ـ أهل الجنة. لسعيها راضية * في جنة عالية * لا تسمع فيها لاغية ـ لا تسمع كلاما لا خير فيه. فيها عين جارية * فيها سرر مرفوعة * وأكواب موضوعة * ونمارق ـ وسائد. مصفوفة * وزرابي ـ أبسطة. مبثوثة * أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت * فذكر ـ بقدرة ربك. إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر ـ لا سلطان لك على أحد من الكافرين فتجبره على الإيمان. إلا ـ أي لكن. من تولى وكفر * فيعذبه الله العذاب الأكبر ـ في جهنم خالدا فيها. إن إلينا إيابهم ـ سنبعثهم بعد موتهم فيعودون إلينا. ثم إن علينا حسابهم.



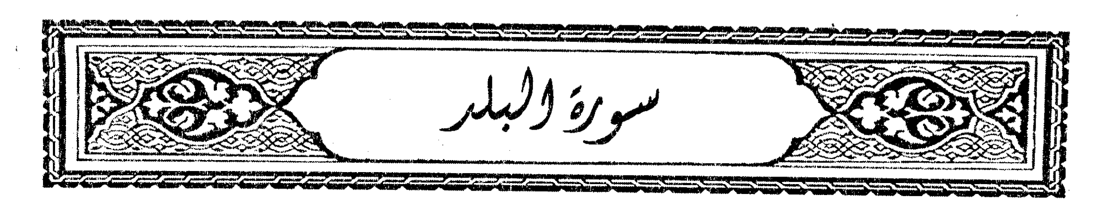
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) ﴾

وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ - ليال عظيمة القدر، قيل : هى عشر ليال من ذى الحجة. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ - كل أنواع المخلوقات زوجها ووترها. وقيل صلاة المؤمنين لله، منها الشفع (عدد ركعاتها زوجى) ومنها الوتر. وقيل : يومى النحر وعرفة. وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ - حين يسير ويتوالى. هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ - هل فى قسم الله بهذه المخلوقات التى خلقها إيقاظ لأصحاب العقول ؟ بلى. أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ - "إرم" اسم مدينة عاد الأولى ذات المنازل العالية. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ - اشتهرت بأنها أقوى البلاد. وَثَمُودَ - قوم صالح. الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ - بنوا بالصخر بيوتًا فى واديهم وكان يقع بين الشام والحجاز. وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ - فرعون صاحب الأبنية العظيمة والقصور العالية وكأنها الجبال. الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ - أنزل على كل منهم نوعا من العذاب. إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ * فَأَمَّا الْإِنسَانُ - الذى لا ينتهج شرع الله. إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ - يعترف بالله إذا أعطاه ما وافق هواه. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا - إن ابتلاء ربكم هو بقدر أعمالكم وتعنتكم. بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ - لا تتواصون. عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ - الميراث (وضرب الله بالميراث مثلاً لأنه مال يصل إلى الوارث دون أن يبذل فى كسبه جهدا) . أَكْلًا لَّمًّا - تتلقونه بقبول خالص دون أن تفرقوا فيه بين حق وباطل، بل تتسابقون فيما بينكم للحصول على أكبر قدر من الخيرات. وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا * كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ - ولن تفيده وقتئذ. الذِّكْرَىٰ.

﴿ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِى قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ـ الآخرة (فهي الحياة الحقيقية، لكونها دائمة. أما الحياة الدنيا فلا تعدو أن تكون حلمًا مضى). فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ـ نفس المؤمن. ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي.

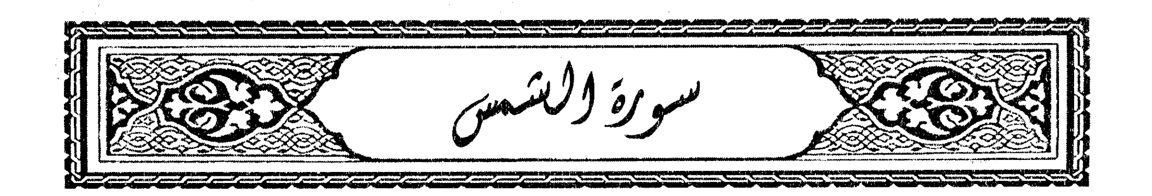


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾ ﴾

لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ـ ذلك تأكيد للقسم بمكة المكرمة. وَأَنْتَ حِلٌّ ـ وقد حَلَلْتَ يا محمد. بِهَذَا الْبَلَدِ ـ نزلت فيه بعد الفتح. وَوَالِدٍ ـ آدم. وَمَا وَلَدَ ـ ذريته حتى يوم القيامة. لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ـ فى شقاء وهموم، والناس جميعهم على ذلك الحال، مؤمنهم وكافرهم، وإنما سعى المؤمن لثواب الآخرة يعزيه عن شقاء الدنيا ويخفف عنه همومها. أَيَحْسَبُ ـ الكافر. أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ـ أنفقت مالاً كثيراً حتى أحظى بمكانة عالية فى قومى. أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ـ أيحسب ألن يراقبه أحد على تصرفاته، كلا فإن الله يراقبه وسوف يحاسبه.

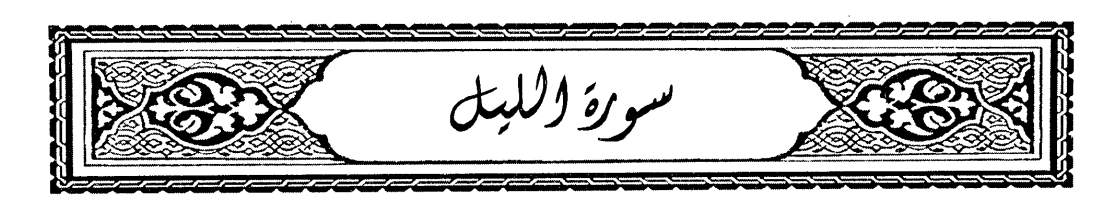
* أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ـ لقد أعطى الله الناس المكنات الخلقية التى تعينهم فى الحياة، ووضع لهم المنهج القويم للمعرفة. وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ـ عرَّفناه الطريقين: طريق الخير ومن اتبعه يجنى ثماره، وسبل الشر ومن سلكها تحمل بعواقبها. والله غفور لمن تاب وآمن وعمل صالحا. فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ـ لم يخطو خطوة نحو سبيل الرشاد لتنفرج أمامه سائر طرق الخير والإيمان. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ـ شيء يسير من الأعمال الخيرة يؤديها بنية خالصة لوجه الله، منها الأمثلة الآتية: فَكُّ رَقَبَةٍ ـ تحرير عبد مملوك أو أمَة. أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ـ يوم شدة وجوع. يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ـ قريبًا منكم، بمعنى: تعلمون بحاله وحاجته. أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ـ معفر بالتراب من شدة فقره. ثُمَّ كَانَ ـ المتصدِّق. مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ـ العذاب. عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ـ مغلقة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥ ﴾

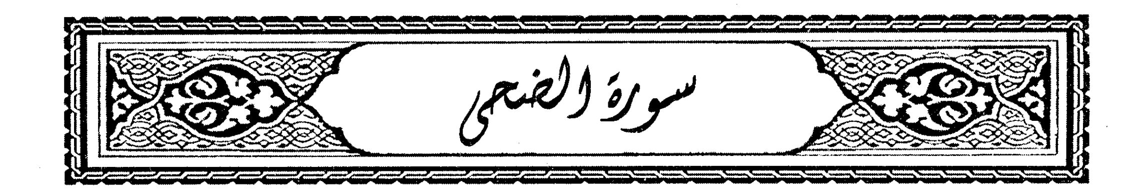
وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ـ الضحى هو أقوى أوقات الشمس سطوعا . وَالْقَمَرِ إِذَا تلاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جلاَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ـ الليل يأتى بظلمته فيحجب نور الشمس. وَالسَّمَاءِ وَمَا بنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْوَاهَا ـ أودع فيها نوازع الخير والشر. قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ـ من طهرها. وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ـ من نَمَّى فيها الخبث ونوايا الشر. كَذَّبَتْ ثَمُودُ ـ أمة نبى الله صالح، كذبت برسالة الله. بطَغْوَاهَا ـ طغيانًا وكفرًا. إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ـ قام أعتى رجل فيها ليذبح الناقة. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ـ اتركوا. نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ـ وخلوا بينها وبين مشربها (كانت تشرب يومًا من بئر الماء، وتسقى فى اليوم التالى جميع أهل البلد لبنًا). فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ ـ أطبق. عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ـ العذاب. بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ـ سوى قريتهم أى هدمها، ولم يبق على شىء فيها. وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا ـ لا يخشى عاقبة أفعاله، فهو على ما يشاء قدير.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ (٣) إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ (١٠) وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ (١١) إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى (١٥) ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى (١٧) ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ (١٩) إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٢٠) وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ (٢١) ﴾

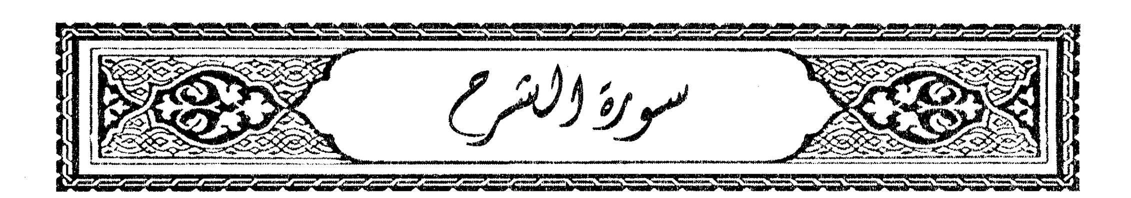
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ـ يظلم الأفق. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ ـ من. الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ـ من كل صنف. إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ـ مشتت بين سبل الخير والشر. فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ ـ عمل الخير. وَاتَّقَىٰ ـ الله. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ـ بوحدانية الله وبالحياة الآخرة. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ـ للفوز بالجنة. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ـ عن عمل الخير. وَاسْتَغْنَىٰ ـ عن طريق الله. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ـ كفر وأعرض عن الهداية، وهى دين الله. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ـ عذاب جهنم. وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ـ فى عذاب الجحيم. إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ـ الإرشاد إلى طريق النجاة. وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ * فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ـ يلتهب سعيرها بشدة. لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ـ الكافر. الَّذِي كَذَّبَ ـ بدين الله. وَتَوَلَّىٰ ـ عن طريقه. وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ـ المؤمن. الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ ـ فى سبيل الله. يَتَزَكَّىٰ ـ يتصدق ليطهر نفسه ويتقرب إلى الله. وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ـ وهو ليس مدين لأحد بما يبذله فى سبيل الله، وإنما يفعل ذلك. ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ـ بطمأنينة الإيمان فى الدنيا وبالسعادة الأبدية فى الآخرة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾

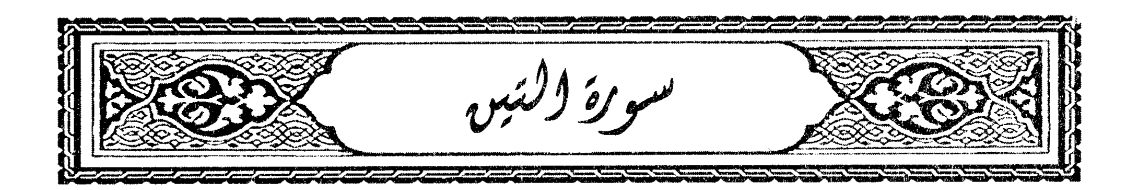
وَالضُّحَىٰ ـ نور الشمس أول النهار. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ـ حين يستقر بظلامه فتهدأ حركة الناس. مَا وَدَّعَكَ ـ ما تركك. رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ـ وما أبغضك (قال الكافرون عندما تأخر الوحى عن الرسول ﷺ: لقد ودعه ربه وقلاه). وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ ـ الآخرة خير من الدنيا، فاصبر على طريق الهداية. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ ـ فى الدنيا والآخرة. فَتَرْضَىٰ * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا ـ ولد رسول الله محمد ﷺ يتيم الأب، ثم ماتت أمه وهو فى السادسة من عمره. فَآوَىٰ ـ رعاك. وَوَجَدَكَ ضَالاً ـ متحيرًا تختلى فى غار حراء وتتأمل. فَهَدَىٰ ـ فهداك إلى طريقه وشريعته. وَوَجَدَكَ عَائِلاً ـ فقيرًا. فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ـ برسالة ربك. فَحَدِّثْ ـ حدث الناس، وادعهم إلى طريق الله.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ - بنور النبوة والهداية. وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ - وأسقطنا عنك همك الشاغل حين كان قومك كافرين، فصاروا بعد ذلك مؤمنين. الَّذي أَنقَضَ ظَهْرَكَ - ذلك الهم الذى أتعبك، وكأنه يقصم ظهرك، فأوحى الله إليك أنك لست على الناس بمسيطر، وإنما عليك النصح ولا تبعة عليك بعد ذلك. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ - رفعنا قدرك فى الدنيا والآخرة، بأن يكون اسمك مقرونًا مع اسم خالقك، الله الواحد الأحد في الشهادة، وفى التشهد فى الصلوات، وفى الصلاة عليك وعلى آلك... فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ - من دعوة الناس. فَانصَبْ - كُدّ فى عبادة الله. وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ - واشغل نفسك بالتقرب إليه.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾

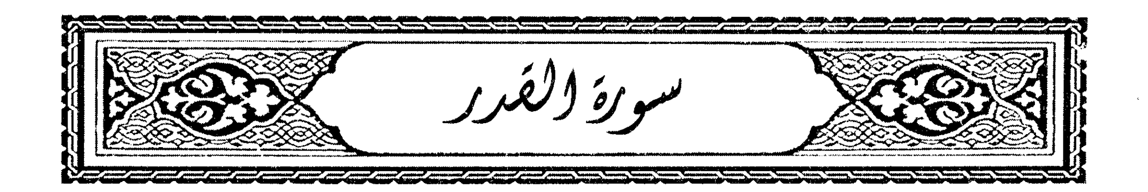
وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ - جبل سيناء المبارك. وَهَٰذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ - مكة. لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ - فى أحسن صورة، كان آدم وحواء أجمل المخلوقات. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ - لهم عطاء من ربهم متصل غير منقطع. فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ - فما يجعلك أيها الإنسان تكذب برسالات الله ورسله، والله يذكرك بقدراته ونعمه، وما تشاهده فى نفسك وفيما حولك من مخلوقات؟. أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ - بلى، وأنا على ذلك شهيد.

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩ ﴾

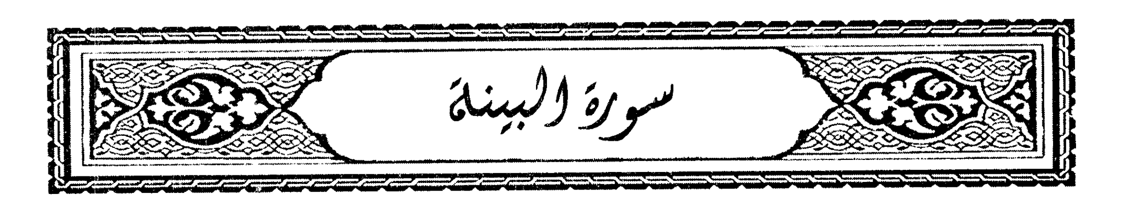
اقْرَأْ ـ اتل القرآن يا محمد. بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ـ دم متجمد في الرحم. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ـ علم الإنسان كيف يخط الكلام كتابة. عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ـ حين يرى نفسه صاحب مال وجاه فيعتقد أنه استقل بذاته ولا رقيب عليه. إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ـ للحساب في الآخرة (يرجع إليه كل إنسان كبيرًا كان أم صغيرًا، عالي الشأن كان أم حقيرًا، ليحاسب على كل صغيرة وكبيرة. ويحظى عندئذ المؤمنون المقربون إلى الله وأصحاب اليمين برحمة ربهم ومغفرته). أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ـ عجبًا لذلك الذي ينهى عبداً يتجه بالصلاة إلى خالقه (أبو جهل كان ينهى النبي عن الصلاة). أَرَأَيْتَ إِن كَانَ ـ هل الذي يفعل ذلك يكون. عَلَى الْهُدَىٰ * أَوْ أَمَرَ ـ أو يأمر. بِالتَّقْوَىٰ ـ إنه لم يكتف بأن أعرض عن الدين، وإنما يريد إجبار سائر الناس على الكفر والضلال. أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ـ فما حاله حين ينصرف عن دين الله؟. أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ * كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ـ لنسحبه من رأسه إلى نار الجحيم. نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ـ متمردة عاصية. فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ـ أهله وأصدقاءه وعشيرته. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ـ الملائكة الموكلة بالعذاب. كَلاَّ لا تُطِعْهُ ـ لا تطع ذلك الذي ينهاك عن الصلاة. وَاسْجُدْ ـ لربك. وَاقْتَرِبْ ـ بروحك منه.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝ ﴾

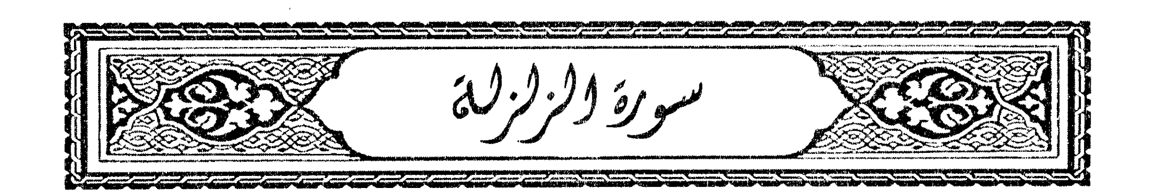
إِنَّا أَنزَلْنَاهُ ـ القرآن. فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ـ ليلة من رمضان ذات قدر عظيم عند الله. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ ـ التقرب فيهـا إلى الله بالعبادة والدعاء. خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ ـ لتحف بالمؤمنين. وَالرُّوحُ ـ وجبريل. فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ـ وتوافى الملائكة الناس ببـركات من الله. مِّن كُلِّ أَمْرٍ ـ من حفظ نفس ومـال وأولاد ونصرة مظلوم وتفريج كرب...إلخ. سَلامٌ هِيَ ـ ممتدة بركتها بسلام. حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ - اليهود كفروا بالمسيح ورسالتـه، والنصارى أشركوه مع أمّه فى عبادة الله. وَالْمُشْرِكِينَ - الوثنيين. مُنفَكِّينَ - عن كفرهم (والمراد بعضهم وليس كلهم، لأن منهم المؤمنين الذين عاصروا رسلهم وناصروهم). حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ - من السمـاء على ضلال ملتـهم المحـرفة. رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ - تلك البيـنة هى الرسول الخاتم محمـد، عليه الصلاة والسلام. يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً - القرآن. فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ - فيها أحكام كـتبها الله على الناس حتى تستقـيم حياتهم. وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ - إلى فريقين (فريق أسلم، وفريق ظـل على كفره مع علمه بصدق رسول الإسلام). إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ - وأحكام هذا الدين ليست بجديدة عليهم بالمقارنة بما بين أيديهم من كتب الله السابقة، وقد جاء الإسلام دينًا خاتمًا ليصحح ما شاب عقيدة الناس من شرك بالله، ويدعوهم إلى الإخلاص فى عبادته وتوحيده. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا - برسالة الله وخاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ. مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ - الخلق. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ.





﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ ﴾

إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ـ ارتجفت رجفة بأمر ربها. وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ـ ألقت ما بباطنها من أموات. وَقَالَ الإِنسَانُ ـ مذعورًا من تلك الزلزلة. مَا لَهَا ـ ؟ ـ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ ـ تنطق وتُعْلِمُ الناس. أَخْبَارَهَا ـ تخبرهم. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ـ بالقيامة. يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ـ مشتتين فرادى مضطربين ومذعورين، كل إنسان منشغل بحاله لا يفكر إلا فى نفسه، من هول ذلك اليوم. لِّيُرَوْا ـ ليحاسبوا على. أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ـ رؤية الأفعال والمثول بين يدى الله للحساب أمر محتوم على كل إنسان.

---

(١٨٥) بيان: العدل الإلهى [الآيات: ٥-٨].

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الآيتان: ٧ ـ ٨].

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: ٤٠].

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

لقد بين الله سبحانه وتعالى شريعته للناس منذ نزول آدم إلى الأرض. والمؤمنون هم الذين يتبعون رسل الله ويعملون بما جاء فى رسالاته. وكل رسالة فى حدود الزمان والمكان خاطبت أمة معينة. وهذا القرآن الذى هو الرسالة الخاتمة ـ وهى الوحيدة الباقية بأصلها كما بلغها الرسول الذى حملها ـ وهو يخاطب الناس جميعًا منذ بعثة محمد ﷺ. وكل رسالات الله السابقة كانت على التوحيد.

إن من العدل الإلهى أن يبين الله طريق الرشاد للناس، وقد بينه فى هذا القرآن وفى الرسالات السابقة : ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]. والناس مطالبون باتباع آخر رسالة نزلت إليهم والعمل بأحكامها (لأن النسخ يجرى بين الشرائع فى الأحكام العملية) مع الإيمان بكل الرسالات والرسل.

ويتضح من ذلك أن العدل الإلهى، المتمثل فى بيان أحكام الهداية للناس، لا ينقطع ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥]. ويبقى القرآن محفوظًا ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. وما دامت رسالة السماء محفوظة، فلا حاجة إلى رسل من بعد بعثة محمد ﷺ، وإنما على الناس أن يلتفوا حول هذه الرسالة الخاتمة، ليفهموا ما جاءت به ويتداولوا مضمونها باللغات المختلفة، وعلى الدعاة من كل مجتمع وفى كل زمان إرشاد الناس ونصحهم وفقًا لما جاءت به تلك الرسالة. ⬅

سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١ ﴾

وَالْعَادِيَاتِ ـ الخيل الجاريات. ضَبْحًا ـ وهي تحمحم. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ـ تركض فتثير حجارة الأرض بشدة فيحدث الشرر. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ـ إذا أغارت بالصباح. فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ـ فأثارت الغبار كالعاصفة. فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ـ فنفذت بسرعتها إلى وسط الجمع. إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ـ كفور، ينسى نعم الله عليه. وَإِنَّهُ ـ ضميره. عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۞ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۞ أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ ـ انتثر. مَا فِي الْقُبُورِ ـ يوم القيامة. وَحُصِّلَ ـ جُمِعَ. مَا فِي الصُّدُورِ ـ من الإيمان والكفر للحساب. إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ ـ يوم القيامة. لَّخَبِيرٌ ـ وهو دائمًا خبير بأحوال عباده.

➡ ثم عند الحساب يتمثل العدل الإلهى فى أن الإنسان يرى كل ما عمله من صواب وخطأ وخير وشر.

ورؤية الخير والشر من الأعمال ستكون يقينية لا تدع مجالاً للشك، ولا تفتر معها الذاكرة. وقد تكون دفعة واحدة، وليست على التوالى كما نشاهد شريطًا مصورًا، لأن الله الذى أعطاك النظر لترى والعقل لتعلم، يمكنه إدخال العلم، وإيقاظ الذاكرة فيك فترى أعمالك دفعة واحدة، وكأن لك الملايين من الأعين.

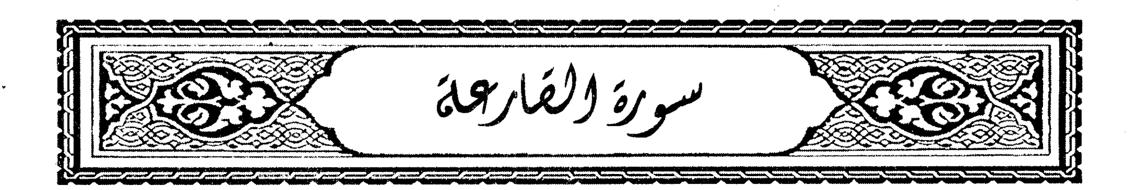
الرحمة الإلهية :

بعد ما يرى الإنسان ويتذكر ما فعله فى الدنيا من خير وشر، ويعلم بيقين أن الله ليس بظلام للعبيد، ينجو المؤمن من أثر الحساب إذا رجحت كفة حسناته على سيئاته وفى ذلك رحمة كبيرة من الله.

ومن طغت سيئاته على حسناته، وكان مؤمنًا، يعاقبه الله عقابًا مؤقتًا ثم ينتقل بعد ذلك إلى الجنة.

ومن رحمة الله أنه يضاعف أجر الحسنات فى ميزان الحساب ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. وفى المقابل لا يضاعف الله جزاء السيئات ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

أما الكافر فقد حبطت أعماله ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

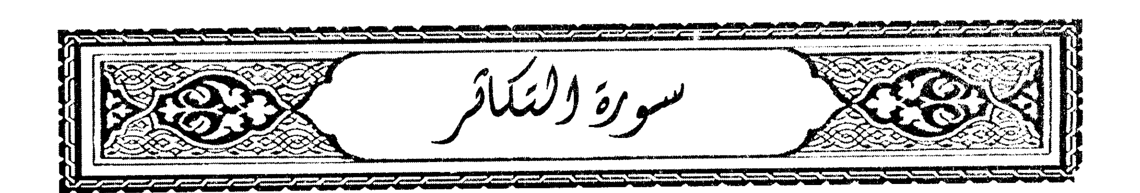


سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝ ﴾

الْقَارِعَةُ ـ القيامة. مَا الْقَارِعَةُ؟ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ؟ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ـ يسعون مشتتين متخبطين. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ـ صوف الغنم. الْمَنفُوشِ ـ غير المتماسك. فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ـ بالإيمان وأعمال الخير. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ـ بالشرك والكفر. فَأُمُّهُ ـ أى رأسه. هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ـ ما هى تلك المصيبة التى يقع فيها. نَارٌ حَامِيَةٌ ـ جهنم.

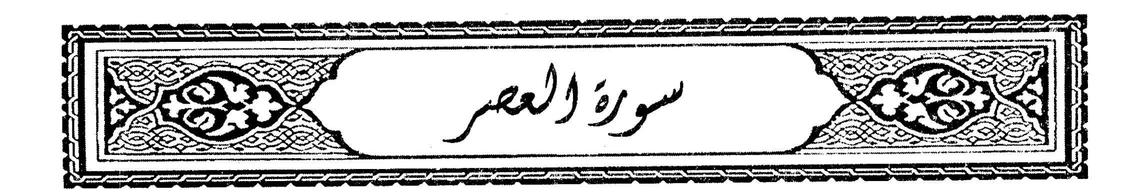


سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ﴾

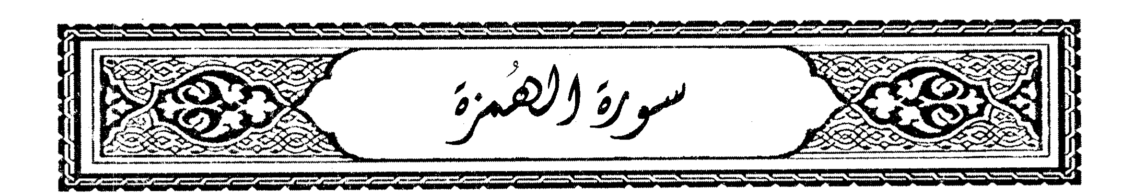
أَلْهَاكُمُ ـ أيها الكافرون. التَّكَاثُرُ ـ السعى للعزوة والتفاخر بالمال والبنين طيلة حياتكم. حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ـ حتى جاءكم الموت. كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ـ لا يكون اليقين إلا برؤية الشىء. لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ـ الذى كنتم فيه فى الدنيا، فانشغلتم به فنسيتم الْمُنْعِمَ. هل دام هذا النعيم، أم ذهب كحلم مضى؟.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾

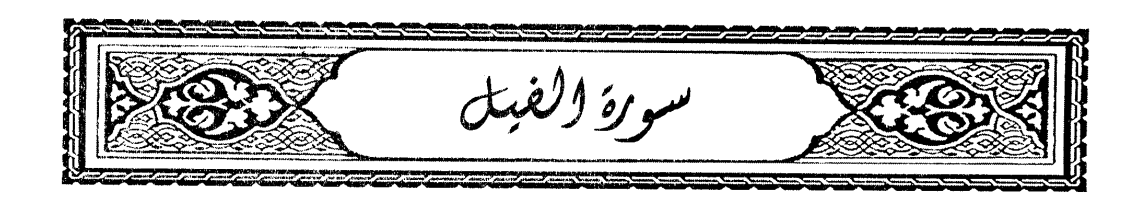
وَالْعَصْرِ ـ قَسَمٌ بالدهر أو بوقت العصر ـ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩ ﴾

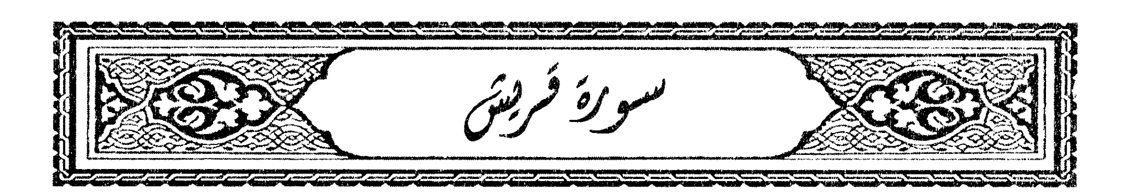
وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ـ الويل لكل من يغتاب الناس ويسعى بينهم بالنميمة والفتنة. الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ـ كنزه ولم ينفق منه فى سبيل الخير. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ـ يظن أن ماله يجعله يبقى على الدوام. كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ؟ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ـ التى تحرق القلوب. إِنَّهَا ـ جهنم. عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ـ على الكافرين مغلقة محكمة. فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ـ لهيبها شاهق العلو كالأعمدة الضخمة.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥ ﴾

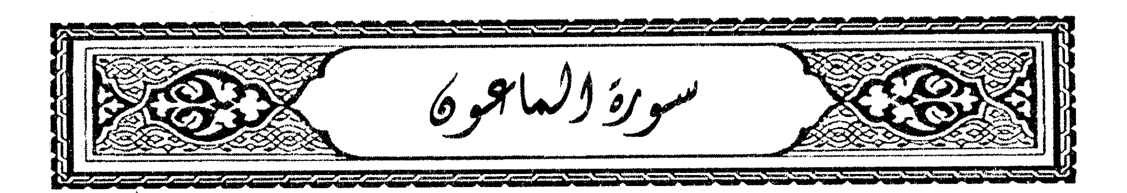
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ـ إبرهة وجيشه، جاؤوا من اليمن لهدم بيت الله الحرام (الكعبة). أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ـ من طين يابس. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ـ كبقايا ما تأكل البهائم من تبن وعلف.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾

لإِيلافِ قُرَيْشٍ ـ من أجل إيلاف قريش. إِيلافِهِمْ ـ ما ألفوه وانتظموا عليه من تجارة. رِحْلَةَ الشِّتَاءِ ـ إلى اليمن ـ وَالصَّيْفِ ـ رحلة إلى الشام. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ـ رب الكعبة، الله الواحد الأحد. الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ـ جنبهم المصائب والفقر والمجاعات.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝ ﴾

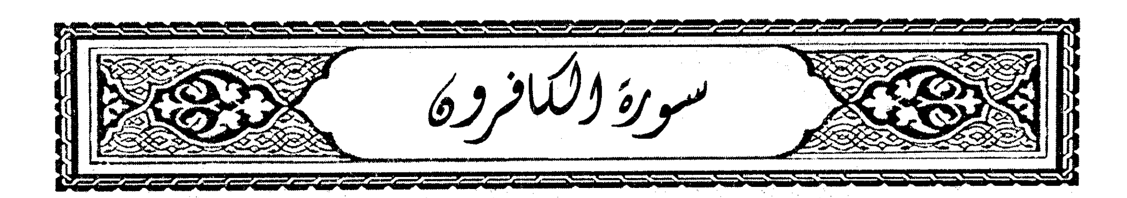
أرأيْتَ الَّذي يُكَذِّبُ بالدِّين ـ الذى ينكر حساب الآخرة. فَذَٰلكَ الَّذي يَدُعُّ ـ يظلم. الْيَتيمَ * وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمسْكين * فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذينَ هُمْ عَن صَلاتهمْ سَاهُونَ ـ الذين يغفلون عن أداء صلواتهم فى أوقاتها، والذين لا تنهاهم صلاتهم عن تجنب الظلم والحرام. الَّذينَ هُمْ يُرَاءُونَ ـ ينافقون بإظهار صلاتهم وصدقاتهم لجذب أنظار الناس. ويَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ـ ولا يكونون عوناً حقيقياً لإخوانهم فى الخير وفى سبيل الله.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝ ﴾

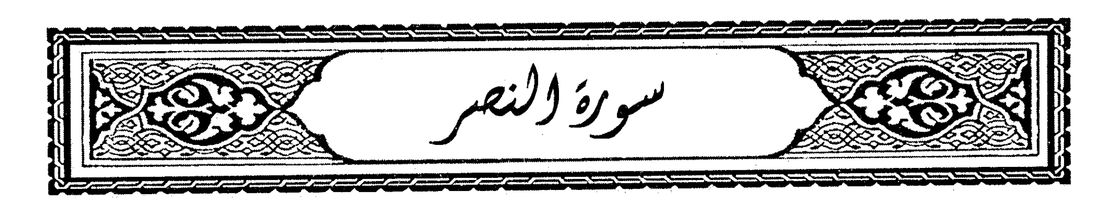
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ ـ يا محمد ـ الْكَوْثَرَ ـ نهر عظيم فى الجنة ـ فَصَلِّ لرَبِّكَ ـ وحده ـ وَانْحَرْ ـ اذبح الأضحية لله وأطعم الفقراء ـ إِنَّ شَانئَكَ ـ الذى يبغضك ـ هُوَ الأَبْتَرُ ـ المنبتر عن كل مزية، وهو الشيطان من الإنس والجن.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾

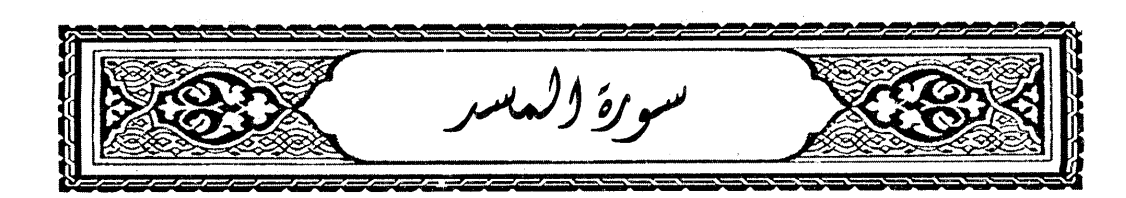
قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ـ لا أعبد ما تشركون الله من أصنام أو أناس أو غير ذلك. وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ـ لن تعبدوا الله حق عبادته ما دمتم غير مقلعين عن مختلف ألوان الشرك. وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (تأكيد). وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ـ مفهوم السورة أنه لا تصالح على العقيدة، فيجب أن تكون مطلقة وخالصة لله، ونزلت السورة ردًا على الكافرين الذين أرادوا التصالح مع الرسول ﷺ على أن يكرم آلهتهم فى مقابل أن يسلموا.



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣ ﴾

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ـ فتح مكة. وَرَأَيْتَ النَّاسَ ـ عندئذ. يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ـ يأتون أممًا ليعاهدوك على الإسلام. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ـ غفورًا للمؤمنين الجدد، فالتوبة تَجُبُّ ما قبلها.

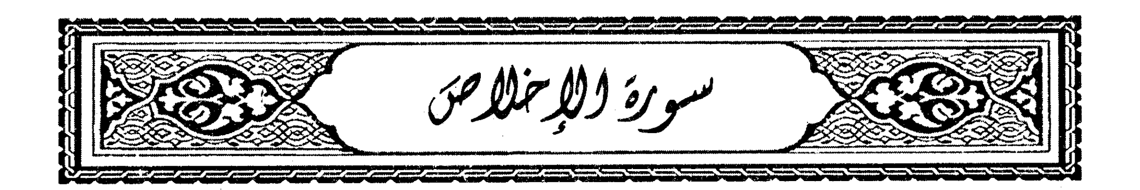


سورة المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥ ﴾

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ـ خسر الخسران المبين. مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ـ من الدنيا. سَيَصْلَىٰ ـ فى الآخرة. نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا ـ عنقها. حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ـ حبل خشن تسحب به وهى تحمل الحطب لجهنم(*).



سورة الإخلاص

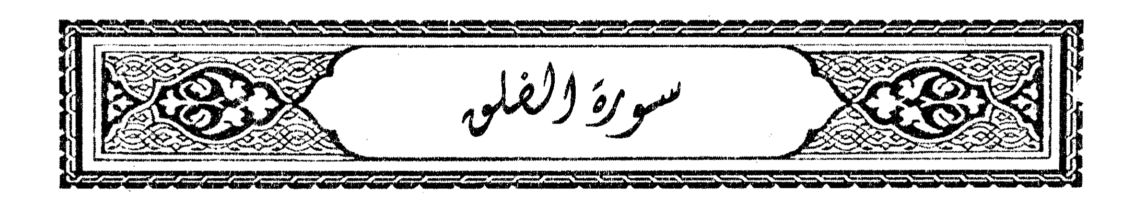
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ ـ كل لا يتجزأ، ولا يحتوى على أجزاء(**). لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا ـ نظيراً أو شبيهاً. أَحَدٌ.

(*) يرى بعض المفسرين أن من أوجه إعجاز سورة "المسد" أن الله تبارك وتعالى أنزلها وكان أبو لهب وزوجته على قيد الحياة، فما كان أسهل من أن يشهدا بأنهما مسلمان بلسانهما فقط، فتنهار الثقة فى القرآن، إذ سيقول الناس كيف تذكرآياته اثنين من المسلمين يعذبان فى نار جهنم ! لذلك صرفهما الله عن هذا المكر. والتدقيق يقتضى رفض هذا الوهم، لأنه ينزل من قدر القرآن الكريم وما هو عليه من إحكام. فإذا افترضنا أن ما يخشى منه المفسر قد وقع، وشهد أبو لهب وزوجته بإسلامهما بلسانهما فقط، لظل المؤمنون على حالهم وقالوا إنهما من زمرة المنافقين، والثقة فى القرآن تظل باقية مع وجود تلك السورة، لأنه معلوم أن المنافق يشهد بإسلامه حال حياته، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] لذلك توعدهم الله بالعذاب الأليم فى الآخرة: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

(**) اخترنا المعنى من بين ما ذكره الأصفهانى فى مفردات ألفاظ القرآن الكريم، وهو معنى يحمل رداً مناسباً على من يقولون بأن الله ثالث ثلاثة، جميعهم إله واحد.

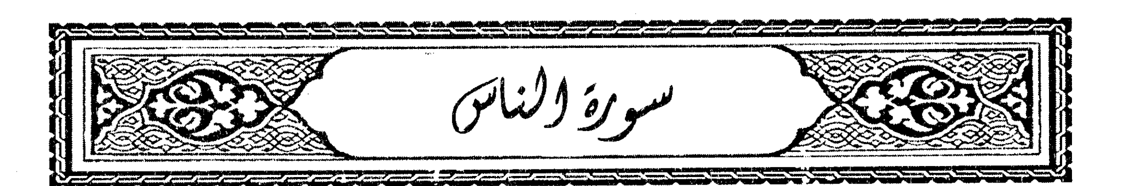


سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ـ رب الصباح الذى يشق الظلام ويبدده. من شَرِّ مَا خَلَقَ ـ من شر كل شىء مكروه. وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ـ ومن شر الليل إذا أظلم. وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ـ من شر أعمال السحر (إذ كانت الساحرات فى الجاهلية تُعَقِّدُ الحبال وتشعوذ عليها، لجلب الجن وتجنيده ضد المسحور له). وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ ـ حاقد، يستكثر على غيره ما يحوز من أنعم الله، فيتمنى زوالها أو نقصانها. والله سبحانه وتعالى أدرى وأعلم بتوزيع نعمه على الخلق. إِذَا حَسَدَ.



سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ـ إبليس وأعوانه. الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ـ يغريهم بالإقدام على الشر والفساد. مِنَ الْجِنَّةِ ـ الشياطين. وَالنَّاسِ ـ من الذين انقادوا إلى الضلال.

تم بحمد الله تعالى

دعاء ختم القرآن

اللَّهُمَّ ارْحَمْنى بالقُرآن واجْعَلْهُ لى إمامًا ونُورًا وهُدًى ورَحْمَةً * اللَّهُمَّ ذَكِّرنى منْهُ مَا نَسيتُ وعَلِّمْنى منْهُ مَا جَهِلْتُ وارْزُقْنى تلاوتَهُ آناءَ اللَّيْلِ وأَطْرافَ النَّهار واجْعَلْهُ لى حُجَّةً يا رَبَّ الْعَالَمين * اللَّهُمَّ أَصْلحْ لى دينى الَّذى هُوَ عصْمَةُ أَمْرى وأَصْلحْ لى دُنْيَاىَ الَّتى فيهَا مَعَاشى وأَصْلحْ لى آخرتى الَّتى فيهَا مَعَادى واجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيادَةً لِّى فى كُلِّ خَيْرٍ واجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِّى من كُلِّ شَرٍّ * اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرى آخرَهُ وخَيْرَ عَملى خَواتمَهُ وخَيْرَ أيَّامى يَوْمَ أَلْقاكَ فيه * اللَّهُمَّ إنِّى أَسْأَلُكَ عيشَةً هَنيَّةً وميتَةً سَويَّةً ومَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ ولا فَاضحٍ * اللَّهُمَّ إنِّى أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَة وخَيْرَ الدُّعَاء وخَيْرَ النَّجاح وخَيْرَ الْعلْم وخَيْرَ الْعَمَلِ وخَيْرَ الثَّواب وخَيْرَ الْحَيَاة وخَيْرَ الْمَمَات وثَبِّتْنى وثَقِّلْ مَوَازينى وحَقِّقْ إيمَانى وارْفَعْ دَرَجَتى وتَقَبَّلْ صَلاتى واغْفرْ خَطيئَاتى وأَسْأَلُكَ الْعُلا منَ الْجَنَّة * اللَّهُمَّ إنِّى أَسْأَلُكَ مُوجبَات رَحْمَتكَ وعَزَائمَ مَغْفرَتكَ والسَّلامَةَ من كُلِّ إثْمٍ والْغَنيمَةَ من كُلِّ برٍّ والْفَوْزَ بالْجَنَّة والنَّجاةَ من النَّار * اللَّهُمَّ أَحْسنْ عَاقبَتَنَا فى الأُمُور كُلِّهَا وأَجرْنَا منْ خزْى الدُّنْيا وعَذَاب الآخرَة * اللَّهُمَّ اقْسم لَنَا من خَشْيَتكَ مَا تَحُولُ به بَيْنَنا وبَيْنَ مَعْصيَتكَ ومن طَاعَتكَ مَا تُبَلِّغُنا بهَا جَنَّتَكَ ومنَ الْيَقين مَا تُهَوِّنُ به عَلَيْنا مَصَائبَ الدُّنْيَا ومَتِّعْنَا بأَسْمَاعنا وأَبْصَارنَا وقُوَّتنَا مَا أَحْيَيْتَنَا واجْعَلْهُ الْوارثَ منَّا واجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَن ظَلَمَنَا وانْصُرْنَا عَلَى مَن عَادَانَا ولاَ تَجْعَلْ مُصيبَتَنَا فى ديننا ولا تَجْعَلِ الدُّنْيا أَكْبَرَ هَمِّنَا ولا مَبْلَغ علْمنا ولا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَن لا يَرْحَمُنَا * اللَّهُمَّ لا تَدعْ لَنَا ذَنبًا إلا غَفَرْتَهُ ولا هَمًّا إلا فَرَّجْتَهُ ولا دَيْنًا إلا قَضَيْتَهُ ولا حَاجَةً مِّن حَوائج الدُّنْيَا والآخرَة إلا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحمينَ * رَبَّنَا آتنَا فى الدُّنْيا حَسَنَةً وفى الآخرَة حَسَنَةً وقنَا عَذَابَ النَّار * وصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آله وأَصْحَابه الأخْيَار وسَلَّمَ تَسْليمًا كَثيرًا.

عَلامَاتُ الوقفِ وَمُصْطلحاتُ الضَّبْطِ :

مـ تُفِيدُ لزُومَ الوَقْفِ

لا تُفِيدُ النَّهْيَ عَنِ الوَقْفِ

صلے تُفِيدُ بأنَّ الوَصْلَ أَوْلَىٰ مَعَ جَوازِ الوَقْفِ

قلے تُفِيدُ بأنَّ الوَقْفَ أَوْلَىٰ

ج تُفِيدُ جَوازَ الوَقْفِ

∴ ∴ تُفِيدُ جَوازَ الوَقْفِ بأَحَدِ المَوْضِعَيْنِ وليسَ في كِلَيْهِمَا

ه للدِّلالَةِ عَلَىٰ زِيَادَةِ الحَرْفِ وَعَدَمِ النُّطقِ بهِ

ه للدِّلالَةِ عَلَىٰ زِيَادَةِ الحَرْفِ حِينَ الوَصْلِ

ـ للدِّلالَةِ عَلَىٰ سُكُونِ الحَرْفِ

م للدِّلالَةِ عَلَىٰ وُجُودِ الإِقْلَابِ

ـً للدِّلالَةِ عَلَىٰ إِظْهَارِ التَّنْوِين

ـٍ للدِّلالَةِ عَلَىٰ الإِدْغَامِ وَالإِخْفَاءِ

ا للدِّلالَةِ عَلَىٰ وُجُوبِ النُّطقِ بالحُرُوفِ المَتْرُوكَةِ

س للدِّلالَةِ عَلَىٰ وُجُوبِ النُّطقِ بالسِّينِ بَدَلَ الصَّاد

وَإذَا وُضِعَتْ بالأَسْفَلِ فَالنُّطقُ بالصَّادِ أَشْهَر

~ للدِّلالَةِ عَلَىٰ لزُومِ المَدِّ الزَّائِد

۩ للدِّلالَةِ عَلَىٰ مَوْضِعِ السُّجُود ، أَمَّا كَلِمَةُ وُجُوبِ السُّجُود

فَقَدْ وُضِعَ تَحْتَهَا خَطّ

۞ للدِّلالَةِ عَلَىٰ بِدَايَةِ الأَجْزَاء وَالأَحْزَاب وَأَنصَافِهَا وَأَرْبَاعِهَا

(٤) للدِّلالَةِ عَلَىٰ نِهَايَةِ الآيَةِ وَرَقْمِهَا .

فهرس مواضع الأحكام التى ورد عليها التخصيص والنسخ

مسلسل البيان	السورة	الآيــة	الصفحة
١	٢. البقرة	١٠٩	٢٧
٢	"	١٨٠	٣٨
٣	"	١٨٤	٣٩
٤	"	٢١٧	٤٦
٥	"	٢٢١	٤٧
٦	"	٢٢٨	٤٨
٧	"	٢٣٤	٥٠
٨	"	٢٤٠	٥١
٩	"	٢٨٤	٥٨
١٠	٤. النساء	١٥ ـ ١٦	٨٧
١١	"	٢٣	٨٨
١٢	"	٣٣	٩٠
١٣	٨. الأنفال	١	١٧١
١٤	١٦. النحل	٦٧	٢٤٧
١٥	٦٠. الممتحنة	١٠	٤٩٣

فهرس القضايا

فهرس السور